كتاب التفسير للقاضي البيضاوي

سنه متيمنهٔ تسع واربعين ومائة والف شهر رجب المرجبى اوائلنده اشارات قرانيه دن
بر لطيفهٔ غيبيه سرزدهٔ صحيفهٔ ظهور اولمشدر كه ثبت وتحريرى مقتضاى حال اولدى وجهى
بودركه ممالك ايران زمينده سيف مسلول جهاد ايله قلع وقمع رفض والحاده آغاز ايدوب
مذهب سديد اهل سنتى ممالك مسطورهده نشر واجرا داعيه سيله سرير شاهى يه جلوس ايدن
نادر شاه با انتباه حالا اجاريا لش نشين مسند عز وتمكين خليفهٔ روى زمين سلطان البرين
والبحرين خادم الحرمين الشريفين شوكتلو كرامتلو حشمتلو پادشاهمز سلطان محمود خان
ابن سلطان مصطفى خان اعز الله انصاره حضرتلرينك سدهٔ سنيهٔ عالم مصيرلرينه
التجا ايدوب ممالك ايرانده اجراى مذهب اهل سنت وتشييد مبانى ملك وملتده عنايت عليهٔ
خسروانه لرى رجاسيله معتبر ومنتخب سفرا ارسال ومصالح عديده يى متضمن ضراعتنامه لر
ارسال اولنمشدر محذورات شرعيه وعرفيه دن عارى بعض موادى اوزرينه عقد وفاق
وعهد وميثاق اولنوب نامهٔ همايون جهاندارى تحرير ولمش ابدى بناء عليه بو عقد وعهدك
ثبات ودوامى والى ماشاء الله دوامى ميسر ومقدر ايسه لوح غيب وكتاب لاريبدن
اشارت وبشارت رجاسيله شوكتلو كرامتلو مهابتلو افندمز حضرتلرى
وشارح الصدر عز واجلالى اولان مصحف شريفى يد مؤيدلريله
فتح وكشاد بيورد قلرينده سورهٔ شريفهٔ دن سورهٔ
يوسفده بر صحيفه ده وقال الملك ائتونى به
الخ نص كريمى نور بخش نظرهمايون اولمغله
عقد معهودك كمال متانت واستمرار
سلامتله حصولنه اشارت وبشارتى
متضمن ايت حكمتدر ديو
استدلال اولنمغين
بومحله ثبتنه مأمورم
ثبت اولندى
م

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء، فلم يجد به قديرا، وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء
قحطان، حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا، ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب تذكيرا، فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن
أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا، وأبرز غوامض الحقائق ولطائف
الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت، وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا، ومهد لهم قواعد
الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، فمن كان
له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد، ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا، فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلوة توازي
غناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا، وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم
علينا وعليهم تسليما كثيرا. وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية
والفنون الأدبية بأنواعها، ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي
على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين،
وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين
وأماثل المحققين، ويعرب عن وجوه القراءات المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية
عن القراء المعتبرين، إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام، ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام
حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته، والإتيان بما قصدته ناويا
أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه
أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل. سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها
مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه، ولذلك تسمى أساسا، أو لأنها تشتمل على ما فيه

فيه من الثناء على الله والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه
من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب
السعداء ومنازل الأشقياء، وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك، وسورة الحمد
والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها، والصلوة لوجوب قراءتها أو استحبابها
فيها، والشافية والشفاء لقوله عليه السلام هي شفاء لكل داء، والسبع المثاني لأنها
سبع آيات بالاتفاق إلا أن منهم من عد التسمية آية دون أنعمت عليهم ومنهم من
عكس، وتثنى في الصلوة أو الإنزال إن صح أنها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة
لما حولت القبلة، وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي
بالنص. بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي، وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها
ومالك والأوزاعي، ولم ينص أبو حنيفة فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده
وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله. لنا أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة
رضي الله عنه أنه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم، وقول أم سلمة قرأ
رسول الله الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية، ومن أجلها اختلف
في أنها آية برأسها أم بما بعدها، والإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله، والوفاق على إثباتها
في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين، والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله أقرأ لأن الذي يتلوه مقروء، وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ
له، وذلك أولى من أن يضمر أبدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه، أو ابتدائي لزيادة إضمار فيه
وتقديم المعمول ههنا أوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله إياك نعبد لأنه أهم وأدل على الاختصاص
وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود فإن اسمه سبحانه مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث
إن الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه السلام كل أمر ذي بال
لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر، وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله أقرأ، وهذا
وما بعده إلى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه
ويسأل من فضله، وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية
والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء
والاسم عند أصحابنا البصريين من الأسماء التي حذفت أعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت
أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لأن من دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن، ويشهد له تصريفه على أسماء وأسامي وسمي وسميت، ومجيء سمى كهدى
لغة فيه قال: والله أسماك سمى مباركا آثرك الله به إيثاركا، والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه

من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له من السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت
الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف
صدره فى كلامهم ومن لغاته سم وسُم قال بسم الذى فى كل سورة سمه والاسم ان
اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف
باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك
وان اريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تبارك اسم ربك
وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقايص يجب تنزيه
الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم كما فى قول الشاعر
الى الحول ثم اسم السلام وان اريد به الصفة كما هو راى الشيخ ابى الحسن الاشعرى
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره
وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين
والتيمن ولم يكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا
عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله
بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله فى الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود
بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستاله
وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير فى معرفته او من الهت الى فلان اى سكنت اليه
لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل
عليه والهه غيره اجاره اذ العايذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل
اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه فى الشدايد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة فى وجوه
وقيل الاه كاعاء واشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شئ
وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار وقيل
علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم يجرى عليه صفاته
ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا
مثل لا اله الا الرحمن فانه لم يمنع الشركة والحق انه وصف فى اصله لكنه لما غلب عليه بحيث
لا يستعمل فى غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه فى اجراء الاوصاف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقى او غيره
غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظه ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوصة لما

لما افادته قوله وهو الله فى السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد
اللفظين مشاركا للآخر فى المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل
اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح
ما قبلها او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن يفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح
اليمين وقد جاء لضرورة الشعر شعر الا لا بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى الرجال
الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة فى اللغة
رقة القلب وانعطاف يقتضى التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء
الله انما تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى تكون انفعالات
والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما فى قطع وقطّع وكبار وكبّار
وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية وعلى الاول قيل يا رحمن
الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثانى قيل رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة
وانما قدم والقياس يقتضى الترقى من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم
من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقى البالغ فى الرحمة غايتها وذلك لا يصدق
على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه ويريد به جزيل ثواب او جميل ثناء
او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة فى ذلك لان ذات النعم
ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها
والقوى التى بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن
لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له
او للمحافظة على رؤس الآى والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له
مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب فى بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به فى مجامع الامور هو المعبود الحقيقى الذى هو مولى
النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك
بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل
الاختيارى من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه
وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة
قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء منى ثلثة يدى ولسانى والضمير المحجبا فهو
اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها
لخفاء الاعتقاد وما فى آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه

فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه
الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى
ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو
موليه بوسط او غير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر
مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام
وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة. رب العالمين
الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة
كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك
لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك
والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب ثم غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه
من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده
وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون
كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم
على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث
انه مشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه
في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
ربَّ العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه
دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال
بقائها. الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره. مالك يوم الدين قرأه عاصم
والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ
لله. وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك
اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف
شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال
ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب
ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع

الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى
اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة
لوقوعه صفة للمعرفة. وقيل الدين الشريعة. وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص
اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده ثم بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف
على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها
وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد
احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته
له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده وهو اياك نعبد فالوصف الاول لبيان
ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل
بذلك مختار فيه ليس يصدر منه للايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق
الاعمال حتى يستحق به الحمد. والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه
بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين. اياك نعبد واياك نستعين
ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات
وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة
ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو
مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال
بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة
الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها. اللهم اجعلنا من الواصلين
للعين دون السامعين للاثر. ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم. وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه. وقول امرئ القيس. تطاول ليلك بالاثمد. ونام الخلي ولم ترقد. وبات
وباتت له ليلة. كليلة ذي العائر الارمد. وذلك من نبأ جاءني. وخبرته عن ابي الاسود
واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه واياه الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه. وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها

لما فصلت عن العوامل تعذر التلفظ بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو
المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك
لا يستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهى اما ضرورية
او غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة
ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يصح ان يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل
كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا
القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة فى المهمات كلها
او فى اداء العبادات والضمير المستكن وهو نحن فى الفعلين للقارى ومن معه
من الحفظة وحاضرى صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف
عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن
عباس رضى معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود
على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث
انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه
وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب
وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة
له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله تعالى عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا
على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معى ربى سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه
المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى ويعلم
منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة
الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما صدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين
ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا تستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو
للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهى لغة بنى تميم فانهم يكسرون
حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها. اهدنا الصراط المستقيم بيان
للمعونة المطلوبة فكانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم
والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل فى الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهوادى الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله

واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معه معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه
وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر فى اجناس مترتبة الاول افاضة القوى
التى بها يتمكن المؤمن من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه
اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث
الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
وقوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء
كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء
واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى والثبات عليه او حصول المراتب
المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات
احوالنا وتميط غواشى ابداننا لنستضئ بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان
لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام
اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق
الطاء فى الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير
برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة
قريش والثابت فى الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتانيث
والمستقيم هو المستوى والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام. صراط الذين
انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو فى حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود
بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه
ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل
اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم
والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذه من النعمة وهى اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها تنحصر فى جنسين دنيوى واخروى والاول قسمان موهبى وكسبى والموهبى قسمان
روحانى كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق
وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة من الصحة وكمال الاعضاء
والكسبى تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين

البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول المال والجاه والثاني أن يعفو
ما فرط ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآباد والمراد هو القسم
الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من القسم الآخر فإن ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن
والكافر. غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى أن المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال أو صفة له مبينة أو مقيدة على
أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وبين نعمة الإيمان وبين السلامة من الغضب
والضلال وذلك إنما يصح بأحد التأويلين إجراء الموصول مجرى النكرة إذ لم يقصد به
معهود كالمحلى في ولقد أمر على اللئيم يسبني وقوله إني لأمر على الرجل مثلك فيكرمني
أو جعل غير معرفة بالإضافة لأنه أضيف إلى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين
تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل
أنعمت أو بإضمار أعني أو بالاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب
ثوران النفس إرادة للانتقام فإذا أسند إلى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية على
ما مر وعليهم في محل الرفع لأنه نائب مناب الفاعل بخلاف الأول ولا مزيدة
لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك
جاز أنا زيدا غير ضارب كما جاز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب
وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا أو خطأ وله عرض
عريض والتفاوت ما بين أدناه وأقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى
منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل
وأضلوا كثيرا. وقد روي مرفوعا ويتجه أن يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين
الجاهلون بالله لأن المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان
المقابل له من اختل إحدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه
لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق
إلا الضلال. وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
آمين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رض سألت رسول الله عن معناه
فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين. وجاء مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله
عبدا قال آمينا. وقال أمين فزاد الله ما بيننا بعدا. وليس من القرآن وفاقا لكن يسن
ختم السورة به لقوله علمني جبريل ع م آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه
كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رض آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده
يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه ع م كان إذا قرأ ولا الضالين

الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يقوله والمشهور عنه
أنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام
إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة يقول آمين والإمام يقول
آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة رض
أن رسول الله عليه السلام قال لأبي ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل
والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي أوتيته. وعن ابن عباس رض. قال بينا رسول الله عليه السلام
إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منها إلا أعطيته. وعن حذيفة اليماني أن النبي ع م
قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين. فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مائتان وست وثمانون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم. الم. وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف
التي يتركب منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روي عن ابن مسعود
أنه قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول
الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه
فإن تخصيصه به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما
كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى أول
ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل
موقوفة خالية عن الإعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة إياه معرضة له
إذ لم تناسب مبني الأصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة
أين وهؤلاء ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت
السورة بطائفة منها إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم
مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم
وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا
بنوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمي الذي
لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما

رأى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق فى فنه وهو انه اورد فى هذه الفواتح
اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد الالف فيها حرفا برأسها فى تسع
وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر
من المهموسة وهى ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها
الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع
امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقى
الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد والضاد والطاء والظاء
نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف تضطرب عند خروجها
ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية
وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة القاف والصاد والطاء والخاء
والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف
البدل وهى احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها
الستة الشائعة المشهورة التى يجمعها اهطمين وقد رآه بعضهم سبعة اخرى وهى
اللام فى اصيلال والصاد والزاء فى صراط وزراط والفاء فى جدف والعين فى اعن
والثاء فى ثروغ الدلو والباء فى با اسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة
الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب
وهى خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين
والضاد والظاء والشين والزاء والفاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى
الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون
لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها
مقاربها وهى الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التى
يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء
والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد
لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التى يجمعها اليوم تنساه سبعة
احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة
من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية
ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا
الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات فى ثلث سور لانها توجد فى الاقسام الثلثة الاسم والفعل
والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحرف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف كقل

كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كدم فى تسع سور لوقوعه فى كل واحد من الاقسام
الثلثة على ثلاثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع وخف
وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام
الثلثة فى ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة
منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل واحد منهما
اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعدد باجمعها
فى اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه
والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هى اسماء السور
وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله
لما تساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان
الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجى مع العربى ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى
ولما امكن التحدى به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التى هى مستهلها على انها القابها
او غير ذلك والثانى باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له فى لغة العرب وظاهر انه
ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربى مبين
فلا يحمل على ما ليس فى لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع
كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هى منها اقتصرت عليها اقتصار
الشاعر فى قوله قلت لها قفى فقالت قاف كما روى عن ابن عباس رض انه قال الالف
آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم
معناه انا الله اعلم ونحو ذلك فى سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل
والميم من محمد عليه السلام اى القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه السلام
او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عم لما اتاه اليهود
تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى دين مدته احدى وسبعون سنة
فتبسم رسول الله فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى
بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل
على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب
تلحقها بالمعربات كالمشكاة والقسطاس والسجيل او دلالة على الحروف المبسوطة مقسما بها
لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء
السور يخرجها الى ما ليس فى لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم
ويؤدى الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متأخر

عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع
والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون
لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ
واما قول ابن عباس رض فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب
وتمثيل بامثلة حسنة الا يرى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص
بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا لحساب الجمل فيلحق بالمعربات
والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان
غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء ولا دليل عليها والتسمية بثلثة اسماء انما
تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء
العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة
من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم
من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق
واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع
واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك
اخبر عنها بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا قال يا كهيعص
يا حم عسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام
من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثره الله
بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا
انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد
فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على
الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره
كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة
او موازنة لمفرد كحم فانه كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك
ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه
الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون
كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل
المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات واصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه
لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها

عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس اية
وحم عسق ايتان والبواقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك
الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران
فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا فاشير اليه
بما يشار الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته
الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال
بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب
الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث
لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه
الا يرى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم
بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية
جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل
معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف
الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق
النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع
ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان
لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالتقى
والسرى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة
في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب
فاختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة
لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتامل فيه
الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الدلائل والايات والنظر في المعجزات وتعرف
النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان
تعيين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو
في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي

عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف
بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان
يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب
بقوله تعالى حق تقاته وقد فسر المتقون ههنا على الاوجه الثلثة واعلم ان الآية
تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتداء على انه اسم القران او السورة او مقدر
بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص
لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة
ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتداء محذوف وذلك
خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى من
منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة
للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم
كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب
كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير
ولذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه
فيه هدى وان يكون ذلك مبتداء والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي
يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال
انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ
لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتداء رابعة تؤكد كونه حقا
لا يحوم الشك حوله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول
وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه
اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل
وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة
الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه

لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انها صفة مجرورة مقيدة له
ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على
التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو
اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات
الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات
والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله
عليه السلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح بما تضمنه
المتقون وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار
لتفضيلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى
فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ
من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء
لتضمنه معنى الاعتراف وقد يجيء بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن
ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع
فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عليه السلام كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر
ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان
الى القلب فقال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن
ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع
لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة
التغيير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الآية اذ المتعدي بالباء هو
التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق القلبي هل هو كاف لانه المقصود او
لا بد من انضمام الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر
من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار به للتمكن منه
والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة
والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فعيل خفف

كقيل والمراد به الخفى الذى لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو المعنى بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به فى هذه
الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا
على تقدير ملتبسين بالغيب كان الغيب بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبون عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم او عن المؤمن به لما روى عن ابن مسعود رض قال والذى لا اله غيره
ما امن احد ايمانا افضل من الايمان بالغيب ثم قراء هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب
لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
فالباء على الاول للتعدية وعلى الثانية للمصاحبة وعلى الثالث للالة ويقيمون
الصلوة اى يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ فى افعالها من اقام العود
اذا قومه او يواظبون عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت فانها اذا جعلتها
نافقة قال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ
عليها كان كالنافق الذى يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه
وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها
على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه
اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى
حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال
بقلبه على الله لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر فى سياق
المدح والمقيمين الصلوة وفى معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى
اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتمالها
على الدعا وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلى يفعله فى ركوعه وسجوده واشتهار
هذا اللفظ فى المعنى الثانى مع عدم اشتهاره فى الاول لا يقدح فى نقله عنه وانما سمى
الداعى مصليا تشبيها له فى تخشعه بالراكع الساجد ومما رزقناهم ينفقون
الرزق فى اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه
بتخصيص الشئ بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله
ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول
الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال

الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله
بقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا
الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم
بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله عليه السلام فى حديث عمرو بن
قرة لقد رزقكم الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك
من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله
تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وانفق الشئ وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما يوافقه فى الفاء والعين فاءه نون وعينه فاء دالا على معنى
الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال فى سبيل الخير فرضا كان
او نفلا ومن فسره بالزكوة اراد انه تعالى ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس
الاى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه ويحتمل ان
يراد به الانفاق من جميع المعاون التى منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة
ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه
ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام واصحابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم فى جملة المتقين
دخول اخصين تحت الاعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن الشرك والانكار
وهؤلاء مقابلوهم فكانت الايتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رض او
على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الكتاب
ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط فى قوله الى الملك
القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالايب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل والاتيان
بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر
الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو
اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم
وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشئ من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعانى
بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول

فيلقنه والمراد بما انزل اليك القران باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ
المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لا يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع
ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن
الكتاب حينئذ كله وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وغيرهما من الكتب السابقة
والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون
بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد
المعاش وبالاخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من
ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه
وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب
وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان
العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري
ولا العلوم الضرورية والاخرة تانيث الاخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك
الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين
خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين
يؤمنون الى اخر الاية والا فاستئناف لا محل لها وكانها نتيجة الاحكام والصفات
المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى
ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة
ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستانف
باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه ان ترتب الحكم على الوصف
ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى
واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى
الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر
وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى
للتعظيم وكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه

مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك
هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات
يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منها كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط
العطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم
شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل
الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا
والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه
الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحون للدلالة على ان
المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او اشارة الى ما يعرفه
كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالى
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله كل احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة
للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم
والترغيب لاقتفاء اثارهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من اهل
القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم
كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح راسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة
عباده وخالصة خلاصتهم في اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم
باضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفعهم الهدى ولا يغني عنهم الايات والنذر
ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم
وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان
شانه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف
التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء واعطاء
معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو
نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر
قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب
فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها
في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل وما الونك

عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وقال موسى
يا فرعون انى رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار
عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر
لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل
والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص
منهم غير المصرين بما اسند اليه وهو سواء عليهم انذرتهم والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفى الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما
كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول عم لا يجترى عليها ظاهرا لا انها
كفر فى انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء فى القران بلفظ الماضى على حدوثه لاستدعائه
سابقة مخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما فى العلم سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان وسواء بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين
كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع
فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا
يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه وانما
عدل ههنا من المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة
وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد
الاستواء كما جردت حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة والانذار التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه دون
البشارة لانه اوقع فى القلب واشد تاثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضرر
اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ
أنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن
لان المتحرك لا تقلب ولانه يؤدى الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الالف
بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية
وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال

لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل منه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق
فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره
كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف
بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا يستدعى غرضا سيما
الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشئ او عدمه لا ينفى
القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعل هو او العبد باختياره وفائدة الانذار
بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك
قال سواء عليهم ولم يقل عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفى الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول
اشخاص باعيانهم فهى من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم
الكتم سمى به الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ
اخره نظرا الى انه آخر فعل يفعله فى احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه وبنيت
لما يشتمل على الشئ كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة
وانما المراد بهما ان يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصى
واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم فى التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم تجتلى الآيات المنصوبة لهم فى الانفس والافاق
كما تجتليها اعين المستبصرين كانها غطى عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماها
على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوف بها باشياء
ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث
هذه الهيئة بالطبع فى قوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
وبالاغفال فى قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه وبالاقساء فى قوله تعالى
وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله واقعة
بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالى
بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم
وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت
المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق

وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول
عليه الثاني ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله خالية عن الفطن
او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر
لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب
الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم
سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه
سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي
الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب الاية السادس ان ذلك في الاخرة وانما
اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم
فيما يضاف الى الله من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله
تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وللوفاق على الوقف عليه
ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما
الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل
المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة
الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار
الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى
حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة
وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بها في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم
والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما في قوله
تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز إمالتها مع الصاد لان الراء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند
سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ
بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال
الختم بنفسها اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع

والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان وغشوة بالكسر مرفوعة ومنصوبة وعشاوة
بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه
يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن
نكالا اي عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب
الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الصغير والكبير نقيض الصغير
وكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس
بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية
على ابصارهم نوع غشاء ليس مما يتعارفه الناس وهو غشاء التعامي عن ايات الله
ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ومن الناس من يقول امنا
بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه كتابه بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين
الذين هم اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب
بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم
اخبث الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك
طول في بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم
وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
وقصتهم عن اخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس
واناسي فحذفت الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم
جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون
بامثالهم او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم
واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون
او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه
فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة
زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف
فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر
بالذكر تخصيص بما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه
واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدونه

النفاق لان القوم كانوا يهودًا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان
لاعتقاد التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا بمثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
فى كفرهم لان ما قالوه اوصدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن
ايمانا كيف وقد قالوا تموهًا على المسلمين او تهكما بهم وفى تكرير الباء ادعاء الايمان
لكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى
المعقول والمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ وللراى والمذهب مجازًا والمراد باليوم
الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه
آخر الاوقات المحدودة ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ انكار الى ما ادعوه ونفى ما انتحلوا اثباته
وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس
تاكيدًا ومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان
عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان
فى شئ او يحتمل ان يقيد بما قيد وابه لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف
قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف بالكرامية فى الثانى فلا تنتهض حجة عليهم ﴿يُخَادِعُونَ
اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما
هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم
الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيفتين فى العنق والمخادعة تكون بين الاثنين وخداعهم
مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد
اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله والذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان
الكفر وصنع الله منهم من اجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين
امر الله فى اخفاء حالهم واجراء احكام الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنع المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول
او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان
الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة

مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان
غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل
بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على
اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم
وضررها يحيق بهم وانهم فى ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية
وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين الاثنين وقرئ ويخدعون
من خدع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول
ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان
نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط
احتياجها اليه وللراى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا
تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وارائهم
﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يحسون ذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع
ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على ماؤف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ
مَرَضًا﴾ المرض حقيقة فيما يعرض بالبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل
فى افعاله ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد
والضغينة وحب المعاصى لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية
الابدية والآية تحتملها فان قلوبهم كانت متالمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا
على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد
فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة
النبى عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحى
وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها
الى السورة فى قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل فى قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف
الرعب فى قلوبهم وبزيادة تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ اى مولم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقولهم تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ قرأه عاصم

وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاءً له وهو قولهم آمنا بالله وقرأ
الباقون يكذبون من كذب لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم
اومن كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم اومن كذب الوحشي
اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء
على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه
وما روي ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب
في صورته سمي به وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ عطف على يكذبون او يقول
وما روي عن سلمان ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين
كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي
فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع
وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار
عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب
والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها
مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين
قَالُوا اِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح
مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد
لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا
ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى
افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ
رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق
ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره
اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد يقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم
واختها اما التي هي من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط
الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون
وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين
الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب
بقوله آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها
في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية
العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به

والمقصود منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا
الباب قوله صُمٌّ بُكْمٌ ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس
والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه اومن آمن من اهل
جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب
النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار
باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا اَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الهمزة فيه
للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم
وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين
كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم
ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي
يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله اَلَا اِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ
رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على ما هو الواقع اعظم ضلالة
واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآية والنذر
وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه
ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما
النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد
من اقوالهم وافعالهم وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين
والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي
ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال
مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه
القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وَاِذَا خَلَوْا اِلٰى شَيَاطِينِهِمْ من
خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه اومن خلاك ذم اي عداك ومضى عنك
ومنه القرون الخالية اومن خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء
والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم
واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل

سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم
تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي
في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية
المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم
على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق ورغبة فيما خاطبوا به المؤمنين
ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف
ما قالوا مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء
المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف
فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين
وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال
هزأت الشيء واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو
القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف
الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء سيئة
سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء
عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والبوار الذي هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين
عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة
فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به
ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم
وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم
ليطابق قوله قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة
او مرتين ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده
وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد
في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم
اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التي منحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم زينا وظلمة
تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند

اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم
ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق
الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في اعمارهم كي
ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله
واختار موسى قومه او التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم
والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر واصله
تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية والعمه في البصيرة كالعمى
في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى
الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها
عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد
العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي
العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد
ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه
اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات دردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى
انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين
الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما
ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله
تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش
له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال
ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا
مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء
قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف
فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال
يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين
للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب
المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك
المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت

فى كلام الانبياء والحكاية والمثل فى الاصل بمعنى النظير يقال مِثْلٌ ومَثَلٌ ومثيلٌ
كشِبْهٍ وشَبَهٍ وشبيهٍ ثم للقول السائر الممثّل مضربه بموردِهِ ولا يضرب
الا مافيه غرابةٌ ولذلك حافظوا عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة
لها شان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وُعد المتقون وقوله تعالى ولله
المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذى بمعنى الذين
كما فى قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا ان جعل مرجع الضمير فى بنورهم وانما جاز
ذلك ولم يجز وضع القائم مقام القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة
التى هى صلته وهو وصلة الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء
منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوى فيه الواحد والجمع وليس الذين
جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة
الفصيحة التى عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف
ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام فى اسماء الفاعلين
والمفعولين او قصد جنس المستوقدين او الفوج الذى استوقد والاستيقاد
طلب الوقود والسعى فى تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق
النار من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اى
النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما
والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة فى معنى
الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران
وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذى وجمعه
للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف
اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او
بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما فى قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفى او امر سماوى كريح او مطر او للمبالغة
ولذلك عدى الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء
الذى هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما فى الضوء
من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك
واكد بقوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التى هى عدم النور

النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا تتراءى فيها
شبحان وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال
القلوب كقوله وتركهم فى ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة
ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم
ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى
نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة عقاب
السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح
المتروك فكان الفعل غير متعد والآية مثل ضرب الله لمن اتاه ضربا من الهدى
فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقى متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الآية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به
السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر
الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له
احوال الارادة فادعى المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة
او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين فى المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة
ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها
واذهاب نورها صم بكم عمى لما سدوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق
وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانها ايفت
مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت
بسوء عندهم اذنوا اصم عن الشئ الذى لا اريده واسمع خلق الله حين اريد
واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر
المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول
زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثمة ترى
المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد
حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السماء وههنا وان طوى ذكره بحذف
المبتدا لكنه فى حكم المنطوق به ونظيره اسد على وفى الحروب نعامة فتخاء
تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة
التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهى على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا
نارا فذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت

حوائجهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم
والصم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام
القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ
مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هؤلاء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس
والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم
لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة
التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون
والى حيث ابتداوا منه كيف يرجعون منه والفاء للدلالة على ان اتصافهم
بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء
عطف على كمثل الذي استوقد نارا اي كمثل ذوي صيب لقوله تعالى يجعلون
اصابعهم في اذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها
فاطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى
ولا تطع منهم آثما او كفورا فانه تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب
العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة
بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل
بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال
للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الاية
يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة
على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما ان
كل طبقة منها سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء امد به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته
ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته
سحمته وتطبيقه مع ظلمات الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لاعتماده
على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب
اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع
من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون اصابعهم في اذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف

حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول
حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق
السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما
ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق
الاصابع موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها
يجعلون كقولهم سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة الرعد هائل معها نار لا تمر
بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع او
مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت
وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف
فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصعقته الصاعقة وهي في الاصل
اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية
والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره
واصفح عن شتم اللئيم تكرما والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى
خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط
بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل
والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان
كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لوجود مانع
وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى
وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب
من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما يحمل
عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة
وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء
ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها
ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث
كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء اما متعد
والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء
المفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة
ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما
صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنا قاموا وقفوا ومنه قامت
السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
اى لو شاء ان يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب
بها فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد
يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف
الشرط فظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم
عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم
مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تأثير الاسباب في مسبباتها مشروطة
بمشيئته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله
على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر
شاء اطلق بمعنى شاء تارة وح يتناول الباري تعالى كما قال الله تعالى قل اى شيء اكبر شهادة
قل الله وبمعنى مشيء اخرى اى مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة
وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية
والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل
والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان
هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء
ولذلك لا يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل
على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل على ان الحادث حال
حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء
وكل شيء مقدور والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية
منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانها تشبيه حال اليهود
في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض
منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة

في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف
من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ الاشياء فرادى
فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات
ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا
ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات
المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به
من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول
المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقائهم
في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني
انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات
ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه
الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به
من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت
من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم
لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة
انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر
لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي
الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة
الارض وما ارتبكت بها من شبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات
المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات
الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف
صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط
بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم
بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض
لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى
والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة
ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم

بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما
لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد
ينادى به القريب تنزيلا منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعى يا رب ويا الله
وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل
واى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع
بين حرفى التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء
وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه
تاكيدا او تعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة
فى القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله به عباده من حيث
انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم
عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة
باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما
يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد
لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين
ثابت الى يوم الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل
شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكى ويا ايها الذين امنوا فمدنى ان صح دفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به فهو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها والمطلوب من الكفار هو المشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب
ما يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة
بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربوبية الذى خلقكم صفة
جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين
واريد بالرب اعم من الرب الحقيقى والالهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد
الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها
بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان
منصوب معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم

عندهم اما لاعترافهم به كما قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ
من قبلكم على اقحام الموصول الثانى بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير فى قوله
يا تيم تيم عدى لا ابا لكم تيما الثانى بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون
حال عن الضمير فى اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين
الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى
درجات السالكين وهو التبرؤ عن كل شئ سوى الله تعالى وان العابد ينبغى ان لا يغتر
بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون
رحمته ويخافون عذابه او عن مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم
ومن قبلكم فى صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة
الدواعى اليه وغلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا
وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى
والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله
وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه
من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذى جعل لكم الارض فراشا
صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال
العامة يجئ على ثلثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص
بنى سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله
تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى وجعل لكم
الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها
فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما فى طبعه من الاحاطة بها وصيرها
متوسطة بين الصلابة واللطافة واللين حتى صارت مهياة لان يقعدوا او
يناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعى كونها مسطحة لان كرية شكلها
مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش عليها والسماء بناء قبة
مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم
وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى
على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى

ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببًا فى اخراجها ومادة لها كالنطفة
للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما او ابدع
فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر
على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد
ولكن له فى انشائها مدرجًا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولى الابصار
عبرا وسكونًا الى عظيم قدرته ليس فى ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد
بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدى من السماء الى السحاب ومنه
الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق
الارض الى جو السماء فتنعقد سحابًا ماطرًا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى
فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعنى ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء
بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون رزقًا وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء
الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارًا او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفًا وانما ساغ الثمرات
والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستانه
ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض
كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة
باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقًا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان
اريد به المصدر كانه قال رزقًا اياكم فلا تجعلوا لله اندادًا متعلق باعبدوا
على انه نهى معطوف عليه او نفى منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على نصب فاطلع
نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقًا لها
بالاشياء الستة لاشتراكها فى انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادًا
او بالذى جعل ان استانفت به على انه نهى وقع خبرًا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا
والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتداء معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه
النعم الجسام والآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به والند المثل المناوى قال جرير
اتيما تجعلون الى ندًا وما تيم لذى حسب نديد من ند ندودًا اذا نفر وناددت الرجل
خالفته خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر وتسمية
ما يعبده المشركون من دون الله اندادًا وما زعموا انها تساويه فى ذاته وصفاته
ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت
حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله تعالى

تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادًا لمن يمتنع
ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربًّا واحدًا ام الف
رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعًا كذلك يفعل الرجل البصير
وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اى وحالكم انكم
من اهل العلم والنظر واصابة الرأى فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد
للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوى وهو انها لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ فعلى
هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل
المتمكن من العلم سواء فى التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله
والنهى عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى وبيانه انه رتب الامر
بالعبادة على صفة الربوبية اشعارًا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه
خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم
والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب
ثم لما كانت هذه الامور التى لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب
عليها النهى عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر
وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعانى
والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء
وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل
للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى
السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرًا
وبطنًا ولكل حد مطلع وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
لما قرر وحدانيته تعالى وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة
على نبوة محمد عليه السلام وهو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق
وافحمت من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم
وافراطهم فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به
اعجازه ويتيقن انه من الله تعالى كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجمًا فنجمًا بحسب
الوقائع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه
ازاحة للشبهة والزامًا للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويهًا بذكره وتنبيهًا على انه

محتص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدًا عليه السلام وامته والسورة الطائفة
من القرآن المترجمة التي اقلها ثلث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور
المدينة لانها محيطة بطائفة مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم
احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد
سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ
او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت
مبدلة من الهمزة فمن السؤرة هي البقية والقطعة من الشيء والحكمة في تقطيع
القرآن سورًا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ
وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر
اذا علم انه قطع ميلًا او طوى بريدًا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظًا تامًّا
وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ها
من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا
ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة
وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه
بشرًا اميًا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد
الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ولسائر آيات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق
الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء
جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز
في نفسه لا بالنسبة اليه كقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن
لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر
بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم
بالشهادة او الناصر او الامام فكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور
اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله تعالى
شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه
من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد آخر وتخطي امر

امر الى آخر قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله
من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا
والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم
غير الله تعالى فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله وادعوا من دون الله شهداء
يشهدون لكم بان ما آتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة
وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم
من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم
ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل
من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم
اي من دون الله ان ما آتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة
ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك
لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان
الشهادة اخبار عن علم وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا
فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به
وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته
وعجزتم جميعًا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب
فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان
وغيره ايجازًا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرًا للمكني عنه وتهويلًا
لشأن العناد وتصريحًا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان الذي للشك والحال
يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكًا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضًا بين
الشرط والجزاء تهكمًا بهم او خطابًا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن
محققًا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولانها لما صيرته ماضيًا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكانه قال
فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف
مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان

وعند القراء لا فابدلت الفها نونًا والوَقود بالفتح ما يُوقد به النار وبالضم المصدر وقد
جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودًا عاليًا والاسم
بالضم ولعله مصدر سمي به كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان
المراد به الاسم وان اريد المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعًا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتهم
ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو
منشاء جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص
اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وابطال المقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها
والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رض فلعله عنى به ان الاحجار
كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد
ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارًا وقودها الناس والحجارة وسمعوه
صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة أُعِدَّت
للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة
والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وان جعلته
مصدرًا للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين دليل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما
من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق
الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهار
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل
المهج والثاني انهما متضمنتان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء
لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث
انه عليه السلام لو شك في امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض
فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطف على الجملة السابقة
والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه
على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطًا لاكتساب
ما ينجي وتثبيطًا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب

له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه
بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق
الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول عليه
السلام او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة
كما خاطب الكفرة تفخيمًا لشانهم وايذانًا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنئوا بما
اعد لهم وقرئ وبُشِّر على البناء للمفعول عطفًا على اعدت فيكون استئنافًا والبشارة
الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر
الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى
عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعًا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات
الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تأويل
الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبًا للحكم عليهما اشعار
بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان
الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء ولا غناء باس لا بناء
عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل
ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء
الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره
ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة لانه يستر ما تحته
سترة واحدة قال كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا
ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رض
سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد ودار المأوى ودار السلام
وعليون في كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام يدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل
الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابًا وجزاء فيما يستقبل
بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت
وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت

اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك
ولعله سبحانه وتعالى لم يقيده ههنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اى من تحت
اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة
تجرى من غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى
او للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد
بها ماؤها على الاضمار او المجاز والمجارى انفسها واسناد الجرى اليها مجاز كما فى قوله تعالى
واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء محذوف او جملة مستانفة كانه لما قيل ان لهم
جنات وقع فى خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس اخر فازيح وكلما نصب
على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال
واصل الكلام ومعناه كل حين او ثمرة رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة
قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال
الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن فى الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة
بيانا تقدم كما فى قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك
مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعنى به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم
المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذى رزقناه
ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة رحمهما الله
من قبل اى من قبل هذا فى الدنيا جعل ثمرة الجنة لها من ثمرة الدنيا لتميل النفس اليه
اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة
فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او فى الجنة لان طعامها متشابهة
الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها
مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انه عم
قال والذى نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة
الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك
والاول اظهر لمحافظة على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا
والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة
والتشابه البليغ فى الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير فى به
على الاول راجع الى ما رزقوا فى الدارين فانه مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذى رزقنا

رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى فان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنس
الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود
بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس رض ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا
الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة التى هى مناط الاسم دون
المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو
مستلذات اهل الجنة فى مقابلة ما رزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات
متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان المراد من هذا الذى رزقنا
انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون
هذا فى الوعد نظيره قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تعملون فى الوعيد ولهم
فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال
وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة
وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج
يقال للذكر والانثى وهو فى الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل
فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد وحفظ النوع
وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك
نظائرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة
والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها
وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود فى الاصل الثبات المديد دام او
لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله تعالى خالدين فيها ابدا
لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
نفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم
على الانسان لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن
فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة بالكيفية معرضة للاستحالات المؤدية
الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث
لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة فى الكيفية متساوية فى القوة

لا يقوى شئ منها على ازالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد
فى بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهد من نقص
العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورًا
على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك
كله الثبات والدوام فان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم فى الآخرة بابهى ما يستلذ منها
وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى النعم والسرور إِنَّ اللّٰهَ
لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع
من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون
على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف
دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه
وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب
المحاكات ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهية وفشت فى عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم
من كل عظيم كما مثل فى الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة
السفهاء باثارة الزنابير وجاء فى كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز
من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال المنافقين بحال
المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام فى الوهن والضعف ببيت العنكبوت
وجعلها اقل من الذباب واخس قدرًا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر
الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحى منزل ورتب
عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع فى جواب ما طعنوا فيه فقال الله
تعالى ان الله لا يستحيى اى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى ان يمثل بها
لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التى هى
الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذى هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه
من الحيوة فانه انكسار يعترى القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيى الرجل كما قيل
نسى وحشى اذا اعتلت نساه وحشاه واذا اتصف به البارى تعالى كما جاء فى الحديث
ان الله تعالى يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حى كريم يستحيى اذا رفع العبد
يديه ان يردهما صفرًا حتى يضع فيهما خيرًا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان

ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من
يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت فى اناء من الورد وانما عدل به
عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة ان تكون مجيئه على المقابلة لما
وقع فى كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شئ على آخر وان
بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه
وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما
اى اى كتاب كان او مزيدة للتاكيد كما التى فى قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولا نعنى
بالمزيد اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما
وضعت لان تذكر مع غيره فتفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى غير قادح فيه
وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة
او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتداء وعلى هذا يحتمل ما وجوها
اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف فى قوله تعالى تماما على الذى احسن
وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية
هى المبتداء كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها
حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالى بما يهب
ما دينار وما ديناران والبعوضة فعولة من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب
على هذا النوع كالخموش فَمَا فَوْقَهَا عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه
ما زاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه
لا يستحيى ضرب المثل بالبعوضة فما هو اكبر منه او فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو
الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين
ما روى ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضى الله عنها سمعت رسول الله
عليه السلام ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم كالخرور وما زاد عليها كنخبة النملة
لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به
صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما
يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء
على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوض المبتداء
عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم

بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل اولان يضرب والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال من قولهم حق
الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ
كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما
كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما
واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه
الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع
النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبداء النزوع
والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري به
ولذلك اختلف في ارادته لافعاله فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر
على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد
مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح
وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا
نصب على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا
وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع
المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان
العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسن مورده
ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلتين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم
فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين
باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا وكثير اذا اشتدوا وقال ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ
اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم
فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة
فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج من امر الله بارتكاب
الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها

اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو
ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان
من عنقه ولابس الكفر ومادام هو في درجة التغابي والانهماك فلا يسلب عنه اسم
المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فالمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن
والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا
على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال به وذلك
لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة
المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به
وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ
صفة الفاسقين للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات
الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل
لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فاطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز
وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات
الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق
ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار
من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد
اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على
توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه
اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله
ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين
ولا يتفرقوا فيه مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ الضمير للعهد والميثاق اسم لما وقع به
الوثاقة وهي الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب
او ما وثقوا به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء

فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام
والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو
القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب
والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض
على انه بدل من ما او ضميره والثانى احسن لفظا ومعنى ويفسدون فى الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه
اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص
ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان بها
والنظر فى حقايقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار
الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى لانه صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا
انكر ان تكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزام ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى
من انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم
الله بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على
كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبرونى على اى حال تكفرون
وكنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا
مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه
متصل بما عطفه عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى
اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور او للسؤال فى القبور ثم اليه
ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب
فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل انهم ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم
ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه ترجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم
من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما وفى الاية تنبيه على ما يدل
على صحتها وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق
باهون عليه من اعادته او مع القبيلتين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة
ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة

والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده منهم مع تلك النعم الجليلة فان
عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الامانة من النعم المقتضية للشكر
قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التى هى الحيوة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار
الاخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها
مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم
من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه
ترجعون فينبئكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والحيوة حقيقة فى القوة الحاسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا مجاز
فى القوة النامية لانها من طلايعها ومقدماتها وفيما يختص الانسان من الفضائل
كالعقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما
فى كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال الله تعالى اعلموا ان الله يحيى
الارض بعد موتها وقال ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به
فى الناس واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة
لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب
ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا
بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق
ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم فى دنياكم باستنفاعكم
بها فى مصالح ابدانكم بوسط او غير وسط او دينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف
لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل مستكمل به بل
على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة
ويمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد
لكل واحد وما يعم كل ما فى الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء
جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته
من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ
واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء
ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة

المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات
العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى
ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض
بعد ذلك دحيها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها من خلق
السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحيها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه
ءَأَنتُمْ اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر
فَسَوَّاهُنَّ عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت
بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سَبْعَ
سَمَوَاتٍ بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت
فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي
لم يبق خلاف وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء
كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله
على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها
وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عليم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج
في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف
يجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن منها فيعاد
منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل شيء عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاول فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع
والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات
يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها
واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائها وابداء ما هو اعظم خلقا
واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما
من غير تفاوت واختلال مراعيا فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي
علمه تعالى وكمال قدرته جلت قدرته ورقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي
الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله
على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لنسبة زمان ماضية
وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب

اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل
والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه
واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان
كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التأويل
المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون
الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم
داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل
جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة وهي الرسالة لانهم
وسائط بين الله وبين الناس وهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم
بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم
الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم
الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره تعالى كما وصفهم في محكم تنزيله فقال
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على
تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم
المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى
اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم
وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة
عمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق
والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام
لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة
الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف
عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء عليهم السلام لما فاقت قوتهم اشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى
رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج

ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل
البارى تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك
او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف
بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى
القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلقا يخلف وفائدة قوله هذا
للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر عز وجل بوجوده سكان ملكوته ولقبه
بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل
شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان
يستخلف لعمارة الارض واصلاحها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية
واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض
على الله ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك
باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط عما ركز فى عقولهم ان العصمة من خواصهم
او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب
فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح فى الصب
من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء
للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك الدماء
فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك
أتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء
بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين
فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر فكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلث قوى عليها مدار
امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة
والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين
لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم
ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين
اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى
والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات

بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذى
هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال انى اعلم ما لا تعلمون
والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح فى الارض والماء
وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشئ
مبعده عن الاقذار وبحمدك فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا
معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم
ونقدس لك نطهر نفوسنا من الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر
بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة
بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء
كلها اما بخلق علم ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم
وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة
او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض
سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى
الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس
والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا
مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير مقترن
باحد الازمنة والمراد فى الآية اما الاول او الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ
من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى
متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات
وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير
اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى
واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس
الاسماء سيما ان اريد بها الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره
لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها
فقال انبئونى باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق

مجاز وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك
يجري مجرى كل واحد منهما إن كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة
لعصمتكم او ان خلقتهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان
لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه ويتطرق
اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان
والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم
ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه تعالى وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل
الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه
على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار
والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك
تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين إنك
انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز
مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك جاز يا هذا الرجل
وقيل مبتداء خبره ما بعده والجملة خبر إن قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم
إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار
لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى
لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة
علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين
لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما يكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات
والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله
على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى
وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا

له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع ممن
كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله
انك انت العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا
ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم
وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها
وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم
بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به
قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق إن نصبته
بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على
القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع تطامن
قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال فقلن له اسجد لليلى فاسجدا
يعني البعير اذا طأطأ رأسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما
المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشانه
او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم
من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا
لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم الله عليهم بواسطته فاللام فيه
كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية
وتعظيما له كسجود اخوة يوسف عليه السلام له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل
ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا
من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما
فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره
والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى
او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه

جوابًا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك
الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو
من وجهٍ وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه
منهم ولا يرد على قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن
فعلًا ومن الملائكة نوعًا ولان ابن عباس رض روى ان من الملائكة ضربًا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيًّا نشأ
بين اظهر الملائكة وكان مغمورًا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضًا كانوا مامورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورين
بالتذلل لاحدٍ والتوسل به علم ان الاصاغر ايضًا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع
الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من
ليس بمعصومٍ وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم
عدم العصمة ولعل ضربًا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض
والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف
كما قاله ابن عباس رض فلذلك صح عليه التغير من حال والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله تعالى
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت
من نورٍ والجن من نارٍ لما روت عائشة رض انه عليه السلام قال خلقت الملائكة من النور
وخلق الجن من مارج من نارٍ لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار
كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة
والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى
جذعة ولا تزال تتزايد حتى تطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب
واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار
وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان
الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنًا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن
الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون
لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما
اولًا تنبيهًا على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام
للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او
بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانًا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض

الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرًا وكلا منها رغدًا واسعًا رافهًا صفة مصدر
محذوف حيث شئتما اي مكانٍ من الجنة شئتما وسّع الامر عليهما ازاحةً للعلة
والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات
التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيهًا على ان القرب من الشيء يورث
داعيةً وميلًا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك
الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببًا
لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان
بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي
او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى
ان لا يتعين من غير قاطع كما لم يتعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ
بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها
اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما
وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرةً مع الزوال وازلاله قوله هل ادلكم
على شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف
في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريقة الوسوسة وانه كيف
توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاءً
لآدم وحوا وقيل قام عند الباب وناداهما وقيل تمثل بصورة دابةٍ فدخل ولم يعرفه
الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما
والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا
اهبطوا خطاب لآدم وحوا لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعًا وجمع الضمير
لانهما اصلا الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيًا بعد ما كان
يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقةً او من السماء بعضكم لبعضٍ عدوٌّ
حال استغني فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعضٍ
بتضليله ولكم في الارض مستقرٌّ موضع استقرارٍ او استقرار
ومتاعٌ تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات

استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم
ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا
الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رض قال آدم يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب
الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال
يا رب ان تبت واصلحت اراجعي الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير
المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه
بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو
الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان
حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن اي الاحاديث
انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة والتوبة
الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى
اريد بها الرجوع عن المعصية الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين
الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد
او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها
ولا يخلدون والثاني اشعار بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا
ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين
وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه
نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول
من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ
تأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب
والمعنى ان يأتينكم مني هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف
الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى
ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اي
تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه

مكروه ولا هم يفوتهم عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم
العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف
بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على فمن تبع الخ قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا
بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية
في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه
وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي
لانها تبين أيا من أي او من أوى اليه واصلها أيية او أوية كتمرة فابدلت عينها على غير قياس
او أوية او أيية كرمكة فاعلت او آيية كقائلة بالهمزة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد
بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة
على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون
بقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين الثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغي وقال
وعصى آدم ربه فغوى الرابع انه لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه الخامس
اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه لقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه
الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما
وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي
الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى
عليه ما جرى معاتبة له بترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث
انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ
عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم
كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة
كتناول السم على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث
فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الى ان نسي ذلك
وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد
اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها

من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روى انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا
بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى
تفظيعا لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة
وانها فى جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان
عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها
خالدون واعلم انه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبها تعداد النعم
العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم
له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت
فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على
نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك
تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب
منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده فى اتباع الحق واقتفاء الحجج
ليكونوا اول من آمن بمحمد عليه السلام وما انزل عليه فقال يا بنى اسرائيل
يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه
فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله
وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفها واسرايل بقلب الهمزة
ياء اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره
حمله الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب
النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق
ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا
والاصل افتعلوا ونعمتى باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدى بالايمان والطاعة اوف بعهدكم
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهِد والمعاهَد ولعل الاول مضاف الى الفاعل
والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب
الوفاء منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا
الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز
باللقاء الدائم وما روى عن ابن عباس رض اوفوا بعهدى فى اتباع محمد عليه السلام اوف

اوف بعهدكم فى رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة
والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى
من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين
قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد
للمبالغة واياى فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا فى نقض العهد وهو
آكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية
الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة
خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما
معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب
ما نعت فيها او مطابق لها فى القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة
والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام
بسبب تفاوت الاعصار فى المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى
زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم فى ايام المتأخر لنزل على
وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى تنبيه
على ان اتباعها لا ينافى الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا
اول كافر به بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر فى معجزاته
والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع
بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا
حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم فى الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت
المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه
او مثل من كفر من مشركى مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل
فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسى او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت
ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا
فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله

فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى ويحرفون الحق ويكتمونه ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ماهو كالمبادى لما فى الاية الثانية فصلت بالرهبة التى هى مقدمة التقوى ولان الخطاب بالاولى لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التى هى مبداء السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذى هو منتهاه ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشئ مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذى تكتبونه فى خلاله او تذكرونه فى تأويله ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ جزم داخل تحت حكم النهى كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه فى مصحف ابن مسعود وتكتمون اى وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجهل قد يعذر ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يعنى صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلوة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة فى المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى

لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رض انها نزلت فى احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل فى الاصل الحبس سمى به الادراك الانسانى لانه يحبسه

عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المأمور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه السلام اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء ﴿وَإِنَّهَا﴾ اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اى يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر

فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف

وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ كرره للتأكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ عطف على نعمتى ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به

على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب
لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا
وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد
منها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه
الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد
ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او
من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان
يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له
والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل
الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم
ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة
لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر
واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده
ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ
نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف
على نعمتي عطف جبريل وميكال على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملكي الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان
فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان
بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة
الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير
في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب
بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله تعالى شيئا وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى

صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده
تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه
لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر
اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من المختبرين
واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك
بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل
شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن
ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق
يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى
امر موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله كوى فتراءوا
وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بني اسرائيل
ومن الايات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى ثم انهم اتخذوا العجل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة
النفس وحسن الاتباع من امة محمد عليه السلام مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة
يدركها الاذكياء واخباره عم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعده موسى المجيء
للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها معبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون
باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك
اي الاتخاذ لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته
الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام

او النصر الذي فرق بين موسى عم وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات وإذ قال موسى لقومه
يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على
التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض بصور
وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي
كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله
ادم من الطين فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل
بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل يرى
بعضه وقرينه فلم يقدر المضي لامر الله تعالى فارسل الله ضبابة وسحابا سوداء
لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما
السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء
الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه
طهر من الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى لهم تقديره إن فعلتم ما امرتم به فقد تاب
عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على الالتفات كانه قال
ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار
بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر
التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب إنه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها
من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك
او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول
وقرئ جهرة بالفتح على انه مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم
السبعون الذين اختارهم موسى للميقات وقيل ثلثة الاف من قومه والمؤمن به ان الله
الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت
وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام
في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن انه يرى رؤية منزهة عن الكيفية
وذلك للمؤمنين في الاخرة والافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا وقيل

وقيل جاءت النار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا
صعقين ميتين يوما وليلة وأنتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم
من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله
تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله تعالى
بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله تعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس
حين كانوا في التيه وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني
قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني
وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا
من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة
موسى عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسألتنا حطة او امرك وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب
على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم
ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ
كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان
فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل
قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد
ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار
طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في تقبيح امرهم
واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان
تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا
مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ
بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا

وَاِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ لما عطشوا فى التيه فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ اللام فيه
للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلث اعين
فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا او حجرا اهبطه
آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه مع العصا او الحجر الذى فر بثوبه
لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه من الادرة فاشار اليه جبرئيل ع م بحمله
او للجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضرب بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه
اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة
اذرع على طول موسى ع م من آس الجنة وله شعبتان تتقدان فى الظلمة فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر فى قوله
تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ كل سبط
مَشْرَبَهُمْ عينهم التى يشربون منها كُلُوا وَاشْرَبُوا على تقدير القول مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ يريد به ما رزقهم
الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به وَلَا تَعْثَوْا
فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِينَ لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب فى الفساد
لكنه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن
صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه
يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره
فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر عن الخل
ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله تعالى حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض
او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وَاِذْ قُلْتُمْ
يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ يريد به ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى
وبوحدته انها لا تختلف ولا تتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون
انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم
كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ سله لنا بدعائك
اياه يُخْرِجْ لَنَا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة
مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ من الاسناد المجازى واقامة القابل مقام الفاعل ومن
للتبعيض مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسير وبيان وقع موقع
الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه

اطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ
قثائها بالضم وهو لغة فيه قَالَ اى الله او موسى ع م اَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ
اَدْنَىٰ اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما
استعير البعد فى الشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بِالَّذِى
هُوَ خَيْرٌ يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى اِهْبِطُوا
مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وقرئ
بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه
لسكون وسطه او على تأويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل
اصله مصرائيم فعرب فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة
لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف
مخافة ان يضاعف جزيتهم وَبَاؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ رجعوا به او صاروا احقاء
بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذٰلِكَ
اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ما عد
عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والقرآن وآية الرجم والتى فيها نعت محمد عليه السلام من التورية
وقتلهم الانبيا فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا
منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا
كما اشار اليه بقوله ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى جرهم العصيان والتمادى
والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى
الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر
الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم
المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما
جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره
فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق
والذى حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عليه
السلام المخلصين منهم والمنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة وَالَّذِينَ هَادُوا تهودوا

اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل
واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كندامى
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه
في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين
المجوس والنصارى وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب
وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او
لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ
والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام
دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعدهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم
والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل
الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عم والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور وظلله فوقهم حتى
قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة
واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب
او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين
ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة
ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا
فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد عليه السلام يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي
او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخل على لا افاد ثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده
عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب
مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم

يوم السبت واصله القطع امروا بان يتجردوا للعبادة فاعتدى فيه ناس
منهم في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية
على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك
واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد
ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار
يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين
وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين
بغير همزة فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه
ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ
ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم
او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حولها او لاجل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه
القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه
لاستقلالها بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء
بالسؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل
ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا مكان هزء او اهله او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا
لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم
وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك
المقام جهل وسفه نفى عم عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقال اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس
غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا
حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية
يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية

ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال طوال مثل اعناق الهوادى نواعم بين
ابكار وعون جمع عوان بين ذلك اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين
فانها لا تضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل
على ان المراد معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان
المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ
قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى
الثانى ظاهر اللفظ والمروى عنه عم لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على
انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا
ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما
يقال اسود حالك وفى اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد
كانه قيل صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر
قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل يعلوه صفرة وفيه
نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله
لذة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى
تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار
عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر
وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء
وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه
ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت
لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك
عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث
الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول
تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول صفة
البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاول والفعلان صفتا ذلول كانه
قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل

لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب
او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له لا شية فيها لا لون فيها
يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه
لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
آلآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها
فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون
لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى
حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع
لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح
انه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف
وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم
ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب للجمع لوجود القتل فيهم
فادارأتم فيها اى اختصمتم فى شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم
بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال
واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل
مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل
الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذه
اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو
فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته
دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر
على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعقلون على قضيته ولعله تعالى
انما لم يحيه ابتداء وشرط ما شرط فيه لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع
اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب
ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رض
انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته

الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنه
شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائعة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حيوة
طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم
قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب
مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل
او جميع ما عدد من الايات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او
اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او زائد عليها او انها مثلها
او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده
قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة في الدلالة
على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى
ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر
منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله
تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتاثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء
وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب هؤلاء
لا تتاثر ولا تنفعل عن امر الله والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد
وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية
ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرا ابن كثير ونافع ويعقوب
وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله
والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان
فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد
واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين
سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخره ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي
فهموه بعقولهم ولم يبق فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية
ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم وجهالهم وانهم
ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا
امنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اي
الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم

لكم في التورية من نعت محمد عم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم
عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله
وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم
او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيمة وفيه نظر اذ الاخفاء
لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم
به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون
حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او
كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم
الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا
ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل
ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ
والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها
منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل
الا ما يقرؤن قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني
داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون
ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير
قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اي تحسر
وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيها من جعل له
الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به
نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التاويلات
الزائغة بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى
ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف وويل لهم
مما يكسبون يريد به الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث
تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما
معدودة محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة
العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب

مكان كل الف سنة يومًا قل أتخذتم عند الله عهدًا خبرًا ووعدًا بما تزعمون
وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده
جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدًا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل
على ان الخلف في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة لهمزة الاستفهام
بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل اتقولون
على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانًا مديدًا ودهرًا طويلًا
على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة
والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما
يقصد بالعرض لانها من الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة
قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وأحاطت به خطيئته اي استولت عليه وشملت
جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شأن الكافر لان
غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف
بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبًا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك
فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه
مائلًا الى المعاصي مستحسنًا اياها معتقدًا ان لا لذة سواها مبغضًا لمن يمنعه عنها مكذبًا
لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بآيات الله
وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فأولئك
أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما انهم يلازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون
دائمون او لابثون لبثًا طويلًا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا
التي قبلها والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف
العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون
إلا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح
النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا
وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان
رفع كقوله الا أيهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلًا
عن الميثاق او معمولًا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قال وحلفناهم
لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا
والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانًا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون

وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه وقولوا للناس
حسنًا اي قولًا حسنًا وسماه حسنًا للمبالغة وقرئ حُسُنًا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز
وحسنًا وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد وأقيموا الصلاة وآتوا
الزكاة يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب
مع الموجودين منهم في عهد رسول الله ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه
الا قليلًا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وأنتم معرضون
قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة
العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم
على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضًا بالقتل والاجلاء عن الوطن
وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبًا او دينًا او لانه يوجبه قصاصًا
وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة
التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم
تشهدون توكيد كقولك اقر فلان شاهدًا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازًا ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه
بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك
هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات
وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورًا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبًا وقوله تقتلون
أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة
او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذي والجملة صلة
والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان حال
من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي
وحمزة بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم
أسارى تفادوهم روي ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا
عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا أسر احد الفريقين
جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون لانقاذهم
بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى

وقيل هو ايضا جمع اسير فكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقراء ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
تخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون
ببعض يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة
الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل
يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان
عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد
لا يغفل عن افعالهم وقراء عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير
ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب عما يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية
في الدنيا والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب
اي التورية وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا
تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا
عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار
بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير
من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به
جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك
اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم
الذي كان يحيى به الموتى وقراء ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا
بالضم سقط وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا
وتعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية
او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال
الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على
انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا اني اعصمه منكم ولذلك
سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها

اليها ما جئت به ولا نفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف
جمع غلاف فخفف بالتسكين والمعنى على الثاني انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته
ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا
والمعنى انها على الاول خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله تعالى خذلهم بكفرهم
فابطل استعدادهم او على الثاني انها لم تاب قبول ما تقولونه لخلل فيه بل لان الله خذلهم
بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى
العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة
في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب
من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي
اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب
زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسال ذلك عن نفسه فلما جاءهم
ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين
اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان
يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم
ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا
بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله
هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل
ان ينزل الله لان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله وقراء ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف
من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤوا بغضب
على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد عليه السلام بعد عيسى
او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي
فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا
نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء
في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى
المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما
وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا
بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين

اعتراض عليهم بقتل الانبياء عليهم السلام مع ادّعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ يعنى الايات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ اى الها مِنْ بَعْدِهِ بعد مجئ موسى او ذهابه الى الطور وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم
عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان
طريقتهم مع الرسول عليه السلام طريقة اسلافهم مع موسى ع م لا لتكرير القصة وكذا
ما بعدها وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا
اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد واسمعوا اسماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا قولك
وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط
شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم وذلك لانهم
كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سوّل لهم السامرى
قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبايحهم المعدودة فى الايات الثلث الزاما عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم
بهذه القبايح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين فبئس ما امركم به
ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها
لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار مِنْ دُونِ
النَّاسِ سايرهم او المسلمين واللام للعهد فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لان
من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوايب كما قال
على رض لا ابالى سقطت على الموت او سقط الموت علىّ وقال عمار رض بصفين الآن الاقى
الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى
على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة
بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبّر بها عن النفس تارة والقدرة
اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنّوا النقل واشتهر فان التمنى
ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى

النبى عليه السلام لو تمنّوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى
على وجه الارض وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون فى دعوى ما ليس لهم
ونفيه عمن هو لهم وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ من وجد بعقله الجارى مجرى علم
ومفعولاه هم واحرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ
باللام وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا محمول على المعنى وكانه قال احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة
فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم
بانهم صايرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول
عليه وان يكون خبر مبتداء محذوف صفته يَوَدُّ أَحَدُهُمْ على انه اريد بالذين اشركوا
اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ حكاية لودادتهم ولو بمعنى
ليت وكان اصله لو اعمّر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما
احدهم ممن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان
يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته
وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
فيجازيهم قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ نزلت فى عبد الله بن صوريا سأل رسول الله عمن ينزل
عليه فقال جبريل فقال ذلك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس
سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم
فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب
والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وما بينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما
فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك
ربك يا عمر وفى جبريل ثمان لغات قرئ بهن اربع فى المشهور جبريل كقنديل قراءة حمزة والكسائي
وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئيل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابى بكر وجبريل
كقنديل قراءة الباقين واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة
والتعريف ومعناه عبد الله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن واضماره غير
مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره عَلَى قَلْبِكَ فانه

القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه
وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى
من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله
عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم عليه مقامه
او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي
وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو
للكافرين اراد بعداوة الله تعالى مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر
الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر
لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب
العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم
على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى
عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو
ويعقوب وعاصم ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكال ولقد انزلنا اليك
ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو
على ان التقدير الا الذين فسقوا اوكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه
فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم
لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من
لم ينبذها جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله
يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب
الايمان بالرسل المؤيدين بالايات وقيل ما مع الرسول كالقران وراء ظهورهم مثل
لاعراضهم راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله تعالى يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى
دل بالايتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها
كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون

لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون
بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون
وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله تعالى واتبعوا كتب
السحر التي تقراها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان
اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا
اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد
سليمان عم حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به
الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر
بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا
باستعماله يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد
بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك
لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام
والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب
الحيل بمعونة الالات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا
على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على
ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس وتمييزا بينه وبين
المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله
من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار
صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على وما كفر تكذيب
لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلدة
من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما
من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت
وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان
احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله تعالى فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم
وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم

السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثانى ما يعلمانه
حتى يقولا انما مفتونان فلا تكفر مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله
وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد
العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اى اليهود
لمن اشتراه اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تعالى والاظهر ان اللام لام
الابتداء علقت علموا عن العمل ما له فى الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به
انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه
على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى
او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم
فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك
المعاصى كنبذ كتاب الله تعالى واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا
مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية ليدل على
ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه
وتنكير المثوبة لان المعنى لشىء من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة
كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله
خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اى راقبنا وتأن بنا
فيما نلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه
بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد
تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ
انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين
اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا
واحسنوا الاستماع حتى لا يفتقروا الى طلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود
او اسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعنى الذين
تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت
تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود

محبة الشىء مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون
ان ينزل عليكم شىء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته
من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شىء وليس لاحد عليه
حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس
لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت
لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه
والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشىء واثباتها فى غيره كنسخ الظل للشمس والنقل
ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما
جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اى
ننس احدا اياها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين
نأت بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب او مثلها فى الثواب
وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شىء قدير فيقدر
على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ
وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك
لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا
من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش
فان النافع فى عصر قد يضر فى غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ
الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف
اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره مما اتى به الله وليس المراد
بالخير او المثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات
القديم الم تعلم الخطاب للنبى عليه السلام هو وامته كقوله تعالى وما لكم وانما افرده لانه
اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد وهو كالدليل على قوله تعالى ان الله على كل شىء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك

ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك
اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف
عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في الم تعلم
اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون
وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم
بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله
عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة
بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر
بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال
الى البعد عن المقصد بتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل
الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب مناب ان في المعنى دون
اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند
انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين
والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة
المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب
الجزية عليهم او قتل قريظة او اجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ باية السيف
وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء
الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا
من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ
بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا
كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم
المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم
او اليها والى ما في الاية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض

اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على
اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت
بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه او قصده
واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له على عمله عند ربه ثابتا
عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة
والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز
ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست
اليهود على شيء اي امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله واتاهم
احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال
والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اي مثل
ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على
المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين
بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر
من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله
يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم
لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم
ممن منع مساجد الله من عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان
نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اي المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان
ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا ان يجترؤا على تخريبها او ما كان
الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او
ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد
منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا
خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله
المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون
مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا

فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فى اىّ مكان فعلتم التولية سطر القبلة فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ اى جهته التى
أمر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى عالم مطلع بما يفعل
فيه إِنَّ اللّٰهَ وَاسِعٌ باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عَلِيمٌ
بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها وعن ابن عمر رض انها نزلت فى صلوة المسافر
على الراحلة وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاءهم وعلى هذا لو اخطاء المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هى
توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون فى حيز وجهة وَقَالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا نزلت
لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله
وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرء ابن عامر بغير واو
سُبْحَانَهُ تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى
ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ
ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا وطبعا بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما فى السموات والارض الذى
من جملته الملائكة وعزير والمسيح كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ منقادون لا يمتنعون على مشيته
وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له
ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون
على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اى كل ما فيهما ويجوز
ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة
والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك
ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ مبدعهما ونظيره السميع فى قوله امن ريحانة الداعى السميع يؤرقنى
واصحابى هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء
كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال ولا يكون والدا والابداع اختراع الشئ
لا عن شئ دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذى يكون بتغيير وفى الزمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير
فى له ومنصوبا على المدح وَإِذَا قَضَى أَمْرًا اى اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشئ
قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق
الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ من كان

كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به
ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة
خامسة وهو ان اتخاذ الولد يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرء
ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرايع
المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان
الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم
ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه
مطلقا حسما لمادة الفساد وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اى جهلة المشركين او
المتجاهلون من اهل الكتاب لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللّٰهُ هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة
او يوحى الينا بانك رسوله أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ حجة على صدقك الاول استكبار
والثانى جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ
من قبلهم من الامم الماضية مِثْلَ قَوْلِهِمْ فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قلوب هؤلاء
ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقايق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ملتبسا مؤيدا به بَشِيرًا وَنَذِيرًا فلا عليك ان اصروا وكابروا
وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرء نافع ويعقوب
لا تسأل على انه نهى لرسول الله عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها
لفظاعتها لا تقدر ان تخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال
والجحيم المتاجج من النار وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ
مبالغة فى اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا منه حتى تتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قُلْ تعليما للجواب
إِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدَى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ آراءهم الزايغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان
انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راى يتبع الشهوة بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ اى الوحى او الدين المعلوم صحته مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يدفع عنك
عقابه وهو جواب لئن الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يريد به مؤمنى اهل الكتاب يَتْلُونَهُ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال

مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اُولٰئِكَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ بكتابهم دون المحرفين وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ بالتحريف والكفر بما يصدقه فَاُولٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ حيث اشتروا الكفر بالايمان يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ
عَلَيْكُمْ وَاَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ لما صدّر قصتهم بالامر
بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف عن الساعة واهوالها
كرّر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود
من القصة وَاِذِ ابْتَلٰى اِبْرٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل
العواقب ظن ترادفهما والضمير في ربه لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة
لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلثين
المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الآيتين
وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب
والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عاملة بها معاملة المختبر بهن وبما
تضمنه الايات التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف
تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقراء ابن عباس اِبْرٰهَامُ فَاَتَمَّهُنَّ
فاداهن كمالا وقام بهن حق القيام لقوله وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة
الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قَالَ اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا استيناف ان اضمر
ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى
فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته
بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم
من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك
والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من التقضض
التقريض او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهو
لغة قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة
وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها
البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق

سق لا يصلح الامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته وَاِذْ جَعَلْنَا
الْبَيْتَ اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مَثَابَةً لِلنَّاسِ مرجعا يثوب اليه اعيان
الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة
كل احد وَاَمْنًا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني
الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى على ارادة
القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه
واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد عليه السلام وهو امر استحباب ومقام ابرهيم الحجر الذي
فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء
البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم
فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به
الامر بركعتي الطواف لما روي جابر رض انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام
ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي في وجوبه
قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل المواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها
ويتقرب الى الله تعالى وقراء نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي
واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وَعَهِدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيمَ
وَاِسْمٰعِيلَ امرناهما اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد
معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه لِلطَّائِفِينَ
حوله وَالْعَاكِفِينَ اي المقيمين عنده او المعتكفين فيه وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ اي المصلين
جمع راكع وساجد وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا يريد البلد او المكان بَلَدًا
آمِنًا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقوله ليل نائم وَارْزُقْ
اَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ابدل من آمن من اهله بدل
البعض للتخصيص قَالَ وَمَنْ كَفَرَ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم
الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر
بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا
خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتع لكنه سبب لتقليله بان يجعله مقصورا
لحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب وبذلك عطف عليه ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ
النَّارِ اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا
نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي

قال ضميره و قرأ ابن عامر فأُمتِعه من أمتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة
على لغة من يكسر حرف المضارعة فاطّرّه بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم
شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف
وهو العقاب وإذ يرفع إبرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد
جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض
الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع
فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء
الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها واسمعيل كان يناوله الحجارة
لكنه لما كان مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على
التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إنك
انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين
لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب
الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد
انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي
واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا
صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة
الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه مما يشوش
المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد عم
ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به
بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعا خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
وأرنا مناسكنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا
متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه
من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب أرْنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه
اجحاف لان الكسرة المنقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري
عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا
ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب
ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد عم
فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو

عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة
ويعلمهم الكتاب اي القرآن والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام
ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون
احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه
نفسه الا من استمهنها واذلها واستخفها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر
متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه
وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه
فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب
لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة
والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه
اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل
اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال
ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله
الدالة المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله
بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وأبى مهاجر ووصى
بها ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها
الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل
الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة او الجملة وقرأ نافع
وابن عامر اوصى والاول ابلغ (لانه يقبل التكثير) ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بها
بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق
بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه نظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا
عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية
وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشجر
وزبولون ودوان ونفتول وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون

ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك
الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع
وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان
من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروى ان اليهود قالوا
لرسول الله الست تعلم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف
تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك
وانما علمتم من الوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون
من بعدى اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم
على الثبات عليهما وما يسئل به عن كل شئ لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل
عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام
عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه السلام في العباس رض هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك
على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا
او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى
بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشي من تكرير
المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له
مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك
امة قد خلت يعنى ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمى بها
الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى
ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم
كما قال عليه السلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا
كونوا هودا او نصارى الضمير لاهل الكتاب او للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين
القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا
جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اى بل نكون ملة ابرهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة
ابرهيم وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته

ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم
تدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى
فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا القران قدم ذكره لانه اول بالاضافة
الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين
تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط
وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق
وما اوتى موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما
بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتى النبيون
جملة المذكورون وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد
منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ
ان يضاف اليه بين ونحن له اى لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا
بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله فاتوا بسورة
من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة
دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فان وحدة
المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى
فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله اى عليه وشهد له قراءة من قرا امنتم به او بالذى امنتم به
وان تولوا فانما هم في شقاق اى وان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم
فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق
غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ
والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم
ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون
ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اى صبغنا الله صبغته وهي
فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ
او هدانا هدايته او ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة
لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب
او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية

ويقولون هو نظير لهم و به يحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً لا صبغة احسن من صبغته وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ تعريض بهم اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة فى مفعول قولوا ولمن ينصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قُلْ اَتُحَاجُّونَنَا اتجادلوننا فِى اللّٰهِ فى شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده وَلَنَا اَعْمَالُنَا وَلَكُمْ اَعْمَالُكُمْ فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم اَمْ تَقُولُونَ اِنَّ اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْاَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا اَوْ نَصَارٰى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تاتون المحاجة او ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ماكان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ يعنى شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله براءة من الله وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْاَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطبائع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانية اسلاف اليهود والنصارى سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ

السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب مَا وَلّٰيهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه للصلوة قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وَكَذٰلِكَ اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم يكون الرسول شهيدا عليهم وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا اى الجهة التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضى الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس

الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك
في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفاً لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول
ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي
ماكنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالماً قلت هذا
واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به
موجوداً وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه
او ليميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليُعلم على البناء للمفعول والعلم اما
بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب
اي لنعلم من يتبع الرسول متميزاً ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة
من المثقلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا
والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او الردة
او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها
لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله
قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم
ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في السماء تطلعاً
للوحي وكان رسول الله يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها
قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي
جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل
لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه

السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج
عليه بخلاف القريب روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهراً ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه
في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيماً له وايجاباً لرغبته ثم عمم تصريحاً
بعموم الحكم وتاكيداً لامر القبلة وتحضيضاً للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى
تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلاً لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين
والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب
الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعناداً
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبتَّ على قبلتنا لكنا
نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريراً له وطمعاً في رجوعه وقبلتهم وان
تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا ترجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلاً بعدما
بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذاً لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ
فيه من سبعة اوجه تعظيماً للحق المعلوم وتحريضاً على اقتفائه وتحذيراً عن
متابعة الهوى واستفظاعاً لصدور الذنب عن الانبياء الذين آتيناهم
الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق له ذكره
لدلالة الكلام عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد
للاول اي يعرفون باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به مني بابني
قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت
وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء
لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ خبره من ربك

الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك
فى الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة اباثه اولنعلم الآن من يتبع الرسول
ممن لا يتبعه وماكان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ماردناك الى
ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا
واشباهه باعتبار التعلق الحالى الذى هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به
موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه
او ليميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم
موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما
بمعنى المعرفة او معلق لما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب
اى لنعلم من يتبع الرسول مميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هى المخففة
من المثقلة واللام هى الفاصلة وقال الكوفيون هى النافية واللام بمعنى الا
والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او الردة
او التحويلة او للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع
ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها
لما روى انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله
قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم
ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
قد نرى ربما نرى تقلب وجهك فى السماء تردد وجهك فى السماء تطلعا
للوحى وكان رسول الله يقع فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها
قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك
من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلى
جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته
فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر فى الاصل
لما انفصل عن الشئ من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال
او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام

السلام كان فى المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج
عليه بخلاف القريب روى انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة
عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة فى رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه
فى مسجد بنى سلمة ركعتين من الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل
الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا
بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين
اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى
تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلى الى القبلتين
والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين
ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر وساد مسد جواب
الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا
وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجوا ان تكون صاحبنا الذى ننتظره تغريرا له وطمعا فى رجوعه وقبلتهم وان
تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اى ولئن اتبعتهم مثلا بعدما
بان لك الحق وجاءك فيه الوحى انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ
فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن
متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم
الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله وان لم يسبق له ذكره
لدلالة الكلام عليه او للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد
للاول اى يعرفون باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر
انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عليه السلام فقال انا اعلم به منى بابنى
قال ولم قال لانى لست اشك فى محمد انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء
لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك

واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس
والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه
اهل الكتاب واما خبر مبتداء محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهي الرسول
عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر
وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه
الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب
من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو
موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى
وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل
وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة
للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق
الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله
جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر
على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت
للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر
للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله
فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية
على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع
حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله
تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري
ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى وقرأ ورش بلا همز لئلا يكون
للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة
تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا
ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين

الذين ظلموا منهم استيناف من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين
منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع
الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمي هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم
يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة
راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان
الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا
تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا امري بما رأيته مصلحة لكم ولاتم
نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم
وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي
عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت
على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي
عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به
ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابرهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى
الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي
ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن
يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم
وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر
لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن البصري ان الشهداء احياء عند الله تعالى تعرض ارزاقهم
على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا وعشيا فيصل
اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دليل على ان الارواح
جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور
الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم
بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر
احوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل
من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم

او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا
عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف
وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال
الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول او لمن يتاتى
منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام
كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف
ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه قوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل الدعاء ومن الله تعالى
التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان
وعن النبي عليه السلام من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا
وسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد
والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين
فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة وكان اهل الجاهلية
اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف
في وجوبه فعن احمد رح انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى فلا جناح
فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى
الوجوب فلا يدفعه وعن ابي ح رحمه الله انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي
رحمهما الله انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن
تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج
او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة
مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه

لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين يكتمون
كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على صدق محمد عليه السلام
والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب
في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم
من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا
ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه
من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم احزابهم فاولئك اتوب عليهم
بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة ان
الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد
بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس
اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولهم اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا
لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل الذكر
تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله
واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد ويسمى الها
لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق
منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها
وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران
اخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف (اي هو الرحمن الرحيم) قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان
كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض
انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار بتعاقبهما كقوله جعل الليل خلفة والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك
قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى
السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين
وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك

والسحاب وجهة العلو فأحيا به الأرض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض
او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق
وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر
بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله
وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه
يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم
وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اى لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة
هذه الآيات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل
انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان
من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس حركاتها
وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا
او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما يستدعيه حكمته ويقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان
معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين
على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزمه التمانع والتطارد كما اشار بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وفي الآية دليل على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى
يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اى يسوون بينه وبينهم
في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه
اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة
الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا
لله لانه لا ينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول
بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم
زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد
اذ يرون العذاب اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله
ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف

محذوف اى لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو
متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا انداده لا تنفع لعلموا
ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبي عليه السلام اى ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول
ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع
وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اى رائين له والواو للحال
وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا
والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين
والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني
ولذلك اجيب بالفاء اى ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء
الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان
من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به
الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس
وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل
كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول
ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا
الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي
ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين
على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند
ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله
اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز
عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم
والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح
والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات

وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسًا واما اتباع المجتهد لما
ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظن فى طريقه كما بيناه
فى الكتب الاصولية وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا اَنْزَلَ اللهُ الضمير للناس وعدل عن الخطاب
معهم للنداء على ضلالتهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى
ماذا يجيبون قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا اَلْفَيْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا ما وجدناهم عليه نزلت فى المشركين
امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد
وقيل فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا
تدعو الى الاسلام اَوَلَوْ كَانَ اٰبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو
للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اى لو كان اباؤهم
جهلة لا يتفكرون فى امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع
من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير فى الدين اذا علم بدليل ما
انه محق كالانبياء والمجتهدين فى الاحكام فهو فى الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما
انزل الله وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ اِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
على حذف المضاف تقديره ومثل داعى الذين كفروا كمثل الذى ينعق او مثل الذين
كفروا كمثل بهائم الذى ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم فى التقليد لا يلقون
اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم فى ذلك كالبهائم التى
ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو
تمثيلهم فى اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التى تسمع الصوت
فلا تفهم ما تحته او تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالناعق فى نعيقه وهو التصويت
على البهائم وهذا يغنى عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء لان
الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ رفع على الذم
فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اى ما يعقل للاخلال بالنظر يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
مَا رَزَقْنَاكُمْ لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما فى الارض سوى ما حرم الله
عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال وَاشْكُرُوا
لِلّٰهِ على ما رزقكم واحل لكم اِنْ كُنْتُمْ اِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فان عبادته لا تتم الا بالشكر
وعن النبى عليه السلام يقول الله تعالى انى والانس والجن فى نبأ عظيم اخلق ويعبد
غيرى وارزق ويشكر غيرى اِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ اكلها او الانتفاع بها وهى التى
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من حى والسمك والجراد اخرجهما

اخرجهما العرف عنها واستثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة
التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف فى المدبوغ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ انما
خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وَمَا اُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ
اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة
ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره
فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ بالاستيثار على مضطر آخر وَلَا عَادٍ سد الرمق او الجوعة وقيل
غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظ مذهب
الشافعى وقول احمد رحمهما الله فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ فى تناوله اِنَّ اللهَ غَفُورٌ لما فعل رَحِيمٌ
بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم
عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها اِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا اَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا عوضا حقيرا اُولٰئِكَ مَا يَاْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ اِلَّا النَّارَ
اما فى الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعنى الدية او فى المال
اى لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى فى بطونهم ملئ بطونهم يقال اكل فى بطنه واكل
فى بعض بطنه كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عبارة
عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم فى الكرامة والزلفى من الله تعالى
وَلَا يُزَكِّيهِمْ لا يثنى عليهم وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ مؤلم اُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدٰى فى الدنيا وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فى الآخرة لكتمان الحق للمطامع والاغراض
الدنيوية فَمَا اَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ تعجب من حالهم فى الالتباس بموجبات النار من غير
مبالاة وما تامة بمعنى شئ مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر
اهر ذا ناب او استفهامية فما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها صلة والخبر
محذوف ذٰلِكَ بِاَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ اى ذلك العذاب بسبب ان الله
نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وَاِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِى الْكِتَابِ
اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد
والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها
او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القران واختلافهم
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ
لفى خلاف بعيد عن الحق لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ البر كل

فعل مرتين والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت
وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر
ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام
لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذى
يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص ليس البر بالنصب
وَلٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللّٰهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱلْمَلَائِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ
اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله تعالى او ولكن ذا البر من آمن
ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق والمراد بالكتاب الجنس او القرآن
وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ اى على حب
المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور
فى موضع الحال ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس
وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم اتنتان صدقة وصلة كما قال عليه السلام
صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة
وَٱلْمَسَاكِينَ جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون
كالمسكير دائم السكر وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ المسافر سمى به لملازمته السبيل
كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به وَٱلسَّائِلِينَ
الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه
وَفِي ٱلرِّقَابِ فى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب
لعتقها وَأَقَامَ ٱلصَّلَاةَ المفروضة وَآتَى ٱلزَّكَاةَ يحتمل ان يكون المقصود منه
ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثانى
اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت
فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا عطف على من آمن وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ نصبه على المدح ولم يعطف
لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء
فى الانفس كالمرض وَحِينَ ٱلْبَأْسِ وقت مجاهدة العدو أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا فى الدين
واتباع الحق وطلب البر وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ عن الكفر وسائر الرذائل والآية
كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها
وتشعبها منحصرة فى ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد

وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب
والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا
الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى باعتبار معاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار
بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنْثَىٰ بِٱلْأُنْثَىٰ كان فى الجاهلية
بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد
والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى الرسول فنزلت وامرهم ان يتباوؤا
ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم انما
يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعى قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله عنه ان رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد
بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه
بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية فلا ينسخ ما فى القرآن واحتجت الحنفية به
على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب
ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص
بالنصب وكذلك كل فعل جاء فى القرآن فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ اى شىء من العفو لان عفا
لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك
وشىء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشىء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى
والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب
عدى الى الجانى باللام وعليه ما فى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه
يعنى ولى الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف
عليه فَٱتِّبَاعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد
وصية العافى بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان
وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها
على مطلق العفو وللشافعى رحمه الله فى المسئلة قولان ذَٰلِكَ اى الحكم المذكور فى العفو والدية
تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده
وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا
للحكم على حسب مراتبهم فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فقتل بعد العفو واخذ الدية فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ

في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد
اخذه الدية ﴿ولكم في القصاص حيوة﴾ كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل
الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا
من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين
ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني
تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به
في الآخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر
صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم
القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب ﴿يا اولي الالباب﴾ ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس ﴿لعلكم تتقون﴾
في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
﴿كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت﴾ اي حضر اسبابه وظهر اماراته ﴿ان ترك خيرا﴾
اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها
ان رجلا اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الآف فقالت كم عيالك فقال اربعة
قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك ﴿الوصية للوالدين
والاقربين﴾ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء
ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها
وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات
الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ
باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم
الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة لها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين
بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم ﴿بالمعروف﴾
بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث ﴿حقا على المتقين﴾ مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
﴿فمن بدله﴾ غيره من الاوصياء والشهود ﴿بعد ما سمعه﴾ وصل اليه وتحقق عنده ﴿فانما اثمه
على الذين يبدلونه﴾ فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه هو الذي خاف وخالف الشرع ﴿ان الله سميع عليم﴾ وعيد للمبدل بغير حق ﴿فمن خاف من موص﴾ اي توقع وعلم
من قولهم اخاف ان يرسل السماء ﴿جنفا﴾ ميلا بالخطاء في الوصية ﴿او اثما﴾ تعمدا للحيف ﴿فاصلح
بينهم﴾ بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع ﴿فلا اثم عليه﴾ في هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى الحق بخلاف الاول ﴿ان الله غفور رحيم﴾ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون
الفعل من جنس ما يؤثم ﴿يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾
يعني الانبياء والامم من لدن آدم عم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على
النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات
فانها معظم ما تشتهيه الانفس ﴿لعلكم تتقون﴾ المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي
هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداته
لاصالته وقدمه ما اخلى الله امة من افتراضه ﴿اياما معدودات﴾ موقتات بعدد معلوم
او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام
لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب
صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية
او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام
كما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوا الى الربيع وزادوا
عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم ﴿فمن كان منكم مريضا﴾
مرضا يضره الصوم او يعسر معه ﴿او على سفر﴾ او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر
اثناء اليوم لم يفطر ﴿فعدة من ايام اخر﴾ اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام
اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم
عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة
﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ وعلى المطيقين للصيام ان افطروا ﴿فدية طعام مسكين﴾ نصف
صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك
اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر
باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق
بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه
ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يطيقونه وعلى
هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز
في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم
وطاقتهم ﴿فمن تطوع خيرا﴾ فزاد في الفدية ﴿فهو﴾ فالتطوع او الخير ﴿خير له وان تصوموا﴾

ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج
تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التاخير للقضاء
ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم
خير من ذلك شهر رمضان مبتداء خبره ما بعده او خبر مبتداء محذوف تقديره
ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام
شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا او
بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية
في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف
المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب فيه او لوقوع ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة
القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه
جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب
عليكم الصيام وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين
والموصول بصلته خبر المبتداء او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا
بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب
الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن
اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر
في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن
وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب
الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به
كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة
من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك
او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد
ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما

ماسبق وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة
ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة
الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل
عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي
بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي
هداكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله اقريب ربنا فنناجيه ام
بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي
بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم
وليؤمنوا بي امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد
وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة
العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير
باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين
احكام الصوم فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين
كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا
ثم ان عمر رض باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عليه السلام واعتذر اليه فقام رجال
واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما
والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي
بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ
الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر
عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان
ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان
ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم
ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة

بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم
واطلبوا ما قدره الله لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون
غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي
عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر
المعترض في الأفق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان
الخيط الأبيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا
عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن يكون من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي
أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين أسود وأبيض ولا يزالون يأكلون ويشربون
حتى يتبينا لهم فنزلت إن صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت
الحاجة جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز
المباشرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم أتموا
الصيام إلى الليل بيان آخر وقته وإخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال ولا تباشروهن
وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد
القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته
فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص
بمسجد دون مسجد وأن الوطء محرم فيه ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين
الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن أن يتخطى كما قال عليه السلام إن لكل ملك
حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه وهو أبلغ من قوله تعالى
فلا تعتدوها ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي ولا تأكلوا أموالكم
بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين
نصب على الظرف أو الحال من الأموال وتدلوا بها إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب
بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا
طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين
بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعصية مع العلم بها أقبح روي
أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة من أرض ولم يكن له بينة فحكم
رسول الله بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله إن الذين يشترون بعهد الله

وأيمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي دليل على أن
حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي
ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له
بشيء من حق أخيه فإنما أقضي له قطعة من النار يسألونك عن الأهلة سأله معاذ
بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد
حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج فإنهم
سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره الله تعالى أن يجيب بأن الحكمة
الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات
الموقتة يعرف بها أوقاتها وخصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة
المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة
والوقت الزمان المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن
البر من اتقى كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه
وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم أنه
ليس ببر وإنما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم
سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت الحج وهذا أيضا من أفعالهم في الحج
ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا
السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على أن
اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه
تعكيسهم السؤال بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى ليس البر
أن تعكسوا مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت
من أبوابها إذ ليس في العدول بر وباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله
في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر
وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل
معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده
ويؤيد الأول ما روي أن المشركين صدوا رسول الله عام الحديبية وصالحوه على
أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا

ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال
او بقتال المعاهد او المفاجاة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب
المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل
الثقف الحذق في ادراك الشيء علماً كان او عملاً وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها
قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن
بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل
معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان
قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي
ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد
كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال
والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
شرك ويكون الدين لله خالصاً له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم
فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم
والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته
فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج
عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن
اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا
الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين
فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب
الانصاري انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم
فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك

ولذلك سمي البخل هلاكاً وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي
بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك
واحد وهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم
او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما
تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ
واقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر رض انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج
فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رض اني وجدت الحج
والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعاً فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه
فسر وجدانهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما
لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس
وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفراً او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالاً فان احصرتم منعتم يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر
العدو عند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس رض لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي ح
لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول
بما اذا اشترط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح
هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام
ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي ح يبعث به ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة
فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله
اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان
ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلاً كان او حرماً
واقتصاره على الهدي دليل عدم القضاء وقال ابو ح يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق
للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي
في مطية فمن كان منكم مريضاً مرضاً يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية

واما قدرها فقد روى انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال
نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك
شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن
تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام
الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدى فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابوح انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد
اى الهدى فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل
وقال ابوح في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه
وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم
الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى رحمه الله او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثانى
ومذهب ابوح وقرئ سبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب
وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد
جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد
دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة موكدة يفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة
كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهى الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تقيد كمال
بدليتها من الهدى ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابح اذ لا متعة
ولا قران لحاضرى المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن
اهله حاضرى المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا وان كان
على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس
وغير المكى عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج
واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر
اى وقته كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع
ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابح وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف
على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره
مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذى الحجة وابوح وان صح الاحرام به قبل شوال
فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا
للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا
وبالتلبية او سوق الهدى عند ابح وهو دليل على ما ذهب الشافعى وان من احرم بالحج

بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج
عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج في ايامه نفى الثلث على قصد النهى للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون
وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففى الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو
الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقب به النهى
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا
لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولى الالباب فان قضية اللب خشية الله
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤا عن كل شيء
سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب
ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه
يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم
من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم
فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر
وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام
وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء التانيث وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع
المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل
لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما
ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهى من الاسماء المرتجلة
الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده
وهى مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا او مقدمة الذكر المامور به وواجب وفيه ان الذكر غير
واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة

العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة
ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر رض انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة
بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر
وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه
ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه
كما هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك
وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين
بالايمان والطاعة وان هي مخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى
الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك
ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم عم من قوله تعالى فنسي
والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم
في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا
قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله
كذكركم اباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم في المفاخرة وكانت
العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن
ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف
بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على ابائكم وذكرا من فعل المذكور
بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد
ذكرا لله منكم لابائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر
الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد
اليه ربنا اتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق
اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة
يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رض الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة

في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا
من الشهوات والذنوب المودية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق
الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله
مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسبا
لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات
واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي
بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وعنده طلوع الفجر فلا اثم
عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه فمن تأخر في النفر حتى رمى اليوم الثالث
بعد الزوال وقال ابو ح يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفي الاثم بالتعجل والتأخر
التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى
اي الذي ذكر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه
تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك
قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الانسان لجهله بسبب المتعجب منه
في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او
في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او يعجبك اي يعجبك قوله
في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة
او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان
ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام
المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت
في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ويدعي الاسلام
وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا
سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم
واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف
او بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا
يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة
وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه

والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهي في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال الشاعر

السلم تاخذ منها ما رضيت به ... والحرب يكفيك من انفاسها جرع

والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره وباسه كقوله تعالى او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله بباسه فحذف الماتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة بباسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قراه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقراه الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع

من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر واية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي اياته فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح عليهما السلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق والكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف

اى عكسوا الامر فجعلوا ما انزل الله مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم
البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا
فيه اى للحق الذى اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره
او بارادته ولطفه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبى عليه السلام والمؤمنين بعد ما ذكر
اختلاف الامم على الانبياء بعد مجىء الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها
ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى هى مثل
فى الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستيناف وزلزلوا
وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
آمنوا معه لتناهى الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع
يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله
استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اى فقيل لهم
ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله تعالى
والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات
كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رض ان عمرو بن الجموح الانصارى كان هما
ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم
من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان
فى سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا فى الآية واقتصر فى بيان المنفق على ما تضمنه قوله
ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير فى معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اى
ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض الزكوة
لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو
مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه
كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته
كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه

وهو يفضى بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها
والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روى انه عليه السلام بعث عبد الله
بن جحش ابن عمته على سرية فى جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو
بن عبد الله الحضرمى وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف
وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام
شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس رض لما نزلت اخذ رسول الله
الغنيمة وهو اول غنيمة فى الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه فى ذلك تشنيعا
وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير
العامل قل قتال فيه كبير اى ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى
منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة فى حيز مثبت
وصد صرف ومنع عن سبيل الله اى الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات
وكفر به اى بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اى وصد المسجد الحرام كقول ابى دؤاد
اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان
عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة
ولا على الهاء فى به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله
منه اهل المسجد وهم النبى عليه السلام والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته
السرية خطاء وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش
وافعل من يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل
اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمى ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله
ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بى
فلا تبق على وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها فى احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعى
والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه فى الدنيا لبطلان
ما تخيلوه فيه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والآخرة بسقوط الثواب

واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت
ايضا فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين
هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما
مستقلان فى تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا
بان العمل غير موجب ولا قاطع فى الدلالة سيما والعبرة بالخواتم والله غفور
لما فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك
عن الخمر والميسر روى انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون
منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا فى نفر
من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل ونزلت هذه الاية
فشربها قوم وتركها قوم ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا
فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
فقل من شربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير
فشجه فشكى الى رسول الله عليه السلام فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رض انتهينا
يا رب والخمر فى الاصل مصدر خمره اذا ستره سمى بها عصير العنب والتمر اذا
اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما يسمى سكرا لانه يسكره اى يحجزه وهى حرام مطلقا
وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو ح نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى
ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه مادون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمى به
القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله
قل فيهما اى فى تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدى الى الانتكاب عن المامور
وارتكاب المحظور ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفى الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة واثمهما
اكبر من نفعهما اى المفاسد التى تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما
ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة تحرم الفعل والاظهر
انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسألونك ماذا ينفقون قيل
سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف ثم سال عن كيفية الانفاق
قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله
ولا يبلغ منه الجهد قال خذى العفو منى تستديمى مودتى وروى ان رجلا اتى

الى النبى عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى
صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا
لو اصابته لشجته ثم قال يأتى احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اى مثل ما بين ان العفو اصلح
من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف فى موضع النصب صفة لمصدر محذوف
اى تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل
والجمع لعلكم تتفكرون فى الدلائل والاحكام فى الدنيا والاخرة فى امور الدارين
فتاخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر
مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله
فنزلت قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق الاخ
ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو
شاء الله لاعنتكم اى لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم ما يشق عليكم
من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم ما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين
والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير
ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون
ولكنها خصت عنها بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام
بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها
فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج
بى فقال نعم ولكن استأمر رسول الله فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة خير
من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه
ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى

الى النار فلا تليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى اولياؤه يعنى المؤمنين
حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيماً لشانهم الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد
والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره
او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا
بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك
عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك
فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير
واو ثلثاً ثم بها ثلاثاً لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة والثلاثة
الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض
شئ مستقذر يؤذى من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض
فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين
افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض
وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعاراً بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع
ويدل عليه صريحاً قرأة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية ابن عياش
يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاماً قوله فاذا تطهرن فأتوهن فانه
يقتضى تأخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو ح رحمه الله ان طهرت لاكثر الحيض
جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم الله وحلله لكم
ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم
شبههن بها تشبيهاً لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اى فأتوهن
كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان
ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة
والنعيم الدائم امر الرسول ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله

الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت
فى الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة رض او فى عبد الله
بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة
فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الاية
على الاول لا تجعلوا الله حاجزاً لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان
المأمور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت
غيرها خيراً منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها
واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان
بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثانى
ولا تجعلوا معرضاً لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله
ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهيكم عنه ارادة بركم وتقويكم
واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون براً متقياً
ولا موثوقاً به فى اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم
الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد
معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلاً بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد
التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة
ولا كفارة ولا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان
واطمأنت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو ح اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب
والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها
والله غفور حيث لم يؤاخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصاً
للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف
وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتداء
ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف
الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك
قال الشافعى رحمه الله لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اى رجعوا
فى اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر وما توخى بالايلاء
من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده
فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو ح الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها
وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر والوعد ان عجز صح الفئ ولزم الوطئ

ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما
طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات
والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك
فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتداء يزيد فضل تاكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن
على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعنها ويحملنها على التربص
ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق
للحيض لقوله عليه السلام دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين
كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض
وهو المراد به فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قاله ابو ح لقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام
طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة
ابن عمر رض مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد
وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد
من البنائين مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة
فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا
فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله
واليوم الاخر ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان
وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق
بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها
فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع
بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به
واقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك
اى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شريطة
قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذى عليهن
بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة
عليها لا فى الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم
فى انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام

قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح
الطلاق مرتان اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال
او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق
ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة
الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتداء وتخيير مطلق
عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
من الصداق روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها
ثابت بن قيس فاتت رسول الله وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ
والله ما اعيبه فى دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى
رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب
للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا
وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة احكام من مواجب
الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته
من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام
الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل فى اخذ ما افتدت به
نفسها واختلعت وعلى المراة فى اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام
فلا تعتدوها فلا تعتدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهى بالوعيد مبالغة فى التهديد واعلم ان ظ الاية يدل على ان الخلع لا يجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك
قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها طلاقا فى غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روى
انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه
يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف فى انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضى ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق

لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله
الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعتراض بينهما ذكر الخلع دلالة على
ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له
من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يستند
الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه
لا بد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله ان رفاعة طلقني فبت
طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله
اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا
من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة
وقد لعن رسول الله المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما
حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير
الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال
لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى
اجله والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية
ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد
انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل
وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة
الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها
فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن
يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض
عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء
واراد الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت

فنزلت وعنه ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة
الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة اي القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما
يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله دل سياق
الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول
بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن
لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا
وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم
والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كالفاعلين له
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها ولم تخرج
اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن
بالمعروف بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة
مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفو غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تاويل القبيل
او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين
المخاطبين او للرسول على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم للدلالة على ان حقيقة
المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر
لانه المتعظ به والمنتفع به ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس
الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم
والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب
او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز
الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام
فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له اي للاب وهو دليل على ان اقصى مدة
الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له

اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة
الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو ح ما دامت زوجة
او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها
تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه
وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اى ولا يكلف كل منهما الآخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف واصله على القراءتين
تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الاول يجوز ان يكون
بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى له
وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره
يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق
بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق عليه فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه
وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما
تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى يمان المرضعة من ماله اذا مات
الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب
الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل
وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى ح وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى
ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور
اى فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة
والشورة والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما
فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما
يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع اولادكم
يقال ارضعت المراة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته
اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل
على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما أتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف
صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله

وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح
للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا
ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون
بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام
ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت
عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى
لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة
ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف
حركته فى المبادى فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية
فيه كما قال الشافعى رحمه الله والحرة والامة كما قال الاصم رح والحامل وغيرها لكن
القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين
احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة
والمسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها
للعدة بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره
فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك
والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل
وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة
خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك
او اكننتم فى انفسكم او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله
انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى
فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطى لانه مما يسر ثم
عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى السر على ان المعنى بالمواعدة

بالسر المواعدة بما يستهجن إلا أن تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا
والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة والا مواعدة
بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك
لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة
وجواز تعريضها اذا كانت معتدة وفات واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر
جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهى عن العقد اى ولا تعزموا
عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع
حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم فلم يفعل
خشية من الله تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل
من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى عليه السلام يكثر النهى
عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او الى ان تفرضوا والفرض تسمية
المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل
ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفى الوجوب
في الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن
عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق
وتقديرها مفوض الى راى الحاكم ويؤيده قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اى على كل من الذى له سعة ومن المقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل
عليه قوله لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابوح
هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها من ذلك فلها نصف
مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق
بها الشافعى في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم
متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا
او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه

اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو
دليل على ان الجناح المنفى تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان
يعفون اى المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق
ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذى بيده عقدة
النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها
كملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج المالك غير مشطر بنفسه
واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت
المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه
الاول وعفو الزوج على وجه التخيير وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها
عفوا اما على المشاكلة واما لانه يسوق المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج
وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل
بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع
تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها
ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم
عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلوة العصر
لقوله يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا
وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها
في وسط النهار وكانت اشق الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها
وقيل صلوة الفجر لانها بين صلوتى النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها
مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين
جهريتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة رض انه عم كان يقرأ والصلوة الوسطى
وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل
وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين في القيام
والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان
خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال
جمع راجل ورجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة
واليه ذهب الشافعى رحمه الله وابوح لا يصلى حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف

فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروا
على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتى الامن
والخوف او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون
مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين
يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية
او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراة كتب عليكم الوصية لازواجكم
متاعا الى الحول مكانه وقرا الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون
او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية وقرئ
متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية او بمتاع
على قراءة من قراه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا
القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين
يتوفون او عليهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى
والنفقة وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو
وان كان متقدما فى التلاوة فهو متاخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه الله فان خرجن
عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن كالتطيب
وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها
ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة
وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم راعى مصالحهم
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما
اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق
بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب
وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد
او لتكرر النفقة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يبين الله
لكم اياته وعد بانه سيبين لعباده من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا
ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر
تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير
ولم يسمع فانه صار مثلا فى التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية

قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا
ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت
فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل
سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له
فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد
من غير علة بامر الله تعالى ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا
ثم احياهم قيل مر حزقيل اسم نبيه على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب
من ذلك فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا بامر الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم
وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المؤمنين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم
على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا
وقص عليكم حالهم لتستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى
ويجوز ان يكون المراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين
ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى
سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق
عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة
الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله تعالى مثل لتقديم
العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس
او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له
فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع
وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد
بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة
معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط
يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل
حالكم واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل الملأ جماعة
يجتمعون للتشاور لا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته
ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم وهو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا
نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه
وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل

بالياء مجزوما او مرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان
كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا
نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحثه من الاخراج
عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم
القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم عليه السلام
لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى
يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به
وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين
ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى والملك فى اولاد يهوذا
وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم
والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور
السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة
الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تعالى فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال راسه وثالثا
بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل
يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسيب وغيره وقال لهم نبيهم
لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول
لقلته نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث
لاشتراكهما فى الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد
مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان

للاتيان اى فى اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اى مودع فيه ما تسكنون اليه
وهو التورية وكان موسى عم اذا قاتل قدمه فيسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون
وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها
وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا
ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عم وقيل التابوت هو القلب والسكينة
ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة
هرون وآلهما ابناؤهما او نفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بنى اسرائيل لانهم
ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله تعالى بعد موسى عم فنزلت به الملائكة
وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم
الكفار عليه وكان فى ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم الله ببلاء حتى
هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت ان فى ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبى
وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم
روى انه قال لهم لا يخرج معى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره
ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجرى الله لهم نهرا قال
ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس
منى فليس من اشياعى او ليس بمتحد معى ومن لم يطعمه فانه منى اى ومن لم يذقه من طعم
الشئ اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما
علم ذلك بالوحى ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبى عم الا من اغترف غرفة بيده
استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم
الصابئون على الخبر فى قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة فى القليل دون
الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل فى الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا فى الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه فى معنى فلم يطيعوه والقليل منه كانوا ثلثمائة وثلثة
عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الف روى ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضى وهكذا الدنيا قاطعة
الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم

لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
اى قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله
وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير فى قالوا للكثيرين المنخزلين عنه اعتذارا فى التخلف
وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة والفئة
فرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله
مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجاؤا الى الله
بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر فى قلوبهم الذى هو ملاك الامر
ثم ثبات القدم فى مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم
باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت
قيل كان ايشى فى عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى
الغنم فاوحى الله الى نبيهم اشمويل انه يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمته فى الطريق
ثلثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه
طالوت بنته وآتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة
النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس
ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا فى الارض ولفسدت
الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفى الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت
نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذى لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ
وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة
المذكورة قصصها فى السورة او المعلومة للرسول عم او جماعة الرسل واللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفضيل له
وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم الله موسى ليلة الحيرة وفى الطور ومحمدا عليه السلام
ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ وكلم الله وكالم الله
بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم
درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد عم فانه
خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة

المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه
كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابرهيم عم خصصه بالخلة
التى هى اعلى المراتب وقيل ادريس عم لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم
من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصصه بالتعيين
لافراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها
آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم
فى الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين
الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره
للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية
دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع
لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيئته خيرا كان
او شرا كفرا كان او ايمانا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم
انفاقه من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتى يوم
لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة
الا لمن اذن له الرحمن ورضى له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم فى حط ما فى ذممكم
وانما رفعت ثلثتها مع قصد التعميم لانها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد
فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون
للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال فى غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع
الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله تعالى ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك
الزكوة من صفات الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا
هو مبتداء وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف فى انه هل يضمر للا خبر
مثل فى الوجود او يصح ان يوجد الحى الذى يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب
لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه
فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم
قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم والنوم
حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب

الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم
كان ماؤف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة
التي بعده لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده
في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض وما فيهن مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ
عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان
يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء
او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ
من معلوماته إِلَّا بِمَا شَاءَ ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل على
تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ
تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد
وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل
جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه السلام
ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعل الفلك
المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد وَلَا يَئُودُهُ ولا يثقله ماخوذ من الاود
وهو الاعوجاج حِفْظُهُمَا اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف
المصدر الى المفعول وَهُوَ الْعَلِيُّ المتعال عن الانداد والاشباه الْعَظِيمُ المستحقر
بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها
دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته
موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا
عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك
والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا
من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك

الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان
متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال ان اعظم اية في القران اية الكرسي
من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال
من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب
عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار
جاره والابيات حوله لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى
فيه خيرا يحمله عليه ولكن قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة
ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي
الى الشقاوة السرمدية والعاقل حين تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز
بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب
لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال
والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فقال الانصاري يا رسول الله
ايدخل بعضي النار وانا انظر اليك فخلاهما فنزلت فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ بالشيطان
او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان
قلبت عينه ولامه وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ بالتوحيد وتصديق الرسل فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك المحق
من النظر الصحيح والراي القويم لَا انْفِصَامَ لَهَا لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته
وَاللّٰهُ سَمِيعٌ بالاقوال عَلِيمٌ بالنيات ولعله تهديد على النفاق اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا
محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يُخْرِجُهُمْ
بهدايته وتوفيقه مِنَ الظُّلُمَاتِ ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه
المؤدية الى الكفر إِلَى النُّورِ الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن
في الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين ومقرر للولاية وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ اي الشيطان او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت
في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت بالسبب لا يابى تعلق قدرته
تعالى وارادته به أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وعيد وتحذير ولعل عدم
مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ تعجيب من محاجة

نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج
لاجله شكرا له على طريق العكس كقولك عاديتنى لانى احسنت اليك او وقت ان آتاه الله
الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابرهيم ظرف لحاج
او بدل من آتاه على الوجه الثانى ربى الذى يحيى ويميت بخلق الحيوة والموت فى الاجساد
وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيى واميت بالعفو عن القتل والقتل قال ابرهيم
فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابرهيم عن الاعتراض على معارضته
الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة
عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى
ولعل نمرود زعم انه يقدر على ان يفعل كل جنس يفعله الله تعالى فنقضه ابرهيم بذلك وانما
حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه
اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذى
كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابرهيم الكافر والله لا يهدى القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج
او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذى مر على قرية تقديره او أرأيت
مثل الذى فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء
كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف
مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذى حاج او الذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى
كانه قيل ألم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابرهيم ذكره جوابا لمعارضته
وتقديره او ان كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر
او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية هى بيت المقدس حين خربه بخت نصر
وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع
وهى خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله
بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان
القائل مؤمنا او استبعادا ان كان القائل كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف
بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته
الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبى
قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب

على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم
يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة
هاء وهاء السكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ فابدلت النون
الثانية حرف علة كتقضى وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل
كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك
كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك
آية للناس اى فعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره فقال انا عزير فكذبوه
فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل
لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة
سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم
كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب
بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها
لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل
شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثانى عليه او
يفسره ما قبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر
والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريقة التبكيت واذ قال ابرهيم رب
ارنى كيف تحيى الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى
واميت قال له ان احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر
ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل
عنه مرة اخرى قال او لم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له
ذلك وقد علم انه اعرف الناس بالايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال
بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة
العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا
وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمام وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية
انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف التى هى صفة الطاوس والصولة المشهورة
للديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى
الموسوم بها الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر

سمي به او جمع كعجب فصرهن اليك فأملهن واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شأنها
لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال
ولكن اطراف الرماح تصورها قال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان
الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشدد الراء من صره يصره ويصره
اذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
اي ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل
سبعة ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات
مسرعات طيرانا او مشيا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها
فيمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل
ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن
وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على
القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر صورتها فيطاوعنه
مسرعات متى دعاهن بداعية العقل او الشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في الحال
على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز
لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم
كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب
لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة
والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء
بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال
في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم
بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان رض فانه جهز جيش العسرة بالف بعير
باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي عليه السلام باربعة
الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى
ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن

والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله
لم يدخل الفاء وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان
لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل
الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر
رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها
بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا
اجرها بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب
الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء
نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي
في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر
عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا
لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى
لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير وفيه تعريض بان الرئاء والمن والاذى على الانفاق من صفة
الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق
الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه
على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة
اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن
منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات
فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونصبه
على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فالذي يصيبها طل
او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر
والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار

ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل بحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة
ونفقاتهم القليلة والكثيرة الزائدتين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون
بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار
ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما
ثم ذكر ان فيها من كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون
المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او للعطف على المعنى وكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة
واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت عطف على فاصابها او على تكون له جنة باعتبار
المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود
والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة
بحال من هذا شانه واشبههم به جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه
هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون
فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله
او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي من طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمر
والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الردي منه
اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تامموا
ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون
الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم
لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه
وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس رض كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما
يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد في الاصل شايع في الخير والشر وقرئ الفقر بضم الفاء والسكون وبضمتين
وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل سمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله
يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما

انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه
يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول
الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر
اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين
وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات او ما يتفكر فيها فان المتفكر كالمتذكر لما
اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة
سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون
فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم
من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع
ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رض
صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها
افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قراه ابن عامر
وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو
وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة
او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع وحمزة والكسائي به
مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك
ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح
كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية
من الله وبمشيته وانها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة
معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا
الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير
فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله
اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة

فهو تاكيد للشرطية السابقة او ما يخلف المنفق للمنفق استجابة لقوله عليه السلام
اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار
ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون
اى لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اى اعمدوا للفقراء
او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها
للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون
صفة المسجد ليستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل
سرية بعثها رسول الله يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل
تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب
للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤل حتى
يعطيه من قولهم الحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم
لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب
لا يهتدى بمناره وكان نصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات
والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رض تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في على رض لم يملك
الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية
وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين
يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال
ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم
او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب
بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما
كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع

فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اى الجنون وهذا ايضا
من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق
بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذى بهم اكل الربوا او بيقوم او بيتخبط
فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله
اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما
الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة
كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم
ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها
او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم
وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ
من الله وزجر كالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ما سلف تقدم اخذه
التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصوله وبالابتدا
ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه
على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب الله بركته ويهلك المال الذى يدخل
فيه ويربى الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عم ان الله
يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات
اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس
من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان
لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا
حمزة وعاصم في رواية عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو
الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربى

بعد الاستتابة حتى تفئ الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد
حله فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان
ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم راس مالهم وهو سديد على ما قلنا اذ
المصر على التحليل مرتد وماله فئ وان كان ذو عسرة وان وقع غريم
ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم
نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار وقرئ فناظره على الخبر
اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب وعلى
الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ
عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون
لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء
وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رض انها اخر اية نزل بها
جبرائيل عم وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله
بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث
ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم
بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه
استحباب وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح
السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجئ مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله

الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لا ياب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر
بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي
عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن
المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله
ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى
عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا
او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملال بنفسه لخرس
او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان
صبيا او مختل عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة
في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو ح رحمه الله تسمع شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل
وامراتان فليشهد رجل او فالمستشهد رجل وامراتان وهذا مخصوص بالاموال
عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي ح رحمه الله ممن ترضون من الشهداء
لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اي
لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة
التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح
ان يجئ عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت
وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط
فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة
الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا
الدين او الحق او الكتاب وقيل كني بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك
قال عم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا
او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله اي وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم
اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها
واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى

ذى قسط وقوبم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى ان
لا ترتابوا واقرب ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك
الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين
وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس
ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم
مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون
بلاءنا اذا كان يوما ذا كوكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر
تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه
احوط والاوامر التى فى هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب
ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين
ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا
عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة
مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلث
لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة
تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين
ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان
او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد
والضحاك لانه عم رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه
لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة فى السفر الذى هو
مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو
فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان
فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان
وقرئ الذى يتمن بقلب الهمزة ياء والذى تمن بادغام الياء فى التاء وهو خطأ لان
المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه فى الخيانة وترك الخوف فيه

وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديونون والشهادة
شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة
خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن
زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم
فى نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه
والله بما تعملون عليم تهديد لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا
وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب
المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب
كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح
فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم على الاستيناف وجزمهما الباقون
عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل
او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام
الراء فى اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثله والله على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء
والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه
والاعتداد به وانه جازم فى امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه
ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه
التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره
يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ فيكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه
عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى
القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه
ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ
يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل
اتوه داخرين واحد فى معنى الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله وما منكم من احد عنه
حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى التفرقة بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا
اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير
المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما
تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر
عليها لقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل
على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا

بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه
اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف
الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان
او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان
الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب
لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن له عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وتفضلا
فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عم
رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه
اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون
صفة لاصرا والمراد ما كلف به بنو اسرائيل من قتل النفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة وما اصابهم من المحن والشدائد
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي
لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل
التخلص والتشديد ههنا مبالغة لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا
واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا
انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه
على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روي انه عم لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت
وعنه عم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة
من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ الآيتين من آخر سورة
البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال
السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن
فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مائتان آية وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف
عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف
لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور
في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين
وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عم
قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب
القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله
وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة
على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل
تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية
العربية من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون
بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية
فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كانه
قال وانزل سائر ما يفرق بين الحق والباطل او الزبور او الفرقان وكرر ذكره بما هو
نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا
ويتميز بانه معجز يفرق بين الحق والباطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع
عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه
نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة
في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه
بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى
ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية
والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم
اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر
على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج
على من زعم ان عيسى عم كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله نزلت السورة
من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي
انزل الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هن
ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس هن امهات فافرد على تأويل كل واحدة
او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها

لاجمال او مخالفة الظاهر الا بالتفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم
على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا
بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات
واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ
وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ
واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه فى معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين
فى قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره
او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد منهما على التعاقب والاول
يناسب المعاند والثانى يلايم الجاهل وما يعلم تاويله الذى يجب ان يحمل عليه الا الله
والراسخون فى العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه
بما استاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد
الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد به يقولون
امنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتداء كل
من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث انها فى تصوير
الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انها جواب
عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب
قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا واجيب بانه مصور الاجنة كيف
يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون
اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى لا تزغ
قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب
ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين
وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة

او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى
والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ربنا انك
جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر
والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد
والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود
لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط
بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة ان الذين كفروا
عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى
البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل
وقودها كدأب ال فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء
كدأبهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشأن
والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استيناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله
بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين
من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى
يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم يوم بدر فى سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل
بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير
وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى
بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد
تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم
قد كان لكم اية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين فى فئتين التقتا يوم بدر
فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين
مثلى عدد المشركين وكانوا قريبا الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا
فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا
ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به فى قوله وان يكن منكم مائة

صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول
اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص
او الحال من فاعل التقتا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء
نصره كما ايد اهل بدر إن في ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة
على الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما
اخبر به الرسول عم لعبرة لاولى الابصار اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم
زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا
فى محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق
للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة
الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع
وقيل الشيطان فان الاية فى معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف
دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف فى انه فعلال او فنعال والمقنطرة
ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى
العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر
ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع
وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات
المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير
من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات
على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله قرأه عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير
بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعد لهم جنات وقد نبه سبحانه وتعالى بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الدنيا
واعلاها رضوان الله لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة
ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوبا او مرفوعا وفى ترتيب السؤال على مجرد
الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار
حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما
طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر
يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت
الذى هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق فى سبل الخير واما الطلب
فهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها
للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين
بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق
والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون
ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة
عليها وانزال الآيات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان
بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما
بالقسط مقيما بالعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله تعالى وانما جاز
افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها
حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف للفصل وهو مندرج
فى المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل
من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه
الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل
من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها
يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدى الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان
الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضى عند الله
سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد عم وقرأ الكسائى
بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل
الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثانى
واعتراض ما بينهما او على اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة

في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه
الآخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى عم
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها
بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء
في الامر ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب وعيد لمن كفر
منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي
لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي
قامت عليه الحجج ودعى اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف
على التاء في قوله اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين الذين لا كتاب لهم لمشركي العرب أأسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم
الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة
والمعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال
وان تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت
والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
اليم هم اهل الكتاب الذين في عصره عم قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به
وقصدوا قتل النبي عليه السلام والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر
ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم
من ناصرين يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية
او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم
والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عم وكتاب الله القرآن او التورية
لما روي انه عم دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال عم على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا
وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء فيكون الاختلاف
بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد

استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم
عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك
اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا
تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة
وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت
كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد
في النار لان توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا بعد الخلاص منها
وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا
ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع
همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بالخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات
الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء
ثان عند سيبويه فان الميم عنده يمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء
تعطي منها ما تشاء لمن تشاء وتسترد والملك الاول عام والآخران بعضان منه وقيل
المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء
في الدنيا او الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك
على كل شيء قدير ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد
شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي
انه عم لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة
عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله يخبره فجاء واخذ المعول منه
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء منه ما بين لابتيها فكان مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال
اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم
وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر بيده ايضا بقوله انك

على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة
الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر
على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في المضيق
وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج
الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها او اماتتها او انشاء الحيوان من النطفة
والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان موالاتهم مندوحة عن موالاة
الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته في شيء يصح
ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب
اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع
عن موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة ح جائز
كما قال عيسى كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا
لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح
وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل
ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى انه يعلم ضمائركم وغيرها ان تخفوها
او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه
فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية
تعم المقدورات باسرها فلا تجترؤا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر
على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها
وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها
من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر
وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير
ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان يكون شرطية ولكن
الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره

كرره للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة
بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فيرجى رحمته ويخشى عذابه
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركه فيه بحيث
يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وفي الله وان كل ما يراه
كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي
ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت
مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم جواب للامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم
فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت
لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده م انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا
من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعنى فان تتولوا
فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم
والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة
بالمؤمنين ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين بالرسالة
والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة
الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل
على فضلهم على الملائكة وال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول عم
وال عمران موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه
مريم بنت عمران بن ماثان بن يوحان بن اوشا بن اموز بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن
عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن انيا بن راجيم بن سليمان بن داود ابن ايشى بن عويل بن سلمون
بن ياعز بن يحشون بن عميا دب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين
العمرانين الف وثمان مائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الالين او منهما
او من نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين
والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت
همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم
فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأت عمران عليم بنيتها اذ
قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل نصبه باضمار

اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم
اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى
ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هى فى ظل شجرة اذ رات طائرا
يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا
النذر مشروعا فى عهدهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت محررا ذكرا
معتقا لخدمته لا اشغله بشىء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى
ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها
انثى الضمير لما فى بطنها وتانيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تانيثها
علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تاويل مونث كالنفس والحبلة
وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت
تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشىء الذى وضعت وهو استيناف من الله تعالى
تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل الله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ
وضعت على انه خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله تعالى والله اعلم اى
وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها
بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف
على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه
وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم
بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها
بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمى بالحجارة وعن النبى عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين
يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء
كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة
فتقبلها ربها فرضى بها فى النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر
وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة
روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار
وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان

بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا
الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا
ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن
وان يكون تقبل بمعنى استقبل كتقضى وتعجل اى فاخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها زكريا
شدد الفاء حمزة والكسائى وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل
هو الله تعالى وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها ضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد
او اشرف مواضعها ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف
موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف
وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب
مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه
الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد تكلمت صغيرة كعيسى ع م ولم ترضع ثديا قط
وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته
او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام
الله تعالى روى ان فاطمة رض اهدت لرسول الله رغيفين وبضعة لحم فرجع بها
اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها
انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال
الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن
والحسين وجميع اهل بيته رضى الله عنهم وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها
هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث
للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة
كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة
العاقر من الشيخ فسال وقال هب لى من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب
المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم كقولهم زيد
يركب الخيل فان المنادى كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائى فناداه بالامالة
والتذكير وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلوة ويصلى صفة قائم او خبر
او حال من الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرا نافع وابن عامر

بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك
ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله
اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامر الله تعالى بلا اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او
بكتاب الله تعالى سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم
وكان فايقا على الناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا في حبس النفس
عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان يلعبون فدعوه فقال ما للعب
خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة
قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما او تعجبا
وتعجيبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله
مبتداء وخبر اي الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتداء
محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي اية علامة
اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك
الا تكلم الناس ثلثة ايام ان لا تقدر على تكلم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم
خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق عن السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس
واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام
ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع على رموز على انه
حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك
وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض
منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب
وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ
بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفيك
وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة
زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى
لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول

الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق
الجنة من الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة
اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبريتها مما قذفتها اليهود بانطاق
الطفل وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين
امرت بالصلوة مع الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع
اما لكونه كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي
بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله
وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم اي اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة
والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان
ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها
ليعلموا او يقولون ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت
الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله
بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح
لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض ولم يقم في موضع او
مسحه جبرائيل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا طائل تحته وابن مريم
لما كانت صفة تميز تميز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد
المبتداء فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه
الثلثة فان الاسم علامة المسمى والمميز لمن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر
مبتداء محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد
بغير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها
موصوفة وتذكيره للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن
المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبته

الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام
الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمّي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع
شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه
بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي
في يكلم قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر تعجب او استبعاد عادي
او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل
جبرائيل او الله تعالى وجبرائيل حكى لها قوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر
ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
كلام مبتداء ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها
تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب
المنزلة وخص الكتابان لفضلهما ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم باية
من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا بانى
قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة متضمنا معنى النطق فكانه قال وناطقا
بانى قد جئتكم وتخصيص بنى اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث
الى غيرهم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من انى قد جئتكم او جر
بدل من اية او رفع على هى انى اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة
الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اى في ذلك المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا
طيارا بامر الله تعالى نبّه به على ان احياءه من الله لا منه وابرئ الاكمه والابرص
الذى ولد اعمى او الممسوح العين روى انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى
من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما يداوى الا بالدعاء واحيى الموتى
باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من الافعال
البشرية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى
لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان
غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدى
من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اى وقد جئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مرد ود على قوله قد جئتكم
باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتكم معتذرا ولاطيب قلبك بعض
الذى حرم عليكم اى في شريعة موسى عم كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل

والابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عم ولا يخل ذلك
بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب
فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا
الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اى
جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهى قولى ان الله ربى وربكم فانه دعوة الحق
المجمع عليها فيما بين الرسل الفارق بين النبى والساحر او جئتكم باية على ان الله ربى
وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم
باية من ربكم اى جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثانى
لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات
القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع
في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى استكمال
القوة النظرية باعتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى
ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عم قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق
ما يدرك بالحواس قال من انصارى الى الله ملتجأ الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز
ان يتعلق الجار بانصارى مضمنا معنى الاضافة اى من الذين يضيفون انفسهم الى الله
في نصرى وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حوارى الرجل خالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمّى به اصحاب عيسى
لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عم
من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اى يبيضونها نحن انصار الله اى نحن
انصار دين الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين
يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين اى الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او امة محمد فانهم شهداء على الناس ومكروا اى الذين احس منهم الكفر من اليهود
بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى عم والقى شبهه على من قصد
اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند
الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقويهم مكرا
واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين

او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى انى متوفيك اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى
عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى
انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله
سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الى محل كرامتى
ومقر ملائكتى ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل
الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة والسيف فى غالب
الامر ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة
اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الى مرجعكم الضمير لعيسى ومن تبعه
وكفر به وغلب المخاطبون على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم
من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم
وتفصيل له والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ
عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء
ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين
وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
عن تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
ان شانه الغريب كشان ادم خلقه من تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له
الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو
اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له
كن اى انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب
ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخى الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق
من ربك خبر محذوف اى هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اى الحق
المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبى عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة
الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه اى فى عيسى من بعد ما جاءك
من العلم اى البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه
واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس
لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب
منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا

اذا تركها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما
دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى
فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل فى امر صاحبكم والله ما باهل قوم
نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله
وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا
الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله وبذلوا
له الجزية الفى حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال عم والذى نفسى بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران واهله
حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص
من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما بعده ما ذكره
فى شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه على الفصل لانه
اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن
المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم
لا احد سواه يساويه فى القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه فى الالوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل
على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد
النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران
او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها الا نعبد الا الله ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به
شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد
ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحليل والتحريم لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا
روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم
ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذلك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت
به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى فى هذه القصة من المبالغة
فى الارشاد وحسن الترتيب والتدريج فى الحجاج بين اولا احوال عيسى عم وما تعاقب

عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبههم فلما رأى
عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا
بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق
عليه عيسى عم والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم
وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون
يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبرهيم وما أنزلت التورية والإنجيل إلا من بعده
تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم وزعم كل فريق انه منهم فترافعوا الى رسول الله
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى
وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها أفلا تعقلون
فتدعون المحال ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه نبهوا بها عن حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتهم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه
في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا
ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم
اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم
فيه وأنتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان إبرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح
بمقتضى ما قدمه من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا
لله وليس المراد به انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة
ابرهيم إن أولى الناس بإبرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب
للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة
وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي
المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من أهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن
وما يضلون إلا أنفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به
عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا أهل
الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عم
وأنتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون
بالمعجزات انه حق يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته

في صورته او بالتقصير في المميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء
اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم
ونعته وأنتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي
أنزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره
لعلهم يرجعون واكفروا به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد
بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل
عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون
هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثني عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي
في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق
قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم
ارجى واهم قل إن الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان ويثبته عليه أن يؤتى
أحد مثل ما أوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان
الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم
الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم لا يجدي
بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام
للتقريع يؤيد الوجه الاول اي الان يؤتى احد دبرتم وقرئ إن على انها النافية فيكون
من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
أو يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه
حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن أهل
الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم
الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب الخيانة إلا ما دمت عليه قائما الا مدة
دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك
اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بأنهم قالوا بسبب قولهم ليس

علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا في شان من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا
عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود
رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه
كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ
في الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات
لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف
مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب
الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء
الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله
لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله
بما يسرهم او بشئ اصلا وان الملائكة يسئلونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات
الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان
من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان
من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم
على ما فعلوه قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد عم وحكم الامانات
وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف
لقد اشتريها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودى في بئر
وارض وتوجه الحلف على اليهودى وان منهم لفريقا يعنى المحرفين ككعب ومالك
وحيى يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقرائته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلؤن على قلب الواو همزة ثم تخفيفها بحذفها
والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير
للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان انهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده
وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله
الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله تكذيب

تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بغير عبادة الله
فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما
يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا
نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين
والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل
في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين
الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير
للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين
وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم ويجوز ان
يكون القراة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا
على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفى في قوله ما كان اى ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه
وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستيناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر
انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين
وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره
واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه ان الله اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل
والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين
على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد عم
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرا حمزة
لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجئ رسول مصدق اخذ الله
الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف
احدى الميمات الثلث استثقالا قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه

بوصرا اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وما يشد به قالوا اقررنا
قال فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم
من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى
بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة
افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف
تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ
الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين
بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت
او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضي
عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون
من ربهم امر للرسول عم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل
عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم
او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى الرسل
يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له
والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن مسلمون منقادون
او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل به
على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول
كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له
منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد
وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد
من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع
الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه نفي جواز لعن غيرهم

غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة
راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر يلعن منكر الحق
والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار
وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
الا الذين تابوا من بعد ذلك اي بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز
ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته
رحيم يتفضل عليه وقيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل
الى قومه ان سلوا هل لي توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة
فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى عم والانجيل
بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام والقرآن او كفروا بمحمد عم
بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان
ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد عم
ريب المنون (حوادث الدهر) او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون
او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم
وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم
وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت
على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه
وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به
محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب
في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي
هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضاء والجنة حتى تنفقوا مما تحبون
اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة
في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء
فضعها حيث اراك الله فقال عم بخ بخ ذلك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها

في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله
اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عم ان الله قد قبلها منك وذلك يدل
على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق الواجب والمستحب
وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء
اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام
اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك
يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر قال تع لاهن حل لهم الا ما حرم اسرائيل
يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفي لم ياكل
احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به
من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل
ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتان بان قالوا لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت
علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عم موافقة ابرهيم
بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم
بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عم لما
قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد
ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم
ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
الله وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل
ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية
الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها لابرهيم ومن تبعه وما كان من المشركين
فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب
عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة
وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة
للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم
وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكة اذا دقه فانها تبك

تبك اعناق الجبابرة روي انه عم سئل عن اول بيت وضع فقال المسجد الحرام ثم بيت
المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم ثم هدم فبناه
قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس في الطوفان
ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة
فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به
ملائكة السموات وهو لا يلائم ظ الاية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان
مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن
في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه
ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري
السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره
كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدا محذوف خبره
اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد
بالايات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة
من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه الوف
سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله
كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن
من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله
اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء
الاثر مدى الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
امنا وعند ابح من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجي
الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص الشرعي له وقراء
حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا
بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد
قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب
عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابوح
انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله
ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا

على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر
الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية
وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه
فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل
الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله
عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان
والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف
المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله وروى انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة المسلمة وكفرت به
خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى بآياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد عم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم
كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها
لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن
كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين
مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو
الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها
عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيها
عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين
ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال
او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وما الله
بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها
بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا
يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت فى نفر من الاوس والخزرج
كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك
اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع

واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله واصحابه فقال اتدعون الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم
بعضا وانصرفوا مع الرسول عم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان يخاطب اهل
الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف
تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم فى حال اجتمع
لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله ومن يتمسك
بدينه او يلتجئ اليه فى مجامع اموره فقد هدى الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام
بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رض هو
ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفى هذا الامر تاكيد للنهى عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة
وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما فى تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون
اى ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهى عن المقيد بحال وغيرها
قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفى
واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين استعار له
الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة
عن التردى وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه
ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلى يحارب
بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التى
من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدى الى التألف وزوال الغل اذ كنتم اعداء
فى الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين
مجتمعين على الاخوة فى الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما
العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف
بينهم برسوله وكنتم على شفا حفرة من النار مشرفين على الوقوع فى نار جهنم لكفركم اذ
لو ادرككم الموت على تلك الحال لوقعتم فى النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة
او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر
وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو فى المذكر وحذفت فى المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازدياد كم

فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له
كل احد اذ للمتصدى له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجمع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه
واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا
كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة آمرين كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى اودنيوى
وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان
بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روى انه عم سئل من
خير الناس آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف
يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره
الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرف من بعد
ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر
ان النهي فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله عم اختلاف امتى رحمة
ولقوله عم من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم
عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه نصب بما فى لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان
عن ظهور بهجة السرور وكآبة الحزن فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة
واشراق البشرة سعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما
الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون اواهل الكتاب كفروا برسول الله عم
بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم
او تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله
يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره
فى طاعة الله لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون

خالدون اخرجه مخرج الاستيناف للتأكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك آيات الله الواردة فى وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة
بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه
شئ فيظلم بنقصه ولا يمتنع عن شئ فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال
ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور فيجازى كلا بما وعد له
واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان
الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله او فى اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت
للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم خير امة
او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن لان الايمان به
انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه
قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا
لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف ناهين
عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجتمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك
ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغى لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم
المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون فى الكفر وهذه
الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا
كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم
لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى
ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه
يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى الرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان
كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس
والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله
وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا
معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم او ذمة المسلمين او بدينه الاسلام
واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم
المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء والتقييد

حق مع انه كذلك في نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقاً بحسب اعتقادهم ايضاً ذلك
اى الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
فان الاصرار على الصغاير يفضى الى الكباير والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان
ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب
عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضاً ليسوا سواء فى المساوى
والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استينا لبيان فى الاستواء والقائمة المستقيمة
العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون
يتلون القران فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ
فى المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه اخرها ثم خرج
فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه
الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويسارعون فى الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصايص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون
عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ويلحدون فى صفاته واصفون اليوم الاخر
بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين
اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما
تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا
كما سمى توفية الثواب شكراً وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرا حفص
وحمزة والكسائى فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين
بشارتهم واشعار بان التقوى مبداء الخير وحسن العمل فان الفائز عند الله هو اهل
التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب
او من الغناء فيكون مصدراً واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا
فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشايع اطلاقه للريح البارد
كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك
عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته
ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال
بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم

ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم
ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرى ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز
ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين
وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا
لا يقصرون لكم فى الفساد والالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم
لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر
والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى فى كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم
لفرط بغضهم وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم
الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات
لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة الكفار فتحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم فى موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت
زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده
ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم
لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ
بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتعزيرا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم
دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم
بذات الصدور فيعلم ما فى صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى
وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل
لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم فانى عليم بالاخفى من ضمايرهم ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهى عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم وعلى
مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا
بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر
يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط

اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم
عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رض تبوئ
المؤمنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف
واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق
وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين
نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا
قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار
بعضهم الى الخروج فقال عم رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر فاكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على
مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي
وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا
عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت
طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر ان
تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عم خرج في زهاء الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا
فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو
بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم
فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله
وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان
وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر
ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم
مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون
ما انعم به عليكم بتقويتكم بنصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع

الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا و ا
عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة
آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين
من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم وقيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف
من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد
للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا وياتوكم اي المشركون من فورهم
هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق
للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتاخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار
سيماء الشيء لقوله عم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم
بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل
امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن
اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى مددهم وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر
العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تاخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته
الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم
بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم
او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد
فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم
او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت
عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان
اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم وروي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم

ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب
بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع
اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا من المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى وامثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا
الى مغفرة من ربكم الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع
وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما
وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن
ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين
هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون
صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة
او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل وكثير والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة
من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت راسها وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو يقدر على
انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا
مؤاخذته وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله تعالى وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون
الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم
بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة
ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه
العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام
بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث
على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم

ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم
يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدئ به وجملة مستانفة مبينة
لما قبلها ان عطفتها على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين
جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير
جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية
المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل
اية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض
ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل لفظ الجزاء بالاجر لهذه
النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات
قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله
في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثلكم في سالف
السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من اثار
هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم
قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى
ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل
الى القران ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد
بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق
وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم
اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او انتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم
بالنصرة والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة
القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرا حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجرح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر
مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول عليه السلام
وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء

بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر وندا ولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها
اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اى ندا ولها ليكون كيت
وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم
او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك
والقصد فى امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل اثبات المعلوم ونفيه على طريقة
البرهان وقيل معناه ليعلم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشئ موجودا ويتخذ منكم شهداء
ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما هو صوف
منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف
ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة
وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم
والمحق نقص الشئ قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على انه فرض كفاية والفرق
بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان
الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اى الحرب
فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان
يشهدوا مع رسول الله مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على
الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم
تنظرون اى فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم
على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمنى الشهادة فان فى تمنيها
تمنى غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت
او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم
عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء
للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد
وفاته روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه
فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى
فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو
الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه وتفرق الباقون وقال

وقال بعضهم ليت ابن ابى ياخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
قتل محمد فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه
ثم قال اللهم انى اعتذر اليك عما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه فقاتل حتى
قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس
ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت فى قبض روحه والمعنى
ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة
له اى موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم
الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبوا فلما راى
الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم
فهزموهم ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين
الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ من الجهاد وكاين اصله اى دخلت الكاف
عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبتت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن
ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار
كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى
من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم
وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ
بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبى
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او فى الدين وما استكانوا اى وما خضعوا للعدو
واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون
لمن يخضع له وهو تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عم والله يحب الصابرين
فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم

في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم
هضمًا لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت
في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة
وانما جعل قولهم خبرًا لان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم
الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتيهم الله بسبب الاستغفار
واللجاء الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة
وخص ثوابها بالحسن اشعارًا بفضله وانه المعتد به عند الله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيًا لما قتل وقيل ان
تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة
الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله موليكم ناصركم وقرئ بالنصب
على تقدير بل اطيعوا الله موليكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره
ونصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر
لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا كفار وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به
سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا
ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر
للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى
والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل
والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه
تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم
الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين
انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول
فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو
امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة

الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عم ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال
فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما
علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم في الاحوال كلها سواء
اديل لهم او عليهم بالعفو اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر
كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون
على احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله على فشلكم وعصيانكم
غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عم
او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا
فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول عم اي فآساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم
بما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى
اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد
احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها
وهو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى
ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن
يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة
المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم
او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى
لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية
واهلها يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا
مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال
ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء
او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة
الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء

ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى في انفسهم او اذا خلا بعضهم
الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما
وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما
كان راى ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منهم احد فانه
قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف
اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء
او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على
انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان
الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين
انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه
واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة بمخالفة النبي عم فمنعوا التأييد
وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم
فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم
اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة
او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى
جمع غاز كعفا وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان
اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان
اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى
ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله

انتفاء كونهم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم اى هو المؤثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي
ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
اى متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليسا
مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم على اى وجه
اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لا الى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجتكم
لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائي
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه
ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا
اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اى في امر الحرب
اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على شيء
وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح
ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم
يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما
كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عم عما اتهم به اذ روى
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة
يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا
يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روى انه بعث طلائع فغنم رسول الله فقسم
على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى

وما صح له ان يوجد غالاً او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذى
غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت
تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم
ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال
مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد فى عقاب
عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصى
ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة
الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت
فى الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول
من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من
الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم
او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله
فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عم كان من اشرف
قبائل العرب وبطونهم يتلو عليهم اياته اى القران بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى
ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة واللام
هى الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول فى ضلال ظاهر اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو
عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما
ظرف المضاف الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال
انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا
الله النصر قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك
المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة
وعن على رض باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شىء قدير فيقدر على النصر ومنعه
وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين
وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله فهو كائن بتخلية الكفار سماها اذنا لانها
من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون
فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتداء

مبتداء تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا
للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم
سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا
لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه ولكن ما انتم عليه ليس بقتال
بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء
هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات
ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان
ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول
الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض
فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمون مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو
يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير فى افواههم
او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد
من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا
فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عن من كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان القتال يكون
سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله
امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء
على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه
فى الاصل مبتداء جاز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين
بل احياء بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه
يرزقون من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو شرف
الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون
يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل
من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين
وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن
فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته

لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى
فى آل فرعون النار يعرضون عليها وما روى ابن عباس رض انه م قال ارواح الشهداء
فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش
ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به
فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى
للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف
ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم
وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها للتعظيم
وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائى
بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له
اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتداء خبره للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا وبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ رسول الله فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا
الا من حضر يومنا بالامس فخرج م مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد على ثمانية اميال من المدينة
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب فى قلوب
المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعنى الركب الذين استقبلهم من عبد قيس
او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل
وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم يعنى ابا سفيان واصحابه روى انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال م ان شاء الله فلما كان القابل خرج فى اهل مكة
حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس
يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن
مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا
وقد جمعوا لكم ففتروا فقال والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين
راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر

لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه
ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية
عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رض قلنا يا رسول الله ان
الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ان جعل
الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر
الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم
الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه وفضل ربح فى التجارة فانهم لما اتوا بدرا واوفوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم
يمسسهم سوء ما يسوءهم من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذى هو مناط الفوز
بخير الدارين لجرأتهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان
والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب فى الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ
عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير
للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما
او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز
ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع الرسول م او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا
تخافوهم الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى وخافون من مخالفة امرى
فجاهدوا مع رسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس
ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا حريصا عليه وهم المنافقون
من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك
لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون
بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة نصيبا
من الثواب فى الاخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم
الى الكفر لانه لم يرد لهم ان يكون حظ فى الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او
تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول م او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه

وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما
في حيزها مفعول وفتح سينه في جميع القران ابن عامر وحمزة وعاصم الاملاء الامهال واطالة
العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء انما
نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة
وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى
ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان
وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط
منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو وليزدادوا اثما معدا لهم
عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم عن منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف
الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال
والانفس في سبيل الله ليختبر به النبي عم بواطنكم ويستدل به على عقايدكم وما كان
الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي
احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء
فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله
بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان
كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عم قال عرضت
على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن
ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق
فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله
هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اي ولا
تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول او
من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي

اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به
الزام الطوق وعنه عم ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه
يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون
عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله
بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير
فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ
في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا
من ذا الذي يقرض الله وروي انه عم كتب مع ابي بكر رض الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام
واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير
حين سال القرض فلطمه ابو بكر رض وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه
في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقران والرسول عم ولذلك نظمه
مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء
لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم
بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب
المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
ساير المحسوسات والحالات وذكره هاهنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك
على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك
كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم
هذا وساير معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد
عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن
ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا
ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله
النار بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو
ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة
فهو وساير المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم

إن كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة
للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان وكان توقفهم وامتناعهم
عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فإن كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول عم من تكذيب قومه
واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته
والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين
في عامة القرآن وقيل الزبور المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر
باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذائقةٌ الموتَ بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة
يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده
قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار بعد عنها
عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة
ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه
وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع
بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق
وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول عم والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم
بذلك قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها
وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله تع فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم
الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم
في الاصل ثبات الرأي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر وقت اخذه ميثاق الذين
اوتوا الكتاب يريد به العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي ناب عنه
قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه
ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه

ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا
قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي عم
من كتم علما عن اهله ألجم بلجام من نار وعن علي رض ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول عم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا
تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين
بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل
ومفعولا لا يحسبن محذوف دل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون
بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله ولا يحسبنهم تأكيد
للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عم سأل اليهود
عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت
وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا
به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل
شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع
ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما
سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الآية لان مناط الاستدلال
هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار
او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي عم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع
في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله
لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو
حجة للشافعي في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون
في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عم لا عبادة
كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينا رجل مستلق على فراشه

اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي
فنظر الله اليه وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا
على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه
اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا
ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب
النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله
خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل
المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب
الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع
الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه
على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول عم
وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا فانها ذات
تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكباير
وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم
يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي وعدتنا على تصديق رسلك من لما اظهر
امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين
لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره
ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة
بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة الداعي وعن ابن عباس رض الميعاد
البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو
شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم
في طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي

باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض
لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد
او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد
للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولم يذكر النساء
فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح
والتعظيم والمعنى والذين هاجروا الشرك والاوطان والعشاير واخرجوا من ديارهم واوذوا
في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة
والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب الترتيب والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم
قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم
سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي لاثيبنهم
بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب
على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عم والمراد امته
او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع المكذبين او لكل واحد والنهي في المعنى للمخاطب
وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة
عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم
روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي
ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين وقال عم ما الدنيا
في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماويهم جهنم وبئس
المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة
قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها
نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة
زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا
وقيل في اصحمة النجاشي لما مات نعاه جبرائيل الى رسول الله فخرج فصلى عليه فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين
ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله

حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله
المحرفون من أحبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم ما خص بهم من الأجر ووعدوه
في قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين إن الله سريع الحساب لعلمه بالأعمال وما
تستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد أن الأجر الموعود سريع
الوصول فإن سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا أيها الذين آمنوا اصبروا على مشاق
الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد
الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقا
لشدته ورابطوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وأنفسكم على الطاعة
كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عم من رابط يوما وليلة في سبيل
الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته إلا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون واتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح أو اتقوا القبائح
لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس
في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة
والحقيقة عن النبي عم من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عم
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله تع عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وسبعون وست آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي
آدم عليه السلام وخلق منها زوجها عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منه أمكم
حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير
من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى
ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة
عن وصف النساء بها إذ الحكمة يقتضي أن تكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر
بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة
الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن المراد به تمهيد الأمر بالتقوى فيما يتصل بحقوق أهل منزله
وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي تقدمها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو
خالق وباث الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله تتساءلون
فأدغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف
على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها

فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة
وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه
سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله إن الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا
اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل
يتامى أو على أنه جمع على يتمى كأسرى لأنه من الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى
والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده
في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على أن يدفع إليهم أموالهم
أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك أمر بابتلائهم
صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي
أن رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت
فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب ولا تتبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر الخبيث وهو اختزال
أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا
تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذا حرام
وهو فيما زاد على أجره لقوله تع فليأكل بالمعروف إنه الضمير للأكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم ألا
تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء
إذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا
بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن أو إن خفتم أن لا تعدلوا
في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا أن لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم
الوفاء بحقه لأن المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما روي أنه تع
لما عظم أمر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء وإضاعتهن
فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم إن خفتم
أن لا تعدلوا في أمر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وإنما عبر عنهن بما ذهابا إلى الصفة
أو إجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره أو ما ملكت أيمانكم وقرئ تقسطوا
بفتح التاء على أن لا مزيدة أي إن خفتم أن تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد

مكررة ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت
صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير
منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد
المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة
ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز
الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين الاعداد فواحدة فاختاروا فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل فعل محذوف او خبر تقديره فتكفيكم واحدة
او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري
لخفة مؤنتهن وعدم القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري
ادنى ألا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول
الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من
اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلان التسري
مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج
الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة
نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب النفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى
الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوا صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله
وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به
على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء
لانهم كانوا يأخذون مهور موليّاتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصدقات حملا
على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل
الايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل
العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن
على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان
من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا
حالا من الضمير في فكلوه وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا
يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم

اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها
في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآية المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى
ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم
واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون
بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما
للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه
وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن
والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين
والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وهو عند ابي حنيفة بان يرفع ما يتصرف
فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا
لقوله عم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود
وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم
رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير
عن حد البلوغ ونظم الآية ان ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية
للابتلاء فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت
على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة
ودفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين
ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن
كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل
من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله
ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى
فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد
من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة
وهو المختار عندنا وهو مذهب مالك خلافا لابي حنيفة رحمه الله وكفى بالله حسيبا
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة

مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر
مؤكد كقوله تع فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص
بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط
حقه روى ان اوس بن الصامت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون
النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله
فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر الى ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله
فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان
عن الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم
منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ
من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين
المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على
اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة
من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم
ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية
ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا
ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة
فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى الذى هو غاية الخشية بعدما امرهم
بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول بدون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل
ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية
وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا
حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما اى ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا
ما يجر الى النار ويؤل اليها وعن ابى بردة انه عم قال يبعث الله قوما من قبورهم تاجج افواههم

نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا اى نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا تقول صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير
فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم فى اولادكم
فى شان ميراثهم وهو اجمال وتفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع
الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله
والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر
منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اى فان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث
الضمير باعتبار الخبر او على تاويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى
زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها
النصف اى وان كانت المولودة واحدة وقرا نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين
فقال ابن عباس رض حكمهما حكم الواحدة لانه تع جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم
ما فوقهما لانه تع لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك
بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها
فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين
بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اى ولابوى الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير
العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيد
السدس مما ترك ان كان له للميت ولد ذكر او انثى غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى
بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب
فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين
نصيب الام علم ان الباقى للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها
حيث يكون معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله
ابن عباس رض فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث
الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رض انهم ياخذون السدس الذى
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة او الاخوات وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها

من بعد وصية يوصي بها او دين. متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه
الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون
الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين
وقدم الوصية على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على
الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور. اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا. لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
واجلكم فتحروا ما وصيكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان روى ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة يسال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من
يرثكم منهم امن اوصى فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم
من ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر
مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر. ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان
لهن ولد فلكم الربع مما تركن. اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او من صلب بني بنيها
وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم. من بعد وصية يوصين بها او دين
ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين. فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمراة كما في النسب وهكذا
قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام
والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن. وان كان رجل
اى الميت. يورث. اى يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث خبره
وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث
وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة
يحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به
وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى. فآليت لا ارثي لها من كلالة
ولا من حفى حتى الاقي محمدا. فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة اليها
ثم وصف به المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي. او امراة. عطف
على رجل. وله. اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت. اى من الام يدل عليه قراءة ابي سعد بن مالك وله اخ او اخت من الام
وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام

الام وان ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها. فلكل واحد منهما السدس
وان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث. سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الاولاد
بمحض الانوثة ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت
وبنت الابن فخص فيه بالاجماع. من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار. اى غير مضار
لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو
حال عن فاعل يوصي المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول
وقراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم. وصية من الله. مصدر مؤكد او منصوب بغير
مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله
وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف في الوصية والاقرار
الكاذب. والله عليم. بالمضار وغيره. حليم. لا يعاجل بعقوبته. تلك. اشارة الى الاحكام التي
تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرايعه التي هي كالحدود المحدودة
التي لا يجوز مجاوزتها. ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها
وله عذاب مهين. توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرا نافع وابن عامر
ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك
خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له. واللاتي
ياتين الفاحشة من نسائكم. اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها
اذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها. فاستشهدوا عليهن اربعة منكم.
فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين ليشهدوا عليهن. فان شهدوا فامسكوهن
في البيوت. فاحبسوهن في البيوت واجعلوها سجنا عليهن. حتى يتوفاهن الموت. يستوفي
ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ
بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جرى
بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني. او يجعل
الله لهن سبيلا. كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح. واللذان
ياتيانها منكم. يعني الزاني والزانية وقرا ابن كثير واللذان بتشديد النون وتمكين مد
الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين. فاذوهما. بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد
فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما. فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر
ان الله كان توابا رحيما. علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة على
الاولى نزولا وكان عقوبة الزنا الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات

وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة. إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ. اى ان قبول التوبة
كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ
ملتبسين بها سفهاء فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله
فهو جاهل حتى ينزع من جهالته. ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ. من زمان قريب اى قبل حضور
الموت لقوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر
وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب كقوله تع قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب
فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء
من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فَأُولَئِكَ
يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا. فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حَكِيمًا. والحكيم لا يعاقب التائب. وَلَيْسَتِ
التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ
يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ. سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار
وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة فكانه
قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء
عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم
وبالذين يموتون الكفار. أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. تاكيد لعدم قبول توبتهم
وبيان ان العذاب اعده لهم ولا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو
العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ
أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا. كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا
احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على
سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكروهات عليه وقرأ حمزة والكسائى
كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه. وَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ. عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى ولا
تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل
الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن
او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل
إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء
من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين

يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر
مُبَيَّنَةٍ هنا وفى الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن. وَعَاشِرُوهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ. بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول. فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا. اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد
تكره ما هو الاصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو الاصلح
للدين وادنى الى الخير وعسى فى الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم. وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ
زَوْجٍ. تطليق امرأة وتزوج اخرى. وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ. اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد
بالزوج الجنس. قِنْطَارًا. مالا كثيرا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا. اى من القنطار. أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. استفهام انكار وتوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل
النصب على العلة كما فى قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم
ثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذى
يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم. وَكَيْفَ
تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ. انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر. وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا. عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازحة او ما اوثق الله عليهم فى شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبى عم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ. ولا تنكحوا التى نكحها اباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه
اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر مِنَ النِّسَاءِ بيان ما نكح
على الوجهين إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء من المعنى اللازم للنهى وكانه قيل تستحقون العقاب
بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة فى التحريم والتعميم كقوله شعر
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ولا تنكحوا حلائل ابائكم الا
ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه وقيل الاستثناء ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة
عليه لا انه مقرر إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا. علة للنهى اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله
تعالى ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوى المروات ولذلك سمى ولد الرجل من زوجة
ابيه المقتى. وَسَاءَ سَبِيلًا. سبيل من يراه ويفعله. حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ. ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم
نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم

الميتة ولا ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم نعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى. وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ. نزل الله تع الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة وولد الطفل الذى رد عليه اللبن قال عم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب. وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ. ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على المعنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول عم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رض تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملهما مختلفان وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رض جعله شرطا والامهات والربائب تتناول القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعند ابى ح رحمه الله لمس المنكوحة ونحوها كالدخول. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. تصريح بعد اشعار دفعا للقياس. وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ. زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج. الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ. احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد. وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ. في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة

المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل وقول على اظهر لان التحليل مخصوص في غير ذلك ولقوله عم ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام. إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ. استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله. إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ. ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن. إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلائل للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد رض اصبنا سبيا يوم اوطاس ولهن ازواج كفار فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى عم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله. وذات حليل انكحتها رماحنا. حلال لمن يبنى بها لم تطلق. وقال ابو ح لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم يحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه. كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ. مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع وبالرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل. وَأُحِلَّ لَكُمْ. عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت. مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ. ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها. أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ. مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان هنا العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فان الزانى غرضه منه. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ. فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن. فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ. مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع. فَرِيضَةً. حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد. وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيتما به من نفقة او من مقام او فراق وقيل نزلت الآية في المتعة كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله تع حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمى به اذ الغرض

منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس رض ثم رجع عنه. إن الله
كان عليما. بالمصالح حكيما. فيما شرع من الاحكام. ومن لم يستطع منكم طولا. غنى واعتلاء
واصله الفضل والزيادة. ان تنكح المحصنات المؤمنات. فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة
له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات
يعنى الحرائر لقوله. فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات. يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الاية
حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية
مطلقا واول ابو ح طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم
المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد
وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم
المحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج. والله اعلم بايمانكم.
فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر او بتفاضل ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل
الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء
ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده. بعضكم من بعض. انتم وارقائكم متناسبون نسبكم
من ادم ودينكم الاسلام. فانكحوهن باذن اهلهن. يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا
لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية. واتوهن اجورهن.
اى ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف
للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر. بالمعروف. بغير مطل وضرار ونقصان. محصنات. عفائف. غير مسافحات. غير
مجاهرات بالسفاح. ولا متخذات اخدان. اخلاء فى السر. فاذا احصن. بالتزويج وقرأ ابو بكر
وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضمها وكسر الصاد. فان اتين بفاحشة. زنا. فعليهن
نصف ما على المحصنات. يعنى الحرائر. من العذاب. من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة
من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف.
ذلك. اى نكاح الاماء. لمن خشى العنت منكم. لمن خاف من الوقوع فى الزنا وهو فى الاصل انكسار
العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش
القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاماء. وان تصبروا خير لكم. اى صبركم
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه. والله غفور.
لمن لم يصبر. رحيم. بان رخص له. يريد الله ليبين لكم. ما تعبدكم به من الحلال والحرام
او ما خفى عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام مزيدة لتاكيد
معنى الاستقبال اللازم للارادة كما فى قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل

سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم. مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرائقهم. ويتوب
عليكم. ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون
كفارة لسيئاتكم. والله عليم. بها. حكيم. فى وضعها. والله يريد ان يتوب عليكم. كرره للتاكيد
والمقابلة. ويريد الذين يتبعون الشهوات. يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها
واما المتعاطى لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له فى الحقيقة لا لها وقيل المجوس
وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت. ان تميلوا. عن الحق
ميلا. بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات. عظيما. بالاضافة الى ميل من اقترف
خطيئة على ندور مستحل لها. يريد الله ان يخفف عنكم. فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية
السمحة السهلة ورخص لكم فى المضائق كاحلال نكاح الامة. وخلق الانسان ضعيفا. لا يصبر
عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس ثمان ايات فى سورة النساء هن خير لهذه
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلثة وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم. يا ايها الذين امنوا
لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل. بما لم يبحه الشرع كالغصب والربوا والقمار. الا ان تكون
تجارة عن تراض منكم. استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهى عنه
او اقصدوا كون تجارة عن تراض صفة لتجارة صادرة عن تراض غلب المتعاقدين وتخصيص
التجارة من بين الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانه ارفق لذوى المروات ويجوز ان يراد
بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة
صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان
يكون التجارة او الوجه تجارة. ولا تقتلوا انفسكم. بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء
النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تأوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر
عليه النبى عم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى
للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية
بين النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل
النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار بقوله. ان الله كان بكم رحيما. اى امر ما امر
ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم او معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل
الانفس ونهيكم عنه. ومن يفعل ذلك. اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات. عدوانا وظلما.
افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم
ظلم النفس بتعريضها للعقاب. فسوف نصليه نارا. ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى

وبفتح النون من صلاه يصليه بالياء ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير
لله اولذلك من حيث انه سبب الصلى وكان ذلك على الله يسيرا لاعسر فيه ولاصارف
عنه. ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه. كبائر الذنوب التى نهيكم الله تعالى ورسوله
عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم. نغفر لكم صغائركم ونمحها
عنكم واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا
اوصرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى عم انها سبع الاشراك
بالله تع وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار
من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رض الكبائر الى سبعمائة اقرب منها
الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك وقيل صغير الذنوب وكبيرها بالاضافة الى ما فوقها وتحتها فاكبر
الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسايط يصدق عليها الامران
فمن عن له امران ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فيكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه
لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص
والاحوال الا ترى انه تع عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى ما تعد على غيره خطيئة فضلا
ان يأخذه عليها. وندخلكم مدخلا كريما. الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة
وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر. ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض. من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة
الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضاء بما قسم الله له فانه يشتهى لحصول الشئ
من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضه لحكمة القدر وتمنى ما قدر له
بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال. للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن. بيان لذلك اى لكل من الرجال والنسا
فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد
والتمنى كما قال عم ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم
على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص
كالمكتسب له. واسئلوا الله من فضله. اى لا تتمنوا ما للناس واسئلوا الله مثله من خزائنه
التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى هو الحسد او لا تتمنوا واسئلوا الله من فضله بما يقربه
ويسوقه. ان الله كان بكل شئ عليما. هو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان
روى ان ام سلمة رض قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا الميراث ليتنا كنا
رجالا فنزلت. ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون. اى ولكل تركة جعلنا وراثا

وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا
مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون
استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول
الوالدان او ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا
موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتداء وخبر والذين
عقدت ايمانكم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا
على ان يتعاقلا يعنى الدية ويتوارثا صح وورث الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ
ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك
زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة
مؤكدة لها والضمير للموالى وقرأ الكوفيون عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم ضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف فى القراءة الاخرى ان الله كان
على كل شئ شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن
قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى بما فضل الله بعضهم على
بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة
فى الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة فى مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم
فى الميراث والاستبداد استقلال بالفراق. وبما انفقوا من اموالهم. فى نكاحهن كالمهر والنفقة
روى ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير
فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله فشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا
امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خيرا. فالصالحات قانتات. مطيعات لله قائمات
بحقوق الازواج. حافظات للغيب. لمواجب الغيب اى يحفظن فى غيبة الازواج ما يجب
حفظه فى النفس والمال وعنه عم خير النساء امرأة نظرت اليها سرتك وان امرتها
اطاعتك وان غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم
بما حفظ الله بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او بالذى حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام
بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها
لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذى حفظ حق الله وطاعته
وهو التعفف والشفقة على الرجال. واللاتى تخافون نشوزهن. عصيانهن

وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز. فعظوهن واهجروهن في المضاجع ∴
في المراقد ولا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل
المضاجع المبايت اى لا تبايتوهن. واضربوهن. يعني ضربا غير مبرح ولا شاين
والامور الثلثة مرتبة ينبغي ان يدرج. فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ∴
بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكون
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ان الله كان عليا كبيرا. فاحذروه
فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب
عليكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر عن ان يظلم احدا او
ينقص حقه. وان خفتم شقاق بينهما. خلافا بين المرء وزوجته اضمرهما وان
لم يجر ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى
المفعول به كقوله يا سارق الليلة والفاعل كقولك نهارك صائم. فابعثوا حكما من اهله
وحكما من اهلها. فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر
واصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخرج
من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به
على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر فلا يليان
الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح
فيه. ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما. الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين
اى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بينهما بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين
وقيل للزوجين اى ان اراد الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه. ان الله كان عليما
خبيرا. بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق. واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا. صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا. وبالوالدين
احسانا. واحسنوا بهما احسانا. وبذي القربى. وبصاحب القرابة. واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى. الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال
بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه. والجار الجنب.
البعيد او الذي لا قرابة له. وعنه عم الجيران ثلثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار
وحق القرابة وحق الاسلام. وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام. وجار له حق
واحد حق الجوار. وهو المشرك من اهل الكتاب. والصاحب بالجنب. الرفيق في امر حسن

حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل الزوجة
وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء. ان الله لا يحب
من كان مختالا. متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا
يتفاخر الذين يبخلون. ويأمرون الناس بالبخل. بدل من قوله من كان او نصب على الذم
او رفع عليه اى هم الذين او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا
به ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله. الغناء والعلم
احقاء بكل ملامة وقرء حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة. واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا. وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه
فهو كافر لنعمة الله تع فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت
في طائفة من اليهود وكانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا
نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عم. والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس. عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل
والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن الشيطان. ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر. ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل
المنافقون. ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا. تنبيه على ان الشيطان قرنهم
فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تع ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس
واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان قرن لهم الشيطان في النار
وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله. اى وما الذي عليهم
او اى تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان
المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله
يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر
لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة. وكان الله
بهم عليما. وعيد لهم. ان الله لا يظلم مثقال ذرة. لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب
اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال
من الثقل وفي ذكره الايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه. وان تك حسنة ∴
وان تك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرء ابن كثير ونافع حسنة بالرفع

على كان التامة. يضاعفها. يضاعف ثوابها وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعّفها
وكلاهما بمعنى. ويؤت من لدنه. ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد
في مقابلة العمل. اجرا عظيما. عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه. فكيف
حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني
نبيهم يشهد على فساد عقايدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وتعظيم الشان. وجئنا بك. يا محمد على هؤلاء شهيدا. تشهد
على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل
هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تع لتكونوا شهدا
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض. بيان لحالهم ح اي يود الذين جمعوا بين الكفر والعصيان الامر
او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا
او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء. ولا يكتمون الله حديثا. ولا يقدرون
كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يسوى بهم الارض
وحالهم انهم لا يكتمون من الله تع حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقراء نافع وابن عامر تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء
الثانية يقال سويته فتسوى. يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى حتى تعلموا ما تقولون. اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم
او خمر تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع
مادبة ضيافة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقراء اعبد ما تعبدون فنزلت
وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان
الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد
وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسُكرى
كحبلى على انه صفة الجماعة. ولا جنبا. عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب
على الحال والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع
لانه يجري مجرى المصدر. الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال
اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم

وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل
وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل
بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وقال ابو ح لا يجوز له
المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال
الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي
نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى يخاف معه عن استعمال الماء فان الواجد
له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم او على سفر لا تجدون
او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن
من الارض او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل
الشافعي على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقراء حمزة والكسائي لمستم
واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله
اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب
والحال المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان
حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات او بالعرض واستغنى
عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى
او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك
قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد من
ان يعلق باليد شيء من التراب لقوله تع في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي
من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد
اسم العضو الى المنكب وما روي انه عم تيمم ومسح يده الى مرفقيه والقياس على الوضوء
دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا. فلذلك
يسر الامر عليكم ورخص الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر
اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا
من علم التورية لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على
الهدى او يستبدلونها بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد عليه
السلام وقيل ياخذون الرشى ويحرفون التورية. ويريدون ان تضلوا. ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق. والله اعلم. منكم. باعدائكم. وقد اخبركم
بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم. وكفى بالله وليا. يلي امركم. وكفى

بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد فى فاعل كفى
لتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى من الذين هادوا بيان للذين
اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا
اى ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم
عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونها عن مواضعه التى
وضعها الله فيها بازالتها عنها واثبات غيرها او بتأويلها على ما يشتهون فيميلونها عما
انزل الله وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون
سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت بصمم
او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع
كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبوا عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها
من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك ونفهم
كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع لا اسمعت مكروها او فتلا بها
وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا
فى الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو فى مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه
ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون
الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد
بالقلة العدم قليل التشكى للهم يصيبه او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها
الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها
على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء
او ننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد
يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان
نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها
الى حيث جاءت منه وهى اذرعات (يعنى نواحى) الشام يعنى اجلاء بنى النضير والقريظة ويقرب منه
قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار
عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او

او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عم والضمير لاصحاب الوجوه او للذين
على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل
على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه
بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع
شئ او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به
ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه ولان ذنبه لا ينمحى
عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك صغيرا كان
او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله
لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد
بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر
بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح (العفو) بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة
على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار ومن يشرك بالله فقد
افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين
سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين
يزكون انفسهم يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
باطفالهم الى رسول الله فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى
عليها بل الله يزكى من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فانه العالم
بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبيح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين
واصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا وقولا ولا يظلمون بالذنب او العقاب على تزكيتهم
انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة
انظر كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم
هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام
ارضى عند الله تع مما يدعوا اليه محمد عم وقيل فى حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف فى جمع من اليهود
خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد
منكم الينا فلا نامن من مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل
اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لا خير فيه فقلبت
سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا

لاجلهم وفيهم. هؤلاء. اشارة اليهم. اهدى من الذين آمنوا سبيلا. اقوم دينا وارشد طريقا
أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا. يمنع العذاب عنه بشفاعة او غيرها
ام لهم نصيب من الملك. ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم. فاذا لا يؤتون الناس نقيرا. اى لو كان لهم نصيب
من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق
فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين ويجوز
ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا
اذا وقع بعد الواو او الفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا
على النصب. ام يحسدون الناس. بل يحسدون رسول الله واصحابه او العرب او الناس جميعا
لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا. على ما آتاهم الله من فضله
يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم. فقد آتينا آل ابراهيم.
الذين هم اسلاف محمد عم وابناء عمه. الكتاب والحكمة. النبوة. وآتيناهم ملكا عظيما. فلا يبعد
ان يؤتيه الله مثل ما آتاهم. فمنهم. من اليهود من آمن به. بمحمد عليه السلام او بما ذكر
من حديث آل ابراهيم عم. ومنهم من صد عنه. اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه
فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذا لا يوهن
كفر هؤلاء امرك. وكفى بجهنم سعيرا. نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم. ان الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا. كالبيان والتقرير لذلك. كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها.
بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان
يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه العذاب كما قال ليذوقوا العذاب. اى
ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية
المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور. ان الله كان عزيزا. لا يمتنع عنه ما يريده
حكيما. يعاقب على وفق حكمته. والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا. قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر
المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض. لهم فيها ازواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا. فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة
التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل
أليل ويوم أيوم. ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها. خطاب يعم

يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق
باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على رض
يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامر الله تع ان يرده اليه فامر عليا بان يرده
ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل. اى وان تحكموا بالانصاف والتسوية اذا
قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم
ان الله نعما يعظكم به. اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة
بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء
الامانات والعدل فى الحكومات. ان الله كان سميعا بصيرا. باقوالكم وباحكامكم وما
تفعلون فى الامانات. يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم.
يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء
السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان طاعتهم ما داموا على الحق
وقيل علماء الشرع لقوله تع ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم. فان تنازعتم. انتم واولوا الامر منكم. فى شئ. من امور الدين وهو يؤيد
الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى
الامر على طريقة الالتفات. فردوه. فراجعوا فيه. الى الله. الى كتابه. والرسول. بالسؤال عنه فى زمانه
والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تع اوجب رد
المختلف الى كتابه والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون
بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة
رسوله وانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبتة بالكتاب ومثبتة بالسنة ومثبتة بالرد
اليهما على وجه القياس. ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. فان الايمان يوجب ذلك
ذلك. اى الرد. خير لكم واحسن تأويلا. عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد
الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت. عن ابن عباس رض ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه السلام
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله فحكم لليهودى فلم يرض المنافق
وقال نتحاكم الى عمر رض فقال اليهودى لعمر قضى رسول الله فلم يرض بقضائه وخاصم اليك
فقال عمر رض للمنافق اكذلك فقال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه
ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله

فنزلت وقال جبرائيل عم ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت
على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط
طغيانه او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث
انه الحامل عليه كما قال. وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا. وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تع اولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم. واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول. وقرئ
تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت
المنافقين يصدون عنك صدودا. وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد
والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موقع الحال
فكيف. يكون حالهم. اذا اصابتهم مصيبة. كقتل عمر المنافق والنقمة من الله تع
بما قدمت ايديهم. من التحاكم الى غيرك وعدم الرضاء بحكمك ثم جاؤك حين
يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون
بالله. حال. ان اردنا الا احسانا وتوفيقا. ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه. اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم. من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب
من العقاب. فاعرض عنهم. اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم
وعظهم. بلسانك وكفهم عما هم عليه. وقل لهم في انفسهم. اي في معنى انفسهم او خاليا
بهم فان النصح في السر انجع. قولا بليغا. يبلغ المراد منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم
والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك يقتضي شفقة الانبياء عليهم السلام
وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم
الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به. وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله. بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه
احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل
وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل
رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل. ولو انهم اذ ظلموا انفسهم. بالنفاق
او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به. فاستغفروا
الله. بالتوبة والاخلاص. واستغفر لهم الرسول. واعتذروا اليك حتى انتصب لهم
شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار

اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما. لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه. فلا وربك. اي فوربك ولا مزيدة
لتوكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون. لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تع لا اقسم
بهذا البلد. حتى يحكموك فيما شجر بينهم. فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت. ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان
الشاك في ضيق من امره. ويسلموا تسليما. وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم. ولو انا
كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم. تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل
وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا. او اخرجوا من دياركم. خروجهم حين
استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك
او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم
وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه
الا قليل منهم. الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم
نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري
الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على معنى الا فعلا قليلا. ولو انهم فعلوا
ما يوعظون به. من متابعة الرسول ومتابعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم. في عاجلهم
وآجلهم. واشد تثبيتا. في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا
لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال عم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان
ابن عمتك فقال عم اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله
الى جارك. واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما. جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون
لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء. ولهديناهم
صراطا مستقيما. يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب
قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم. ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم. مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم
الخلائق واعظمهم قدرا. من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. بيان
للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون

حذ الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج
والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هى عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار
الحق حتى بذلوا مهجتهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعته
واموالهم فى مرضاته وذلك ان تقول المنعم عليهم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا
بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما
ان ينالوا لوامع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء اولا فيكونون
كمن يرى الشئ من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبرهان
القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بامارات
واقناعات تطمئن نفوسهم وهم الصالحون ❁ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا فى معنى التعجب وكانه
قيل ما احسن رفيقا ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق
او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روى ان ثوبان مولى رسول الله اتاه يوما وقد
تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بى من وجع غير انى اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك
لانى عرفت انك ترفع مع النبيين فان ادخلت الجنة كنت فى منزلة دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذٰلِكَ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد
الهدى ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومرتبتهم اَلْفَضْلُ صفة مِنَ اللّٰهِ
خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيمًا بجزاء
من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ تيقظوا
واستعدوا للاعداء والحِذر والحَذر كالاِثر والاَثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح
فَانْفِرُوا فاخرجوا الى الجهاد ثُبَاتٍ جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبت على فلان تثبيتا
بتفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه اَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا مجتمعين كوكبة
واحدة والاية وان نزلت فى الحرب لكن يقتضى اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات
كلها كيفما امكن قبل الفوات وَاِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ الخطاب لعسكر الرسول ام المؤمنين
منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ
وهو لازم او يبطئوا غيرهم كما يبطئ ابن ابى ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل
والاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع اليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
فَاِنْ اَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ كقتل وهزيمة قَالَ اى المبطئ قَدْ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَىَّ اِذْ لَمْ اَكُنْ

مَعَهُمْ شَهِيدًا اى حاضرا فيصيبنى ما اصابهم وَلَئِنْ اَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ كفتح وغنيمة
لَيَقُولَنَّ اكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كَاَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتنى كنت معهم فَاَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا
للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد
ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير فى ليقولن او داخل فى المقول اى يقول المبطئ
لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد
مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى
وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا تعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة
واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالتاء
لتانيث لفظ المودة والمنادى فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز فى ذلك الوقت او العطف
على كنت فَلْيُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ اى الذين
يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب
الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهو المبطئون والمعنى حثهم على ترك
ما حكى عنهم وَمَنْ يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ اَجْرًا عَظِيمًا
وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا فى القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله على اذ
لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغى ان يثبت فى المعركة
حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل
بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وَمَا لَكُمْ مبتداء وخبره لَا تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ حال
والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الفعل وَالْمُسْتَضْعَفِينَ عطف على اسم الله اى
وفى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل
بحذف المضاف اى وفى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل
الله تع يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين
او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة فى الحث وتنبيها على
تناهى ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم
فى الدعاء حتى يشاركوا فى استنزال الرحمة او استدفاع البلية وقيل المراد به العبيد
والاماء وهو جمع وليد الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا
وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر

لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى منهم خير ولى وناصر ففتح مكة على نبيه محمد عم
فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها
والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول
اذا جريا على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه. الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله. فيما يصلون به الى الله. والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت. فيما
يبلغ بهم الى الشيطان. فقاتلوا اولياء الشيطان. لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه
ان يقاتلوا الشيطان ثم شجعهم بقوله. ان كيد الشيطان كان ضعيفا. اى ان كيده
للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم
على اضعف شئ واوهنه. الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم. اى عن القتال. واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة. واشتغلوا بما امرتم به. فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون
الناس كخشية الله. يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه
واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفة يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر
الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية
الله تع منه. او اشد خشية. عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل
التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تع اى كخشية الله او كخشية
اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى
يخشون الناس خشية مثل خشية الله تع او خشية اشد خشية من خشية الله.
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب. استزادة في مدة الكف
عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوا في انفسهم فحكى الله تع عنهم
قل متاع الدنيا قليل. سريع التقضى. والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا. ولا تنقصون
ادنى من ثوابكم فلا ترغبوا عنه ومن اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى ولا يظلمون
لتقدم الغيبة. اينما تكونوا يدرككم الموت. وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون. ولو كنتم
في بروج مشيدة. في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف
القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم
قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه. وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك. كما تقع الحسنة
والسيئة على الطاعة والمعصية تقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية
اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك

اليك وقالوا ان هى الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد عم المدينة نقصت ثمارها
وغلت اسعارها. قل كل من عند الله. يقبض ويبسط بحسب ارادته. فما لهؤلاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا. يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل
من الله تع او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا في ظروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا
ان الباسط والقابض هو الله تع. ما اصابك من حسنة. من نعمة. فمن الله. تفضلا منه
فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك
قال عم ما احد يدخل الجنة الا برحمة من الله تع قيل ولا انت قال ولا انا. وما اصابك
من سيئة. من بلية. فمن نفسك. لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله
كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة
مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رض ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة
يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما
لنا ولا للمعتزلة. وارسلناك للناس رسولا. حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم
ان علق بها رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة ويجوز نصبه على المصدر
كقوله. على حلفه لا اشتم الدهر مسلما. ولا خارجا من في زور كلام. وكفى بالله شهيدا. على رسالتك
بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله. لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى
روى انه عم قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف
الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى عم فنزلت ومن تولى
عن طاعته. فما ارسلناك عليهم حفيظا. تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وهو حال عن الكاف. ويقولون. اذا امرتهم بامر طاعة. اى امرنا
طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات. فاذا برزوا
من عندك. خرجوا. بيت طائفة منهم غير الذى تقول. اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت
لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت
الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام
لقربهما فى المخرج. والله يكتب ما يبيتون. يثبته في صحايفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى
اليك لتطلع على اسرارهم. فاعرض عنهم. قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم. وتوكل على الله. في الامور
كلها سيما في شانهم. وكفى بالله وكيلا. يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم. افلا يتدبرون القران.
يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشئ. ولو كان من عند
غير الله. اى ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار. لوجدوا فيه اختلافا كثيرا. من تناقض المعنى
وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وتسهل ومطابقة

بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض
على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف
ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم
امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كما يفعله قوم من ضعفة
المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله او اخبرهم الرسول عم بما اوحى اليه من عدو بالظفر
او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم جزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او
لتضمين الاذاعة معنى التحدث • ولو ردوه الى الرسول لو ردوا ذلك الخبر والى اولى الامر
منهم الى رأيه ورأى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اى وجه يذكر • الذين
يستنبطونه منهم • يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين
فيذيعونها فيعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى
سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول
واولى الامر اى يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج
من البئر اول ما يحفر • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بارسال الرسول وانزال الكتاب
لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال • الا قليلا • الا قليلا منكم تفضل الله
عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب او عصمه عن متابعة الشيطان
كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل
في سبيل الله اى تثبطوا وتركوك وحدك • لا تكلف الا نفسك • الا فعل نفسك
لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله
ناصرك لا الجنود روى انه عم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه
بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم
ولا نكلف بالنون على البناء للفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم
لانا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم
الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم
الرعب حتى رجعوا • والله اشد بأسا • من قريش • واشد تنكيلا • تعذيبا منهم وهو تقريع
وتهديد لمن لم يتبعه • من يشفع شفاعة حسنة • راعى بها حق مسلم ودفع عنه ضرا
او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء لاخيه المسلم قال عم من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك • يكن له نصيب
منها • وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها • ومن يشفع شفاعة سيئة •
يريد بها محرما • يكن له كفل منها • نصيب من وزرها مساو لها في القدر • وكان

مطلب التسليم والرد

وكان الله على كل شئ مقيتا • مقتدرا من اقات على الشئ اذا اقدر قال وذى ضغن كففت
عنه وكنت على مساءته مقيتا او شهيدا حاضرا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن
ويحفظ • واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها • والجمهور على انه في السلام
ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم
زاد وبركاته وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال ورحمة الله وبركاته
وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتنى فاين ما قال
الله تع وتلا الآية فقال عم انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه
اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث
السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها
ومنه قيل او للترديد بين ان يحيى المسلم ببعض التحية وبين ان يحيى بتمامها والتحية
في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك
ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب والرد على المتهب
وهو قول الشافعى قديم • ان الله كان على كل شئ حسيبا • يحاسبكم على التحية وغيرها • الله لا اله
الا هو • مبتداء وخبر او الله مبتداء والخبر • ليجمعنكم الى يوم القيمة • اى الله والله
ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض
والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة وهو قيام الناس من القبور او للحساب • لا ريب فيه •
في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر • ومن اصدق من الله حديثا • انكار ان يكون
احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال • فما لكم
في المنافقين • فما لكم تفرقتم في امر المنافقين • فئتين • اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا
منهم استأذنوا رسول الله في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين
يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن
او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها ما لكم كقولك ما لك
قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم
ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين • والله اركسهم بما كسبوا • ردهم الى حكم الكفرة
او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشئ مقلوبا • اتريدون ان تهدوا من اضل الله •
اى تجعلوه من المهتدين • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا • الى الهدى • ودوا لو تكفرون
كما كفروا • تمنوا ان تكفروا ككفرهم • فتكونون سواء • فتكونون معهم سواء في الضلال

وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا
فى سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة هى لله تع ولرسوله لا لاغراض
الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار
الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
اى جانبوهم رأسا لا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عم وادع وقت
خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل
ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم
وقتال قومهم استثنى عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين
عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة
او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل ان قرئ حصرة صدورهم
وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله
غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن او لان او كراهة
ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب
عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا
اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم فى اخذهم
وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان (اسم قبيلة) وقيل بنو عبد الدار
اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا
الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا منها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفى التعرض فاولئكم جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل والسبى لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم
او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم فى قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شانه ان يقتل مؤمنا
بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اى لا يقتله فى شىء من الاحوال
الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اى الا قتلا خطأ
وقيل ما كان نفى فى معنى النهى والاستثناء منقطع اى ولكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر
والخطأ ما لا يضامه القصد الى القتل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او

ولا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير
المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت فى عياش
بن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الام لقى حارث بن زيد فى طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به
عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اى فعليه او فواجبه تحرير رقبة
والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشىء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه
سمى به لان الكرم فى الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة (اى النفس) كما عبر عنها بالرأس مؤمنة
محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته (يقتسمونها)
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله يأمرنى ان أورث
امرأة اشيم الضبابى من عقل زوجها وهى على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن
ففى ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمى العفو عنها صدقة حثا عليه
وتنبيها على فضله وعن النبى عم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة
اى يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه وزمانه فهو فى محل
النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة
مؤمنة اى ان كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى
قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة
معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم فى وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان
المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اى شرع
ذلك توبة من تاب عليه اذا قبل توبته او على المصدر اى وتاب الله عليكم توبة او حال بحذف
مضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر
فى شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له
عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رض لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روى عنه خلافه على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله وانى لغفار لمن تاب
ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكر عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل فى مقيس
بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا فى بنى النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله ان يدفعوا
اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث
الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا
اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر ولا تعجلوا فيه

وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا في الموضعين من التثبت هنا وفي الحجرات • وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى
إِلَيْكُمُ السَّلَامَ • لمن حيّاكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اي
الاستسلام والانقياد وفسّر بالسلام ايضا • لَسْتَ مُؤْمِنًا • وانما فعلت ذلك متعوّذا وقرئ
مؤمَنا بالفتح اي مبذولا له الامان • تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا • تطلبون ماله الذي
هو حطام سريع النفاذ وهو حال من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك
التثبت • فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ • تغنيكم عن قتل امثاله لماله • كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ • اي اول
ما دخلتم في الاسلام تفوّهتم بكلمتي الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان
تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم • فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ • بالاشتهار بالايمان والاستقامة
في الدين • فَتَبَيَّنُوا • وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله تع بكم ولا تبادروا الى قتلهم
ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله تع من قتل امرئ مسلم
وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ذكر من حالهم • إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا •
عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله عم
غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مرّ برجل في غنيمة
فاراد قتله فقال لا اله الا الله محمد رسول الله فقتله وقال ودّ لو فرّ باهله وماله
وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر • لَا يَسْتَوِي
الْقَاعِدُونَ • عن الحرب • مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • في موضع الحال من القاعدون او من الضمير الذي فيه
غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع
وابن عامر بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشي رسول الله في مجلسه الوحي فخرّ على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سرّي عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر • وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ • اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير
ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته
فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً • جملة موضحة لما نفي الاستواء
فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر
لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة او الحال بمعنى ذوي درجة • وَكُلًّا • من القاعدين
والمجاهدين • وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى • المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم

وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب • وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ
أَجْرًا عَظِيمًا • نصب على المصدر لان فضّل بمعنى آجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء
كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما • دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً • كل واحد
منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال
عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين
وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا
من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى
ارتفاع منزلتهم عند الله تع وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء
والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاول
من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر • وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا • لما عسى يفرط منهم • رَحِيمًا • بما وعد لهم • إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ • يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفّيت بمعنى ان الله
يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيتوفونها • ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ •
في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا
حين كانت الهجرة واجبة • قَالُوا • اي الملائكة توبيخا لهم • فِيمَ كُنْتُمْ • في اي شيء كنتم من امر دينكم
قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ • اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم
عن الهجرة وعن اظهار الدين واعلاء كلمة الله تع • قَالُوا • اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا
أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا • الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة
فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ • لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه
لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا
والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها • وَسَاءَتْ
مَصِيرًا • مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة
دينه وعن النبي عليه السلام من فرّ بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا استوجب له
الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما السلام • إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ • استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه
وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار
بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها فان قوامهم
يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت • لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا • صفة
للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة

وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليله
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر كلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر
خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه • وكان الله
عفوا غفورا • ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا • متحولا من الرغام وهو التراب
وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة
في الرزق واظهار الدين ⁂ ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان والحق
بالمجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب
متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تع ثبوت اجر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة حمله
بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اسم موضع اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله
فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات رضي الله عنه
واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة • بتنصيف
ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه عم اتم في السفر وان عائشة
اعتمرت مع رسول الله وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت
يا عائشة واوجبه ابو ح رحمه الله لقول عمر رض صلوة السفر ركعتان تام غير ناقص على لسان نبيكم
ولقول عائشة رض اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت
في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني
لا ينفي جواز الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر بباله
ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بها قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به نفوسهم
واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا او ستة عند ابي ح وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر صفة
محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ⁂
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا • شرطية باعتبار الغالب
في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر في قوله تع فان خفتم ان لا يقيما حدود الله
فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة
ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره • واذا كنت
فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة الرسول عم لفضل الجماعة
وعامة الفقهاء على انه تع علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم
كحضوره • فلتقم طائفة منهم معك • فاجعلهم طائفتين احديهما معك يصلون وتقوم الطائفة
الاخرى تجاه العدو • وليأخذوا اسلحتهم • اي المصلون حزما احتياطا وقيل الضمير للطائفة الاخرى

الاخرى وذكر الطائفة يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين • فليكونوا • اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي عم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة • فليصلوا معك ظاهره يدل على
ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله عليه السلام ببطن النخل وان اريد
به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة
وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى
فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله
بذات الرقاع وقال ابو ح يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتي
الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي
الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو • وليأخذوا حذرهم واسلحتهم
جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله
تع والذين تبوؤا الدار والايمان • ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة • تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم
شدة حملة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح • ولا جناح عليكم ان كان بكم
اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم • رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم
اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب
وخذوا حذركم • امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو • ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا • وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحذر لتقوى قلوبهم وليعلموا
ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور
على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله تع • فاذا قضيتم الصلوة • اديتم وفرغتم
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • فدوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا اردتم
اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين
وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين مجروحين • فاذا اطمأننتم • سكنت قلوبكم من الخوف
فاقيموا الصلوة • فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة • ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا • فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو ح رحمه الله
لا يصلي المحارب حتى يطمئن • ولا تهنوا • ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون • الزام لهم

وتقريع على التواني فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون
من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجوا عدوهم فينبغي ان تكونوا
ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون
علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى • وكان الله عليما • باعمالكم وضمائركم
حكيما فيما يأمر وينهى • انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس • نزلت في طعمة
بن ابيرق ظفري سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه
وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوه فقال دفعها
الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقال بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل
بما اريك الله • بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
ثلثة مفاعيل • ولا تكن للخائنين • اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء • واستغفر الله
مما هممت به • ان الله كان غفورا رحيما • لمن يستغفره • ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما
والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته
وخاصموا عنه • ان الله لا يحب من كان خوانا • مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما
منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط
عليه فقتله • يستخفون من الناس • يستترون منهم حياء وخوفا • ولا يستخفون من الله •
وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه • وهو معهم • لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك
ما يستقبحه ويأخذ عليه • اذ يبيتون • يدبرون ويزورون • ما لا يرضى من القول • من رمي
البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور • وكان الله بما يعملون محيطا • لا يفوت عنه شيء
ها انتم هؤلاء • مبتداء وخبر • جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا • جملة مبينة لوقوع اولاء
خبرا او صلة عند من يجعله موصولا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم
وكيلا • محاميا يحميهم عن عذاب الله • ومن يعمل سوءا • قبيحا يسوء به غيره • او يظلم نفسه
بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله • بالتوبة • يجد الله غفورا • لذنوبه • رحيما • متفضلا عليه وفيه حث
لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار • ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه •
فلا يتعداه وباله لقوله تع وان اسأتم فلها • وكان الله عليما حكيما • فهو عالم بفعله حكيم
في مجازاته • ومن يكسب خطيئة • صغيرة او ما لا عمد فيه • او اثما • كبيرة • او ما كان عن عمد

ثم يرم به بريئا • كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او • فقد احتمل بهتانا واثما مبينا • بسبب
رمي البرئ وتنزيه النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف
الآخر • ولولا فضل الله عليك ورحمته • باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول وجمعه
للتعظيم او له او لامته فان عصمة الرسول واطلاعه على الاحوال لطف في حقهم • لهمت
طائفة منهم • اي من بني ظفر • ان يضلوك • عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب
لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه • وما يضلون الا انفسهم • لانه ما ازلك
عن الحق وعاد وباله عليهم • وما يضرونك من شيء • فان الله عصمك وما خطر ببالك كان
اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر •
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة • وعلمك ما لم تكن تعلم • من خفيات الامور او من امور الدين
والاحكام • وكان فضل الله عليك عظيما • اذ لا فضل اعظم من النبوة • لا خير في كثير من نجويهم •
من متناجيهم كقوله تع واذ هم نجوى او من تناجيهم • الا من امر بصدقة او معروف • على حذف
مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به
او اصلاح بين الناس • او اصلاح ذات بين • ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما • بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة
الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء
وسمعة لم يستحق بها من الله اجرا ووصف الاجر بالعظيم تنبيها على حقارة ما فات
في جنبه من اغراض الدنيا • ومن يشاقق الرسول • يخالفه من الشق فان كلا من المخالفين
في شق غير شق الآخر • من بعد ما تبين له الهدى • ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات • ويتبع غير
سبيل المؤمنين • غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل • نوله ما تولى • نجعله واليا لما تولى
من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره • ونصله جهنم • وندخله فيها وقرئ بفتح النون
من صلاه • وساءت مصيرا • جهنم والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تع رتب
الوعيد الشديد على المشاقة واتباع سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب
الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع
سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم
وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام • ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء • كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء

شيخ الى رسول الله وقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا
منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جرأة وما توهمت
طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله فنزلت • ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا • عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة
اهل الكتاب ومنشاء شركهم كان نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله تع • ان يدعون
من دونه الا اناثا • يعنى اللات والعزى ومناة ونحوها فان لكل حى صنما يعبدونه
ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يكن ليسمن
فانثى تشديد الازم ليس له ضرع فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى
حلمة اولانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله
تع ذكره بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانها تنفعل ولا تفعل ومن
حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل
المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرى انثى على
التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن
كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو همزة • وان يدعون • وان يعبدون بعبادتها • الا شيطانا
مريدا • لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكان طاعته فى ذلك عبادة له
والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام
امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان • وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا • عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه وتع اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية
على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية
غاية المنافات فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة
الشيطان وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير
والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا يستجلب
مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم
وموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر
لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء • ولاضلنهم • عن الحق • ولامنينهم • الامانى الباطلة
كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب • ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام • ليشقونها
لتحريم ما احل الله تع وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوائب واشارة الى تحريم

تحريم كل ما احل الله ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة • ولامرنهم فليغيرن خلق الله •
عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقاء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر
واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس وتغيير فطرة الله تع التى هى الاسلام واستعمال الجوارح
والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن
الفقهاء رخصوا فى خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه
فعلا • ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله • بايثار ما يدعوه اليه على ما امر الله به ومجاوزته
عن طاعة الله الى طاعته • فقد خسر خسرانا مبينا • اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة
بمكان من النار • يعدهم • ما لا ينجز • ويمنيهم • ما لا ينالون • وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه • اولئك
مأويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا • معدولا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال
منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله • والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التى قبله
وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله
سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر • ومن اصدق من الله قيلا
جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه
بوعد الصادق لاوليائه والمبالغة فى توكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله • ليس باماينكم
ولا امانى اهل الكتاب • اى ليس ما وعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون
ولا بامانى اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمنى ولكن
ما وقر فى القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى منكم من الله تع وقال المسلمون
نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر بامانى المشركين وهو قولهم لا جنة
ولا نار او قولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا امانى
اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال • من يعمل سوءا يجز به • عاجلا او آجلا لما روى انه لما
نزل قال ابو بكر رض فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عم اما تحزن اما تمرض اما تصيبك
الاذاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا •
ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره فى دفع العذاب عنه

ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا
بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات
اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء
الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص من ثواب المطيع فبالحرى
ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل وجهه
في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى الموافقة لدين الاسلام
المتفق على صحتها ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال عن المتبع او الملة او
ابراهيم عم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على الممدوح والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وتخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل
الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى
الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع
ملته والايذان بانها نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابراهيم عم بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة
فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم عم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام
فقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى فاختبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رائحة الخبز
فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه
الله تع خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منهما ما يشاء ومن يشاء
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على
مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم
على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن
حصين اتى النبي عم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا
نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين
لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله تع
او ضمير المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تع والى

والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني
زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتداء
وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينتصب على معنى ويبين لكم ما يتلى
عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف
الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى
ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد
وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انها ايامى
فقلبت همزته ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون
ان تنكحوهن في ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات
ويأكلون ميراثهن والا كانوا يعضلوهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال
والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء
والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط
ايضا عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى
صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبها عطفا على موضع فيهن ويجوز
ان ينتصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة
في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شأنهم وما تفعلوا
من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها
توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وان امرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا
عنها وترفعا من صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها
ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض
المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح
بين المتنازعين وعلى هذا يجوز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف
او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ
يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة
ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو
اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول
للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح

جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها
ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان
تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان
بما تعملون من الخصومة والاحسان خبيرا عليما به وبالغرض فيجازيكم عليه اقام
كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط
اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان
العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله يقسم بين نسائه فيعدل
ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تأخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل
ولا مطلقة وعن النبي عم من كان له امراتان ويميل مع احديهما جاء يوم القيمة
واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا
اى وان يتفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الاخر ببدل وسلو من
سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه
ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص
واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان يكون ان مفسرة
لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله تع مالك الملك لا يتضرر
بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصيكم لرحمته لا لحاجته
ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعباداتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد
ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع
المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجوه وانواع الخصائص والكمالات
على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه تع توكل
بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول
يشاء محذوف دل عليه الجواب ويأت باخرين ويوجد قوما مكانكم او
خلقا اخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا

قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به
وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله من العرب معناه معنى قوله تع وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب رسول الله يده على ظهر سلمان وقال انهم
قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله تع لم تخطئه الغنيمة وله في عمله
في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده
كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له الاية وكان الله سميعا بصيرا عارفا
بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله
وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها
لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له
غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا وترحما
فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا
لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور
وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه ان قرئ فالله اولى بهم
فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل
وان تلووا السنتكم من شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان تلوا بمعنى
وان وليتم اقامة الشهادة فاديتموها او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون
خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني
اهل الكتاب اذ روى ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله
والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان
بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او امنوا ايمانا عاما
يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني
الجنس ومن يكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر اى ومن يكفر بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصود بحيث لا يكاد يعود الى طريقه
ان الذين امنوا يعني اليهود امنوا بموسى عم ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد

عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد او قوما تكرر منهم
الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان
فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر
المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا
في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين
ووضع بشر مكان انذر تهكم بهم واستخفاف عليهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة
ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب
يعني في القرآن وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى
انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جئ بهما لتقييد النهي عن المجالسة
في قوله تع فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان
من يجالسه هازئا ومعاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار ما نزل عليهم بمكة من قوله
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر
بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض والانكار عليهم
او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد
مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبني
كقوله تع مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين
يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتداء خبره فان كان لكم
فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب
من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة
فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا
في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة
حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل

الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ح او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به
اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد
وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الاسلام قبل مضي العدة ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما
جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل
كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يراه عمله وهو يريه استحسانه ولا
يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يراه وهو اقل احواله او لان
ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل
الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو
يراؤن كقوله ولا يذكرون اي يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب
على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا
واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او
يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذ وتارة
في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين
ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تع ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين
وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة
بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار هو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث
الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله ثلث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد
خلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها
السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء
وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا
يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم
في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون
بطاعتهم غير وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله

الْمُؤْمِنِينَ اَجْرًا عَظِيمًا فيساهمونهم فيه مَا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَاٰمَنْتُمْ
يتشفى غيظا او يدفع ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضر وانما
يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان
والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة
اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وَكَانَ اللّٰهُ شَاكِرًا مثيبا
يقبل اليسير ويعطى الجزيل عَلِيمًا بحق شكركم وايمانكم لَا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ
مِنَ الْقَوْلِ اِلَّا مَنْ ظُلِمَ الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم او التظلم منه روى ان رجلا ضاف
قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيعًا
لكلام المظلوم عَلِيمًا بالظالم اِنْ تُبْدُوا خَيْرًا طاعة وبرا اَوْ تُخْفُوهُ او تفعلوه سرا
اَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه
تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا اى يكثر العفو
عن العصاة مع كمال قدرته عن الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث المظلوم على
العفو بعد ما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق اِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ اَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّٰهِ وَرُسُلِهِ بان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم وَيُرِيدُونَ اَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا طريقا وسطا بين الايمان
والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان
برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك
كالكافر بالكل فى الضلال كما قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اُولٰئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ هم الكاملون فى الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حَقًّا مصدر مؤكد لغيره
او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اى يقينا محققا وَاَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ
اضداد هم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضى متعددا لعمومه من حيث
انه وقع فى سياق النفى اُولٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ اُجُورَهُمْ الموعود لهم وتصديره بسوف
لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون
عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا لما فرط منهم رَحِيمًا عليهم
بتضعيف حسناتهم يَسْاَلُكَ اَهْلُ الْكِتَابِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ
نزلت فى احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى

موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوى على الالواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه
حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فَقَدْ سَاَلُوا مُوسٰى اَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ
جواب شرط مقدر اى ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر منه وهذا
السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم
والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا عليك باولها لانهم وخيانتهم
فَقَالُوا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً عيانا اى ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فَاَخَذَتْهُمُ
الصَّاعِقَةُ نار جاءت من السماء فاهلكتهم بِظُلْمِهِمْ بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية
مطلقا ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ هذه الجناية الثانية التى
اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم
بعد فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَاٰتَيْنَا مُوسٰى سُلْطَانًا مُبِينًا تسلطا ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ
بسبب ميثاقهم ليقبلوه وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا على لسان موسى والطور
مظل عليهم وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ على لسان داود عليه السلام ويحتمل ان يراد على لسان
موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به
فى زمن داود عم وقرأ ورش عن نافع لا تعدّوا فادغمت التاء فى الدال وَاَخَذْنَا
مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ
اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والباء
متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب
النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها
مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف
على المجرور فلا يعمل فى جاره وَكُفْرِهِمْ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ بالقرآن او بما فى كتابهم وَقَتْلِهِمُ
الْاَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ اوعية للعلوم او فى اكنة مما تدعونا اليه
بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر
فى الايات والتذكر بالمواعظ فَلَا يُؤْمِنُونَ اِلَّا قَلِيلًا منهم كعبد الله بن سلام او
ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وَبِكُفْرِهِمْ بعيسى عم وهو معطوف على بكفرهم لانه
من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه
على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى
ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا يعنى نسبتها الى الزنا

وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه
استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون استينافا
من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء فقال
لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينازعه فخرج
ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس
اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة
وانما ذمهم الله تع بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله تع وقصدهم قتل
نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم
وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين
عيسى والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله
فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمه مقتولا وان
الذين اختلفوا فيه فى شان عيسى عم فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون
فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السما
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك
كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وما يقابل الحكم وعلى ما
يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع
اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد
الذى تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا
قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم
قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار
لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى عم
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد

احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير
الثانى والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عم
عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد
ذلك ان قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد
لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطر اليه ولم ينفعهم ايمانهم
وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه
ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به
حتى يكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع
الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون
عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا
ناسا كثيرا وصدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا
محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهى التحريم واكلهم اموال
الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا
اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك خبر المبتداء والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل
يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى
يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او على الضمير
فى يؤمنون او على انه مبتداء والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة
رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه
الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لانه المقصود بالآية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب
عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره فى الوحى
كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين

عليهم تعظيماً لهم فانّ ابرهيم عم اوّل اولى العزم منهم وعيسى عم اخرهم والباقين
اشرف الانبياء ومشاهيرهم وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا وقرأ حمزة زبورا
بالضمّ وهو جمع زبر بمعنى مزبور وَرُسُلًا نصب بمضمر دلّ عليه اوحينا
اليك كارسلنا او فسّره قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ اى من قبل هذه السورة
او اليوم وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا وهو منتهى مراتب
الوحى خصّ به موسى من بينهم وقد فضّل الله تع محمّداً بان اعطاه مثل ما اعطى كلّ
واحد منهم رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطّأً لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ
عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبّهنا ويعلّمنا
ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على انّ بعثة الانبياء الى الناس ضروريّة لقصور الكلّ
عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلّياتها واللام متعلّقة بارسلنا
او بقوله مبشّرين ومنذرين وحجّة اسم كان وخبره للناس او على الحال والآخر
حال ولا يجوز تعلّقه بحجّة لانّه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا لا يغلب فيما يريده حَكِيمًا فيما دبّر من امر النبوّة وخصّ كلّ نبىّ بنوع من الوحى
والاعجاز لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ استدراك عن مفهوم ما قبله وكانّه لمّا تعنّتوا
عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتجّ عليهم بقوله انّا اوحينا اليك
قال انّهم لا يشهدون ولكنّ الله يشهد او انّهم انكروا ولكنّ الله يثبته ويقرّره
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ من القرآن المعجز الدالّ على نبوّتك روى انّه لمّا نزل انّا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ انزله ملتبسا بعلمه الخاصّ به
وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كلّ بليغ او بحال من يستعدّ للنبوّة ويستاهل
نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم
والجارّ والمجرور على الاوّلين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول
والجملة كالتفسير لما قبلها وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ بنبوّتك وفيه تنبيه على انّهم
يودّون ان يعلموا صحّة دعوى النبوّة على وجه يستغنى عن النظر والتأمّل
وهذا النوع من خواصّ الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك
سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوّتك وشهدوا بها
كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا اى كفى بما اقام من الحجج
على صحّة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا لانّهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولانّ المضلّ

المضلّ يكون اغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَظَلَمُوا محمّدا بانكار نبوّته او الناس بصدّهم عمّا فيه صلاحهم وخلاصهم او باعمّ
من ذلك والآية تدلّ على انّ الكفّار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم
الجامعون بين الكفر والظلم لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا
طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا يجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على انّ من مات
على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدّرة وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
لا يصعب عليه ولا يستعظمه يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
لمّا قرّر امر النبوّة وبيّن الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامّة بالدعوة والزام الحجّة والوعد بالاجابة والوعيد على الردّ
فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم ممّا انتم عليه وقيل
تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لانّ كان لا يحذف مع اسمه
الّا فيما لابدّ منه ولانّه يؤدّى الى حذف الشرط وجوابه وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يعنى فان تكفروا فهو غنىّ عنكم ولا يتضرّر
بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبّه على غناه بقوله لله ما فى السموات
وما فى الارض وهو يعمّ ما اشتملتا عليه وما تركّبتا منه وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
باحوالهم حَكِيمًا فيما دبّر لهم يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ الخطاب
للفريقين غلت اليهود فى حطّ عيسى عم حتى رموه بانّه ولد لغير رشدة والنصارى
فى رفعه حتى اتّخذوه الها وقيل للنصارى خاصّة فانّه اوفق لقوله وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ اوصلها اليها وحصّلها فيها وَرُوحٌ مِنْهُ
وذو روح صدر منه لا بتوسّط ما يجرى مجرى الاصل والمادّة وقيل سمّى روحا
لانّه كان يحيى الاموات او القلوب فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اى
الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تع أأنت قلت للناس اتّخذونى
وامّى الهين من دون الله او الله ثلثة ان صحّ انّهم يقولون الله ثلثة اقانيم الاب
والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس
الحيوة انْتَهُوا عن التثليث خَيْرًا لَكُمْ نصب لما سبق إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ اى
واحد بالذات لا تعدّد فيه بوجه ما سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ اسبّحه تسبيحا
من ان يكون له ولد فانّه يكون لمن يعادله مثل ويتطرّق اليه فناء لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ملكا وخلقا لا يماثله شىء من ذلك فيتّخذه ولدا وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلاً لابيه والله سبحانه
وتعالى قائم بحفظ الاشياء كافٍ فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
كيلا يرى اثره عليك أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ من ان يكون عبدا له فان عبوديته
شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى
ان وفد نجران قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعارٍ ان يكون عبد الله
قالوا بلى فنزلت وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ عطف على المسيح اى ولا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على
الانبياء وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك
يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم
استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة
المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله
اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤس وان اراد به التكثير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم
الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح
من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الاخر مطلقا والنزاع
فيه وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ ويرتفع عنها والاستكبار
دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق
بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
فيجازيهم فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ
مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا تفصيل للمجازات او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم
والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان
الدين او رسول الله او القرآن فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ
فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل احسان زائد عليه وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ الى الله وقيل الى الموعود صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الاخرة
يَسْتَفْتُونَكَ اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب روى ان جابر بن عبد الله
كان مريضا فعاده رسول الله فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت
وهى آخر ما نزل فى الاحكام قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ سبق تفسيرها
فى اول السورة إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال
عن المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت
الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة
والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع بنت عند عامة العلماء غير ابن عباس
لكنها لا ترث النصف وَهُوَ يَرِثُهَا اى والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها
والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم
لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم فى الكلالة ان فسرت
بالميت فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار
العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ
مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر
يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا اى يبين لكم ضلالكم الذى من شانكم اذا خليتم
وطباعكم لتحذروا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة
ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين وَاللّٰهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ هو عالم بمصالح العباد فى المحيى والممات عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطى
من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تع من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مائة وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ الوفاء هو القيام
بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا
عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين

بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التى عقدها الله
على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود
الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر
على المشترك بين الوجوب والندب أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ تفصيل للعقود
والبهيمة كل حى لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية والحق
بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام
فى الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ الا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ حال من الضمير فى لكم وقيل
من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول
وَأَنْتُمْ حُرُمٌ حال عما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ من تحليل وتحريم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
يعنى مناسك الحج جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا سمى به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله تعالى لقوله
ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل فرايضه التى حدها لعباده وَلَا الشَّهْرَ
الْحَرَامَ بالقتال فيه او بالسبى وَلَا الْهَدْيَ ما اهدى الى الكعبة جمع هدية
كجدى فى جمع جدية السرج وَلَا الْقَلَائِدَ اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها
على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها
مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد
جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل او لحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى
فلا يتعرض له وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قاصدين لزيارته يَبْتَغُونَ فَضْلًا
مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة فى موضع الحال من المستكن
فى آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل
وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه
يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت
عام القضاء فى حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم
الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة
وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا اذن فى الاصطياد

١٢٦

فى الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا بالامر
دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ اى لا يحملنكم او لا يكسبنكم شَنَآنُ قَوْمٍ شدة بغضهم
وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر
واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر
كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان فى النعت اكثر أَنْ صَدُّوكُمْ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم أَنْ تَعْتَدُوا
بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه تعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة
الى مفعولين وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى على العفو والاغضاء
ومتابعة الامر ومجانبة الهوى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
للتشفى والانتقام وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ فانتقامه اشد
حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير
تذكية وَالدَّمُ اى الدم المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل
الجاهلية يصبونه فى الامعاء ويشوونها وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ
اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه وَالْمُنْخَنِقَةُ التى
ماتت بالخنق وَالْمَوْقُوذَةُ المضروبة بنحو خشب او حجر حتى يموت من وقذته
اذا ضربته وَالْمُتَرَدِّيَةُ التى تردت من علو او فى بئر فماتت وَالنَّطِيحَةُ التى نطحتها
اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ اى وما اكل منه السبع فمات
وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت ما اصطادته لم يحل إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ
الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص
بما اكل السبع والذكوة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرى بمحدد وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصُبِ النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون
عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها
بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وَأَنْ
تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك
انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى

وعلى الاخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج
الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام
طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور
بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد
ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول فى علم الغيب
وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله تع ان اريد بربى الله
وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم
اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة
الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل
هذه الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا
عليكم واخشون واخلصوا الخشية لى اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر
والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف
على اصول الشرايع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتى بالهداية والتوفيق
او باكمال الدين او بفتح مكة او هدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام
اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله تع لا غير فمن اضطر
متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة والاسلام المرضى والمعنى
فمن اضطر الى تناول شئ من هذه المحرمات فى مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم
غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة
كقوله تع غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يواخذه باكله
يسئلونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد
سبق الكلام فيماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسئلونك
بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع فى امثاله والمسؤل ما احل لهم من المطاعم
كانهم لما تلى عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب وما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف
على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية
ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع

من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب
الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او
لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف
مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذى هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال
صاحبه او ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه
فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه كقوله عم لعدى بن حاتم وان اكل منه
فلا تاكل منه انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط
ذلك فى سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال الآخرون لا يشترط
مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او
لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله فى محرماته ان الله سريع
الحساب فيواخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى
واستثنى على رض نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب
الخمر ولا يلحق بهم المجوس فى ذلك وان الحق بهم فى التقرير على الجزية لقوله عم سنوا
بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا
عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات الحرائر العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل
الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيائها لتاكيد وجوبها
والحث على الاولى وقيل المراد باتيائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير
مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذى اخدان مسرين به والخدن الصديق يقع
على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين
آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اذا اردتم القيام كقوله تع اذا قرأت القران فاستعذ بالله
عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغى ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه
الى الشئ والقيام اليه قصد له فظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن

محدثاً والاجماع على خلافه لما روى انه عم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح
فقال عمر رض صنعت شيئاً لم تكن تصنعه فقال عمداً فعلته وقيل مطلق
اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب
وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله عم المائدة من آخر القرآن
نزولاً فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ امروا الماء
عليه ولا حاجة له الى الدلك خلافاً لمالك وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ الجمهور
على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تع ويزدكم قوة
الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان
كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل
الى تفيد الغاية مطلقاً واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها
عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدى متناولة لها فحكم
لدخولها احتياطاً وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن
غاية كقوله تع فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم يتميز
الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطاً وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ الباء
مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل
ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق وكانه قيل والصقوا المسح
برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه
كقوله تع واغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي
اقل ما يقع عليه الاسم اخذاً باليقين وابو ح رحمه الله مسح ربع الرأس لانه عم مسح
على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذاً بالاحتياط وَأَرْجُلَكُمْ
إِلَى الْكَعْبَيْنِ نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفاً على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد
وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تع عذاب يوم اليم
وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك
وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلاً يقرب من المسح
وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم
مغسولة وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا فاغتسلوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا
فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ سبق تفسيره في سورة النساء ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان

انواع الطهارة مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ اي ما يريد الامر بالطهارة
للصلوة او الامر بالتيمم تضييقاً عليكم وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ لينظفكم او ليطهركم
عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء
فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله
ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف
لان ان لا تقدر بعد المزيدة وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم
ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان
اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل
غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما
حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره
وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق
ليلة العقبة او بيعة الرضوان وَاتَّقُوا اللَّهَ في انساء نعمه ونقض ميثاقه إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات اعمالكم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ
عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين
على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية
ونقض عهد تشفياً مما في قلوبكم اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى اي العدل اقرب الى التقوى
صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى
نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة
الغيظ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ انما حذف ثاني
مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موضع المفعول
فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ هذا من عادته تع ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق
الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ

عليكم روي ان المشركين رأوا رسول الله واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معاً فلما
صلّوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهمّوا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم
بان انزل صلوة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه عم اتى قريظة
ومعه الخلفاء الاربع يستقرضهم لدية المسلمين قتلهما عمرو بن امية الضميري
خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه
وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل
جبرائيل عم فاخبره بذلك فخرج وقيل نزل رسول الله منزلاً وعلق سلاحه بشجرة
وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه
جبرائيل من يده واخذ الرسول وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمداً رسول الله فنزلت اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل
والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف
ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ورفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق
بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً شاهداً من كل سبط ينقب عن احوال
قومه ويفتش عنها او كفيلاً يكفل عليهم بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا
عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان
يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عم ان يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم
بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما
دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهيهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراماً عظيمة وبأساً شديداً فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم الا كالب
بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عم
وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي
وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعذير واقرضتم
الله قرضاً حسناً بالانفاق في سبيل الخير وقرضاً يحتمل المصدر والمفعول
لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن ساد مسد
جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل
ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له

له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا
او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات
والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية اي مغشوشة وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم
درهم قسي اذا كان مغشوشاً وهو ايضاً من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة
وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون
حالاً من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظاً وتركوا
نصيباً وافياً مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد عم والمعنى انهم حرفوا
التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت
بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رض قال قد ينسى المرء بعض
العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة
خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلاً منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح
ان تابوا وآمنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف
ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو
عن الكافر الخائن احسان فضلاً عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل
تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل
على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تع فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا
فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به ومنه الغراء بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكائية او بينهم وبين اليهود
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد عم وآية الرجم في التورية وبشارة
عيسى عم باحمد في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه
في امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل
يريد بالنور محمداً عم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم

مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ من اتبع رضاه بالايمان منهم سُبُلَ السَّلَامِ طُرُقَ السلامة من العذاب
اوسبل الله وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ من انواع الكفر الى الاسلام بِإِذْنِهِ
بارادته اوبتوفيقه وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طريق هو اقرب الطرق الى الله تع
ومؤدّ اليه لامحالة لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ هم الذين قالوا
بالاتحاد منهم وقيل لم يصرّح به احدٌ منهم ولكن لمّا زعموا ان فيه لاهوتًا وقالوا
لا اله الّا واحدٌ لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازمُ قولهم توضيحًا لجهلهم
وتفضيحًا لمعتقدهم قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئًا
إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا احتج بذلك
على فساد قولهم وتقريره انّ المسيح مقدور مقهورٌ قابل للفناء كسائر الممكنات
ومن كان كذلك فهو بمعزلٍ عن الالوهيّة وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره
والمعنى انه تع قادر على الاطلاق يخلق من غير اصلٍ كما خلق السموات والارض
ومن اصلٍ كخلق ما بينهما فينشئ من اصلٍ ليس من جنسه كآدم ع م وكثير من الحيوانات
ومن اصلٍ يجانسه امّا من ذكر وحده كما خلق حوّاء او من انثى وحدها كعيسى او منهما
كسائر الناس وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ اشياع ابنيه
عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزّبير الخبيبون او مقرّبون عنده قرب الاولاد
من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ
فان صحّ ما زعمتم فلم يعذّبكم بذنوبكم فانّ من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب
تعذيبه وقد عذّبكم في الدّنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذّبكم
بالنّار ايّامًا معدودةً بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ممّن خلقه الله تع يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
وهم من آمن به وبرسله وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم معاملة
سائر النّاس لا مزيّة لكم عليه وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كلّها سواء
في كونه خلقًا وملكا له وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ اى الدّين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف
لتقدّم ذكره ويجوز ان لا يقدّر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال
اي جاءكم رسولنا مبيّنًا لكم عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ متعلّق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور
من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبيّن حال من الضمير فيه أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ متعلّق
بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على الارسال

الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السّلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة
والف نبيّ وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمّد عليهما السّلام وكان بينهما ستمائة
او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسيّ وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي
وكانوا احوج ما يكون اليه وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ فارشدكم وشرّفكم بهم ولم يبعث في امّة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء
وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا اى وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون
حتى قتلوا يحيى وهمّوا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم
مالكين لانفسهم وامورهم سمّاهم ملوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسّلوى ونحوها ممّا آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين
عالمي زمانهم يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ارض بيت المقدس سمّيت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطّور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين
وبعض الاردن وقيل الشّام الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ قسمها لكم او كتب في اللّوح المحفوظ
انّها تكون مسكنًا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانّها محرّمة عليهم
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ ولا ترجعوا مدبرين خوفًا من الجبابرة وقيل لمّا سمعوا احوالهم
من النّقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسًا ينصرف بنا الى مصر
او لا ترتدّوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تع فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ثواب
الدّارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنّصب على الجواب قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا
قَوْمًا جَبَّارِينَ متغلّبين لا تتأتّى مقاومتهم والجبّار فعّال من جبره على الامر بمعنى اجبره
وهو الّذي يجبر النّاس على ما يريده وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا
فَإِنَّا دَاخِلُونَ اذ لا طاقة لنا بهم قَالَ رَجُلَانِ كالب ويوشع مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
اي يخافون الله تع ويتّقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى
هذا الواو لبني اسرائيل والرّاجع الى الموصول محذوف اى من الّذين يخافهم بنوا اسرائيل
ويشهد له انّ قرئ الّذين يُخافون بالضّمّ اي من المخوفين وعلى المعنى الاوّل يكون هذا
من الاخافة اي من الّذين يخوّفون من الله بالتذكير او يخوّفهم الوعيد أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا
بالايمان والتّثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ
باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ
فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ لتعسّر الكرّ في المضايق من عظم اجسامهم لا قلوب فيها ويجوز ان
يكون علمهما بذلك من اخبار موسى ع م وقوله كتب الله لكم او ممّا علما من عادته تعالى

فى نصرة رسله وما عهدنا من صنعه لموسى فى قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين اى مؤمنين به ومصدقين بوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا
دخولهم على التأبيد والتاكيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت
وربك فقاتلا انا هٰهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله تع ورسوله وعدم
مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب انى لا املك
الا نفسى واخى قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عم والرجلان المذكوران وان كانا
يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى
فى الدين فيدخلان فيه ويجوز نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا
على الضمير فى لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير
فى نفسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه
وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم
قال فانها اى فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها
بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون فى الارض عامل الظرف اما
محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد
ذلك ما روى ان موسى عم سار بعد بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها
ما شاء الله تع ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع
بعده نبى وان الله تع امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار
الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا
فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها
بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة
فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان
الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضىء لهم وكان طعامهم
المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى عم وهرون كانا
معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما
ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحا بعد ثلثة اشهر ومات
النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به
موسى عم لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم
نبأ ابنى آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توءم الاخر

الاخر فسخط منه قابيل لان توءمه كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل
تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل
وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا
على بنى اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال
من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين اذ قربا قربانا
ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك
الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم
ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد
منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب ارداء قمح عنده وهابيل صاحب
ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله
ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل
لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين فى جوابه
اى انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيها اشارة الى
ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود
محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا يقبل الا
من مؤمن متق لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك
انى اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله
واستسلم له خوفا من الله تع لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن
عند الله المقتول ولا تكن عند الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن
بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه
ولذلك اكد النفى بالباء انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين تعليل للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم
لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه المستبان
ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل
لاجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد
معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا
فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون
المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل

بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كان دعاه الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة
عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل
بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يوارى
سوءة اخيه روى انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت
من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في يوارى والجملة
ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى
احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاوارى سوءة اخي لا اهتدى الى ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على اكون
وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا
اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه
من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وتبرء ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه
فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث آدم
بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه
استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه
واستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه
من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد
والجميع سواء في استجلاب غضب الله تع والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا
الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض
اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم
هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات

بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها وكثير منهم يسرفون
في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون
اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد
ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة والمصدر لان سعيهم كان فسادا
وكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب
ان افرد والقتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء
خلاف في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا
المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار
في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابوح النفي بالحبس واو في الآية على هذا
للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك
لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم
الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى
ويدل عليه قوله تع فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء
يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها
بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين
لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا
الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة
وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول
الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا من صنوف
الاموال ومثله معه ليفتدوا به فيجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة
واللام متعلق بمحذوف يستدعيه اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد
الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تع عوان بين ذلك
او لان الواو في ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان
والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم
تصريح بالمقصود منه وكذا قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها

وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ وقرئ يُخْرَجوا من اخرج وانّما قال وماهم بخارجين بدل ومايخرجون
للمبالغة وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جملتان عند سيبويه اذ
التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اى حكمهما وجملة عند المبرّد
والفاء للسببيّة دخل الخبر لتضمّنها معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق
والتى سرقت وقرئ بالنّصب وهو المختار فى امثاله لانّ الانشاء لايقع خبرًا
الّا باضمار وتأويل والسّرقة اخذ مال الغير فى خفية وانّما يوجب القطع اذا كانت
من حرز والماخوذ ربع دينار اوما يساويه لقوله عم القطع فى ربع دينار فصاعدًا
وللعلمآء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فى ذلك وقد استقصيت الكلام
فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيّده قراءة ابن مسعود ايمانهما
ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنّى كما فى قوله تع فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى انّ المقطع
هو المنكب والجمهور على انّه الرّسغ لانّه عم اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ منصوبان على المفعول له او المصدر ودلّ على فعلهما
فاقطعوا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَنْ تَابَ من السّرّاق مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ اى سرقته
وَأَصْلَحَ امره بالتفصّى عن التبعات والعزم على ان لايعود اليها فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يقبل توبته فلا يعذّبه فى الآخرة امّا القطع فلا يسقط
بها عند الاكثرين لانّ فيه حق المسروق منه أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ الخطاب للنبىّ او لكلّ احد يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ قدّم التعذيب على المغفرة ابتناءً على ترتيب ما سبق اولانّ استحقاق التعذيب
مقدّم اولانّ المراد به القطع وهو فى الدنيا يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ
يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعًا اى فى اظهاره
اذا وجدوا منه فرصة مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ اى
من المنافقين والباء متعلّقة بقالوا لا بآمنّا والواو يحتمل الحال والعطف
وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا عطف على من الذين قالوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ خبر مبتداء محذوف
اى هم سمّاعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتداء ومن
الذين خبره اى ومن اليهود قوم سمّاعون واللّام فى للكذب امّا مزيدة للتأكيد
اولتضمّن السّماع معنى القبول اى قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلّة والمفعول محذوف
اى سمّاعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ اى لجمع آخر
من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبّرًا اوافراطًا فى البغضاء والمعنى

والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم اوسمّاعون منك لاجلهم
وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلّق اللّام بكذب لانّ سمّاعون الثانى مكرّر للتأكيد
اى سمّاعون ليكذبوا لقوم آخرين يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ اى يميلونه
عن مواضعه التى وضعه الله فيها امّا لفظًا باهماله اوتغيير وضعه وامّا معنًى
بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم اوصفة
لسمّاعون اوحال من الضمير فيه اواستيناف لاموضع له اوفى موضع الرّفع خبر
لمحذوف اى هم يحرّفون كذلك يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ اى ان اوتيتم
هذا المحرّف فاقبلوه واعملوا به وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ بل افتاكم محمّد بخلافه فَاحْذَرُوا
اى فاحذروا قبول ما افتاكم به روى انّ شريفًا من خيبر زنا بشريفة وكانا
مُحْصَنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسئلوا رسول الله
عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرّجم فلا فامرهم
بالرّجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكمًا بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى
لا اله الّا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل
فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرّجم
على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذّبته ان ينزل علينا العذاب
فامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب المسجد وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ
ضلالته اوفضيحته فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فلن تستطيع له من الله شيئًا
فى دفعها أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ من الكفر وهو كما ترى
نصّ على فساد قول المعتزلة لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ هوان بالجزية والخوف عن المؤمنين
وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ وهو الخلود فى النّار والضمير للذين هادوا ان
استانفت بقوله ومن الذين والّا فللفريقين سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ كرّره للتاكيد
أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ اى الحرام كالرّشى من سحته اذا استاصله لانّه مسحوت البركة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمّتين وهما كالعنق والعنق وقرئ
بفتح السّين على لفظ المصدر فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ تخيير للرسول
اذا تحاكموا بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه
الحكم وهو قول الشافعىّ والاصحّ وجوبه اذا كان المترافعان اواحدهما ذمّيًا لانّا
التزمنا الذبّ عنهم ودفع الظلم عنهم منه والآية ليست فى اهل الذمّة وعند ابح
يجب مطلقًا وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا بان يعادوك لاعراضك عنهم فانّ
الله يعصمك من النّاس وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بالعدل الذى

امرالله به إن الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف
يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون
به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم
ماقصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون
عليهم وان لم يكن حكم الله فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها
بالظرف وان جعلتها مبتداء فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها
نظيرة للمؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك
ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم
التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا
اوبك وبه إنا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق ونور يكشف
ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده
ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين اسلموا
صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم
بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها
فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون والاحبار هم زهادهم
وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف
ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون
ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس واخشون نهى للحكام ان يخشوا غير الله
فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا بآياتى
ولا تستبدلوا باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم
بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم
بان يحكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره
وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات
الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او الطائفة كما قيل
هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون فى اليهود والفاسقون فى النصارى
وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها فى التورية ان النفس بالنفس اى ان النفس
تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن
رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما فى حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل كتبنا

عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول
او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوعة بالانف
والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف
على المستكن فى قوله بالنفس وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف
والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص اى ذات قصاص وقرأه الكسائى
ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق
من المستحقين به بالقصاص اى فمن عفى عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى فيسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى
فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ ومن لم يحكم
بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم
اى واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون
بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة هدى ونور فى موضع النصب بالحال ومصدقا
لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين
ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف
اى وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله امرتك بان
قم اى وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل
على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى ع م وانه كان مستقلا بالشرع
وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر
وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس
الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا
على سائر الكتب يحفظها عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية
المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تع او الحفاظ
فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى
لا تنحرف او حال من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم يا
ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو

سببا لحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر
اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول
لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم
عليه ولكن ليبلوكم فيما اتيكم من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن
هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون
عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل للامر
بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين الحق والباطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل
الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم على الحق اي انزلناه
بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع
اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي بان
يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم
فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا
اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك فنصدقك فابى ذلك
رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد
الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله تع فعبر عنه بذلك
تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع عظمته واحد منها معدود من جملتها
وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس
حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون افحكم
الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية
الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا
رسول الله ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ
برفع الحكم الجاهلية على انه مبتداء ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة
كما في قوله تع اهذا الذي بعث الله رسولا واستصعب ذلك في غير الشعر وقرئ
الحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية يحكم بحسب شهوتهم وقراء ابن

ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله تع هيت لك اي هذا الاستفهام
لقوم يوقنون فانهم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بافكارهم فيعلمون
ان لا احسن حكما من الله تع يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء
بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم
في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم
منكم فانه من جملتهم وهذا تشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عم لا تترائى
ناراهما اولانه لا الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدي القوم الظالمين
اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى
الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم
ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم
دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار روي
ان عبادة بن الصامت رض قال لرسول الله عليه السلام ان لي موالي من اليهود
كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله
فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله
ان ياتي بالفتح لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع
شافة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم
فيصبحوا اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم نادمين على
ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما اشعر
على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على
انه كلام مبتداء ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على
انه جواب قائل يقول فماذا يقول المسلمون ح وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب
عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول
الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله تع داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر
لما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح وبقول المؤمنين
فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا
بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم

بالمعاضدة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو
في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم
فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر
لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او
من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم
وما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل
نافع وابن عامر وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات
التي اخبر الله تع عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في اواخر عهد رسول الله
ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ باليمن
واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله من غدها واخبر
الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة
اصحاب المسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين فحاربه ابو بكر رض بجند المسلمين وقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله خالدا فهرب بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رض سبع فزارة قوم عيينة بن حصين
وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم
مالك بن نويرة وبعض تميم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة
قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم
على يده وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف
يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روي انه ع م اشار الى ابي موسى
الاشعري وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه ع م سئل عنهم فضرب يده على عاتق
سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع
وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى
من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تع للعباد ارادة
الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة
طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف

العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون
لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ
بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة
ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة
في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال
المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون
شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له
والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم
ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الموالاة لله تع على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين
على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين آمنوا فانه جرى مجرى
الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم
وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة
حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رض حين سأله سائل وهو راكع
في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي
المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد
ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس
في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة
لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا
ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع
الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله
وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهر الاسلام
ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم
دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة
جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جر وهم

ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عمّ اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة
لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس
على الحق رأسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرّفه عن الصواب كاهل الكتاب
ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي إن كنتم مؤمنين لان الايمان
حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده وإذا ناديتم إلى الصلوة
اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان
مشروع للصلوة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا
رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير
شرره في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل
بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون
منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم منه اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف
وهو لغة الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة
اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او الا الايمان
بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان
آمنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون
ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم
ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله
عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين
سمعوا ذكر عيسى عم لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك
المتقدم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز
عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على
حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر
محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم
وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم
خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عم وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت
شبانهم ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عُبد
الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعَبُد الطاغوت بمعنى صار معبودا

معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عَبُد
على انه نعت كفَطُن ويَقُظ او عُبَد الطاغوت على انه جمع كخُدَم او واصله عَبَدة
فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبدِ الطاغوت بالجر عطفه
على مَن والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى
اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على
شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط
بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلال وإذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا
رسول الله او في عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون
من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر
وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع
حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول عم
يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اي من اليهود او المنافقين يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب
لقوله تع عن قولهم الاثم والعدوان الظلم ومجاوزة الحد في المعاصي وقيل الاثم
ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصّه بالذكر
للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوا لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل
على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون
ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرّب فيه وتروّ
وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتّر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز
عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور
ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجاز
المركب شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله تع لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والمسكنة او بالفقر
والنكد او بغل الايدي حقيقة يغللون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار في الآخرة
فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره

بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه واثباتا لغاية الجود
فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والاخرة
وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اى هو
مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته
لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل
بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما
لذلك والاية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود
ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا عم واشرك فيه الاخرون لانهم
رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القران كما يزداد
المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول عم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا
حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى
ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة
اوقدوا او صفة نارا ويسعون فى الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم
فى الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين
فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد عم وبما جاء به واتقوا
ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اى التى فعلوها ولم نؤاخذهم
بها ولادخلناهم جنات النعيم وجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم
معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابى
لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما
من نعت الرسول عم والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعنى سائر
الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مطلعون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم
بركات من السماء والارض او يكثر ثمرات الاشجار وغلة الزرع او يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض
بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم

ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين
منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد عم
وقيل مقتصدة متوسطة فى عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اى بئس ما يعملونه
وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه
او الافراط فى العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع
ما انزل غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل فان لم تبلغ جميعه
كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى
منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا
منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء فى الشناعة
واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض
الاعادى وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون
بك وعن النبى عم بعثنى الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله ان لم تبلغ رسالتى
عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رض كان رسول الله يحرس حتى نزلت فاخرج
راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى الله من الناس فظاهر الاية
يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله
اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب
لستم على شئ اى دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد عم والاذعان لحكمه فان الكتب
الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد
اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم
وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير
ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
وانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق وهو
كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها
يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون
والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده

كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف ولا يجوز عطفه على
محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر
المبتداء وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد
والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع
بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو ومن
امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتداء كما مر والراجع محذوف اى من امن
منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا
او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد
اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم
كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق
التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع
محذوف اى رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جئ
بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل
وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاى
وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرء ابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب ان لا يكون
بالرفع على ان ان هى المخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون وادخال فعل الحسبان
عليها وهى للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه فى قلوبهم وان او ان بما فى حيزها
ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق
كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم
ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تع عماهم وصمهم اى رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير
او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلونى البراغيث او خبر مبتداء محذوف اى العمى
والصم كثير منهم وقيل مبتداء والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر
فى مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم
اى انى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله فى عبادته

فى عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع
من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأويه النار فانها
المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر
موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
ان يكون تمام كلام عيسى ءم وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك
تعظيما لعيسى ءم وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره
لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اى احد ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية
والملكائية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة جمع اقنوم بمعنى الاصل وما سبق فى قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدء جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون وان لم يوحدوا ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا
من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب
على من داوم على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله
ويستغفرونه الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد والاقوال الزايغة ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور
رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم
ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل
قبله خصه الله بايات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها
حية تسعى على يد موسى ءم وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام
وهو اغرب وامه صديقة كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن
الانبياء كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما
من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله
ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة
الفاسدة ثم تعجب ممن يدعى عن الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال
انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق
وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها
اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى
عيسى ءم وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك

ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرًا
الى ما هو عليه فى ذاته وتوطئة لنفى القدرة عنه رأسًا وتنبيهًا على انه من هذا الجنس
وما كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر
لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بالاقوال والعقايد
فيجازى عليها ان خيرًا فخيرًا وان شرًا فشرًا قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِى دِينِكُمْ غَيْرَ
الْحَقِّ اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية كالنصارى اوتضعوه فتزعموا انه
بغير رشدة كاليهود وقيل الخطاب للنصارى خاصة وَلَا تَتَّبِعُوا اَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ يعنى
اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد عم فى شريعتهم وَاَضَلُّوا كَثِيرًا
من شايعهم فى على بدعهم وضلالهم وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ عن قصد السبيل الذى هو
الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى اِسْرَائِيلَ عَلٰى
لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل
ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود عم فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا
دعا عليهم عيسى عم ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذٰلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ اى لا ينهى بعضهم بعضًا
عن معاودة منكر فعلوه اوعن مثل منكر فعلوه اوعن منكر ارادوا فعله وتهيؤا له
اولا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ تعجيب من سوء فعلهم مؤكدًا بالقسم تَرٰى كَثِيرًا مِنْهُمْ من اهل الكتاب
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ يوالون المشركين بغضًا لرسول الله والمؤمنين لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ اَنْفُسُهُمْ اى لبئس شيئًا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة اَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ
وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود
فى العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئًا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِىِّ يعنى نبيهم وان كان الاية فى المنافقين فالمراد نبينا
وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ اَوْلِيَاءَ اذ الايمان يمنع ذلك وَلٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
فَاسِقُونَ خارجون عن دينهم اومتمردون فى نفاقهم لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
لِلَّذِينَ اٰمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع
الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم
وَلَتَجِدَنَّ اَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ اٰمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا اِنَّا نَصَارٰى للين جانبهم وقلة حرصهم

على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذٰلِكَ بِاَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ
وَرُهْبَانًا وَاَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن قبول الحق اذا فهموه اويتواضعون ولا يتكبرون
كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات
محمودة وان كانت فى كافر وَاِذَا سَمِعُوا مَا اُنْزِلَ اِلَى الرَّسُولِ تَرٰى اَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تابيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء
للمبالغة اوجعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ
من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا اوللتبعيض وانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يَقُولُونَ رَبَّنَا اٰمَنَّا بذلك او بمحمد
فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته اوامته الذين هم
شهداء على الامم يوم القيمة وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ
اَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ استفهام انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول فى مداخلهم
اوجواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى
الفعل اى واى شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله تع اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين
اوبكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيمًا
ونطمع عطف على نؤمن اوخبر محذوف والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها
عامل الاولى مقيدًا بها اوتؤمن فَاَثَابَهُمُ اللّٰهُ بِمَا قَالُوا اى عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان اى معتقده جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ
جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ الذين احسنوا النظر والعمل اوالذين اعتادوا الاحسان فى الامور
والايات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله بكتابه
فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين
فامر جعفرًا ان يقراء عليهم القران فقراء سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت
فى ثلثين اوسبعين رجلًا من قومه وفدوا على رسول الله فقراء عليهم سورة يس فبكوا
فبكوا وامنوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ عطف
التكذيب بايات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم فى معرض مقابل المصدقين بها جميعًا بين الترغيب والترهيب يَا اَيُّهَا الَّذِينَ
اٰمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله
مدح النصارى على رهبتهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهى

عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا
إن الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى
ما حرم عليكم فيكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية
الى القصد بينهما روى ان رسول الله وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ فى انذارهم
فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان
لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم انى
لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم
وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى
ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما احل لكم وطاب مما رزقكم الله
فيكون حلالا مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون
من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان يكون مفعولا وحلالا حال من الموصول
او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن
لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه
ذهب الامام الشافعى وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب
ابو حنيفة رحمه الله وفى ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ
حمزة والكسائى وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر برواية ابن ذكوان
عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اى الفعلة التى تذهب
اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا
للحنفية لقوله عم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت
الذى هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده
فى النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط
ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء
على لغة من يسكنها فى الاحوال الثلثة كالالف وهو جمع اهل كالليالى فى جمع ليل والاراضى
فى جمع ارض وقيل هو جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل

ان جعل بدلا وهو ثوب يغطى العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار
وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة فى قدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون
اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف
فى محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق
انسان وشرط الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب
احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين فمن لم يجد اى واحدا
منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع
لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا
ولم ترو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اذا حلفتم
وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان
تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك
اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرايعه لعلكم تشكرون
نعمة التعليم او نعمته الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج
منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى
نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها فى اول السورة رجس قذر
تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف
او المضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان
لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى
لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تع اكد تحريم الخمر والميسر
فى هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما
رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب
وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك
بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح
ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام
للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن
وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد
عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث

على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبًا على ما تقدم من انواع الصوارف وقال
فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار
قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه
او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم
لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله تع
اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم واثبتوا على الايمان
والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا
ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا
بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين
ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان
بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان بالاحسان
فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبداء والوسط
والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها
عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل
ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله
بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد
وكانت الوحوش تغشيهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا
برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير فى بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التى
تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند
ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب
منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم
وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب
اليم والوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه فى مثل ذلك ولا يراعى حكم الله تع فيه فكيف به
فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اى محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عم يقتلن فى الحل والحرم الحداة

الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب
مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف فى ان هذا النهى هل يلغى حكم الذبح فيلحق
مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثنى اولا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب
ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذلك
ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد فى ايجاب الضمان بل لقوله تع
ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية
حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء
والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه
لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف
ما لم يتم بها وانما يكون صفة وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل
كما فى قوله مثلى لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
على فليجز جزاء او فعليه ان يجزى جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار
الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى والقيمة عند ابى ح رحمه الله وقال يقوم الصيد حيث
صيد فان بلغت ثمن هدى يخير بين ان يهدى ما قيمته قيمته وبين ان يشترى بها طعاما
فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل
مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق
يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره فى خبره او منه اذا
اضفته او وصفته وان رفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد
يحتاج المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل
على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء فى به او من جزاء وان نون
لتخصصه بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ
الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم
والتصدق به ثمة وقال ابو ح يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف
على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه
او خبر محذوف اى هى طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعى او ان يكفر باطعام مساكين ما يساوى قيمة الهدى
من غالب قوت البلد فيعطى كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم
فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو فى الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر
العين وهو ما عدل بالشيء فى المقدار كعدلى الجمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز

للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اى فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق
ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الشرع
واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفى الله عما سلف من قتل الصيد محرما
فى الجاهلية او قبل التحريم او فى هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو
ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكى عن ابن عباس وشريح
والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش
الا فى الماء وهو حلال كله لقوله عم فى البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو ح رحمه الله
لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره فى البر وطعامه ما قذفه او نضب
عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة
اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اى ما صيد فيها او الصيد فيها
فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور
على حله لقوله عم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم
حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذى اليه تحشرون
جعل الله الكعبة صيرها وانما سمى البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان
على جهة المدح او المفعول الثانى قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم فى امر
معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه
الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر
على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام
والهدى والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو
ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر
بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض فان
شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المرتبة عليها دليل حكمة الشارع
وكمال علمه وان الله بكل شئ عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا
ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انهتك محارمه
ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد فى ايجاب
القيام بما امر به اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر فى التفريط والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوى
الخبيث والطيب حكم عام فى نفى المساواة عند الله بين الردى من الاشخاص
والاعمال والاموال وجيدها رغب به فى صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك

ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله
يا اولى الالباب اى فاتقوه فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل
لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روى انها نزلت فى حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا
لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل
القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى
لا تسئلوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسئلوا عنها فى زمان
الوحى تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم والعاقل
لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلب لامه فجعلت لفعاء
وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شيئ كهين او شيئ كصديق
فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها
اذ روى انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك
أكل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت لما استطعتم فاتركونى ما تركتكم فنزلت او استيناف
اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم
لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رض انه عم كان
يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل
عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار وقال آخر من ابى فقال حذافة
وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة التى دل عليها تسألوا
ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس
صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون للجثة ولا حالا لامنها ولا خبرا عنها
ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا جحودا او انكارا
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه
وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا
سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها
كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم
وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة

ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل الله
ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة وَلٰكِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ بتحريم ذلك ونسبته اليه وَاَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والامر من الناهى ولكنهم يقلدون
كبارهم وفيه اشارة الى ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة
وتقليد الاباء ان يعترفوا به وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اِلٰى مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَاِلَى الرَّسُولِ قَالُوا
حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ اٰبَاءَنَا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم
سواه اَوَلَوْ كَانَ اٰبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال والهمزة دخلت
عليها لانكار الفعل على هذا الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة
ضالين والمعنى ان التقليد انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة
فلا يكفى التقليد يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا عَلَيْكُمْ اَنْفُسَكُمْ اى احفظوها والزموا صلاحها
والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ اِذَا اهْتَدَيْتُمْ لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من راى منكم منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والاية نزلت
لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له
سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء
المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره
ويضيره ويضوره اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ
اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية واضافتها الى الظرف
على الاتساع وقرئ شهادةٌ بالنصب والتنوين على ليقم اِذَا حَضَرَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حِينَ الْوَصِيَّةِ بدل منه وفى ابداله
تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر اِثْنَانِ فاعل شهادة ويجوز
ان يكون خبرها على حذف المضاف ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ اى من اقاربكم او من المسلمين وهما
صفتان لاثنان اَوْ اٰخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله
منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا اِنْ اَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْاَرْضِ اى سافرتم فيها
فَاَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ اى قاربتم الاجل تَحْبِسُونَهُمَا تقفونهما وتصبرونهما صفة

صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض
فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر فمن غيركم او استيناف
كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما مِنْ بَعْدِ الصَّلٰوةِ صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة وقيل اى صلوة فَيُقْسِمَانِ بِاللّٰهِ
اِنِ ارْتَبْتُمْ ان ارتاب الوارث منكم لَا نَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض
يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا
من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا بالطمع وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبٰى ولو كان المقسم له قريبا منا
وجوابه ايضا محذوف اى لا نشترى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّٰهِ اى الشهادة التى امرنا باقامتها
وعن الشعبى رحمه الله انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن اِنَّا اِذًا لَمِنَ الْاٰثِمِينَ
اى ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون
فيها فَاِنْ عُثِرَ فان اطلع عَلٰى اَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا اِثْمًا اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فَاٰخَرَانِ
فشاهدان اخران يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ من الذين جنى عليهم وهم الورثة
وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الْاَوْلَيَانِ الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر اخران او مبتدأ خبره اخران او بدل منهما
او من الضمير فى يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة
او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان
واعرابه اعراب الاوليان فَيُقْسِمَانِ بِاللّٰهِ لَشَهَادَتُنَا اَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا اصدق منها واولى
ان تقبل وَمَا اعْتَدَيْنَا اى وما تجاوزنا فيها الحق اِنَّا اِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الموضعين الباطل
موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغى ان يشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان
لم يجدهما بان كان فى سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف اخران
من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض
يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين
فان تصديق الوصى باليمين لامانته وهذا كمن اقر لاخر بدين ثم ادعى انه قضاه ترد اليمين
الى المدعى الدين او لتغير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة
وكانا نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض
بديل فدون ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه

الى اهله ومات ففتشناه واخذنا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله فنزلت
يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى
سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهم بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه
منه ولكن لم تكن عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله
فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى رفاعة السهميان
وحلفا ولعل تخصيص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدم او تحليف
الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من تحريف
وخيانة او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين
بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم
الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله يوم يجمع الله
الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا
على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر فيقول
اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ماذا فى موضع المصدر او باى شئ اجبتم
فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ الوائد ولذلك
قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلم
مما اجابونا واظهروا لنا وما نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم
ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم
لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم
بقوله انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام نصب على الاختصاص
او النداء وقرا ابو بكر وحمزة اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك
وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة نادى اصحاب الجنة والمعنى انه
يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات
فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر
اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتى او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس
بجبرائيل او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية ويطهر من الماثم ويؤيد
قوله تكلم الناس فى المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى

فى الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحال الكهولة فى كمال
العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب
والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى
سبق تفسيره فى ال عمران وقرا نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر
واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات
ظرف كففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذى جئت به
وقرا حمزة والكسائى ساحر فالاشارة الى عيسى عم واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم
على السنة رسلى ان امنوا بى وبرسولى يجوز ان يكون ان مصدرية وان يكون مفسرة
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب
باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه
الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل
يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائى
تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان
اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او ماده اذا اعطاه كانها تميد
من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال
ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان قالوا نريد
ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها
وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم
ان قد صدقتنا فى ادعاء النبوة وان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين
اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم
لما راى ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن
على جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا واخرنا
وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة واية عطف على عيدا منك صفة لها
اى اية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها

وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قَالَ اللهُ إِنِّي
مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ اجابة الى سوالكم فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا اى تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لَا أُعَذِّبُهُ الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد ما يعذب به
على حذف حرف الجر أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ اى عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة
وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين الغمامتين وهم
ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكا عيسى ع م وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكا ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما
وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة
ارغفة على واحد زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه
الله بقدرته كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله تع فاضطربت ثم قال لها
عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم
اربعين يوما غبا ويجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا
فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم ياكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ
ولا يمرض ابدا ثم اوحى الله تع الى عيسى ع م ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء
والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله
انزالها بهذه الشريطة استغفروا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل
ضربه الله تع لمقترح المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقايق المعارف
فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقايق
ولم يستعدوا للوقوف عليها وقال عيسى ع م ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيه فسال لاجل اقتراحهم
فبين الله تع ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا وَإِذْ قَالَ اللهُ
يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ يريد به توبيخ
الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون
اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده
مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق

باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تع وكانه قيل
اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تع قَالَ سُبْحَانَكَ اى انزهك تنزيها
من ان يكون لك شريك مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ما ينبغى لى ان اقول قولا
لا يحق لى ان اقول إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ تصريح
بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ عطف
بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا
ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ولا يجوز
ابداله مما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة
لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر
بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان مثل ما امرتهم الا ما امرتنى به
ان اعبدوا الله وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا
ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي بالرفع
الى السماء لقوله تع انى متوفيك ورافعك والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت
نوع منه قال الله تع الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها كُنْتَ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد
الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ مطلع عليه مراقب له إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ اى ان تعذبهم فانك
تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم
استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب
الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت
ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد
والتعليق بان قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقرا نافع يوم بالنصب
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى
من كلام عيسى ع م واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل
وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان

حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا
عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل
شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن
تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم لان غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى
الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية
ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبي عليه السلام من قرأ
سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مائة وستون وخمس آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تع حقيق بالحمد ونبه على انه
المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع
السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما
والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين
ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية
وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور
الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم
ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم
حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله تع
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته
ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد
عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم لاستبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول
متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل
وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به
هو الذي خلقكم من طين اي ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم عم الذي
هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل
مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث
فان الاجل كما يطلق لاخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل

وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك
استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي
مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة
ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم
وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة
فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد
والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع
وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو
المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تع وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله
يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون
المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف
مستقر وقع خبرا بمعنى انه تع لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له
وليس متعلق المصدر لان صلته لا يتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر
فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق
والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات
القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين
عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن
وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند
نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون
سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم او اعطيناهم
من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم
من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال
والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة
فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب

والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا
واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تع كما قدر على ان يهلك من قبلكم
كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس
لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه
الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله تع وانا
لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل
عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله تع لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع لما اقترحوه
والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق اهلاكهم فان سنة
الله تع قد جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب
وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك
وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه
او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبرائيل فى صورة دحية الكلبى فان القوة البشرية
لا تقوى على رؤية الملك فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية
وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحدة ولبّسنا بالتشديد للمبالغة
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله على ما يرى من قومه فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به حيث
اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه
وبين قوله قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هنا
ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل
لمن ما فى السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة
التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته
والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم
الى يوم القيمة استئنافا وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور

فى القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة والى بمعنى فى
وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
او فى الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر
فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب على خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار
على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على الله ما سكن فى الليل والنهار من
السكنى وتعديته بفى كما فى قوله تع وسكنتم فى مساكن الذين والمعنى ما اشتملا عليه
او من السكون فيهما وتحرك واكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع لكل مسموع
العليم لكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم
قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة
والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن
ابن عباس رض ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها
اى ابتدأتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثانى
من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تع يقبض ويبسط
قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى عم سابق امته فى الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم
عظيم مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ
فقد رحمه اى يصرف العذاب وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان
الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه
نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر
ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير
بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظه وادامته ولا يقدر
غيره على دفعه لقوله تع فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره
وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا

احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سالنا عنك
اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك
انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه فى سورة البقرة
قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتداء شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد ويجوز
ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان الشهيد كان اكبر شئ شهادة
واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر
من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله
ومن بعدهم وانه لا يؤخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة
اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد
اى اشهد ان لا اله الا هو وانني برئ مما تشركون يعنى الاصنام الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته المذكورة فى التورية والانجيل
كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين
فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب باياته كان كذب
بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان
كلا منهما بالغ غاية الافراط فى الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون
فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول
للذين اشركوا اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله وقرء يعقوب يحشر
ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء الله فحذف المفعولان والمراد
من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم ليفقدوها فى الساعة التى
علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم تنفعوهم فكانهم غيب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه
كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرء ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالياء وفتنتهم
بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا
والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا
مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة

والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا
مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها
وحمله على كذبهم فى الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له
كما يحلفون لكم وقرء حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله
يقرء وقالوا للنضر ما تقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقوله الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم به وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا
يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها
لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات
الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تبعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب
ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب
ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطار جمع سطر واصله السطر
بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون
عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب
وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم
الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى ولو تريهم حين يوقفون على النار
حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرايت امرا شنيعا
وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع
الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استينافا كلام منهم على وجه الاثبات
كقولهم دعنى ولا اعود اى انا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه
فيكون فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة
ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرء ابن عامر برفع الاول
على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة
الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا
ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الظهور والوقوف
لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا

عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا واستينافٌ بذكر ما قالوه في الدنيا إِنْ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الضمير للحيوة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق
التعريف قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم ح والهمزة للتقريع على التكذيب
والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا اقرار مؤكد باليمين
لانجلاء الامر غاية الجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او ببدله
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم الابدي واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء
الله البعث وما يتبعه حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم
لا غاية له بَغْتَةً فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانه نوع من المجئ قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا
اي تعالي فهذا اوانك عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا قصرنا فِيهَا في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر
ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ بئس شيئا يزرونه
وزرهم وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس
ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا
الدنيا وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله
للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار
الآخرة أَفَلَا تَعْقِلُونَ اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء على خطاب
المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ معنى قد
زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان
وقرئ ليحزنك من احزن فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا
يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ
يَجْحَدُونَ ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب
روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به
فنزلت وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ تسلية لرسول الله وفيه دليل على ان قوله لا
يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا على تكذيبهم وايذائهم
فتأس بهم واصبر حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآية وَلَقَدْ جَاءَكَ
مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ

إِعْرَاضُهُمْ عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا
فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية
او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة
لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب الشرط الثاني
محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه
وانه لو قدر ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ اي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى
يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم
على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ
يَسْمَعُونَ اي يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله تع او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء
كالموتى الذين لا يسمعون وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ يعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ
يُرْجَعُونَ للجزاء وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى
ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً
مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان
لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وَمَا مِن دَابَّةٍ
فِي الْأَرْضِ يدب على وجهها وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ في الهواء وصفه به قطعا لمجاز
السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم محفوظة احوالها
مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى مَّا فَرَّطْنَا
فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق
لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين
مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد
عدي بفي الى الكتاب وقرئ فرطنا بالتخفيف ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعني الامم كلها فينصف
بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رض حشرها موتها
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه
وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وَبُكْمٌ لا ينطقون بالحق فِي الظُّلُمَاتِ خبر ثالث
اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون

حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشا الله اضلاله يضلله وهو دليل
واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله
عليه قل ارأيتكم استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل لها من الاعراب
لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت
الفعل الى ثلثة مفاعيل وللزم في الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول
محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما اتى
من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت
لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه
تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشاء
في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول
على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسون من شدة الامر وهوله ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين
بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما صفتا تانيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا
معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم ولكن قست قلوبهم وزين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع
وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شئ
من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف
حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم
والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع دابر
القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه
والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص
لاهل الارض من شرهم وشوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان غطى عليها
ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه

عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها
قل ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن
بحلوله وقيل ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك به هلاك سخط
وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك
بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم
فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله اى مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي
ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اى من جنس
الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على
فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم
او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه
وانذر به الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون
في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال
من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
هؤلاء وتقريبهم وان لا تطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال
ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم روى ان عمر رض قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا فاكتب كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رض ليكتب
فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوة الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة
يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه

بذلك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ما عليك
من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء اى ليس عليك حساب ايمانهم عند الله
اعظم من ايمان من تطردهم لسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم
واصلاحهم الى ان تسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون
وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك
لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
لا تأخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه
فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفى فتكون من الظالمين جواب النهى وجوز عطفه
على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك
الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين
فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن
الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة
الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منهم الايمان والشكر
فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان
بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم
او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم
الجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل
ويبشر من الله تع بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى عم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل
منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح
على البدل منها بجهالة فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه
من المضار والمفاسد كعمر رض فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل السوء واصلح
بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع
على اضمار مبتدأ او خبر اى فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الايات ايات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين

الاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح
يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالرفع والياء
على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الايات
ليظهر الحق وليستبين قل انى نهيت صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل
علىّ من الايات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون
من دون الله او ما تدعونها آلهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ
ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة
ولا يقلد قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين
اى فى شىء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة
تنبيه على ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى
تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى او الحجج العقلية او ما يعمهما من ربى
من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربى
اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به
يعنى العذاب الذى استعجلوه بقوله فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اى القضاء الحق او يصنع الحق
ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء
الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم
يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندى
اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به من العذاب لقضى الامر بينى وبينكم لاهلكتكم
غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين فى معنى استدراك كانه قال
ولكن الامر الى الله تع وهو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم وعنده مفاتح
الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفتح
الذى هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح الغيب والمعنى انه المتوصل
الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما فى تعجيلها وتاخيرها
من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه
تع يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما فى البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه
بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات وما تسقط من ورقة الا يعلمها

مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب
المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع على العطف على محل ورقة
او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم
استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان
اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب
جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى
اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم
ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون
كالجيف بالليل وكاسبون الآثام بالنهار وانه مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل ومن كسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة
تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب
عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده
واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى
اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف
ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي
يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ
لا حكم لغيره وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله
حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة
للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو
كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى
واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خيفة
بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون
لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة
قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع

وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده
راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط
عليهما السلام واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون
وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم
يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة
لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل
بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون
وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما
انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت
استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم
فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات
لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي
وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد التذكرة مع القوم
الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح
اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء شيء مما يحاسبون عليه ولكن
ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه
على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات
لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين
يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقويهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت
وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود
عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم
الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو
ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني
ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم

وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت
مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه
اسد باسل لان فريسته لا تفلت ومنه الباسل للشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل
عليك اى حرام ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل
كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل
نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها
عدل فانها المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم
القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد
وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب
كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا
وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا
الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال
من هوى يهوى اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل
نرد اى مشبهين بالذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى
الى ان يهدوا الطريق المستقيم او يهدونه الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية
للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى
وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان
هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل زائدة
وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او
على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر رض دعا
اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر رسول الله بهذا القول اجابة عن الصديق
وتعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة
والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف
على السموات او على الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء وخبر
او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون
الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك

الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف
بيان وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائل ويعقوب وقيل العلم تارخ
وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او انه نعت
مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كتالخ وعابر وقيل اسم صنم يعبده
فلقب به للزوم عبادته واطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل
مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه
ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم على النداء
وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك
نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ بالتاء ورفع الملكوت
ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل
عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين
اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق
من طريق النظر والاستدلال وجن الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى
وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم
ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته
او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان
الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية فلما رأى
القمر بازغا مبتدئا فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم
الضالين استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه
ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية فان من اتخذه
الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير وصيانة
للرب عن شبهة التأنيث هذا اكبر كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت
قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص
يخصصها ثم لما تبرأ عنها وتوجه الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه
فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذى

يعبدونه في وسط السماء حين حلول الاستدلال وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ وخاصموه في التوحيد
قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وَقَدْ هَدَانِ
الى التوحيد وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ اى لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها
ولا تنفع إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه
من آلهتهم وتهديدهم من عذاب الله تع وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كانه علة الاستثناء اى
احاط به علماً فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ
أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع وتسوية بين
المقدور العاجز والقادر الضار النافع مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ما لم ينزل باشراكه
كتابا او لم ينصب عليه دليلا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ اى الموحدون او المشركون
وانما لم يقل اينا ام انا انتم احترازا من تزكية نفسه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ بما يحق ان يخاف منه
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ استئناف
منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روى
ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم على نفسه فقال عم
ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم
وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك
به وقيل المعصية وَتِلْكَ اشارة الى ما احتج به ابراهيم عم على قومه من قوله فلما جن
الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ارشدناه
اليها وعلمنا اياها عَلَى قَوْمِهِ متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله
اى آتينا ابراهيم حجة على قومه نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون
ويعقوب بالتنوين إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ في رفعه وخفضه عَلِيمٌ بحال من يرفعه واستعداده له
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا اى كلا منهما وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ اى من قبل ابراهيم
عد هداه نعمة على ابراهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ
الضمير لابراهيم عم اذ الكلام فيه وقيل لنوح عم لانه اقرب ولان يونس ولوطا عليهما السلام
ليسا من ذرية ابراهيم عم فلو كان لابراهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الآية
والتي بعدها والمذكورون في الآية الثالثة عطف على نوحا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ
ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
اى نجزي المحسنين جزاء مثل جزينا ابراهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم
وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت

البنت وَإِلْيَاسَ قيل هو ادريس جد نوح عليهما السلام فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى
وقيل هو من اسباط هرون اخ موسى عليهما السلام كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ الكاملين في الصلاح وهو
الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة
والكسائي والليسع وعلى القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد كما في قوله
رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله وَيُونُسَ هو يونس بن متى
وَلُوطًا هو هاران بن اخ ابراهيم عم وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ بالنبوة وفيه دليل على فضلهم
على عدا هم من الخلق وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ عطف على كلا او نوحا اى فضلنا
كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا
ولا مهديا وَاجْتَبَيْنَاهُمْ عطف على فضلنا او هدينا وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تكرير
لبيان ما هدوا اليه ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ اشارة الى ما دانوا به يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ دليل
على انه متفضل بالهداية وَلَوْ أَشْرَكُوا اى اشركوا هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم
لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها أُولَئِكَ الَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يريد به الجنس وَالْحُكْمَ الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
وَالنُّبُوَّةَ والرسالة فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا اى بهذه الثلثة هَؤُلَاءِ يعني قريشا فَقَدْ وَكَّلْنَا
بِهَا اى بمراعاتها قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم
وقيل هم الانصار او اصحاب النبي عم وكل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ فاختص طريقهم بالاقتداء
والمراد بهديهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل
على انه عم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة
كابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل
خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اى على التبليغ او القرآن أَجْرًا اى جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين
وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه إِنْ هُوَ اى التبليغ او القرآن او الغرض إِلَّا ذِكْرَى
لِلْعَالَمِينَ الا تذكيرا وعظة وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام
على العباد إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ حين انكروا الوحي وبعثة الانبياء وذلك
من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه
المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم
والزامهم بقوله قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ وقرأة الجمهور

يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قراه بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا
على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على جهلهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك بن الصيف
قال لما اغضبه الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله
يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان
من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد عم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية
وبيانا لما التبس عليكم وعلى اباءكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزل
الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على
انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ
والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من المفعول
او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير
الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى
عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى
انزلناه وانما سميت مكة لانها قبلة اهل القرى ومحجتهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا
وقيل لان الارض دحيت (اي بسطت) من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر
عن عاصم بالياء اي ولينذر الكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق الآخرة خاف العاقبة ولا يزال
الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي عم والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة
وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم
انه بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما
نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر
قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها
فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن
كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
في غمرات الموت شدائده من غمرة الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم

لقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا
من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به
وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون
على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته
تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بالحساب والجزاء ولقد جئتمونا للحساب والجزاء
فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان
والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ
فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اي على الهيئة
التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى
اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم
وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف اسند
اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه
واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم بطل وضاع ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات
والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو
من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت
من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله
يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الذي تحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة
الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس الذي يليه والاصباح
في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ
فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه
من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه
ونصبه بفعل دل عليه جاعل فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل

حملاً على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه
مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفاً على
محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدر وقرئا بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اى مجعولان حسباناً اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات
ويكونان علم الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب
وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلها حسباناً اى ذلك التسيير بالحساب
المعلوم تقدير العزيز الذى قهرها وسيرها على الوجه المخصوص العليم بتدبيرها والانفع
من التداويل الممكنة لها وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق
وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم
قد فصلنا الآيات بيناها فصلاً فصلاً لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو
الذى انشأكم من نفس واحدة هو آدم فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار
فى الاصلاب وفوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول
اى فمنكم قار ومنكم مستودع فى الارحام لان الاستقرار منا دون الاستيداع
قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع
ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء
ماءً من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شىء
نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المختلفة المفتنة بماء
واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات
او الماء خضراً شيئاً اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو خارج من الحبة المتشعب
نخرج منه من الخضر حباً متراكباً وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان
اى واخرجنا من النخل نخلاً من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها
بدل منه والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو اعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع
دانية قريبة من المتناول او ملتفة قرب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها
لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على كل شىء وقرئ بالرفع على
الابتداء اى ولكم او وثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج

لا يخرج من النخل والزيتون والرمان عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين
الصنفين عندهم مشتبهاً وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك
متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة واللون والقدر والطعم انظروا الى ثمره اى
ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة
وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلاً لا يكاد ينتفع به
وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخماً ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر
ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه
ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اى لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان
حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال
لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به
والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسماهم جناً لاجتنانهم تحقيراً لشانهم او الشياطين لانهم
اطاعوهم كما يطاع الله تع او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا
جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال
منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة وخلقهم
حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن
لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفاً على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء
اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا
له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة
بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلاً وهو فى موضع
الحال من الواو او المصدر اى خرقاً بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له
شريكاً او ولداً بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد
سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اى من اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ
بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم

لايخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال
على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبتدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس
ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها
والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة
والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه
فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتداء الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء
اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل
اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم
ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة
النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو
ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما فلعله مخصوص
ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار
كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك
الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة
ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن
سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به
فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله تعالى هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها
وهذا الكلام ورد على لسان الرسول عم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف
وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال
وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم
وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب
درست من الدروس اي قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست
بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا عم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة
ودرسن اي عفون ودرس محمد عم ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية

راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى
او للقران وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك
بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن
جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم
وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع
وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم باموره ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله اي لا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله
عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرا يعقوب
عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عم كان يطعن في آلهتهم
فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها
فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير
والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر
وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله
جهد ايمانهم مصدر في موضع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم
على الرسول في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم
ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس
بشيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها
اي الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب
مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون
بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل
للمشركين اذ قرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم
فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم
عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم

فلا يبصرون فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم
فى طغيانهم يعمهون ندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ يقلب ويذرهم
على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا كما اقترحوا لولا انزل علينا الملائكة
فأتوا بآبائنا او تأتى بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشرنا
وانذرنا به او جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو
قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون
فى حال الا فى حال مشية الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن
اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على
ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او لكن اكثر
المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك
جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل على ان
عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين
وهو بدل من عدوا او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به
او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض
الجن الى بعض او بعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا
زينه غرورا مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اى فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء او ايحاء الزخارف ويجوز ان يكون للايحاء او الزخرف
او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة
الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى ليكون
ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام
القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير
لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكسبوا ما هم مقترفون
من الآثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم
بينى وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل
عكسه وحكما ابلغ من الحاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم
الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالباس
وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم

هم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق
منزل من عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عم لم يمارس كتبهم ولم يخالط
علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى
تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد
فلا تكونن من الممترين فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون
من باب التهييج كقوله تع ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب
لكل واحد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت
كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد
وعدلا فى الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل
لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل ولا احد يقدر ان يحرفها شايعا
كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله تع بالحفظ كقوله تع
وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون
ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون
فلا يهملهم وان تطع اكثر من فى الارض اى ان تطع اكثر الناس يريد الكفار او الجهال
او اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل
اليه فان الضال فى غالب الامر لا يأمر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن
وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان يطلق على ما
يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله تع فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة
فى محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فانه افعل لا ينصب الظاهر فى مثل ذلك
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر
وقرئ من يضل اى يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة
اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا
والتفضيل فى العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع
المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه
لا مما ذكر اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها

يقتضى استباحة ما احل الله تع واجتناب ما حرمه الله وما لكم الا تأكلوا مما
ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه
وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة
وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع وحفص
ويعقوب حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه
ايضا حلال عن الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال
قراءة الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم
من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق
الى الباطل او الحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسترا وما
بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا فى الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن
احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عم ذبيحة مسلم حلال وان لم يذكر اسم
الله عليه وفرق ابو ح بين العمد والنسيان واولوه بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه
لقوله تع وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل
الذى دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم
من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله
وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم فى استحلال ما حرم انكم لمشركون
فان من ترك طاعة الله تع الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن
حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشى به فى الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعله نور الحجج
والايات يتأمل بها فى الاشياء فيتميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقراء نافع
ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتداء خبره فى الظلمات وقوله تع
ليس بخارج منها حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل وهو مثل
لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين
ما كانوا يعملون والاية نزلت فى حمزة رض وابى جهل وقيل فى عمر او عمار رض وابى جهل
وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه
اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر مجرميها بدل ويجوز ان يكون

ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه
الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع
الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون
ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى كفار قريش
لما روى ان ابا جهل قال تزاحمنا بنى عبد مناف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى
يوحى اليه والله ما نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل
رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل
نفسانية يخص الله تع بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو
اعلم بالمكان الذى فيه يضعها وقراء ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب
الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره
من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم
فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام
فيتسع ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها
مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عم حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله تعالى
فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى
دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقراء ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان
يمتنع عنه كما يمتنع هيأة الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق
وتباعدا فى الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقراء ابن كثير يصعد وابو بكر
عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق
يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل الله العذاب او الخذلان عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن او الى الاسلام او الى ما سبق
من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذى ارتضاه او عادته وطريقته الذى
اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم
يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تع وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه

وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله
اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام
عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم
او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم
ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين
قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين
اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات
وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس
بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم
بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف
بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال
النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم
ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل
النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين
واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى
بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا
مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح
دون العذب بظاهر قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل
من الجن رسل الرسل اليهم كقوله تع ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا
بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين
من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان

ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة
من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى
بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسل او بدل من ذلك
ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك
بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء
على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس
لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة
ايها العصاة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث
واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم
وحالكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت
عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان
المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي
منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتقصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة
الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له عاقبة الحسنى التي خلق الله تع لها هذه الدار
فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون
الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق
المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح
الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب
لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون
شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقونه
على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا
ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق
في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان
ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا

بالكسر كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة
وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم
وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عم او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل
المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون وافتراءهم
او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل
بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحجر
اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنى خدم الاوثان والرجال دون النساء
بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحاير والسوايب والحوامى
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها
وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله تعالى
والجار متعلق بقالوا او بمحذوف وهو صفة له او على الحال او المفعول له والجار
متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون
هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء
فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك
وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة بنصب
كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص
وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى هو فى الظرف
لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه
المجرور وقرئ خالص بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان
والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى التحريم والتحليل من قوله
وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب
الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد

بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى رازق اولادهم لاهم
ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله
يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو
الذى انشأ جنات من الكرم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت
فى البرارى والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية
والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه
او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند
الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون
والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك
ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه
يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة
والآية مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى
لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع
وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى التصدق كقوله تعالى
ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة
وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش
المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات
الشيطان فى التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال
من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد
الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على
الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو
لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى قل الذكرين ذكر الضأن وذكر المعز
حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئونى بعلم بامر معلوم يدل على ان الله
حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين فى دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر

اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق
والمعنى انكار ان الله تع حرم من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا
عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين
ان الله تع حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصيكم الله بهذا
حين وصيكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
وهم المقررون بذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه
على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة
الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتانيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع
ميتة على ان كان هي التامة وقوله تع او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزها اي الا وجود
ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس
فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم
فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما يرجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه
والآية محكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود
التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها
الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور
وقيل كل ذي مخلب وحافر ويسمى الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت
ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتملت على الامعاء جمع حاوية او حاوياء
كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما واو بمعنى الواو
او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك اي التحريم او الجزاء جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار والوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم
ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه امهال لا اهمال ولا يرد
باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد على المجرمين
فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب

لازب لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره
يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف
ذلك مشية ارتضاء كقوله تع فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا
ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله تع لا الاعتذار عن ارتكاب هذه
القبايح بارادة الله تع اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله تع منع
من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير
في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل
هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه
لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله تع وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل
ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة
التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج
بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين
بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم
احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم واصله
عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه
الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان
هل لا تدخل على الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله تع هلم الينا الذين
يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة وتظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة
ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه
وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات
متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة
كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون عليه عديلا قل تعالوا امر من تعالى
واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرأ
ما حرم ربكم عليكم منصوب باتل وما يحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان يكون
استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم

متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه
تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل
ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف
على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان
تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى واحسنوا بهما احسانا
وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة والدلالة على ان ترك الاساءة فى شانهما
غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلونه لاجله واحتجاج
عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منها
وهو مثل قوله تع ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون
ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن الا بالفعلة
التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة
كنعمة وانعم او شد ككصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر
معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم فى حكومة
ونحوها وغيرها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى قرابتكم
وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم
وصيكم به لعلكم تذكرون اى تتعظون به وان هذا صراطى مستقيما الاشارة الى
ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة
والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به
مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله تع فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطى بفتح الياء
وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق
التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان
ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى
الكتاب عطف على وصيكم وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم
وصيكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة
والنعمة على الذى احسن على كل من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على

على الذى احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع
اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى على الذى هو احسن
او على الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل
ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى
ورحمة لعلهم لعل بنى اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه للجزاء وهذا كتاب
يعنى القرآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة
اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى
المشهور من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة ولذلك
دخلت اللام الفارقة خبر كان اى وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندرى
ما هى او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم
كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة
تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف
صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل او اضل سنجزى الذين
يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم
هل ينظرون اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك لكن لما كان يلحقهم
لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرا حمزة
والكسائى بالياء او يأتى ربك اى امره بالعذاب او كل آية يعنى آيات القيمة والهلاك الكلى لقوله
او يأتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضه كنا نتذاكر
الساعة اذ اشرف علينا رسول الله ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم الساعة
حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب
وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى عم ونارا تخرج من عدن يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها
غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا
الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا

خلت في ذلك عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته
ح وان كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان
احد الثلثة فانا منتظرون له وح لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم
بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة
كلها في النار الا واحدة وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا
فرقا كل فرقة تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم
او عن عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية
السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله
وقرا يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة
دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم
لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى
هداني صراطا كقوله تع ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم ومن المستقيم باعتبار الزنة
والمستقيم باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه
مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كقيام ملة ابرهيم عطف
بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان
صلوتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه
في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة
الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرا نافع محياي باسكان
الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك
فيها غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل
نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في عبادته وهو جواب عن دعائهم
له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي
وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني
في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم

عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان
الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو
آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه
ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة
تنبيها على انه تع غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها عن رسول الله انه انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مائتان وخمس آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب
او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه
اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر
في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف
والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل
او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله تع جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه
موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر ولتذكر
ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تع وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير
في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا
قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم تنتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة
والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد
مع النبي عليه السلام وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها
او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر
وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب عم وانما

حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء
بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العذاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم الى عاؤهم
واستغاثتهم او وما كانوا يدعونه من دينهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين أرسل إليهم
عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال
توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي من قوله تع ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سوآل الاستعلام
او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين
يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم
عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء
من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان
صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى
به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا
الشهادة فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل
توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن
عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتداء الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه
العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف
الموزونات وتعدد الوزن وهو جمع موزون او ميزان فأولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بتضييع الفطرة السليمة
التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق
ولقد مكناكم في الأرض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزها تشبيها بما الياء فيه
زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا
اباكم ادم عم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره
او ابتداءنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم عم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم وقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم
قال ما منعك ألا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي
دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه

خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد إذ أمرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب
والفور قال أنا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مامورا
بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن
ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته
من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل
عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تع ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير
واسطة باعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تع فنفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له
خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل
اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط
منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع
المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تع انما طرده واهبطه لتكبره
لا لمجرد عصيانه فاخرج إنك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عم من تواضع رفعه الله
ومن تكبر وضعه الله قال أنظرني إلى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني ولا تعجل
عقوبتي قال إنك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء
مقيدا بقوله تع الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله تع انتهاء اجله
فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما أغويتني اي بعد
ما امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية
او حملا على الغي او تكليفا بما اغويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن
فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لأقعدن لهم رصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة
صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب
وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم
للتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل
من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل
من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الاخرة
ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا

ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء
لانه منهما متوجه اليهم والى الاخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار
على عرضهم ونظيره قوله جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله
ظنا لقوله تع ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدا الخير
واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذامه اذا ذمه
وقرئ مذوما كمسول في مسؤل وكمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا
الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب
المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء
فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف
والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته
ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما
بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة
وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما وري عنهما من سوآتهما ما
غطي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب
الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة
وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو
الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا اي كراهة ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به
على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما
كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا اوصاف الملائكة ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما
لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له
بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما
فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة
فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما

ظنا ان احدا لا يحلف بالله تع كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت
عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما
وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا يخصفان اي اخذا يرقعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان
من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان واصله يختصفان
وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي
للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان
لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا
ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم
انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين
اي الى ان تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم
قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدابير سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تع
وانزل لكم من الانعام وقوله تع وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان
ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون
لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم
ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم كما اغوى ابويهم
وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه ترئش الرجل اذا تمول وقرئ
ورياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله تع وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خبر وذلك
صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس
بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم
الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة
كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به

ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع
اليه للتسببية انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير
من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم
وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم
من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة
الصنم وكشف العورة فى الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد
الثانى بقوله تع قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا
عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم
وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا
فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافتراء على
الله تع قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط
والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد فى وقت كل سجود او مكانه وهو الصلوة او فى اى
مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه
مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم تعودون
باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها
وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل
كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم
الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم ويحسبون
انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق
ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل
مسجد لطواف وصلوة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل
على وجوب ستر العورة فى الصلوة وكلوا واشربوا ما طاب لكم لما روى ان بنى عامر فى ايام
حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون

به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه
وعن ابن عباس رضه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال
على بن الحسين بن الواقد جمع الله الطب فى نصف اية فقال تع كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات
الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة
والكفرة وان شاركوهم فيها تبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها
على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اى
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربى الفواحش ما تزايد قبحه وقيل
ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم
بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد
فى صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول
العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او
لا يطلبون التاخير والتقدم لشدة الهول يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون
عليكم اياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب
كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما للتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعله بالنون وجوابه
فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا
عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله
منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى الجزاء الاول دون الثانى للمبالغة
فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن
تقول على الله تع ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب
لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهى التى يبتدأ
بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اين الالهة التى كنتم
تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا

غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما
كانوا عليه قال ادخلوا اى قال لهم الله يوم القيمة او احد من الملائكة في امم قد خلت
من قبلكم اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة من الجن والانس يعنى
كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى في النار
لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا
وتلاحقوا في النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى
لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال
فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقراء عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال
وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله تع
لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا انا واياكم متساوون
في الضلالة واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
اوله من قول الله للفريقين كذ
اومن قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى عن قول الايمان
بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين
واعمالهم ودعائهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقراء ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التانيث غير
حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل
للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
اى حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل
كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل
السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم
وكذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن
فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره
وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان
من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته

عادته تع في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتداء
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس
ونزعنا ما في صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون
بينهم الا التواد وعن على رض انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجرى من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا
لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تع
وتوفيقه واللام فيه لتوكيد النفى وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقراء ابن
عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين
في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له
بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة
والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة لتلكم وان في المواقع الخمسة
هى المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوا تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال
ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقراء الكسائى نعم بكسر العين وهما لغتان
فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه
والعوج بالكسر في المعانى والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين حجاب لقوله تع
فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى
وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف
مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره اعرف
من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضى الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار
المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة

والنّار بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله تع بها كبياض الوجوه وسوادها فعلى من سام
ابله اذا ارسلها فى المرعى معلّمة اومن وسم على القلب كالجاه من الوجه انما يعرفون ذلك
بالالهام اوتعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنّة ان سلام عليكم اى اذا نظروا
اليهم سلّموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاوّل ومن الاصحاب
على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النّار قالوا تعوّذا بالله تعالى
ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظّالمين اى فى النّار ونادى اصحاب الاعراف رجالا
يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم اوجمعكم
المال وما كنتم تستكبرون عن الحقّ اوعلى الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمّة قولهم للرّجال والاشارة الى
ضعفاء اهل الجنّة الذين كانت الكفرة يحقّرهم فى الدنيا ويحلفون انّ الله تع لا يدخلهم
الجنّة ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب
الجنّة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة اوفقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنّة بفضل الله تع بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا
وقيل لمّا عيّروا اصحاب النّار اقسموا انّ اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنّة فقال الله تع
اوبعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف
وتقديره دخلوا الجنّة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النّار اصحاب الجنّة
ان افيضوا علينا من الماء اى صبّوه وهو دليل على انّ الجنّة فوق النّار اوممّا رزقكم
الله من سائر الاشربة ليلايم الافاضة اومن الطّعام كقوله علفتها تبنا وماء
باردا قالوا انّ الله حرّمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرّم من المكلّف الذين
اتّخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللّهو صرف الهمّ
بما لا يحسن ان يصرف به واللّعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرّتهم الحيوة
الدّنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل النّاسين فنتركهم فى النّار كما نسوا لقاء يومهم
هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدّوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا
منكرين انها كانت من عند الله تع ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه بيّنّاه معانيه من العقايد
والاحكام والمواعظ مفصّلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتّى جاء حكيما وفيه
دليل على انّه تع عالم بعلم اومشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضّلناه
اى على سائر الكتب عالمين بانّه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء
هل ينظرون هل ينتظرون الّا تأويله الّا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه
بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه

تركه ترك الناسى قد جاءت رسل ربّنا بالحقّ قد تبيّن انّهم جاؤوا بالحقّ فهل لنا
من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نردّ اوهل نردّ الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
اولانّ او بمعنى الى ان فعلى الاوّل المسؤل احد الامرين وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء
امّا لاحد الامرين اولامر واحد وهو الرّدّ فنعمل غير الذى كنّا نعمل جواب الاستفهام
الثانى وقرئ بالرّفع اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فى الكفر وضلّ عنهم
ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم انّ ربّكم الله الذى خلق السّموات
والارض فى ستّة ايّام اى فى ستّة اوقات كقوله تع ومن يولّهم يومئذ دبره او
فى مقدار ستّة ايّام فانّ اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن ح وفى خلق
الاشياء مدرّجا مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظّار وحثّ
على التأنّى فى الامور ثمّ استوى على العرش استوى امره اواستولى وعن اصحابنا انّ الاستواء
على العرش صفة لله تع بلا كيف والمعنى انّ له تع استواء على العرش على الوجه الذى عناه
منزّها عن الاستقرار والتمكّن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمّى به لارتفاعه
او للتشبيه بسرير الملك فانّ الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الّيل النّهار
يغطّيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولانّ اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الّيل
النّهار بنصب اللّيل ورفع النّهار وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفى الرّعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل
بينهما شئ والحثيث فعيل من الحثّ وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى
حاثّا اوالمفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنّجوم مسخّرات بامره بقضائه وتدبيره
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخّرات على الحال وقرأ ابن عامر
كلّها بالرّفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانّه الموجد المتصرّف
تبارك الله ربّ العالمين تعالى بالوحدانيّة فى الالوهيّة وتعظّم بالتفرّد فى الرّبوبيّة
وتحقيق الآية والله اعلم انّ الكفرة كانوا متّخذين اربابا فبيّن لهم انّ المستحقّ للرّبوبيّة
واحد وهو الله تع لانّه الذى له الخلق والامر فانّه تع خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير
حكيم فابدع الافلاك ثمّ زيّنها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تع فقضيهنّ سبع
سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفليّة فخلق جسما قابلا للصّور المتبدّلة
والهيئات المختلفة ثمّ قسمها بصور نوعيّة متضادّة الآثار والافعال واشار اليه بقوله
خلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين ثمّ انشاء انواع المواليد الثلثة
بتركيب موادّها اوّلا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض فى يومين وجعل
فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين

الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبّر
الامر من السّماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكرير الليالى والايام
ثم صرّح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله
ربّ العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية اى ذوى تضرّع وخفية فانّ الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين
المجاوزين ما امروا به فى الدّعاء وغيره نبّه به على انّ الدّاعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به
كرتبة الانبياء والصّعود الى السّماء وقيل هو الصّياح فى الدّعاء والاسهاب فيه وعن النّبى عليه السلام
سيكون قوم يعتدون فى الدّعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنّة وما قرّب
اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرّب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف من الردّ لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع فى اجابته تفضّلا واحسانا لفرط رحمته انّ رحمت الله قريب من المحسنين
ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسّل به الى الاجابة وتذكير قريب لانّ الرحمة بمعنى الترحّم
او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى هو
مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النّسب والقريب من غيره وهو الذى يرسل الرياح
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة بشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر
نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر فى موضع
الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فانّ الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
او بشرى للبشارة بين يدى رحمته قدّام رحمته يعنى المطر فانّ الصّبا تثير السّحاب والشّمال
تجمعه والجنوب تدرّه والدّبور تفرّقه حتى اذا اقلّت اى حملته واشتقاقه من القلّة
فانّ المقل للشئ يستقلّه سحابا ثقالا بالماء جمعه لانّ السّحاب جمع بمعنى السّحابات سقناه
اى السّحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ
ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسّحاب او بالسّوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به
ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان البلد فالباء للالصاق فى الاوّل وللظرفية للثانى
واذا كان لغيره فهى للسّببية من كلّ الثمرات من كلّ انواعها كذلك نخرج الموتى
الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها بردّ النفوس الى مواد

المواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوة والحواس لعلكم تذكّرون فتعلمون ان
من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه
بمشيته وتيسيره عبّر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة
والذى خبث كالحرّة والسّبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعوله ونكدا على المصدر
اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرّف الآيات نردّدها ونكرّرها لقوم
يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبّر الآيات وانتفع بها
ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثّر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف
ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنّة التوقع فانّ المخاطب اذا سمعها توقّع وقوع
ما صدّر بها اى بعث ونوح بن ملك بن متوشلخ بن ادريس اوّل نبى بعد بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره
وقرأ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم
نزول الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنريك فى ضلال
زوال عن الحق مبين بيّن قال يا قوم ليس بى ضلالة اى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا
فى الاثبات وعرّض لهم به ولكنى رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله ابلغكم رسالات ربى
وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول الله او استيناف وساقها على الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف
شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما
اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدّة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم
كانوا يتعجّبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا
الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصى ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضّل وانّ
المتقى ينبغى ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه

وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث
وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم
عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ
بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب
في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون استئناف به ولم يعطف
كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم قال قال الملأ الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا
فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم
الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن
المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلهم
ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوفهم
من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة وهو تعميم بعد
تخصيص واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي
الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه
ومعنى المجيء من كان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز
كقولهم ذهب يسبني فائتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل
عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب
وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل
الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان
المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقا بجعله تعالى اما بانزال
آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم ومستندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل

دليل يدل على تحقيق المسمى واسناد الاطلاق الى من يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم
وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو
لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا
وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد فانتظروا نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم
وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن
آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم
ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا
الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين
من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له
فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به
ثقل مقامهم فعلم القينتين بيتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك
فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا
لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن
ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها
ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى
ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن
سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا
صالح بن عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله
هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة
ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية

واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عند الله تع بلا وسائط واسباب
معهودة ولذلك كانت اية فذروها تأكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء
نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة فى الامر
وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب النهى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
عاد وبوأكم فى الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اى تبنون فى سهولها
قصورا او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال
بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا فى الارض مفسدين العثى اشد الفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه
عن الايمان للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم
بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين
وقرأ ابن عامر ملؤا بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر
من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال به
قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع
ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم
للملابسة اولانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو
ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا فى دارهم جاثمين جامدين لا يتحركون روى انهم بعد
عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى بها الابنية فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث
الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا اخرج
معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم
فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج
من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم
لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به
جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب
بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى

حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق ذلك عليهم وزينت لهم عقرها عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا
لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح يصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات
طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم
كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله اهل قليب بدر
وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على طريق التحسر
عليهم ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه
اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد
من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق
والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة
باختراعها فانه اسوأ ائنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتأتون
الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف
وشهوة مفعول له او مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء
الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى
ارتكاب امثالها وهو اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم
او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا
نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا
انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امرأته
استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا فى ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله تع وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى
ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم م الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تع

الى ارض سدوم ليدعوهم الى الله وينهيهم عما اخترعوا من الفاحشة فلم ينتهوا
عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا اى وارسلنا اليهم وهم
اولاد مدين بن ابرهيم بن شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب
الانبياء لحسن مراجعة قومه قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها
ماهى وما روى عن محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه
خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع
متأخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة لموسى عم او ارهاصا لنبوته فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ آلة الكيل على اضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله
وَالْمِيزَانَ كما قال فى سورة هود اوفوا الكيل والميزان ويجوز ان يكون الميزان
مصدرًا كالميعاد وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتنبيه للتعميم على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والكثير والقليل
وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئًا الا مكسوه وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بالكفر
والحيف بَعْدَ إِصْلَاحِهَا بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع
واصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اشارة الى العمل بما امرهم به ونهيهم عنه ومعنى الخيرية اما
الزيادة مطلقًا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدًا
لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدًا يسعى فى شيء منها
منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبًا انه كذاب فلا يفتننك
عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانًا لكل صراط ودلالة على عظم
ما يصدون عنه وتقبيحًا لما كانوا عليه او الايمان بالله مَنْ آمَنَ بِهِ اى بالله او بكل صراط
على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال
وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا وَتَبْغُونَهَا
عِوَجًا وتطلبون سبيل الله عوجًا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا عددكم او عُددكم فَكَثَّرَكُمْ بالبركة فى النسل والمال
وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ من الامم قبلكم واعتبروا بهم وَإِنْ كَانَ

كان طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا فتربصوا
حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ
فِي مِلَّتِنَا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم عن القرية او عودكم فى الكفر وشعيب عم
لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقًا لكن غلبوا الجماعة على
الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله تع قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا
كَارِهِينَ اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او تعيدوننا فى حال كراهتنا قَدِ
افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا قد اختلقنا عليه إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا شرط
جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد
الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندًا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم
عليه حق وقيل انه جواب قسم محذوف تقديره والله لقد افترينا وَمَا يَكُونُ لَنَا وما يصح
لنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان
الكفر بمشيئة الله تع وقيل اراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على ما لا يكون وَسِعَ رَبُّنَا
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا اى احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا فى
ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ احكم بيننا
وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ على المعنيين
وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا وتركتم دينكم إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ
لاستبداله الضلالة بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد
مسد جواب الشرط والقسم الموطأة باللام فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ الزلزلة وفى سورة الحجر
فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ اى فى مدينتهم
الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا مبتداء خبره كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا اى استوصلوا كان لم يقيموا بها
والمعنى المنزل الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ دينًا ودنيا لا الذين صدقوه
واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر
الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ قاله تأسفًا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال
فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله

اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت
وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بإمالتين
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم
يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين
حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفى النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى دمعا وقالوا
قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة
الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم
بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول
عليها بقوله تع وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان
كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه
لهم من كل جانب وقيل المراد به المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا
الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف
على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك
امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين
وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وهم نائمون حال من الضمير البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى وقرأ ابن كثير
ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو
في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون
بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراجه
العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا
بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يخلفون
من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدى يهد باللام لانه بمعنى تبين ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل
يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم يهد
اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم
على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياق جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون
سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها
حال ان جعل القرى خبرا فيكون افادته بالتقييد بها وخبرا ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا

خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات
المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم
في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين
شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر
الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان
والتقوى بانزال الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ
والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم
بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا
يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها
لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك ككسرى لمن ملك
فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة
قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس
كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف
بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق بان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به
او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت
جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره
لا يشك فيه انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر
فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور

القهر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث فانهزم الناس مزدحمين فمات منهم
خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا
اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت
ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة
او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه عم كان آدم شديد الادمة
فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف
قومه على سبيل التشاور في امره محكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه
فارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا
به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو وابو بكر
ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام وعن ابن عامر على الاصل
في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءة
في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص
ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه
واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا
اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجريها
وقرا حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن
الغالبين استانف به كانه جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤا وقرا ابن كثير ونافع
وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة
على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا
موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا
عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد ضميرهم المتصل
بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا
شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان

الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي
مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها
اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت
عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك
وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين
والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها
على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله تعالى
الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر
عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون
آمنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار
قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط
وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين
تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله تعالى ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته
قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا لمنقلبون الى ربنا
وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيركم
الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا
وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا
ماء يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون
وقال الملاء من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس
عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو

كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء على معنى ايكون
منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استيناف
او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تع فاصدق واكن وآلهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ إلاهتك اى عبادتك قال فرعون
سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر
والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير
ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا
لهم وتسلية وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبيت فى الامر ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعدهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم
من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق لهم وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا
على اسم ان واللام فى الارض يحتمل العهد والجنس قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل
ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم
ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا
بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم واولادهم
وقد روى ان مصر انما فتح لهم فى زمن داود عم فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون
من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا
ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويورخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص
من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكى يتنبهوا على ان ذلك بشوم كفرهم ومعاصيهم
فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة
من الخصب والرخاء والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة
جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاموا بهم ويقولون ما اصبتنا الا بشومهم
وهو اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرايك
وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا
فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة
باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها
الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته

ومشيته او سبب شومهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عندها فانها التى ساقت
اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ما يصيبهم من الله تع او من شوم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت
اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى
يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تاتنا به
اى ايما شئ تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية على زعم موسى عم لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا
والضمير فى به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى
فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل
الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل
اولاد الجراد وقيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام
فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم
وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم ومنعهم من الحرث
والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى عم ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلاء والزرع ما لم يعهد وامثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب
ففزعوا اليه ثانيا فدعا فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى
التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم
ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان
انك ساحر ثم ارسل الله تع عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه
وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه
وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم
الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما
وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط الله عليهم
الرعاف ايات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها ايات الله ونقمته
عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها
اسبوعا وقيل ان موسى عم لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات
على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعنى
العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله تع عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك

بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك
كما اجابك في اياتك وهو صلة ادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد
عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق
ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت
الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم
فاجأوا النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم
فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا
كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا الذين
كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق
الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا
في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على
بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكن وهو قوله تع
ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا
بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور
والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله تعالى
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام تسلية لرسول الله عليه
السلام مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم
روي ان موسى عم عبر بهم يوم عاشوراء بعدما اهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا
فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل
بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى عم بقتالهم وقيل
من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده
كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
واكده لبعد ما صدر عنهم بعدما راوا من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم
متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها

ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الى الله تع وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه
بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه
على ان التبار لاحق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا
وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على
العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث
قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به
اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا
الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم
او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب
نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو
ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عم وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب
من الله تع فيه بيان ما يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلاثين يوما
فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك
فافسدته بالسواك فامره الله تع ان يزيد عليها عشرا وقيل امره الله بان يتخلى
ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع
من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي
ان موسى عم كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم
ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك
بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تع
جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله
ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر
عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم

ويزيح شبهتهم كما فعل لهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال
لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء
اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا
عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة لحقيقة الرؤية
قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقها وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة
ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته
وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي دكاء ارضا
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا ودكا جمع دكاء وخر
موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك
تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر
تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك
اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه
ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع
برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن
من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية يوم
النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف
في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء
لينها الله لموسى م فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها
فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح
او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا
باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار على طريقة الندب
والحث على الافضل كقوله تع واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الوا
احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو
المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساوريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا
او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اورثت الزند

الزند وساورثكم ويؤيده قوله تع واورثنا القوم ساصرف عن آياتي المنصوبة
في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون
فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا
بها لعنادهم او لاختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه
الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر
اي ساصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم
الدار الاخرة او ما وعد الله تع في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه
للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها
اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة
والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي
ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبرائيل م فصار حيا وقيل
صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه فيصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله
اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تنبيه وتقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوا الها لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد
البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي
اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ
العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع
العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا
باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا بالتجاوز
عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين قراها حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء

ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما
خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى
فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن
فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى
خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رايتم من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل
معنى سبق فعدى تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى
وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما
القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه
المواعظ والاحكام واخذ براس اخيه بشعر راسه يجره اليه توهما بانه قصر فى كفهم
وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل
قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرا ابن عامر والكسائى وابو بكر
عن عاصم ابن ام بالكسر واصله يا ابن امى فحذف الياء اكتفاء بالكسر تخفيفا كالمنادى
المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر
ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى
بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت
بى الاعداء فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين معدودا
فى عدادهم بالمواخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لى ما صنعت باخى
ولاخى ان فرط فى كفهم ضم اليه نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فارحم بنا على
انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل
انفسهم وذلة فى الحيوة الدنيا وهى خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزى
المفترين على الله تع ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر
مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصى ثم تابوا من بعدها
من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة
ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل
وكثر كجرائم بنى اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار
هرون او بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له

له على ما فعل كالامر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت
على ان المسكت هو الله تع او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التى القاها وفى نسختها
وفيما نسخ فيها اى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة
هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت
اللام المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول للتعليل والتقدير يرهبون معاصى
الله لربهم واختار موسى قومه اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روى انه تع امره ان ياتيه فى سبعين من بنى اسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان
لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه
غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة
الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى تمنى هلاكهم وهلاكه
قبل ان يرى ما راى او بسبب اخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون
على اهلاكهم واغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى
لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية
وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله تع عنهم ان هى الا فتنتك
ابتلاؤك ومحنتك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به
تضل بها من تشاء ضلالة بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدى من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفناه
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا
فى هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفى الاخرة الجنة انا هدنا
اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله
ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز
ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابى
اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتى وسعت كل شئ فى الدنيا المؤمن والكافر
بل المكلف وغيره فساكتبها فساثبتها فى الاخرة او فاكتبها كتبة خاصة منكم
يا بنى اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصى ويؤتون الزكوة خصها بالذكر

لانا فيها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء
منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتداء خبره يأمرهم او خبر مبتداء تقديره
هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد عم
وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب
ولا يقراء ووصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث
كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ
بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه مع
نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف
للحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع
اتباع النبي عم فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون
بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عم قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم الخطاب عام وكان رسول الله مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم
جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما
بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتداء خبره
لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان ما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله
لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه
وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن
به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به
والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على
ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني
بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون من اهل زمانه
اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم

وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
رآهم رسول الله ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض
اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة
او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة
اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل
بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه
للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل
في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس من كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا
من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة
البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا
منها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم
او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب
الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد
بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على
انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحده وقرأ ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها واسألهم للتقرير والتقريع بتقديم كفرهم وعصيانهم
والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بالتعليم او بالوحي ليكون ذلك معجزة عليهم
عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي
ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف
او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل
وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويعدّون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت
وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم اليوم والاضافة

لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ ويوم اسباتهم وقوله تع ويوم
لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
والباء متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل
القرية يعني صلحاؤهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون
قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان
قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه
تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة
من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم
جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله تع حتى لا ينسب الى تفريط في النهى عن المنكر
وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به او وعظناهم معذرة
ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسى
ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله تع بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس
بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون
الهمزة على انه بئس كحذر خفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد وكبد ونافع بيس
على قلب الهمزة ياء كما قلب في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس
كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تع وعتوا
عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله تع انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والظ يقتضى ان الله تع عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما ايسوا
عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما
ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا
انسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم
ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اى اعلم تفعل
من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجرى

واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة
والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله تع عليهم بعد سليمن عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله
محمدا ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط امما مفعول ثان او حال
منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون ويرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به
ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد
الذين كانوا في عصر رسول الله عليه السلام ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعنى الدنيا وهو
الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة
حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل
العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض
مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله
غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق
عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم
التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف
على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين
يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المؤدى
الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض
او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظ موضع المضمر تنبيها على ان
الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها
على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل
النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم

ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه
لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا
ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه
بالعمل به ولا تتركوا كالمنسى لعلكم تتقون قبايح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك
من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على حسب ما يتوالدون
قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل
ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم
الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله تع قالوا بلى شهدنا ان تقولوا
اى كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا
عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو وكليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما
اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام
الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى آباءهم
المبطلون بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تع آدم اخرج من ظهره ذريته كالذر واحياهم
وجعل لهم العقل والنطق فالهمهم ذلك لحديث عمر رض وقد حققت الكلام فيه فى شرحى
لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام
بعد ما الزمهم الميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم
عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال تع وكذلك نفصل الآيات
ولعلهم يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ
الذى آتيناه آياتنا وهو احد علماء بنى اسرائيل او امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ
الكتب وعلم ان الله يرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد عم حسده
وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين
فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف
ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا
لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه
اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضاء

واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشية الله تع ثم استدرك
عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل
عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشية
وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشية
تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض
واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله
فصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى اخس احواله وهو ان
تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او
ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
عن النفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل
واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان
وقيل لما دعا على موسى عم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك
مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو
قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤديهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم
اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا بآياتنا
بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا
عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم
المفعول من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
تصريح ببيان الهدى والضلال من الله تع وان هداية الله تختص ببعض دون بعض
وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى لاعتبار اللفظ
والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار
فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه
كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعيم الآجلة
والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعنى المصرين
على الكفر فى علمه تع لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر
فى دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اى لا ينظرون الى ما خلق الله تع نظر اعتبار
ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام
فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم

متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بَلْ هُمْ اَضَلُّ فانها تدرك ما يمكن لها ان
تدرك من المنافع والمضار ويجتهد فى جذبها ودفعها جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اُولٰٓئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ الكاملون فى الغفلة
وَلِلّٰهِ الْاَسْمَاۤءُ الْحُسْنٰى لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل
الصفات فَادْعُوهُ بِهَا فسموه بتلك الاسماء وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ اَسْمَاۤئِهٖ واتركوا
تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا
ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف
الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق
اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم
فان الله يجازيهم كما قال تع سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقرأ حمزة يَلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وَمِمَّنْ خَلَقْنَا اُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهٖ يَعْدِلُونَ
ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه
تع خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع
لان المراد منه ان فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عم لا يزال من امتى طائفة
على الحق الى ان يأتى امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول عم او غيره لم يكن لذكره فائدة
فانه معلوم وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ سنستدنيهم الى الهلاك قليلا
قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة مِنْ
حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله
بهم فيزداد وابطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب وَاُمْلِى لَهُمْ وامهلهم
عطف على سنستدرجهم اِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ان اخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره
احسان وباطنه خذلان . اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ يعنى محمدا عم مِنْ جِنَّةٍ
جنون روى انه عم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تع فقال
قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت . اِنْ هُوَ اِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ
موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اَوَلَمْ يَنْظُرُوا نظر استدلال . فِى مَلَكُوتِ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَىْءٍ . مما يقع عليه الشئ من الاجناس التى لا يمكن
حصرها ليدل على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولى
امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وَاَنْ عَسٰىٓ اَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ اَجَلُهُمْ عطف
على ملكوت وان مصدرية او خفيفة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون
والمعنى او لم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه

الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فَبِاَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ اى بعد القرآن
يُؤْمِنُونَ اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد
الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم
قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به
فباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله تع مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِىَ لَهُ كالتقرير
والتعليل له وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالياء لقوله ومن يضلل الله وقرأ حمزة والكسائى به وبالجزم عطفا على محل فلا هادى له
كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يَعْمَهُونَ حال من هم يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اى عن القيمة
وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على
طولها عند الله تع كساعة اَيَّانَ مُرْسٰيهَا متى ارساؤها ورسو الشئ ثباته واستقراره ومنه
رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اى لان معناه اى وقت وهو
من اويت الشئ لان البعض آو الى الكل قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى استأثر به لم يطلع عليه ملكا
مقربا ولا نبيا مرسلا لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا لا يظهر امرها فى وقتها اِلَّا هُوَ والمعنى ان
الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها بغتة واللام للتأقيت كاللام فى قوله تع اقم
الصلوة لدلوك الشمس ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين
لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لَا تَاْتِيكُمْ اِلَّا بَغْتَةً فجاءة على غفلة كما قال عم
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته
فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يَسْـَٔلُونَكَ كَاَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا عالم بها فعيل من حفى
عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه
ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان
قريشا قالوا له عم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها
كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وتزوى علمها عن غيرهم وقيل معناه
كانك حفى بالسؤال عنها تحبه اى تكثره السؤال عنها لانه من الغيب الذى استأثر الله
بعلمه قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة
للمبالغة وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ان علمها عند الله تع لم يؤته احدا من خلقه قُلْ
لَا اَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى
عن ادعاء العلم بالغيب اِلَّا مَا شَاۤءَ اللّٰهُ من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له وَلَوْ كُنْتُ
اَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوۤءُ ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى
عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى السوء اِنْ اَنَا اِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ

وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فانهم المنتفعون بهما
ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وهو آدم عم وَجَعَلَ مِنْهَا من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا زَوْجَهَا حوا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ليأنس بها ويطمئن اطمينان
الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فَلَمَّا تَغَشَّاهَا اى جامعها
حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او
محمولا خفيفا وهو النطفة فَمَرَّتْ بِهِ فاستمرت به اى قامت وقعدت وقرئ فمرت
بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت
الحمل وارتابت به فَلَمَّا أَثْقَلَتْ صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ للمفعول
اى اثقلها حملها دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا ولدا سويا قد صلح بدنه لَنَكُونَنَّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ لك على هذه النعمة المجددة فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا جعل اولادهما شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تع فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ يعنى الاصنام وقيل لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة
رجل فقال ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته
لآدم عم فهمّا منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فانى دعوت الله ان يجعله خلقا
مثلك ويسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت
فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب في خلقكم
لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوجة من جنسه عربية وقريشية
فطلبا من الله تع الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي
وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقراء نافع وابو بكر
شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جئ به
على تسميتهم اياها آلهة وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا اى لعبدتهم وَلَا أَنْفُسَهُمْ
يَنْصُرُونَ فيدفعون عنها ما يعتريها وَإِنْ تَدْعُوهُمْ اى المشركين إِلَى الْهُدَى
الى الاسلام لَا يَتَّبِعُوكُمْ وقراء نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير
الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله تع سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة
في عدم افادة الدعاء من حيث انه مستوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا
يدعونها لحوائجهم وكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على

الصمات عن دعائهم إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْ من حيث انها مملوكة مسخرة فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ انهم
آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصورة الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء
فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعضكم ثم عاد عليه بالنقض فقال أَلَهُمْ
أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
وقرئ إن الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون
بالضم ههنا وفي القصص والدخان قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ واستعينوا بهم في عداوتي ثُمَّ كِيدُونِ فبالغوا
فيما تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فَلَا تُنْظِرُونِ فلا تمهلوني فانى لا ابالي بكم لوثوقي
على ولاية الله وحفظه إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ القرآن وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ اى ومن عادته تع
ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ
إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من ينظر الى من يواجهه
خُذِ الْعَفْوَ اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو
ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ المعروف المستحسن من الافعال وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل
افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق امرة للرسول عم باستجماعها وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
نَزْغٌ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وذكر ومكروه
والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ يسمع استعاذتك عَلِيمٌ يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام
ومتابعة الشيطان إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لمة منه وهو اسم فاعل
من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم يقدر ان يؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقراء
ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كليّن وهيّن والمراد
بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تَذَكَّرُوا ما امر الله به ونهى عنه فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ بسبب التذكير
مواقع الخطأ ومكائد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا
قوله تع وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين فِي الْغَيِّ بالتزيين
والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء
يعينونهم بالاتباع والامتثال ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز
ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان

الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ
من القرآن او مما اقترحوه قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه
او هلا طلبتها من الله تع قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي لست بمختلق للآيات او لست بمقترح
لها هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ هذا القرآن بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ سبق تفسيره وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
نزلت فى الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظ اللفظ يقتضى
وجوبها حيث يقرأ القرآن مطلقًا وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يرى
القراءة على المأموم وهو ضعيف وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ عام فى الاذكار من القراءة والدعاء
وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرًّا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رحمه الله
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً متضرعًا وخائفًا وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ومتكلمًا كلامًا فوق السر ودون
الجهر فانه ادخل فى الخشوع والاخلاص بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال
وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل مطابق للغدو وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ يعنى ملائكة الملأ الاعلى لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وينزهونه وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ويخصونه بالعبادة والتذلل ولا يشركون به غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى عليه السلام اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكى ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عم
من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترًا وكان آدم شفيعًا له يوم القيمة

سورة الانفال سبعون وست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلًا لانها عطية
من الله تع وفضل كما سمى به ما يشترطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ
وَالرَّسُولِ اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول عم على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين
فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله لمن كان
له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال
قليلًا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءًا لكم وفئة تنحازون الينا فنزلت
فقسمها رسول الله بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى
وعن سعد بن ابى وقاص رض قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض وطرحته
وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبه فما جاوزت الا قليلًا حتى نزلت سورة الانفال فقال

فقال لى رسول الله سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب وخذه وقرئ يسألونك
علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك
الشبان ما شرطت لهم فَاتَّقُوا اللَّهَ فى الاختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال التى بينكم
بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فيه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان الايمان يقتضى ذلك وان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان
بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ اى الكاملون فى الايمان الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ فزعت لذكره استعظامًا
له وتهيبًا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصيته فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفًا من عقابه
وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا لزيادة
المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال
الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يفوضون
اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها كالصلوة والصدقة وحقًّا صفة مصدر
محذوف او مصدر مؤكد كقولهم هو عبد الله حقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ كرامة وعلو منزلة وقيل
درجات الجنة يرتقونها باعمالهم وَمَغْفِرَةٌ لما فرط منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ اعد لهم فى الجنة لا ينقطع
عدده ولا ينتهى امده كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ خبر مبتداء محذوف تقديره هذا الحال
فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله تع لله والرسول
اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتًا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة
لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ فى موقع
الحال اى اخراجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها
اربعون راكبًا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمه بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر
جبرائيل عم رسول الله عم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا
بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم
واموالكم إن اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدًا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة بنت عبد المطلب
ان ملكًا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها
فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج
ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع اليه لسوقهم يومًا فى السنة
وكان رسول الله بوادى دقران فنزل عليه جبرائيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما القوم

فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد
عليهم وقال ان العير مضت الى ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير
ودع العدو فغضب رسول الله فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة
فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد
بن عمرو رض امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عم
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما
مقاتلون فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا
عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمته حتى يصل الى ديارهم فتخوف
رسول الله ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رض وقال لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة وامض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل
واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا الى بركة الله فنشطه قوله ثم قال عم سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عم لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاق لا يصلح فقال له لم فقال لان الله
وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق
في ايثارك الجهاد اظهارا للحق لايثارهم تلقي العير عليه بعدما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا
باعلام الرسول عم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة
وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين على اضمار اذكروا واحدى ثاني مفعول يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل
الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النفر لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعار
من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذا الحال
اوبا وامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم والمعنى انكم
تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله تع يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم
منه فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما
بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها

عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق
او على اضمار اذكروا استغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي ربنا انصرنا على
عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رض انه عم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر رض يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار
وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان
الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته
اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه
وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اي متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها اصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى
ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل
عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها
وما جعله الله اي الامداد الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم
فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم
وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر
منها ولا تيأسوا منه لفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة
ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع
يغشيكم النعاس بالتخفيف من اغشيت الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين
هو الله تع وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تع
وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله تع يغشيكم النعاس معنى يتغشون ويغشاكم
بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان ويكون فعل المغشي وان
يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه عم او لانه كان من حقه
ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصل له امنة من الله تع لولاها لم يغشهم
كقوله: يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود. وقرئ امنة كرحمة وهي
لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان
يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء

فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون
محدثين مجنبين تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله تع المطر
فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا
وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة
وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله تع بكم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ
في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق
بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر
على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم
او بمحاورة اعدائهم فيكون قوله تع سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير
لقوله تع اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه
مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة
ما يثبتون المؤمنين به كانه قال لهم قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها
التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم
ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول عم او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم
شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين
في شق خلاف شق آخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق
الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة
بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع
اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا
او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على
المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع
المضمر للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على
الاستيناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم
كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع
على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان
يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله تع حرض المؤمنين
ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتم وهم متزاحفين يدبون
اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين
تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد

الفر وتغريرا للعدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى
من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رض انه
كان في سرية بعثهم رسول الله ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا
عمل له والاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل
لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تع الآن خفف الله
عنكم وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم
ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما
طلعت قريش من العقنقل قال عم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبرائيل عم وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها
فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصى فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم
يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب
شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي
ولكن الله رمى اي بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم
من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه
وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل
في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم
رمى بها يوم حنين نحو الحصين فاصاب لبابة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه
بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي
ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله تع وان الله موهن كيد الكافرين معطوف
عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو
موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا

عن الكفر ومعاداة الرسول عم فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين
وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم
شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر
والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين
كان ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول عم فهو خير لكم
وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن
الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول عم فان المراد
من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه
على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير
للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم
وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع
وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون
اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم
الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم
وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول
وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي عم احي لنا قصيا فانه كان شيخا
كبيرا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا
لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع
من الرسول روي انه عم مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال
ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال او لم تخبر فيما اوحي الله الي يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلوة فان
الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع
الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها
حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن
او ما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقايد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تع بل احياء

احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تع
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تع مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه
صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله تع بينه
وبين قلبه بالموت او عزم او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه
ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان
ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء
الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار
المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع
والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصب الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه
لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تع ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما
صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي
على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط
واما جواب قسم محذوف كقرأة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون
نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة
ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين
وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم
فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره
على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنايم
روي انه عم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم
بني النضير على ان يسيروا اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم
سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله
في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح

فقال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد
نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله
هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عم يجزئك الثلث ان تتصدق به
واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه
اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول ومنصوب
على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن
من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع فى الاثم
والعقاب ومحنة من الله تع ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة
وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم
بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية فى قلوبكم
يفرقون بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال
الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم
من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل
المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل
العظيم تنبيه على ان ما وعده الله لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس
مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين
كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم
واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق والحبس
او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم
لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة متشاورين
فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم
ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقال ابو البخترى رأيى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم
من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم

من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل
فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى
فتفرقوا على رأيه فاتى جبرائيل عم للنبى عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رض
على مضجعه وخرج مع ابى بكر رض الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم
عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا مما يحسن
للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث المرتد واسناده الى الجمع اسناد ما فعله
رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا اى تشاوروا فى امره عم وهذا غاية مكابرتهم
وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم بالترك عار وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا
فى باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود روى انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير
الاولين قال له النبى عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان
القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد
منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو
مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذى
يدعيه النبى وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير
الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على ان
تعذيبهم عذاب استئصال والنبى بين اظهرهم خارج عن عادته اى الله غير مستقيم فى قضائه والمراد
باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على
معنى لو استغفروا لم يعذبوا لقوله تع وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون
عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله والمؤمنين الى الهجرة
واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد
لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون

من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة
العدم وما كان صلاتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون
موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكاء وتصدية
تصفيقا تفعلة من الصدا او من صد يصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم
ولايتهم للمسجد فانها لا يليق بمن هذه صلوته روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال
والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون فذوقوا العذاب
يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود
ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب
قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد عم لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد
بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم
في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود
جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم
بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن
او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوة رسول الله عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة
بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو
ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض
حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه ككال الكانزين
فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او
الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم

لهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خاطبهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تع وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم الاديان الباطلة
فان انتهوا من الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم
وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام
والاخراج عن ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة
على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله موليكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من
تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم ان الذي اخذتموه من الكفار
قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتداء خبره محذوف
اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله فيه للتعظيم كما في قوله تع
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول
ولذي القربى واليتمى والمساكين وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف
الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول عم يصرف الى ما كان يصرفه اليه
من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال
ابو ح سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن
مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظ
الاية وقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عم كان ياخذ منه
قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم
الى سهم الرسول وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه عم قسم سهم ذوي القربى عليهما
فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك
الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عم انهم
لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل
جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله
لهم وقيل المراد باليتمى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت
ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال
على راس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اى ان كنتم

امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية
فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات
هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين
اي الرسول والمؤمنون يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم
التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير
والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات
الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب
وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو
ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني
الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة
على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم
على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم
واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة
تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب لم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا
قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم
وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق
لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تع خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن
جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل
وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر
والاسلام والمراد بمن هلك وبمن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله
وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقراء ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام
للحمل على المستقبل وان الله سميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ
يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم

على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت
اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه
عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين
المسلمين حتى قال ابن مسعود رض لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة
تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا
واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض
مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به
او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال
الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة
ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال
فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره
مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد
ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تع وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بشراشره فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا
باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك
قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه
مشبهة بها في هبوبها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تع
وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين
بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها
لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك
انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل
لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا
من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا
امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء
امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا

ان جعل مفعولاً له لكن على تاويل المصدر وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فيجازيكم عليه وَإِذْ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مقدر باذكر أَعْمَالَهُمْ في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم
وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ مقالة نفسانية والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم
ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين
وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلة والا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ اى تلاقى الفريقان نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ رجع القهقرى اى بطل
كيده وعاد ما خيل لهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ اى تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما راى امداد الله تعالى
المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الوحشة وكاد
ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم
وانى مجير لكم من بنى كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث بن هشام فقال له
الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى
بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف
الله انى اخافه ان يصيبنى مكروها من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت
الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر وَاللهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اى شك والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون
وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غَرَّ هَؤُلَاءِ يعنون المؤمنين دِينُهُمْ حتى تعرضوا
لما لا يدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ جواب لهم
فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غالب لا يذل من استجار به وان قل حَكِيمٌ يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده
العقل ويعجز عن ادراكه وَلَوْ تَرَى ولو رايت فان لو يجعل المضارع ماضيا عكس إِنْ
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اى ولو ترى
الكفرة او ما لهم والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان
يكون الفاعل ضمير الله وهو مبتدا خبره يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ والجملة حال من الذين كفروا
واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله
على الضميرين وَأَدْبَارَهُمْ ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اى يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ عطف على يضربون باضمار القول اى

ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما
ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذَلِكَ الضرب والعذاب
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ
بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ عطف عليه للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل
العبيد كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ اى داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى
دابوا فيه اى داموا عليه وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من قبل آل فرعون كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ تفسير
لدابهم فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ كما اخذ هؤلاء إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ لا يغلبه فى دفعه
شئ ذَلِكَ اشارة الى ما حل بهم بِأَنَّ اللهَ بسبب ان الله لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ
مبدلا اياها بالنقمة حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير
قريش ما لهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه
منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه
بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله تع ما انعم عليهم حتى يغيروا احوالهم بل ما هو المفهوم له
وهو جرى عادته على تغييره متى يغيروا احوالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو
لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ لما يقولون
عَلِيمٌ بما يفعلون كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله تع
بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير
فى النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وَكُلٌّ من الفرق المكذبة ومن غرقى القبط وقتلى قريش
كَانُوا ظَالِمِينَ انفسهم بالكفر والمعاصى إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا اصروا على
الكفر ورسخوا فيه فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعى
تحقق المعطوف وقوله تع الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ بدل من الذين
كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود بنى قريظة عاهدهم رسول الله ان لا يمالئوا
عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسيناه ثم عاهدهم عليه فنكثوا ومالئوهم
عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى
الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ سبة الغدر ومغبته
او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فاما تصادفنهم

وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية
فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال
المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل
التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم
معاندين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء
على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء
في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب
الخائنين تعليل الامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة
الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي عليه السلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه
وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا
والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان
ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة
ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين او مفلتين والاظهر انه تعليل
للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله ولا يجدون طالبهم عاجزا
عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة
لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به
في الحرب وعن عقبة بن عامر رض سمعته عم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله عم
خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى
مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط
كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف
جبرائل وميكائل عليهما السلام ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد
والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة واخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه
وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى
باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها فعاهد معهم
وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها وهو الحرب فيه قال عم السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك
من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب
لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك
الله فان محسبك وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب
وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية
والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا
كنفس واحدة وهذا من معجزاته عم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر
على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب
يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف
ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع
هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا
يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه
كقوله اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا
على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت
بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي عم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر رض فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين
على القتال بالغ في حثهم واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت
وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة
والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله تع وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر
تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان يكن منكم مائة بانهم قوم
لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب
وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله تع الا الهوان والخذلان
الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله تع على الواحد
مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف الله عنهم بمقاومة الواحد الاثنين
وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عليهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف

البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو
قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبوا ما كان لنبي
وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله
من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون
عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او
سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف
كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه
على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه عم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب
فاستشار فيهم فقال ابو بكر رض قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية يقوى بها اصحابك وقال عمر رض اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء فمكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم
فلم يهو ذلك رسول الله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه واخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رض
على رسول الله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء
بكيت والا تباكيت فقال عم ابك على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية تدل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد
يكون خطاء ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله
سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما
بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم
من الفداء عذاب عظيم روي انه عم قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رض
وذلك انه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل
امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم
الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال
من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك

المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله تع طيبا واتقوا الله في مخالفته
ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا
مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه
وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت
فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال
وما يدريك فقال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رض
فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود
بقوله تع ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض
ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم
اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ورسوله وجاهدوا
باموالهم وصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها في المحاويج وانفسهم في سبيل الله
بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم
على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون
بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تع واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فوجب
عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض
عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث
او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا
تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى الميراث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين

فى الايمان منهم وهم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل
المال ونصرة الحق و وعدلهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة
ولا منة فيه ثم الحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون
والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى التوارث من الاجانب فى كتاب الله
فى حكمه او فى اللوح او فى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شئ عليم
من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا وباعتبار القرابة ثانيا
عن النبى عليه السلام من قرا سورة الانفال فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه
برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته

وهى اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة
والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها
من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرى منه والبحث عن حال المنافقين
واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم

وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبى عم
اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه
قصة الانفال وتناسبها لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذها فضمت اليها
اليها وقيل لما اختلفت الصحابة فى انها سورة واحدة وهى سابعة السبع الطوال او سورتان
تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اى هذه براءة ومن
ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان يكون براءة مبتداء
لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا
براءة والمعنى ان الله ورسوله بريا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانما علقت
البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهد المشركين
اليهم وان كانت صادرة باذن الله تع واتفاق الرسول فانهما بريا منها وذلك انهم عاهدوا
مشركى العرب فنكثوا الا ناسا منهم بنى ضمرة وبنى كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل
المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا فى الارض اربعة اشهر شوال
وذى القعدة وذى الحجة والمحرم لانها نزلت فى شوال وقيل عشرون من ذى الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روى انها لما نزلت

نزلت ارسل رسول الله عليا راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر
اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنى على
سمع ابو بكر رض الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور
قال مامور فلما كان يوم التروية خطب ابو بكر رض وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم
النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا
فقرا عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الى كل ذى عهد عهده ولعل قوله عم لا يؤدى عنى الا رجل منى ليس على العموم فانه عم
بعث لان يؤدى عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب
ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه فى بعض الروايات
قال لا ينبغى لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلى واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه
وان امهلكم وان الله مخزى الكافرين بالقتل والاسر فى الدنيا والعذاب فى الاخرة
واذان من الله ورسوله الى الناس اى اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه
كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله
ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع
فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان
العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى
الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اى بان الله برئ من المشركين
اى من عهودهم ورسوله عطف على المستكن فى برئ او على محل ان واسمها فى قراءة
من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو
بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله تع براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر
فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء
فاعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا وبشر الذين كفروا
بعذاب اليم فى الاخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم
شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا
عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم

مجرى الناكثين إن الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فإذا انسلخ اى انقضى واصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة
الأشهر الحرم التى ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هى رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما
نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام
واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف فإن تابوا
عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا
سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع
الزكوة لا يخلى سبيله إن الله غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم
غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وإن أحد من المشركين المامور بالتعرض لهم
استجارك استامنك وطلب منك جوارك فأجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره
ويطلع على حقيقة الامر ثم أبلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره
ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون
ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد
لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفى الله ورسوله بالعهد وهم
نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين
صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن
خبرا فتبيين إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب
على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين
عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا
امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تع فاتموا اليهم عهدهم
غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية إن الله يحب المتقين سبق بيانه
كيف تكرير لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل
للعلم به كما فى قوله وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب
اى فكيف مات وإن يظهروا عليكم وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا
فيكم إلا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال
النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا

اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب
ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشئ اذا حدده
او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرائل
ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استيناف لبيان حالهم
المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا
من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين
بوعد الايمان والطاعة وبيان الوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة
بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوهون بافواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر
لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر اليه احدوثة السوء
اشتروا بآيات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء
والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار
والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا
او ما دل عليه قوله تع لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل
الاول عام فى المنافقين وهو خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون فى الشرارة فإن تابوا عن الكفر
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم فى الدين لهم ما لكم
وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل
من احكام المعاهدين او خصال التائبين وإن نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا فى دينكم
بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا أئمة الكفر اى فقاتلوهم وضع ائمة
الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم فى الكفر
احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم
اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح
عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء (واظهار الياء) لحن انهم لا ايمان لهم
اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمى اذا طعن
فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا
وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تع وإن نكثوا
ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة

المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين
او ليس لهم ايمان فيراقبون لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن
غرضكم فى المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريق المؤذين
الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فافادت المبالغة
فى الفعل نكثوا ايمانهم التى حلفوها مع الرسول عم والمؤمنين على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا فى امره بدار
الندوة على ما مر ذكره فى قوله تع واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد
الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عم
بداهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة
فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم
مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ
على تركه والوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان
قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها
اذى شديدا فشكوا الى رسول الله فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
لما لقوا منهم وقد اوفى الله تع بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء
ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على
اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب
لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق
الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ولم يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفى المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل فى الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة (صديقا)
يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك
متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظ قوله تع ولما
يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه

عليه قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك
وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روى انه لما اسر العباس رض عيره المسلمون بالشرك وقطيعة
الرحم فاغلظ له على رض فى هذا القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا وانا
لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى (اى الاسير) فنزلت اولئك
حبطت اعمالهم التى يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفى النار هم خالدون لاجله
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اى انما
تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن النبى عم قال الله تع ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر
الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله تع
واقام الصلوة وآتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اى فى ابواب الدين فان الخشية
عن المحاذير جبلى لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم
بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل
فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله السقاية
والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية
الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة سقاة الحاج
وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم
المثبتة ثم قرر ذلك بقوله تع لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله تع والله
لا يهدى القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عم منهمكون فى الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل
السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة
يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا

اكد الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه
ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم
أولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعوكم عن الايمان
ويصدونكم عن الطاعة لقوله تع إن استحبوا الكفر على الإيمان ان اختاروه وحرصوا
عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير محلها
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ
من العِشرة وقيل من العَشَرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ
ابوبكر وعشيراتكم وقرئ وعشايركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة
تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله
وجهاد فى سبيله الحب الاختيارى دون الطبعى فانه لا يدخل تحت التكليف لتحفظ
عنه فتربصوا حتى يأتى الله بأمره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة
وقيل فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم
وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن او يفسر الموطن
بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف
على موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم
واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بمكة والطائف حارب فيه رسول الله
والمؤمنون وكانوا اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا مكة والفان انضموا اليهم
من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الآف فلما التقوا قال النبى عليه السلام
وابوبكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا
شديدا فادرك المسلمون اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة
وبقى رسول الله فى مركزه ليس معه الا عمه العباس رض اخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان
بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس
ونادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال ام هذا حين حمى الوطيس واخذ
كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اى الكثرة
شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت برحبها اى

اى بسعتها لا يجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسهم من شدة الرعب او لا يثبتون فيها
كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار
الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها وامنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالهما
وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها باعينكم يعنى
الملائكة وكانوا خمسة الآف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين
كفروا بالقتل والاسر والسبى وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا
ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم
يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله واسلموا وقالوا
يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبى
يومئذ ستة الآف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبايكم
واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله وقال ان هؤلاء جاؤا
مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى
وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس لخبث باطنهم
او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون
عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان الماء الغالب بنجاسة نجس وعن
ابن عباس رض ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد
فى كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا
واليه ذهب ابو ح رحمه الله وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعنى سنة براءة وهى التاسعة
وقيل سنة حجة الوداع وإن خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان
لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة
وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار
الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال إن شاء قيده بالمشية لتنقطع
الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل فى ذلك فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض

وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فايمانهم كلا ايمان
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي
يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين
الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين
لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد
حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير
باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير
او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد او عن
انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رض تؤخذ
الجزية من الذمي وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده
ان عمر رض لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رض انه ع م اخذها من مجوس هجر
وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما
سائر الكفرة فلا يؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي ح رحمه الله يؤخذ منهم الا من مشركي العرب
لما روى الزهري انه ع م صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل
كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو ح على الغني ثمانية
واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا
ذلك لانه لم يبق بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد مائة عام
املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا
القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي
ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى
اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن
وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من
لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او
اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه
في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم

المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة
المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت
الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب
من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او
بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا وما امر المتخذون او المتخذون
اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى
واما طاعة الرسول وسائر من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا
هو صفة ثانية او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه
عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى
الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة
محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان
يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون
محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه
وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله
والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمى اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون
عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز
ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها
وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه
بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله
فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكوته
فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق
فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله
فيما اورده الشيخان عن ابي هريرة رض ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا

اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم هو الكى بهما يوم يحمى عليها فى نار جهنم اى يوم توقد النار ذات حمى
شديد عليها واصله يحمى النار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل
الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما
قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رض
اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما
للكنوز او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية اولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوا
ظهورهم اولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة
التى هى الدماغ والقلب والكبد اولانها اصول الجهات الاربع التى هى مقاديم البدن
ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب
تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون
بضم النون ان عدة الشهور اى مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر
اثنى عشر شهرا فى كتاب الله فى اللوح المحفوظ او فى حكمه وهو صفة لاثنى عشر وقوله تعالى
يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا
والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم
واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اى تحريم
الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة
فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال
الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم واشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد
الاول ما روى انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن وحنين فى شوال وذى القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهى مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف
عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب
تقواهم انما النسئ اى تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما
النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسى بحذفها والنسى من النساء والنسئ

والنسئ وثلثها مصادر نساه اذا اخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل
ما حرمه وهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى
وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون
النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على
حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم
فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا
عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا
ما حرم الله بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على
البناء للفاعل وهو الله تع والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله
لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا
قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم
على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى
وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد
الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل
الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الاخرة فى جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما
بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين
مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه
شيئا فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله وعده
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب
والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره الله
كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء
واقيم مقامه ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى
نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله تع له فى الخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص
مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به
زمان متسع والغار نقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا
اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه وهو ابو بكر رض لا تحزن ان الله معنا بالعصمة

والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضه على رسول الله فقال عم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل
لما دخلا الغار بعث الله تع حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه • فانزل
الله سكينته • امنته التى تسكن عندها القلوب • عليه • على النبى عليه السلام او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا • وايده بجنود لم تروها • يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه
فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر واحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله تع
نصره الله • وجعل كلمة الذين كفروا السفلى • يعنى الشرك او دعوة الكفر • وكلمة الله هى
العليا • يعنى التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول عم عن ايدى
الكفار الى المدينة او بتاييده اياه بالملائكة فى هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار
بان كلمة الله عالية فى نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك
وسط الفصل • والله عزيز حكيم • فى امره وتدبيره • انفروا خفافا • لنشاطكم له • وثقالا
عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم وكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله عم أعلى ان انفر
قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج • وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله • بما
امكن لكم منهما كليهما او احدهما • ذلكم خير لكم • من تركه • ان كنتم تعلمون • الخير علمتم انه
خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تع به صدق فبادروا اليه • لو كان عرضا قريبا •
اى لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ • وسفرا قاصدا • متوسطا • لاتبعوك •
لوافقوك • ولكن بعدت عليهم الشقة • اى المسافة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين
والشين • وسيحلفون بالله • اى المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين • لو استطعنا •
يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها
بواو الضمير فى قوله اشتروا الضلالة • لخرجنا معكم • ساد مسد جوابى القسم والشرط وهذا
من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه • يهلكون انفسهم • بايقاعها فى العذاب وهو بدل
من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس فى الهلاك او حال من فاعله • والله يعلم انهم لكاذبون
فى ذلك لانهم كانوا مستطيعين بالخروج • عفا الله عنك • كناية عن خطائه فى الاذن
فان العفو من روادفه • لم اذنت لهم • بيان لما كنى عنه بالعفو والمعاتبة عليه والمعنى لاى
شئ اذنت لهم فى القعود حين استأذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت • حتى يتبين
لك الذين صدقوا • فى الاعتذار • وتعلم الكاذبين • فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين
لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما • لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله

بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • اى ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
فى ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا ان
يستأذنوا فى التخلف عنه او ان يستأذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا • والله عليم
بالمتقين • شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه • انما يستأذنك • فى التخلف • الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر فى الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما • وارتابت
قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون • يتحيرون • ولو ارادوا الخروج لاعدوا له • للخروج
عدة • اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله • واخلفوك عد الامر الذى
وعدوا • وعده بكسر العين باضافة وغيرها • ولكن كره الله انبعاثهم • استدراك
عن مفهوم قوله تع ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تع كره
انبعاثهم اى نهوضهم للخروج • فثبطهم • فحبسهم بالجبن والكسل • وقيل اقعدوا مع
القاعدين • تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان
بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل
المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخ عن ذم • لو خرجوا فيكم ما زادوكم • بخروجهم شيئا
الا خبالا • الا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا لزادوا لان الزيادة
باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا
وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا • ولاوضعوا خلالكم • ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة
والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع • يبغونكم الفتنة •
يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير
فى اوضعوا • وفيكم سماعون لهم • ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون
حديثكم للنقل اليهم • والله عليم بالظالمين • فيعلم ضمائرهم وما يأتى منهم • لقد ابتغوا
الفتنة • تشتيت امرك وتفريق اصحابك • من قبل • يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه
كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول عم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع
انصرفوا يوم احد • وقلبوا لك الامور • ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء
فى ابطال امرك • حتى جاء الحق • النصر والتاييد الالهى • وظهر امر الله • علا دينه • وهم كارهون
اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله
لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا
لما فوت الرسول عم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه • ومنهم من يقول ائذن لى
فى القعود • ولا تفتنى • ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لى وفيه

اشعار بانه لا محالة متخلف اذن او لم ياذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال
اذ لا كافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى. الا فى الفتنة
سقطوا. اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا
عنه. وان جهنم لمحيطة بالكافرين. جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم. ان
تصبك فى بعض غزواتك. حسنة. ظفر وغنيمة. تسؤهم. لفرط حسدهم. وان
تصبك. فى بعضها. مصيبة. كسر او شدة كما اصاب يوم احد. يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل
يتبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم فى التخلف. ويتولوا. عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم
او عن الرسول عم. وهم فرحون. مسرورون. قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا. الا
ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا فى اللوح لا يتغير
بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه
من بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما قصد
وقيل من الصوب. هو مولانا. ناصرنا ومتولى امرنا. وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم
ان لا يتكلوا على غيره. قل هل تربصون بنا. تنتظرون بنا. الا احدى الحسنيين. الا
احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة. ونحن نتربص بكم.
ايضا احدى السوأيين. ان يصيبكم الله بعذاب من عنده. بقارعة من السماء. او بايدينا.
او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر. فتربصوا. ما هو عاقبتنا. انا معكم متربصون. ما هو
عاقبتكم. قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم. امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة فى تساوى الانفاقين فى عدم القبول
كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس
واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله تعالى
انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له. وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله. اى وما منعهم قبول
الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل
على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا. فلا تعجبك اموالهم ولا
اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال الله تع انما يريد الله ليعذبهم بها
فى الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها
من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون. فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع

بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة
ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا
حصنا يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يتجحرون اليه مفتعل من الدخول
وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا
من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ
كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ ابن كثير
يلمزك ويعقوب يلمزك بالضم فى الصدقات فى قسمها فان اعطوا منها رضوا
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت فى ابى الجواظ المنافق قال الا ترون
الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة
رأس الخوارج كان رسول يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم
عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عم ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب
مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
والصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عم كان بامره وقالوا حسبنا
الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر
مما آتانا انا الى الله راغبون فى ان يغنينا من فضله والآية باسرها فى حيز الشرط والجواب
محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عم
انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل
على ان المراد باللمز لمزهم فى قسمة الزكوة دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب
يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه
من السكون كان العجز اسكنه ويدل عليه قوله تع اما السفينة فكانت لمساكين وانه
سال المسكنة وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تع او مسكينا ذا متربة والعاملين
عليها الساعين فى تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه
فتالف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله
عيينة بن حصين والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون
على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم من خمس الخمس والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس
الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانع الزكوة
وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله تع وكثر اهله سقط وفى الرقاب
وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب

فيعتق به قال مالك واحمد او بان تفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على
ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين
لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء
لقوله عم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او لرجل
اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين
للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله وللصرف فى الجهاد والانفاق على المتطوعة
وابتياع الكراع والسلاح وقيل فى بناء القناطير والمصانع وابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات
فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم
حكيم يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم
قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رحمه الله وعن عمر وحذيفة وابن عباس
وغيرهم من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال
الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى على ان الآية
بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى
ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط
استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك او اشتق فعل من اذن اذنا
اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه
فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى
ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله تع يؤمن بالله يصدق به
لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة
للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى هو رحمة للذين
آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل
قولكم جهلا بحالكم بل رفقا وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ
بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع واذن بالتخفيف
فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اى لترضوا
عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق
وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير

التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه
ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق الله مفاعلة من الحد فان
له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الاهلاك الدائم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء
ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر
الرسول بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله تع
قل استهزؤا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة
فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله فى غزوة تبوك فقالوا انظروا
الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله تع نبيه فدعاهم
فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة
الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عم والطعن فيه بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء
والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين
على الايذاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله تعالى
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان
كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تع وما هم
منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون
بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار فى قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته
فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد
والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين

فيها مقدرين بالخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم
الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه
من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم
فاستمتعوا بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير
فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم
الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر
فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين لمشابهتهم واقتفائهم
اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذى خاضوا
او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا فى الدنيا والآخرة الم يأتهم
نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابراهيم اهلك نمروذ واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب
اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت بها
فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين
وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما
كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله تع المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين
مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع
الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث
انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود
وعنه عم عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة
النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف
فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه

اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب
الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين
ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم
وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله يقول لاهل
الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم نعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فقالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل عليكم
رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز
العظيم الذى يستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم
جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عم اقام غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد عم
لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر
بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول عم وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ
عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع
حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا او باخراجه
واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله وما نقموا
وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان
اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ
من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير
فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب
اتى النبى عليه السلام وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدى
شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطين
كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل

واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه
وادٍ فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه
السلام ان الله منعني ان اقبل منك وجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك
قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رض
في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رض فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق
الله تع منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله تع عاقبة فعلهم ذلك نفاقا سوء اعتقاد في قلوبهم
ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه
يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه
بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين
او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد
الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق
او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية
الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم
مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف رض باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة آلاف
وامسكت لعيالي اربعة آلاف فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق
عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر
بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت
والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر
اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تع
الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي

التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله تع ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه
الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا لقصور فيك
بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين
المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر
والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه
على عذر الرسول عم في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم
مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تع ما كان للنبي
والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم
اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال
اقام خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله
وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا
في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها
بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة
على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه
حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون
الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله
الى طائفة منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم
لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج
الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة
عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي
المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين

ولا تصل على احد منهم مات ابدا روى ان ابن ابى دعا رسول الله فى مرضه فلما دخل عليه
سأله ان يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات ارسل
قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه
عن التكفين فى قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه
كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت
والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله مات ابدا يعنى
الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحى ولا تقم على قبره ولا
تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
تعليل للنهى اولتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة
الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه فى فريق غير الاول
واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا بالله
ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذو
الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لا خير فيه وطبع على قلوبهم
فهم لا يفقهون ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلف عنه
من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف
هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات
حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات
الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعنى اسدا وغطفان استأذنوا فى التخلف
معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
طى على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له
او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين
لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا
اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ
التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف فى انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون
قوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فى غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله

فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم
بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة حرج اثم فى التأخر اذا نصحوا لله ورسوله
بالايمان والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا
يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح
ولا على معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون
فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسئ فكيف للمحسنين
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤن
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة
بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد اتوا رسول الله وقالوا نذرنا الخروج معك فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل
هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى وقومه واصحابه قلت لا اجد ما احملكم
عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع
اى دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهى ابلغ من تفيض دمعها
لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون
فى مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون
الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر
وهو رضاؤهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم
حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم فى التخلف اذا
رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم
لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما
فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون
عليه فكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه
فوضع الوصف مع الضمير للدلالة على انه تعالى مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم
واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأديب
فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض

وترك المعاتبة وماويهم جهنم من تمام العلة وكانه قال انهم من اهل النار لا ينفع
فيهم التوبيخ فى الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا
عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم
لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا
عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله
ورضاكم وحده لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان
يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تع فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان
بهم والمقصود من الاية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم
وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم لاهل الكتاب والسنة واجدر
الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع وفرايضها
وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به
مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه
فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجوا
عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم
بنحو ما يتربصونه او اخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او
اسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة
كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله سميع
لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله بسبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعند الله
صفتها او ظرف يتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه ع كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى
عليه كما قال عليه السلام اللهم صل على ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره
الا انها قربة لهم شهادة من الله تع بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع
حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء
سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله
غفور رحيم لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم والثانية فى عبد الله
ذى البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين

القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار هم اهل بيعة العقبة
الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين او الذين امنوا حين قدم
عليهم ابو زرارة ومصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين
اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من النعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرا ابن كثير
من تحتها كما هو فى سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اى ممن حول بلدتكم يعنى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار كانوا نازلين حول المدينة ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف
صفته مردوا على النفاق ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن
جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة المنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على
الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد خفى عليك حالهم مع كمال
فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا يلبسوا عليك
لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب
القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار
واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة
من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين فقدم
رسول الله فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكروا له انهم اقسموا
ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب
باخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم بعت
الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب
عليهم ان يقبل توبتهم وهى مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم
يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روى انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدى بهم الى مثله وقرئ تطهرهم
من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمى بها حسناتهم وترفعهم
الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك

سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقراء
حمزة والكسائى وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا
الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
اولغيرهم والمراد به التخصيص عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت
وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا
ليؤدى بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل
عليهم وقل اعملوا ماشئتم فسيرى الله عملكم فانه لايخفى عليه خيرا كان او شرا
ورسوله والمؤمنون فانه تع لايخفى عنهم كما رايتم ويبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون
من المتخلفين مرجون مؤخرون اوموقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقراء نافع
وحمزة والكسائى وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله فى شانهم اما يعذبهم
ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان
كلا الامرين بارادة الله تع والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور
رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن اميه ومرارة بن الربيع امر رسول الله صم
اصحابه ان لايسلموا عليهم ولايكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم
الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره
محذوف اى فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقراء نافع وابن عامر
بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سالوا
رسول الله ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا الى رسول الله
فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدى
وعامر بن السكن والوحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذين يضمرونه وتفريقا
بين المؤمنين بريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة فى مسجد قباء وارصادا وترقبا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى الراهب فانه قال لرسول الله يوم احد لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتى من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان
يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا

باتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روى انه بنى قبيل غزوة تبوك
فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما
قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهى الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد
انهم لكاذبون فى حلفهم لاتقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعنى مسجد قباء
اسسه رسول الله وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة
او مسجد رسول الله لقول ابى سعيد سالت رسول الله عليه السلام هو مسجدكم هذا
مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله
لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلى فيه
فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضات الله
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى
وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها
فقال عمر رض انهم مؤمنون وانا معهم فقال لهم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون
على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون فى الرخاء قالوا نعم قال صم مؤمنون ورب الكعبة
فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فماذا تصنعون عند الوضوء
وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا
رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان
خير على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هى اضعف القواعد وارخاها فانهار به فى نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو
ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار ووضعه فى مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى
ومقتضياته التى الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع فى النار
ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقراء نافع وابن عامر اسس على البناء
للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس بالكسر
وثلثها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقراء ابن عامر
وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لايهدى القوم الظالمين الى ما فيه صلاح ونجاة

لايزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا
والمعنى ان بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه
الرسول عم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم الا ان
تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة
والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كائن بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع
بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف
وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول
والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم
في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى
وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت
ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا
مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن
مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز
وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه
اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح
اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف
تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله تع وكلا وعد الله الحسنى
او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ
بالياء من التائبين الى والحافظين نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون
الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه يعوق
عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت
او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون
بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه
للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين
وفي قوله تع والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه

للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم
بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه
ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل
ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن
الكامل من كان له كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عم قال
لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا
فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن
لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع
النقض باستغفار ابرهيم عم لابيه الكافر فقال تع وما كان استغفار ابرهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم عم اباه بقوله تع لاستغفرن لك اي لاطلبن
مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اياه او وعدها ابرهيم
ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه
لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن فرط
ترحم ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته
عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم
للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول
في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم
فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك
وجوب التبري عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتأتى
لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود
فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين
في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تع ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار لقوله تع وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه

ماهو نيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء
والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا
يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او اتباع الرسول عم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير
في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم
وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا
تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم
قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ
من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى
ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل
عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم
وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين او في توبتهم وانابتهم
فيكون المراد هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى
ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير
وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة
حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه
ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل
عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم
ظمأ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون
موطئا يغيظ الكفار يغيظهم وطاؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر
الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة ان الله

الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان
اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق
المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رض في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم
وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم
اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن
جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين
ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه
بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون
غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر
فرقها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت
القول فيه تقريرا واعتراضا في كتاب المرصاد وقد قيل للاية معنى اخر وهو انه لما نزل
في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي
هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير
في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف
اي لينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب
كما امر رسول الله اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون
الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ
بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين

امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان
بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم
وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا
عليه اولا يرون يعني المنافقين وقراء حمزة بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف
البليات او بالجهاد مع رسول الله فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام
مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا
لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اى يقولون هل يراكم احد
ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا
عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار
والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد
جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اى من اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقائكم المكروه حريص عليكم اى
على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن
الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو
كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمكادير
وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله عنه ان اخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي عليه السلام ما نزل القرآن
على الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وقراء ورش بين اللفظين واما لها
الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك ايات الكتاب الحكيم اشارة الى
ما تضمنته السورة او القرآن من الاى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله
على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شئ منها اكان للناس عجبا استفهام
انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس
او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة

اعجوبة لهم فيوجهون نحوه انكارهم واستهزائهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم
من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجعلهم بحقيقة الوحي والنبوة
هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شئ
في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا
كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة
فيكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه
ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان
لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت
النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول
لسحر مبين وقراء ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف
بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا
الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور
لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم
ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اى الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شئ من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا الى غيره
فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله
حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد
بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم
وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو
الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة
في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة
والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه

واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشوم افعالهم والاية
كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة
مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ
انه مبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب
حقا هو الذى جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء
كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل
القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور وسمى نورا للمبالغة وهو
اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه
خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بالعرض بمقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره
منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او
للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب اى حساب الاوقات من الاشهر
والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق اى ملتبسا
بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان فى اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله فى السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر
والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا
اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها
والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف
اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد للجمع بين الذهول عن الايات رأسا
والانهماك فى الشهوات بحيث لا يخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد
بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل
عن التأمل فى الاجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون
بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك
الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله تع علم ما لم يعلم او لما يريدونه
فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح

الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح
كالتتمة والرديف له تجرى من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير
المنصوب على المعنى الاخير وقوله فى جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق
بتجرى او بيهدى دعويهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم
ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعويهم وآخر دعائهم
ان الحمد لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا
عظمة الله وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الافات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان
هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرع
استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير
حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لاميتوا
واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تع وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه
الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس
الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اى مضطجعا او قاعدا
او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه
ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كأن
لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال شاعر ونحر مشرق اللون كأن ثدياه
حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون
من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة
لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغى وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على
ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم
بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة فى امهالهم نجزى القوم المجرمين
نجزى كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام
فيه ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التى اهلكناهم

استخلف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم
وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة
على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن
الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقراوه ليس فيه ما نستبعده من البعث
والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان
الاية المشتملة على ذلك اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل
ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا
وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران آخر ان
اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه
بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف
ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب
بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم
على لساني وعن ابن كثير ولادريكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولاعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري
وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادراكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء
همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
والمعنى ان الامر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك
بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن
لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين
اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة
ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى
على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين
على ما هي عليه علم انه معلم من الله تعالى افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم
بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد
مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك
وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون

ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء
الاوثان شفعاؤنا عند الله يشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة
ان يكن بعث وكانهم شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار
النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل
اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم لهم او هؤلاء
شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق في السموات ولا في الارض
حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او
ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي
هنا وفي الموضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين
على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل
او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير
الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي
بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل
عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله
يعلم في انزال الايات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه
اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض
اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين
حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله
قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل
عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله
اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه
على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء
ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر والبحر يحملكم على السير ويمكنكم به وقرأ ابن عامر
بالنون والشين من النشر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل
عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة
لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى

تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج
منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا
الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو
بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجيهم اجابة لدعائهم اذا هم
يبغون في الارض فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين
فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفار واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه
على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى
ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع
الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر
محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه
البغي وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها
بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات
واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت
بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت
من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابيضت وظن اهلها انهم
قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان
لم تغن كان لم تغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به
مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا
والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه
حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
فانهم المنتفعون والله يدعوا الى دار السلام السلامة من التقضي والافة او دار الله

ولله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من
يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها
وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية
دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا
الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله تع ويزيدهم من فضله
وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم
ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز
في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتداء والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة بمثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف وكانما اغشيت او اولئك اصحاب النار
وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتداء خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع
او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون
للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما
حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور
والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي
ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية لان السيئات عام يتناول الكافر والفاسق
والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا
يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين
ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير
المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا
بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم
لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فيشافههم بذلك مكان

الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس
ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة
اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو
بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر بحالها المتعرف
لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي
العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة
لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع
عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من
يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد
ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف
اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما
وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص
فسيقولون الله اذ لا يقدرون من المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل
افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم
الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته
لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع
في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت
الربوبية لله وان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه
وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفي آخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها
والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة
كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عم
بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان

ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه
معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم يتوجه نحوه على
سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدي من قولهم
هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة
والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال
ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر رض يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو
بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية
قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل
بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة
واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة
والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف
ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان
يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول
واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على
اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله
افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد
على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله
تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق الذي وتفصيل الكتاب
وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب
وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه
مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا
من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل
المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع
عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه
محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم

وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم
والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به من دون الله سوى الله تع فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه
بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا
اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر
ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه
او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب
والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه
ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي
فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها اولما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره
مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم
ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او
من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ
منه فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون
مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنه وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت
تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم
وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف
به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة
بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة
فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر
اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم
ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار
هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر
ويتفطن لما يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله

ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون
بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار
بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل
من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف
ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم
في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر
محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى
مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا
من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر
الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على
افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم
القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم
ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب
منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في طلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان
اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب

يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبرونى
والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجئ الوعيد
لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه
ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة
بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع آمنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم
لتاخير الانكار آلآن على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم
به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم
على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصى ويستنبئونك
ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل
تهزل به قاله حيى بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله
ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فانه فيه تعريض بانه باطل واحق
مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك
قل اى وربى انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن
واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله
ولا يقال اى وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدى على الغير ما فى الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها
من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا
بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا
الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها
تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم اسر الشئ واسره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط
وهم لا يظلمون ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة
المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة
الظلم عليهم الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير لقدرته على الاثابة والعقاب
الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون
لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيى ويميت فى الدنيا فهو
عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت
قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة

موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب
جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة فى المحاسن والزاجرة
عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزل عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال
الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان
والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله
فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا
او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل
والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا
والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد
كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعى وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض
وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها
الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو
خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا
لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى
اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه
حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا قل آلله اذن لكم فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون
فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان
يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما
ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شئ ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه
وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد
عظيم ان الله لذو فضل على الناس من حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون فى شأن ولا
تكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى وما تتلو منه
له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله
ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفى او للقرآن واضماره
قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم

ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عمّ ما يتناول الجليل والحقير الا كنا
عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء هنا
وفي سبا من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي
في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما
وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه
بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا
نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر
ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار
جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
بفوات مأمول والآية مجمل فسّره بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا
وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحياة الدنيا وهو ما بشّر به المتقين
في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على
وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله
لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين
في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم
اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة
لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم
ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن
في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات
عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو
كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة
وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم

ظنهم انها شركاء اي الاصنام ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة
على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة
والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون
الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف
المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن
يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد
مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم
من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان
قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على
ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد
فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك
اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف
اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ
خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم
نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره
مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي
كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة
وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه
وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه
منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع
والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة
بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه

ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن ما لكم عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم عن ثقل
مقامى وتذكيرى ثم اقضوا ادوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفا
اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى اذا خرج من الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلونى
فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم
اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى ما ثوابى على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق
له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف
امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليه كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن
معه فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا
الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم
وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا
الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم
بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك
نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم فى الضلالة واتباع المألوف وفى امثال
ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا
من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات
التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك
تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر
المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر
انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر
فحذف المحكى المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم بتوا القول
بل هو استفهام بانكار ما قالوا اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم
قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله
سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى
للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء

الكبرياء فى الارض الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس
باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتونى
بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى
جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتداء محذوف تقديره
أهو السحر او هو مبتداء خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده
تقديره اى شئ اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة
له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك فما آمن لموسى فى مبداء امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه
بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون
والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه
وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون
وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة
ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او
مفعول لخوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملاء كان بسببه وان
فرعون لعال فى الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين فى الكبر والعتو حتى ادعى
الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا وثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم
مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله
فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله
توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا
لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيفتنوننا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل
على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوآ اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون
اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد

متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى يصلى اليها وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ فيها امروا
بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم
واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة
مما ينبغى ان يفعله كل احد ثم وحده لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة
وَقَالَ مُوسٰى رَبَّنَا اِنَّكَ اٰتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَاَهُ زِينَةً ما يتزين به من الملابس والمراكب
ونحوهما وَاَمْوَالًا فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وانواعا من المال رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ دعاء
عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس
وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم
على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها فى الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض
ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله رَبَّنَا اطْمِسْ عَلٰى اَمْوَالِهِمْ اهلكها والطمس المحو وقرئ
واطمُس بالضم وَاشْدُدْ عَلٰى قُلُوبِهِمْ واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان
فَلَا يُؤْمِنُوا حَتّٰى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيمَ جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى او عطف
على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قَالَ قَدْ اُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا يعنى موسى وهرون
عليهما السلام لانه كان يؤمن فَاسْتَقِيمَا فاثبتا على انتما عليه من الدعوة والزام
الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد
الدعاء اربعين سنة وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طريق الجهلة فى الاستعجال
او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وَجَاوَزْنَا بِبَنِى اِسْرَائِيلَ
الْبَحْرَ اى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المراد
المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فَاَتْبَعَهُمْ فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ وعدوا حَتّٰى
اِذَا اَدْرَكَهُ الْغَرَقُ لحقه قَالَ اٰمَنْتُ اَنَّهُ اى بانه لَا اِلٰهَ اِلَّا الَّذِى اٰمَنَتْ بِهِ بَنُوا
اِسْرَائِيلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف
بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل اٰلْاٰنَ
اتؤمن الآن وقد ايست عن نفسك ولم يبق لك اختيار وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ قبل ذلك
مدة عمرك وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ الضالين المضلين عن الايمان فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض

من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى
نلقيك بناحية الساحل بِبَدَنِكَ فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح او كاملا
سويا او عريانا من لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك
اى باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لِتَكُونَ
لِمَنْ خَلْفَكَ اٰيَةً لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا
على ممرهم من الساحل او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة
ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك
اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف
تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ اٰيَاتِنَا لَغَافِلُونَ لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وَلَقَدْ بَوَّاْنَا انزلنا بَنِى اِسْرَائِيلَ مُبَوَّاَ صِدْقٍ منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتّٰى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
فما اختلفوا فى امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او فى امر محمد عليه السلام
الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته اِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فيميز المحق عن المبطل بالانجاء والاهلاك فَاِنْ كُنْتَ فِى شَكٍّ
مِمَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ من القصص على سبيل الفرض والتقدير فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتَابَ
مِنْ قَبْلِكَ فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيه او وصف اهل الكتاب
بالرسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول عم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع
الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل الخطاب للنبى عليه السلام
والمراد به امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبينا
اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى
اهل العلم لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع منه
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين اِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ ثبتت عليهم كَلِمَةُ رَبِّكَ بانهم
يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لَا يُؤْمِنُونَ اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه

ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا
العذاب الاليم وح لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت
قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبلها الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما
آمنوا اول ما راوا العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون
الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية
فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع في قوم على البدل ومتعناهم الى حين
الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه
فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنى الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان
شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة
وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان
وتضرعوا الى الله تع فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تع لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء
ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس
بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها
حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل
فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا
على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله
ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرا ابو بكر ونجعل بالنون
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله
واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا
في السموات والارض من عجايب صنعه تع ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم
لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره

غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا
هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف
دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية
الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او الانجاء كذلك ننجي محمدا
وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك
قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا
وعملا فاعرضوها على العقل الصرف فانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني
لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي يوجدكم ويتوفيكم وانما
خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به
الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب وان اقم وجهك للدين عطف
على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستداد فيه باداء الفرايض
والانتهاء عن القبايح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه
ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان
دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب
لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراده بك
ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير
مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن
لامراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم
الحق من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة
فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير
ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم

حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء
فی حکمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي عليه السلام من قراء سورة يونس
اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ع م وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتداء وخبر او كتاب خبر مبتداء محذوف
احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج
والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على
امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقايد والاحكام
والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص
ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته
ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن
حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير
لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفى الا تعبدوا الا
الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون
كلاما مبتداء للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة
غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا اننى لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب
على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا
اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل
استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم للتفاوت ما بين
الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل واحد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط كل ذى فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب
بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة
وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى
الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير
فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها

يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي ع م او يولون ظهورهم
وقرئ تثنونى بالتاء والياء من اثنونى وهو بناء المبالغة وتثنوه واصله تثنونن من الثن
وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للنبي ع م وتثنئن من اثنان
كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنون عليه
قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا
وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية
مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون
الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوى
فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها فى الحيوة والممات
او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد
والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين
مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان
كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذى
خلق السموات والارض في ستة ايام اى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل
والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان
موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش
من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم
احسن عملا متعلق بخلق اى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف
تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات
تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث
انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما في مراتب العلم والعمل
فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا
واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول

او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرا حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او تكون
ان بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه
من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة
معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع
الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم اي ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب
بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم
وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن
اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان
استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة
بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس
قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف
له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم
وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني
انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها
وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الناس في الدنيا من النعم والمحن
كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق
ادراك الطعم والمس مبداء الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما
لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا
كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء
منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك بترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو
ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود
ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسول عم عن الخيانة
في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك
بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك
او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به
صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم

ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله
في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم
بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني
اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر
لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفتر فان لم يستجيبوا لكم باتيان
ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم
وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك
رتب عليه قوله تع فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر
عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم
ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه
عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون
ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز
ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم
الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد
قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه
على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره
نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة
الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله ويوف على البناء للمفعول ونوفي
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والآية في اهل الرياء
وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار
مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار
العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم
لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل
واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ وباطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى

المصدر كقوله ولا خارجًا من فى زور كلامى وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه
برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا
شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى
اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم
يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى عم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته
وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعنى التورية فانها ايضا تتلوه
فى التصديق او البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرائيل عليه السلام
او لسان الرسول عم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير
فى يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ
كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة
على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التورية اماما
كتابا مؤتما به فى الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده يردها لا محالة
فلا تك فى مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه
الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله
اولئك يعرضون على ربهم فى الموقف بان يحبسوا او تعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق
لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها
عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة
وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا معجزين الله
فى الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعهم من العقاب ولكنه
اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع
لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأن

وكأن العلة فى مضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان
من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب
اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشترائهم عبادة الالهة بعبادة الله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم فى الآخرة هم
الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن
كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى
لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر
معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما
مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن
بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقول الصابح فالغانم
فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوى الفريقان
مثلا اى تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة
بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان
لا تعبدوا الا الله بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة
متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو
فى الحقيقة صفة المعذب لكن وصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك
صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادى الرأى
ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او من البدء اول الرأى والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى
الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا
من الحيوة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعك
علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك فى دعوى
النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم

اخبرونى إن كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده
بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة
فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها
للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت
وقرئ فعماها على ان الفعل لله تع أنلزمكموها أنلزمكم على الاهتداء بها وأنتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف
منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر
فمعلوم مما ذكر مالا جعلا إن أجري إلا على الله فانه المأمول منه وما أنا بطارد الذين
آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى أراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرنى من الله
بدفع انتقامه إن طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة أفلا تذكرون لتعرفوا ان
التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا أقول لكم عندى خزائن الله رزقه
وامواله حتى جحدتم فضلى ولا أعلم الغيب عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم
انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير
بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى ملك حتى تقولوا
ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما
فى انفسهم إنى إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى
اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه
على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم
دون تأمل معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا
فاطلته او اتيت بانواعه فأتنا بما تعدنا من العذاب إن كنت من الصادقين فى الدعوى
والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله إن شاء عاجلا او آجلا وما
انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم شرط ودليل
جواب والجملة دليل جواب قوله إن كان الله يريد أن يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت
طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا
من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تع يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف

خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك
هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم
أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى اجرامى وباله وقرئ اجرامى على الجمع
وأنا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الىّ وأوحى الى نوح انه لن
يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله فى ايمانهم
ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا
ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال
والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق التمثيل ووحينا اليك كيف
تصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب
عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال إن تسخروا منا فانا نسخر
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية
الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء أمرنا غاية لقوله ويصنع الفلك
وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على
خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعين وردة من ارض
الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها فى السفينة
من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكر وانثى هذا على قراءة حفص
والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى
وأهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق
عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كافرين ومن آمن
والمؤمنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه الثلاثة حام وسام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا
وامرأة من غيرهم روى انه عم اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل فى اسفلها

الدوآب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها
اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالركوب فى الارض بسم الله
مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله
وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف
محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله
على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتداء وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان بسم خبر او صلة
والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو
او الهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسوا
فقال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما ثم السلام عليكما وقراء حمزة والكسائى
وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما
يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربى لغفور رحيم
اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهى تجرى بهم متصل بمحذوف
دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهى تجرى وهم فيها فى موج كالجبال فى موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موج منها كجبل فى تراكمها وارتفاعها وما
قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه ليس
بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق
ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان
ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تع فخانتاهما اى الزنية وهو خطاء اذ الانبياء عصمت
من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة فى الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان فى معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل
للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بنى اركب معنا فى السفينة والجمهور كسروا اليا
ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمن فى الموضع
الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على
الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلف الرواية عنه فى ساير المواضع
وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين
فى الدين والانعزال قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء ان يغرقنى قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تع او الا مكان من رحمهم الله وهم
المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم
المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله فى عيشة راضية

راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين
نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض
ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال
قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذى يأتمر المنقاد لحكم المبادر
الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء نقص وقضى الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء
المؤمنين واستوت واستقرت السفينة على الجودى جبل بالموصل وقيل بالشام
وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك
اليوم فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا
بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية
فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز
الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين
فى نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر
عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال
رب ان ابنى من اهلى فان النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه
الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما له او فما باله لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل
غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم
على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع
الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفى كونه
من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف
ناقة ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت فانما هى اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا
بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله اى نوح مع ابنه وقراء الكسائى ويعقوب
انه عمل اى عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس
كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه فى شان ولده
او استفسار المانع للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله انى اعظك
ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال
واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقراء ابن
كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله
تسألننى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء

بالكسرة وانتهما نافع برواية ورش في الوصل قال رب إني أعوذ بك أن أسألك
فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته وإلا تغفر لي وان لم تغفر لي ما فرط
مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح
اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك
وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى أمم ممن معك وعلى امم هم الذين
معك سموا أمما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد
بهم المؤمنون لقوله وأمم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا
ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم
قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ع م
ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من أنباء الغيب اي بعضها نوحيها إليك خبر ثان
والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال
من الهاء ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند
قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت
وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما
لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ع م
إن العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي وإلى عاد
أخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا
الله وحده ما لكم من إله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده إن أنتم إلا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري
إلا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها
لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع أفلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا
المحق من المبطل والصواب من الخطاء ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه اطلبوا
مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان
بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة
إلى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب
زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلثين سنة فوعدهم هود ع م
على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا
عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل

تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن
بتاركي آلهتنا بتاركي عبادة آلهتنا عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق إن نقول إلا اعتراك ما نقول
الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون
لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول
والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد
الله تع على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وأمرهم بان
يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير انظار حتى اذا
اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه ولم يتم
لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا يتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا
من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله تع وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته
اياه ولذلك عقبه بقوله إني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم
وان بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله وانق بكلاءته وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا يقدرون على ما لم يقدره ثم برهن بقوله
ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها اي الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على
ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم اي انه على الحق
والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فإن تولوا فان تتولوا فقد أبلغتكم
ما أرسلت به إليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني
ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم او عطف
على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تولوا يعذر ويستخلف
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه إن
ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ
مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء أمرنا عذابنا او أمرنا بالعذاب
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب
غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم وكانت تدخل في انوف الكفرة وتخرج
من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض

بانّ المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الاخرة بالعذاب الغليظ
وتلك عادٌ انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم
جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا
فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبراءهم
الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم
الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه
الدنيا لعنة ويوم القيمة اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب
الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب
ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم
قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان
استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم
ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم
من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم
ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم
ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب قريب الرحمة
مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل
الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا ومستشارا فى الامور وان توافقنا فى الدين
فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهينا ان نعبد ما يعبد آباؤنا
على حكاية الحال الماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرى عن الاوثان
مريب موقع فى الريبة من اراب او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار
المخاطبين وآتانى منه رحمة نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذابه ان عصيته
فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدوننى اذا باستتباعكم اياى غير
تخسير غير ان تخسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما
تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب آية
على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها
تاكل فى ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب

قريب عاجل لا تراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال
تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به
كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افى بك
فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير مكذوب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء
امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع والكسائى هنا
وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان
ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة
فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف كأن لم يغنوا فيها
الا ان ثمود كفروا ربهم وقرأ حمزة وحفص ان ثمود هنا وفى الفرقان والعنكبوت بفتح
الدال من غير تنوين ونونه الكسائى بخفض الدال فى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى
او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة
جبرائيل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما
سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم
او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى
سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل
حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف
والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
كقوله تع بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس
منهم خيفة انكر ذلك منهم فخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى
والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا
لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت
سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم
اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدى
بسلمى ضاحكا فى لبابة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه

معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرا الباقون بالرفع على انه مبتداء خبره الظرف اى
ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون
اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابرهيم من جهته وفيه
نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما على الحكاية بعد ان
ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به تكون منها ولانها
كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر
فظيع وقرى بالياء على الاصل ءالد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا
بعلى زوجى واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل
فيها معنى اسم الاشارة وقرى بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او
هو الخبر وبعلى بدل ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث
العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل
البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن
نشات وشابت فى ملاحظة الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص
كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد
كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمان
قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط يجادل رسلنا
فى شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جئ به مضارعا على
حكاية الحال او لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جواب المحذوف مثل اجترا
على خطابنا او شرع فى جدالنا ومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان
ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسئ اليه اواه كثير التاوه من الذنوب
والتاسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اى قالت
الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى
قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم ساءه مجيئهم
لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض المعجز عن مدافعة

المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه
ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا
منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى فدى بهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم
وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ ومبالغة فى تناهى خبث
ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له
وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف
ابن مسعود رض وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتى
كقولك هذا اخى هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش
او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى
الحياء فى ضيفى فى شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد
يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من حاجة
وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لى بكم قوة لو قويت بنفسى
على دفعكم او اوى الى ركن شديد الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته
وعن النبى عليه السلام رحم الله اخى لوطا كان ياوى الى ركن شديد وقرى او اوى بالنصب
باضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك
باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرائيل بجناحه وجوههم
فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان فى بيت لوط سحرة فاسر باهلك
بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى بقطع من الليل
بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او ولا ينظر الى وراءه والنهى فى اللفظ لاحد
وفى المعنى للوط الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امراتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر
بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز
حمل القراتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى

المتناقضة والاول لجعل الاستثناء فى القراتين عن قوله ولا يلتفت مثله فى قوله ما
فعلوه الا قليل ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها
ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح
كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب
فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله
جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به
فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبرائيل ادخل جناحه تحت
مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلب وصياح الديك ثم قلبها عليهم
وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين
واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل
الشيء المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى ما كتب الله تع ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد فى الارسال
بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة
للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما يتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به
عند ربك فى خزائنه وما هى من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه
وعيد لكل ظالم وعنه عم انه سال جبرائيل فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم منهم الا وهو
بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون
بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا
اراد اولاد مدين بن ابرهيم عم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك
الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير
بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا
حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى وانى اخاف عليكم
عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد
عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة
وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة
لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو

وهو مندوب وغيرها مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ
العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به
الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح اخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم
عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان
خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين
لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله تع والباقيات الصالحات وقرئ بقية الله بالتاء
وهى تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ
عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست
بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم
بصلاته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات
ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرء
حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف
لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان نترك فعلنا
ما نشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف
والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك
لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك وعللوا انكار ما سمعوا منه
واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربى اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا
حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا
الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه
وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الاباء والضمير فى منه لله اى من عنده
وباعانته بلا كد منى فى تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اى وما اريد
ان اتى ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهى عنه
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس
ان اريد الا الاصلاح ما استطعت اى ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر

مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة
الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره
احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تع وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف
وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف
المضاف وما توفيقى الا بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه
توكلت فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدا
واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل
وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتى ويذره من الله والاستعانة به تعالى
فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم
المبالات لمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم
شقاقى معاداتى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود
من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدى الى واحد
والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول
والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبنى كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
وليسوا ببعيد منكم فى الكفر فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد
وما اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث
لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مما
انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا
يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت
دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او
لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك
فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته
يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة
والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم

من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمى
الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه
المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام
فيه لا فى ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز
عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر
باشراككم به والاهانة برسوله فلا تتقون على الله وتتقون على رهطى وهو يحتمل
الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها ويا قوم اعملوا
على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة الانعام
والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك
وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل ومن هو
كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم
لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان
قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم انى معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه
ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك
قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت
الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين
ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم
وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد
ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات القاهرة او العصا
وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلنا بالجامع بين كونه
اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا
والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين
يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى

اوفما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة
فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة
من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى
رشد وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم
فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة
فى تحقيقه ونزل النار منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود
اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد
والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن فى امره رشد
او تفسير له على ان المراد بالرشد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه لعنة
ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان
او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى
رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه
عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد
ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس
بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها
له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التى
يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم
غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على
المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت
عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من
وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد
والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية
لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر فيه عظمته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله
للمجرمين فى الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار
وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها
ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع
الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا

ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله تع يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه
من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود
اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه
فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها
فانه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم
بمعنى حين او الله تع كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسر لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى
من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء
المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر
او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى
وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير
لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس
فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه
حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير
وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم
فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل للتعبير
عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط
لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل
المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق
وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تع يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف
اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب
فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم
عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون

عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى
هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم
منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا
المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة
وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين اولان اهل النار ينقلون منها الى
زمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال
بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اهل الحكم والمستثنى زمان توقفهم
في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم
في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل
ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما
شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال
لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق
بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول
من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال
من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء
من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون
الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك
ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم ~~كعبادة ابائهم~~ او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد
بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم
من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير
منقوص من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم

بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه
من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين
والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد او بالعكس وما مزيدة
بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون
ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ
لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
انه بما يعملون خبير فلا تفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين
في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة مثل ما امر
بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل
مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف
العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهو في غاية العسر ولذلك قال
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف
على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا
عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي
وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزين
بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى
ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم
بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه
وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال
عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا
بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء
من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ
سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب
عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله
معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي
النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه
قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها

اقربا لصلوا من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي عليه السلام فقال انى اصبت من امراة غيرى لم اتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلوة احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأى والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقى افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذو بقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا او تباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وانما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك

ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبإ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه الحق السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء

سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اى تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مفرقا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه

بما اوحينا بايحائنا اليك هذا القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص
على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر
ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام
هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال
او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها
على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت
بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وعنه عم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما
فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها
عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانها كان
يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض
والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف
الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا
تاويل رؤياى احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رض ان يهوديا
جاء الى رسول الله فقال اخبرنى يا محمد عن اسماء النجوم التى راهن يوسف عليه
السلام فسكت فنزل جبرائيل عم فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم
قال نعم فقال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح
والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف عم والشمس والقمر
نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها رايتهم لى
ساجدين استيناف ببيان حالهم التى راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء
لوصفها بصفاتهم قال يا بنى تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان
ابن اثنى عشر سنة لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك
(وقرا حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء)
حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على
اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم
فرق بينهما بحرفى التانيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق
المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت
لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتصور بما فيها مما يليق
بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة يناسبه فترسلها الى الحس المشترك

المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون
التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى
كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل
بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوا عليهما
السلام فلا يالوا جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك
اى وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك
للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك
ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت
كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث
كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله
كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق
بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم
واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل
الاشياء على ما ينبغى لقد كان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم آيات دلائل
قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير آية للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد
باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر
ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت
له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما ح واربعة آخرون دان
ونفتالى وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين
وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده
لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه
فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق
بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك
لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفى ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل
فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى
الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له
اقتلوا يوسف من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال

لاتقتلوا وقيل انما قاله شمعون او دان ورضى به الاخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف
المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته
عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته احد وتكونوا جزم بالعطف
على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر
تمهدونه او صالحين فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل
منهم يعنى يهودا وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل
عظيم والقوه فى غيابت الجب فى قعره سمى بها لغيبوبته عن اعين الناظر وقرا نافع
فى غيابات الجب على الجمع فى الموضعين كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد
يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون فى الارض ان كنتم فاعلين
بمشورتى او ان كنتم عازمين على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له
الخير ارادوا به استنزاله عن رايه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع
نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب ونلعب بالاستباق
والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر
والياء فيه وفى يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد
الفعل الى يوسف وقرئ نرتع من ارتع ماشيته ونرتع بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتدا
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال انى ليحزننى ان تذهبوا به لشدة مفارقته
على وقلة صبرى عنه واخاف ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل
راى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل
ابن كثير ونافع فى رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا
واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة
اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه
فى غيابت الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن

الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل
فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتمونى ان لا يقتلوه فاتوا
به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا
به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط
ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرائيل عليه السلام بالوحى كما قال واوحينا اليه
وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى
وعيسى عليهما السلام وفى القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار وجرد
عن ثيابه فاتاه جبرائيل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق
واسحق الى يعقوب عليهم السلام فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرائيل والبسه اياه
لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك
وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطييبا
لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اى انسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك
وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع
اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم
يا بنى واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق فى العدو او الرمى وقد يشترك
الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله
الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك
ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال الغير
المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق
على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم
ان جوز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه فاخذه والقاه
على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل
ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت
فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر
جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون

على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح
وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك
بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك
بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه
قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعال فهذا اوانك
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة
وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشريّ بالادغام
وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر
الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير
لاخوة يوسف ثم وذلك ان يهودا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام منا ابق منا فاشتروه من اخوته وسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه
من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه ومرجع الضمير الوجهان
واشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن
معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان
عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين
عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم
فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل في بيعه
وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام
للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر
واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات
في حياته وقيل كان فرعون موسى عم عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال
الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة
واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما
اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان
وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا

عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد
ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره
وابو بكر حين استخلف عمر رض وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب
العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه
من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان
القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله
واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل
بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما
يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ
اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل
سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك
جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد
وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق
وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على وجهين اسم فعل بني على
الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتح الهاء
تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرأ هشام
كذلك الا انه يهمز وقد روي عنه ضم التاء وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء
اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان
ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه
ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا
اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجاوزون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على
الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء
قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع
ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح
والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفه الهم كقولك

قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق
الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط
فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب
عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل
السفهاء كذلك اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله
لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله
الف ولام اى الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب فحذف
الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف عم فر منها ليخرج واسرعت وراءه
لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب
قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها
فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغرائه به انتقاما منه وما
نافية او استفهامية بمعنى اى شىء جزاؤه الا السجن قال هى راودتنى عن نفسى
طالبتنى بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن والعذاب الاليم
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خالها
صبيا فى المهد وعن النبى عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وانما القى الله الشهادة على لسان
اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها
فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول
او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين
ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت
اليك من قبل فان معناه ان تمتن على باحسانك امتن عليك باحسانى السابق وقرئ
من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين
للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه اى ان
قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن
من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء

النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان
يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض
عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفرى لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هى اسم لجمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها فى المدينة
ظرف لقال اى اشاعوا الحكاية فى مصر او صفة لنسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى
والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب
مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى كقولهم فتيان والفتوة
شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها وحبا
نصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران
فاحرقه انا لنريها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن
يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل
دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد واتت
كل واحدة منهن سكينا حتى تتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن
عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف
من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امراة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس
طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب تترفا ولذلك نهى عنه قال جميل فظللنا
بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه
بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج
او ما يقطع من متك الشىء اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن
فلما راينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى عليه السلام رايت
يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن
بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف
على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة
وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه
ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء
فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله

وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية
وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير
معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع
على لغة تميم وبشراى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق
والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذى لمتننى فيه اى فهو ذلك العبد الكنعانى
الذى لمتننى فيه فى الافتتان به قبل ان يتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن
لعذرتننى او فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين
عرفت انهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به
فحذف الجار او امرى اياه بمعنى موجب امرى فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا
من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر
بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف
كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن
وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الى مما يدعوننى اليه اى آثر عندى من مؤاتاتها
زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد
الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه
الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله
العافية ولذلك رد رسول الله على من كان يسأل الصبر والا تصرف عنى وان
لم تصرف عنى كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه عندى بالتثبيت على العصمة
اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعى ومقتضى شهوتى والصبوة الميل الى
الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة
وهى الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه فان الحكيم
لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه
فاجاب الله دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته
بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان
انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم
من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة
على براءة يوسف عم كشهادة الصبى وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه

مه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها
وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث فى السجن
سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه
وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل
ح آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال
احدهما يعنى الشرابى انى ارانى اى فى المنام وهى حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا
وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اى الخباز انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير
منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او
من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اى بتأويل ما قصصتما على او بتأويل الطعام يعنى
بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد و يرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم من الاخبار بالغيب ليدلهما
على صدقه فى الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اى ذلك التأويل مما علمنى ربى
بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن والتنجم انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك واتبعت
ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت
النبوة ليقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف
نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان
ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا
لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل
فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال
الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا
يشكرها يا صاحبى السجن يا ساكنيه او يا صاحبى فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله
يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير
ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره
ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم

ما أنزل الله بها من سلطان اى الاشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون اليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونه آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم يا صاحبى السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى فانسيه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف عليه ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنى فرجه راى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف

والسبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله وقال الذى نجا منهما من صاحبى السجن وهو الشرابى وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ إمة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسى والجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اى الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اى فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اى فى رؤيا ذلك لعلى ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك او مكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه فى سنبله كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون فى تلك السنين ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اى يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث

وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل
ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة
عليهم فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول
البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع
العجاف السمان باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق
عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال
ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال
النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به
الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي عم
لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما بال
النسوة ولم يقل فسله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض
لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربي
بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله
عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن
حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير
اذا القى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك
ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم
العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه
وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب
المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين
بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها
وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي اي لا انزهها تنبيها على
انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق

والتوفيق وعن ابن عباس رض انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال له جبرائيل ولا حين هممت
فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت
رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن
رحمة ربي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور
رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحم ما استغفره ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه
وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا
فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك من خيرك واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم
سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها
ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره
وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء
وولد منها افرايم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض
مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها فلعله عليه السلام
لما راى انه يستعمله في امره لا محالة اثر ما تتم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا
ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى
وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع
اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك
اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط
مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق
معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم

وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه
للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد
ومفارقتهم اياه فى سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى راوه
عليها من حاله فارقوه وقلة تأملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام فلما جهزهم
بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم
بالكسر قال ائتونى باخ لكم من ابيكم روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله نحن بنوا اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء واسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال كم انتم ههنا
قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم
قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم
حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب شمعون وقيل كان يوسف عم يعطى لكل نفر حملا فسألوا
حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوا به ليعلم صدقهم الا ترون
انى اوفى الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم
وضيافتهم فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اى ولا تقربونى ولا تدخلوا
ديارى وهو اما نهى او نفى معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه
من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى
وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيته على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم
فى رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا
وادما وانما فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
او لكى يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
ذلك يدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم
بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل
ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه
فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل آمنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا
فاتوكل عليه وافوض امرى اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على
مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال

والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل
قالوا يا ابانا ما نبغى ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا
ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك
من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل
على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغى ونمير اهلنا معطوف
على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا
عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا
كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة على
ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اى مكيل قليل لا يكفينا
استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل
انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ
رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطونى ما اتوثق به من عند الله اى عهدا
مؤكدا بذكر الله لتأتننى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به الا ان يحاط بكم الا
ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به
فى تأويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت
اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه
وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم
كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ
او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله فى عوذته
اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامات من كل هامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ
مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة
ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب
فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة
فى البلد ما كان يغنى عنهم رأى يعقوب واتباعهم له من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال

يعقوب فتفرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم
وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي
ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر
الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه
ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل
كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني
انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما
جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت يسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب
وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى
مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تغيبة السقاية والنداء
عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها
كقوله عم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز
به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اى شيء ضاع
عنكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا
وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالضم والفتح والعين والغين
وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل
اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله
قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد
في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي
مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب
لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو
جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب

او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه
قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم
فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم
استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها
همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان
لياخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان الكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال
ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم
كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تع عالم بذاته
اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام
فيهم ولان العليم هو الله تع ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا
فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل
يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف
وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها
فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه
وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت دجاجة او عناق فاعطى السائل فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة
السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير وتفسيرها قوله قال انتم شر مكانا فانه
بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اى منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او
في سوء الصنيع مما كنتم عليه وتانيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة
لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها
العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ
احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا
لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله تع اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته
ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته
اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة
واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين

وانما وحّده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندىّ واندية
قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى الرأى وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان
اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا
منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف
قصرتم فى شانه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية فى موقع النصب بالعطف
على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم انّ وخبره فى يوسف
او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع
عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه
من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى
ابى فى الرجوع اليه او يحكم الله لى او يقضى لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم
او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت
من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسّه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسّه
الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا
بما علمنا بان رأينا ان الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندرى انه سرق او سُرّق ودس الصاع فى رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين
اعطيناك المواثيق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية
التى كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها
واسئلهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم
وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما
قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه
والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر
جميل اجمل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف
بمصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة
لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف اى يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه
والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه

ولانه كان واثقا بحيوتهما دون حيوته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا
اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصاب
لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة
محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه
عند الشدائد ولقد بكى رسول الله على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا
نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده
ممسك له فى قلبه ولا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير
جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه
فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن
معه علامة الاثبات كان على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشرفا على الهلاك وقيل الحرض
الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر
كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما
اشكو بثى وحزنى همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى
احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب
داعيه ولا يدع الملتجى اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون
من حيوة يوسف قيل راى ملك الموت فى المنام فساله عنه فقال هو حى وقيل علم
من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه فتعرفوا منهما وتحصوا من خالهما والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا
من روح الله ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى
يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته
فان العارف لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية
الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط
وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة
وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء
او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزى المتصدقين احسن الجزاء والتصدق

التفضل مطلقا ومنه قوله عم في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما
قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه
من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل
الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقراء ابن كثير وقالون على الايجاب
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج
عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة ويعقوب
مثلها قال انا يوسف وهذا اخى من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه
وادخالا له في قوله قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة انه من يتق اى يتق
الله ويصبر على البليات او على الطاعات او عن المعاصى فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان
كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم
لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير
للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار
الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم واعترفوا بها ح وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عم انهم لما عرفوه
ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيي منك
لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا
انكم اخوتى وانى من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصى هذا القميص الذى كان
عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان في التعويذ فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا اى يرجع
بصيرا اى ذا بصر وأتونى انتم وابى باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم
ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره انى لاجد ريح يوسف

يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا
لولا ان تفندون تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال
عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت
انه قريب قالوا اى الحاضرون تالله انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب
قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا
روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه
طرح البشير القميص على وجه يعقوب عم او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف عم وانزال
الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح
يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل
لهم من يوسف او يعلم انه عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه
استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف عم خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة
خاشعين حتى نزل جبرائيل عم وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم
فلما دخلوا على يوسف روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه
واستقبله يوسف عم والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين
وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة
وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله تع والهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل
واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا
لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل رايتها ايام الصبى قد
جعلها ربى حقا صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون
تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو

من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة
اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب
الا وينفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير
الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقت وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف طاف
بابيه في خزائنه فلما ادخله خزينة القرطاس قال يا بني ما اغفلك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرائيل قال او ما تسأله قال انت ابسط
مني اليه فسئله قال جبرائيل عم الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب
قال فهلا خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني
من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادي او منادي برأسه
انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما
توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي وبعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
روي ان يعقوب عم اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى
جنب ابيه فذهب ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه
الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا
بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء
ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عم الى مدفن اباءه وكان عمره مائة وعشرين
سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأت
ايوب عم ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول عم وهو مبتدأ
من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم
يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر
اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به
وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا
سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم
وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسئلهم
عليه من اجر على الانباء او القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر
عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل
الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها

عليها على الايات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على انه خبر مبتداء خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطئون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر
الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم او تاتيهم الساعة
بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه
سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا
الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر
في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه او مبتداء خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان
الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحي اليهم
كما اوحي اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي هنا وفي النحل والاول من سورة
الانبياء ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة والكسائي
يميلانها على اصلهما من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل
والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا
عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا
الشرك والمعاصي افلا تعقلون تستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن
عامر ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيئس
الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا
حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم
ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي فظن المرسل اليهم
ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي
فظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعدهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي
عن ابن عباس رض ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد
بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي

والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم
قد كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء
النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم
لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ
فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد
كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عليه السلام
عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس
ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب
الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن
بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون
يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مكية وهي اربعون وثلاث آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب
يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن
والذي انزل اليك من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام
على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى والرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة
على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل
صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ
وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد
كاهاب واهب وعمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف
للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها
على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد
وان يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا
المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس
والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات

الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها
سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل
واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته
فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي
مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان
وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث
على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث
ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين
اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها
وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها
يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه
دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها
ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في
النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار
والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص
وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو تسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك
ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر
مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل
بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر
وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء
ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ
فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع
تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف

دل عليه ائنا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك
الاغلال فى اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ما هددوا به
من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم
لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة
العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا
اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات
بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على
الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب
ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول
المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن
النبى عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم
اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتى موسى وعيسى انما انت
منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك
من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبى مخصوص بمعجزات من جنس
ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله
لكن لا يهدى الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك ما يدل على
كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه
وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم
وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما
عند الله باق بالتنوين فى الوصل فاذا وقف وقف بالياء فى هذه الاربعة
الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير تنوين
فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اى حملها او ما تحمله وانه على اى حال هو من الاحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
فى الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك
وسنتان عند ابح رحمه الله وروى ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان

حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف اربعة واليه ذهب ابوح
وقال الشافعى اخبرنى شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا فى كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى
وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام
على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شىء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تع
انا كل شىء خلقناه بقدر فانه تع خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه تقتضى ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان
المتعال الذى لا يخرج عن علمه شىء المستعلى على كل شىء بقدرته او الذى كبر عن نعت المخلوقين
وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول فى نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف
بالليل طالب للخفاء فى مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز بالنهار يراه كل احد من سرب
سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من فى معنى الاثنين كقوله نكن مثل من
يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة
بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة
تعتقب فى حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة
او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه
متى اذنب بالاستمهال والاستغفار او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل
امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم
من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل فى اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله
محال هو الذى يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير
المضاف اى ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه
من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب فى الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به
السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون
سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة

على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رض سئل النبي عليه السلام من الرعد فقال ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله
واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم
يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد
بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو
الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد
بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول عم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله على اربد صاعقة فقتله ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة
المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال
الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل
من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال
يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة
كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق
ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما
من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تع وكل دعاء اليه
دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد
وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول
عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعونهم
المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة
من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء قليل من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة
كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه
لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك
آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط
كفيه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال
الا في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها

وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض
وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها
بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما
لان الظلال انما يعظم ويكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل
وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول
في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم
بذلك اذ لا جواب لهم سواه او لانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل
افاتخذتم من دونه اولياء ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها
ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد
رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل
بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود
المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي
وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه
صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم
ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق
الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر
عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في العبادة
جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو
الواحد اي المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب
او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار جمع واد
وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها
لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار
او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا
ومما توقدون عليه في النار يعم الفلز كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه
التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اي طلب حلية او متاع كالاواني والات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد

ذلك الماء وهو خبثه ومن للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء
على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر
الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ
الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة
زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل او الفلز
المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين
لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين
ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا
مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا
لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل
بذنبه ولا يغفر منه شيء وماويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص
بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى
عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب
من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة
الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا
بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين
الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم
وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبوا والذين صبروا على ما يكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا
لرضاه لا لفخرا وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم
بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن يعرف به ويدرؤن
بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة
السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي
الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب

فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا
خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح
من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير
الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم
وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد
بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم اي بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء
للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين
بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد
ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
عذاب جهنم وسوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم
في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم
كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما
يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح
الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو
جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء
ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب
بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف
وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق
من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن
الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب
كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك
مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم

ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ
عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون
بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه
وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع
الدينية والدنيا وية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق
للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم
ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد به تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت
انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن
لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما امنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطايع او سخر لنا به الريح لنركبها
ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من ابائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي
بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي
اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه
بانه لا تلين شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما
راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قرؤا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس
بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشية
باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما
منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلعهم او تحل قريبا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون
مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فيغيرون عليهم

حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عم فانه حل بجيشه
قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيمة او فتح مكة ان الله لا يخلف
الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا
تسلية لرسول الله ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب
عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم
والخبر محذوف كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت او عطف
على الخبر المقدر للمبتدا اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر
فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء
الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا اهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون
الشركة ام تنبؤنه بل اتنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء
يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء
ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى
كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز
بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وصدوا بالفتح
اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله
فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه
او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره
تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف
اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال
من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك
لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم
ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط
للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية
باليمن واثنان وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب

يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه
والسيد والعاقب واشباعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت
فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما ينكرونه لما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية فى جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعى للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك
من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك
ومثل ذلك الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى القضايا
والوقايع بما يقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه
وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة
الى قبلتهم بعدما حولت عنها بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولى
ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
فى دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما هى لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى باية
يقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليّ بذلك لكل اجل كتاب لكل
وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ
ما يستصوب نسخه ويثبت ما يقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات
مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت
ما رآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات
وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل
الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وان ما نرينك بعض الذى
نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما اوعدناهم او توفيناك قبله
فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازات لا عليك فلا تحتفل باعراضهم
باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتى الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق
معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر
بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا

نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء
فى الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه
بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس
فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم
فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة
مع ما فى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس
وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين
كفروا لست مرسلا قيل المراد رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم فانه اظهر
من الادلة على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن
وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ
وهو الله اى وكفى بالذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم ما فى المحفوظ الا هو شهيدا بيننا
فيخزى الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف
فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ
ومن عنده علم بالحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر
عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم
الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله
مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله
الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل
عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض على قراءة
نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف
بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد
لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب
لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة
يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون
عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا

اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صحته مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا
ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير
والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه على انه
مبتداء خبره اولئك فى ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل
والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذى به الضلال
فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذى
هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه
لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى م انذار عشيرته
اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز
لكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم
المتشعبة منها وما فى اتعاب القرايح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ
بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل
الضمير فى قومه لمحمد م وان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبرائيل م او كل نبى
بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل
ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان ويهدى
من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذى لا يضل ولا
يهدى الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج لان فى الارسال معنى القول وبان اخرج
فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقايعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه
ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل
على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه بما يجب عليه من الصبر والشكر
وقيل اراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اى اذكروا نعمته
وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة
وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون
او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر
بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم

اواستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفى ذلكم من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم
فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء
النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى م وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما
فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء
وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد
فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا اذ من عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض
بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم
حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم
ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى م او كلام مبتداء
من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم
عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك
قال ابن مسعود رض كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم
فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها
تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه واشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب
لهم سواه او ردوها فى افواه الانبياء ويمنعوهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا
وقيل الايدى بمعنى الايادى اى ردوا ايادى الانبياء التى هى مواعظهم وما اوحى اليهم
من الحكم والشرايع فى افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت
منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع فى الريبة او ذى ريبة وهى قلق النفس وان لا تطمئن
الى الشئ قالت رسلهم افى الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه
لا فى الشك اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرنى
على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان
الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جئ بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن
تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان

وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تع وجعله آخر
اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو
شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
آباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم بهذه المزية او
على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية
اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله ومنه
عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئته تعالى
وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به
استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات
وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا
الا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان
الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما
آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب
عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل وعودهم الى ملتهم وهو بمعنى
الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن
آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم
اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن
ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي
موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله
وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا
سألوا من الله الفتح على اعدائهم والقضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله تع
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة

للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ
الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل
جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة
او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف
على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى
عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف
جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول
نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فيحيط به من جميع الجوانب
وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة
في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة رسوله فخيب
رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين
كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله
اعمالهم كرماد وهي على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر
كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف
العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه
صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم
في حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه واعمالهم للاصنام برماد
طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له
اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون
هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي عم والمراد به
امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق
بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ
يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم
ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك

كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له
بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن ويعبد رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة
لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون
انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى
لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأى وانما
كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل
والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة
او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شىء من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشىء الذى
هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض الشىء الذى هو بعض عذاب الله
والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم
مغنون بعض الغناء بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة
الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق
النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق
الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا
من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان
يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين
ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى
الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء
من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان
فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان
لى عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى
اياكم اليها بتسويل وهو ليس من جنس التسلط ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب
وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى

فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك
على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة
العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو
اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة
الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد
ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكاه وحذف الياء
اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون
اى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته
كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى
فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره
بالسجود لآدم عليه السلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان
ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله
وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم
متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحيتهم الملائكة بالسلام باذن ربهم
الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل
كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا
من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتداء محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى
ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض
ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها
على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول
على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته
الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس
ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية

من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة
والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة
الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم
ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان
على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة
بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت اى الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزولون
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود
وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال
القيمة وروى انه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان
فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد عم فينادي مناد من السماء صدق عبدي فذلك قوله تع
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر
الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس
النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين محصلين الكفر بدلها كاهل
مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه
وشرفهم بمحمد عم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك
بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين
فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اى بئس المقر جهنم
وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو
وورش عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال عن صنعهم في اتخاذ الانداد
ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها
من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب
لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم

الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم
بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف يدل عليه
جوابه اى قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما
رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره
وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما
حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه
لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان
الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال
اى ذوي سر وعلانية او على الظرف اى وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي
به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه
بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدا وخبر وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس
مفعول اخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر
فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
بمشيته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم
وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتيكم من كل ما سالتموه اى بعض جميع ما سالتموه يعني
من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تع ولعل المراد بما سالتموه
ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان يكون
موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين
اى واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع
الحال اى واتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا
عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق
بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان
كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ

قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين
قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى
الثانى جعله من البلاد الآمنة واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام
واجعلنا منهم فى جانب وقرئ واجنبنى بقطع الهمزة وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون
جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله اياهم وحفظه لهم وهو بظاهره
لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل عم لم يعبدوا الصنم
محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث
ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت منك
العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله
وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعنى على دينى فانه منى اى بعضى لا ينفك عنى فى امر الدين ومن
عصانى فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه
دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا
انى اسكنت من ذريتى اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهم اسمعيل
ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذى زرع يعنى وادى مكة فانها
حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذى حرمت التعرض له والتهاون به ولم يزل معظما ممنعا
تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه
ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه
روى ان هاجر رض كانت لسارة رض فوهبتها من ابرهيم عم فولدت منه اسمعيل عم فغارت
عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم
ثم ان جرهم رأوا ثمة طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين
فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كى
وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا
لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء
لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل افئدة
من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس
لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى وللابتداء كقولك القلب
منى سقيم اى افئدة ناس وقراء هشام افئدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو
يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الراحلة اذا

عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها
بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على
البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى
النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه
الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما
نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا
فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك
وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع واللجاء الى الله وما يخفى على الله من شئ فى الارض
ولا فى السماء لانه العالم بعلم ذاتى تستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق
الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر
استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الآية اسمعيل واسحق روى انه ولد له اسمعيل
لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه
من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه
دعا ربه وسال منه الولد فاجابه ووهب سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل
النعم واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف
على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه
يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى
ولوالدى وقرئ ولابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا عليهما السلام
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب
على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف او اسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه مطلع على احوالهم
وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم
غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما
يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص
ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى او مقبلين
بابصارهم فلا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم

رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا ترجع نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم كفؤاد الحيرة والدهشة ومنه
يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى
يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين
ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك
نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما
لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون
فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث
بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا
لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل
سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك
سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى منازلهم من آثار ما نزل
بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم
انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى
فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق
وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول
منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها
كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة
والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرايعه
وقراء الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه
تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن
انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف
الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله

رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم
تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او
لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت
الدراهم بالدنانير وعليه قوله تع بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت
الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله تع يبدل الله سيئاتهم حسنات
والاية تحتملهما فعن على رض يبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود
وانس رضى الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس
هى تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض انه ع م قال تبدل
الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه
لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على
الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله تع كلا ان كتاب
الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار
لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث
لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم
فى العقايد والاعمال واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا
من العقايد الزايغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال
وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم فى الاصفاد
متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد
الخيل قد لا فى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم
من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل الجربى
فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى
يكون طلاؤه لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار
فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجواهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم
والالام وعن يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والان المتناهى حره والجملة
حال ثانية او حال من الضمير فى مقرنين وتغشى وجوههم النار اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا
بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم

لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
وقوله تع يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل ذلك بهم ليجزي كل
نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله
سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او
ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية
لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل
فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب
فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتع ذكر لهذا البلاغ ثلث
فوائد التي هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية
التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله
من الفائزين بهما وعن النبي م من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة
والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا
وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرا نافع وعاصم
ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد
والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تع كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل
ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل
فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف
وهم يودونه كل ساعة وقيل يدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم
دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار
واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا

عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول عليه السلام من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل
الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير
عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها
الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا
للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون اي وما يستاخرون عنه
وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي م
على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قوله انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان
الله نزل عليك الذكر اي القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين
امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقونك ويعضدوك على الدعوة
كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم
المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا
الى ضمير اسم الله وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول
ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه
الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم
الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا
الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده
من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام
بضمان الحفظ له كما نفي ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على
طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار
والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي عليه السلام وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى
الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب
المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء
وفيه دليل على انه تع يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به

له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير
مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضماير
توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين
ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم
بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة
ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها
ويرون عجايبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا
من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسكر
ويدل عليه قراة ابن كثير بالتخفيف وحيرت من السكر ويدل عليه قراة من قرا سكرت
بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفى
كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل ما
خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات
والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال
والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها
وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف
فى امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع
اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة
فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رض انهم كانوا
لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى ع م منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد ع م منعوا من كلها
بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء
منقطع اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر
للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها
فى الارض او فيها وفى الجبال من كل شىء موزون مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمته
او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب
النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ
بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به
العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم
واياكم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين

معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال القدرة وتناهى حكمته والتفرد فى الوهيته
والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك فقال
وان من شىء الا عندنا خزائنه اى وما من شىء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه
اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم
حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات
مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح
حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون
كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط
مما تطيح الطوايح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه
نفى عنهم ما اثبت لنفسه او حافظين فى الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل
على المدبر الحكيم كما يدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به
فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا
لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول
الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلايق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد
او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شىء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه
وقيل رغب رسول الله على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة
حسناء كانت تصلى خلف رسول الله فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها
فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر
والمتولى لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق
من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله
انه حكيم باهر الحكمة متقن فى افعاله عليم وسع علمه كل شىء ولقد خلقنا الانسان
من صلصال من طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن
تضعيف صل من حماء طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال

اى كائن من حماءٍ مسنونٍ• مصوّرٍ مأخوذ من سنّة الوجه او مصبوبٍ ليبيس ويتصوّر كالجواهر
المذابة تصبّ فى القوالب من السّنّ وهو الصبّ كانّه افرغ الحماء فصوّر منها تمثال انسانٍ
اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثمّ غيّره ذلك طورًا بعد طورٍ حتّى سوّاه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فانّ ما يسيل بينهما يكون منتنًا ويسمّى
سنينًا• وَالْجَانَّ• ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لانّ تشعّب الجنس لمّا كان من شخصٍ واحدٍ خلق من مادّةٍ واحدة كان الجنس باسره مخلوقًا
منها وانتصابه بفعل يفسّره• خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ• من قبل خلق الانسان مِنْ نَارِ السَّمُومِ
من نار الحرّ الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا
يمتنع خلقها فى الجواهر المجرّدة فضلًا عن الاجساد المؤلّفة التى الغالب فيها الجزء النارى
فانّها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نارٍ باعتبار الغالب كقوله خلقكم
من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه
على المقدّمة الثانية التى يتوقّف عليها امكان الحشر وهو قبول الموادّ للجمع والاحياء• وَإِذْ
قَالَ رَبُّكَ• واذكر وقت قوله• لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ• عدّلت خلقته وهيّأته لنفخ الرّوح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتّى جرى آثاره
فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الرّيح فى تجويف جسم آخر ولمّا كان الرّوح يتعلّق اوّلًا
بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوّة الحيوانيّة فيسرى حاملًا لها فى تجاويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلّقه بالبدن نفخًا واضافة الرّوح الى نفسه لما مرّ فى النساء
فَقَعُوا فاسقطوا• لَهُ سَاجِدِينَ• امر من وقع يقع• فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ• اكّد
بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكّد بكلّ للاحاطة وباجمعين للدلالة على انّهم
سجدوا مجتمعين دفعةً وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالًا لا تاكيدًا إِلَّا إِبْلِيسَ
ان جعل منقطعًا اتّصل به قوله• أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ• اى ولكن ابليس ابى وان جعل
متّصلًا كان استينافًا على انّه جواب سائل قال هلّا سجد• قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ
اى غرضٍ لك فى ان لا تكون مَعَ السَّاجِدِينَ لآدم• قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ• اللّام لتاكيد النفى
اى لا يصحّ منّى وينافى حالى ان اسجد لِبَشَرٍ جسمانىٍّ كثيف وانا ملكٌ روحانىّ لطيف خَلَقْتَهُ
مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو اخسّ العناصر وخلقتنى من نارٍ وهى اشرفها استنقص
آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف• قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا اى من السّماء
او الجنّة او زمر الملائكة• فَإِنَّكَ رَجِيمٌ• مطرودٌ من الخير والكرامة فانّ من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشّهب وهو وعيدٌ يتضمّن الجواب عن شبهته• وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ•
هذا الطرد والابعاد إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فانّه منتهى امد اللّعن فانّه يناسب ايّام التكليف

التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذّن مؤذّن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انّما حدّ اللّعن به لانّه ابعد غاية يضربها النّاس او لانّه
يعذّب فيه بما ينسى اللّعن معه فيصير كالزّائل• قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي فأخّرنى والفاء
متعلّقة بمحذوف دلّ عليه فاخرج منها فانّك رجيم• إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ• اراد ان يجد
فسحةً فى الاغواء ونجاةً عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاوّل دون
الثانى• قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ• المسمّى فيه اجلك عند الله او انقراض
النّاس كلّهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايّام الثلاثة يوم
القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبّر عنه اوّلًا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيًا بيوم
البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثًا بالمعلوم لوقوعه
فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعلّه يموت اوّل اليوم ويبعث الخلائق
فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم يكن بواسطة لم تدلّ على علوّ منصب ابليس لانّ
خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال• قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي• الباء للقسم وما مصدريّة
وجوابه• لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ• والمعنى اقسم باغوائك ايّاى لأزيّننّ لهم المعاصى فى الدنيا التى
هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تع خلاف وقيل للسببيّة
والمعتزلة اوّلوا الاغواء بالنسبة الى الغىّ او التسبّب له بامره ايّاه بالسجود لآدم
او بالاضلال عن طريق الجنّة واعتذروا عن امهال الله له وهو سببٌ لزيادة غيّه
وتسليطه له على اغواء بنى آدم بانّ الله تع علم منه وممن تبعه انّهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وانّ فى امهاله تعريضًا لمن خالفه لاستحقاق مزيد
الثّواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب• وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ• ولاحملنّهم
اجمعين على الغواية• إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ• اخلصتهم لطاعتك وطهّرتهم من الشوائب
فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كلّ القرآن اى الذين
اخلصوا نفوسهم لله• قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ• حقّ علىّ ان اراعيه• مُسْتَقِيمٌ• لا انحراف عنه
والاشارة الى ما تضمّنه الاستثناء وهو تخلّص المخلصين من اغوائه او الاخلاص
على انّه طريق علىّ يؤدّى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلالٍ وقرئ علىٌّ من علوّ
الشرف• إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ• تصديق
لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولانّ المقصود بيان عصمتهم
وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم انّ له سلطانًا على من ليس
بمخلص من عباده فانّ منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان
الّا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا وعلى الاوّل يدفع قول

من شرطه ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان
جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها
الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه
لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم السقر ثم الجحيم ثم الهاوية
ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة
الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء
مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر
جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركته على الزاء ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لا فى مقسوم
لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفه ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان
غيرها مكفرة فى جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون
فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعين
بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع
الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او سلم عليكم آمنين
من الآفة والزوال ونزعنا فى الدنيا بما الف بين قلوبهم او فى الجنة بتطييب نفوسهم
ما فى صدورهم من غل من حقد كان فيها وعن على رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير رضى الله عنهم منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا
حال من الضمير فى جنات او فاعل ادخلوها او الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل
فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر فى
على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم
وان عذابى هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفى
ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى
توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفى عطف
ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه

عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون
خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر
لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق عم لقوله فبشرناها
باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر تعجب من ان يولد له مع مس
الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اى
فباى اعجوبة تبشرونى او فباى شئ تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون
الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع
المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذى لا لبس فيه او بطريقة هى حق وهو قول الله وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تع قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وكان استعجاب ابرهيم عم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون اى المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال
علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائى
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون
اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة
لانهم كانوا عددا والبشارة لا يحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا
ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود
لابتدؤا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى قوم لوط الا آل لوط ان كان
استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير
فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به
وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى
آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اى مما يعذب به القوم وهو استيناف
اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز
ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون
الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى
لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر

قدرنا هنا وفي النحل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه
معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تع لما لهم
من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه
يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو
العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا
لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان
بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة
من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت
منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم
او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي
اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على
الاتساع وقضينا اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم
تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر
وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم
احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل
على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء
الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون
بسببهم وهو الهوان ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم
عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي
كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم
لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط عم قالت الملائكة له ذلك
والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على
السنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم

بهم والصواب الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير
لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرائيل
مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم
سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين
عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك
لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة
الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة
لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا
بالظلة والايكة الشجر المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة
وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام
مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما
يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا
من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما
نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب
اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانا منهم ان الجبال
تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء
البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور
ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية
فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة
الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم
وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينهم او هو الذي
خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اليق وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما
هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا
سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعها الانفال والتوبة
فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

او الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهى الاسباع من المثانى بيان للسبع والمثانى
من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه
او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه
الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض ❊
والقرآن العظيم. ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض والعام
على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر. لا تمدن عينيك
لا تطمح ببصرك طموح راغب. الى ما متعنا به ازواجا منهم. اصنافا من الكفار فانه
مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وفى حديث ابى بكر رض من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير
فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها وانفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هى خير من هذه
القوافل السبع. ولا تحزن عليهم. انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به. واخفض
جناحك للمؤمنين. وتواضع لهم وارفق بهم. وقل انى انا النذير المبين. انذركم ببيان
وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا. كما انزلنا على المقتسمين ❊ مثل العذاب
الذى انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنى عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم
الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم وقيل هو صفة
مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد اتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم
الذين جعلوا القرآن عضين. حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتورية والانجيل
وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب
امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية
لرسول الله عم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها. الذين جعلوا القرآن عضين
اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من
عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وعن
عكرمة رض العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته
صفة للمقتسمين او مبتداء خبره. فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون. من التقسيم
او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام فى كل ما فعلوا من الكفر والمعاصى. فاصدع بما تؤمر
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز

والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرايع. واعرض
عن المشركين. فلا تلتفت الى ما تقولون. انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم
قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى عليه السلام والاستهزاء به
فقال جبرائيل عم لرسول الله امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه
سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص
فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط
قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح براسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى. الذين يجعلون مع الله الها آخر
فسوف يعلمون. عاقبة امرهم فى الدارين. ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ❊
من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك. فسبح بحمد ربك. فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح
والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق
وكن من الساجدين. من المصلين وعنه عم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة. واعبد
ربك حتى يأتيك اليقين. اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت
حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله عم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عم

سورة النحل مكية وهى مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ❊ اتى امر الله فلا تستعجلوه. كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام
الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه
واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه. سبحانه وتعالى
عما يشركون. تنزه وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد الله بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء
على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم
ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبى عليه السلام ورفع الناس رؤسهم
فنزلت فلا تستعجلوه. ينزل الملائكة بالروح. بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة
بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به
علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر
تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل. من امره. بامره ومن اجله. على من يشاء من عباده

ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا اعلمته انه لا اله
الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفرة والمعاصى بانه لا
اله الا انا فاتقون وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة
لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح او
النصب بنزع الخافض او مخففة من المثقلة والاية تدل على ان نزول الوحى بواسطة الملائكة
وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى
الذى هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التى بعدها دليل
وحدانيته من حيث انها تدل على انه تع هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق
الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات
والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها
بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على
خلقهما وفيه دليل على انه تع ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس
لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل
مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف
اتى النبى عليه السلام بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت
والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف
على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ
به فيقى البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تاكلون اى تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم
الظرف للمحافظة على رؤس الاى او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش واما
الاكل من سائر الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوى او التفكه ولكم فيها جمال زينة
حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها
بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل اهلها فى اعين الناظرين
اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع
ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى
تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن
الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور
بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها

بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام
لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها
وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها
الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة
لتركبوها او مصدرا فى موقع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها
واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه
غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات
التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون
اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما
لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق
او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة
يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل
عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر مائل
عن المقصد او عن الله تع وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او
لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ
ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم
الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب
او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن
تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون
والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقولنا فاسكناه فى الارض ومنه شجر ومنه يكون
شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز
الشجر والخيل فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر
بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت
فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء
حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلثة وترتيبها ان
فى ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض
وتصل اليها النداوة تنفذ فيها فتنشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وتنشق اسفلها فتخرج منه

عروقها ثم ينمو وتخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام
مختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات
الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد
ولعل فصل الآية به لذلك • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم • بان هيأها
لمنافعكم • مسخرات بامره • حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها
ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها
ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار
واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع وقرا حفص
والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر
الشمس والقمر ايضا • ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون • جمع الآية وذكر العقل لانها تدل
انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات
وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل او وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان او نبات
مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا • ان في ذلك لآية لقوم يذكرون • ان
اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم • وهو الذي سخر البحر •
جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما
طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع
الى اكله واظهار قدرته في خلقه خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري
على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف
وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا يرى ان الله تع سمى الكافر دابة لا يحنث الحالف
على ان لا يركب دابة بركوبه • وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان
اى تلبس نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن تتزين بها لاجلهم • وترى
الفلك السفن • مواخر فيه • جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء
وقيل صوت جرى الفلك • ولتبتغوا من فضله • من سعة رزقه بركوبها للتجارة
ولعلكم تشكرون • اى تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب
الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش • والقى في الارض رواسى جبالا رواسى ان تميد بكم • كراهة ان تميل بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة
الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب

سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها
نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة • وقيل لما خلق الله الارض جعلت
تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال • وانهارا
وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه • وسبلا لعلكم تهتدون • لمقاصدكم او الى
معرفة الله • وعلامات • معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو
ذلك • وبالنجم هم يهتدون • بالليل في البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل
عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش
والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم
بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل
وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب
عليهم • افمن يخلق كمن لا يخلق • انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى
حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوى ويستحق مشاركته ما لا يقدر
على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس
تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة تشبيها بها والمراد بمن
لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى
اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الآله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق
او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده
افلا تذكرون • فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى
تذكر والتفات • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها • لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة
تنبيها على ان ما وراء ما عدد نعم لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور • ان الله لغفور •
حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها • رحيم • لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرانها • والله يعلم ما تسرون وما تعلنون • من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد
وتزييف للشرك باعتبار العلم • والذين يدعون من دون الله • اى والآلهة الذين تعبدونهم
من دونه وقراء ابو بكر يدعون بالياء وقراء حفص ثلثها بالياء • لا يخلقون شيئا • لما نفى
المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك
بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال • وهم يخلقون • لانها ذوات ممكنة مفتقرة
الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود • اموات • هم اموات لا تعتريهم الحيوة
او اموات حالا او مآلا • غير احياء • بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا

بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون أيان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث
عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب
مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد
تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون
طالبا للدليل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم
ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار
عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب
عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو
في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين
استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على
التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل
اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين
لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا
ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال
ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان
جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء
ما يزرون بئس شيئا يزرون فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي
بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم فصار سبب هلاكهم
واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل
وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر
السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم
يذلهم او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين
شركاي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى
تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء
والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم والملائكة

او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم
اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته ليكون لطفا لمن سمعه الذين تتوفيهم
الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل
الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا
واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان
ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي
فيجيبهم الملائكة ببلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله
فالقوا السلم الى اخر الاية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول
من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين
بسوء واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تع او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل
صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين
جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا
ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على
خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر الرسول عم
فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم
في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم
بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذفت
لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص
بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله
المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين
طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة
الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس
يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون
فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ
هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ
حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك
الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابوا وما ظلمهم الله

بتدبيرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم
سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا فى الشر وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ
انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب
وما لم يشاء يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير
ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجأ اليه
لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين
من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين
الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه مؤد اليه على
سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم
بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة
لضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف
ويفنيه بقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر
بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم
من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة
الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تع وارادته من حيث انه
قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الاية الاخرى فسيروا فى الارض يا معشر قريش
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد
على هداهم فان الله لا يهدى من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع
العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين
اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده
وقد رد الله عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه
بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده او لان البعث مقتضى
حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه
من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون
امتناعه ثم انه تع بين الامرين فقال ليبين لهم اى يبعثهم ليبين لهم الذى يختلفون فيه
وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب

السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته ومشيته لا توقف له على سبق
المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى هنا وفى يس فيكون عطفا
على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه
المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون
المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل
وسهيل وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباءة حسنة
وهى المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رض انه
كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله
فى الدنيا وما ادخر لك فى الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله
يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزاد فى اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع
على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى
جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة
والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فسئلوا اهل الذكر
اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفى الاية دليل على انه تع لم يرسل
امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة
او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عم
راى جبرائيل على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم
بالبينات والزبر اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل
قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما
ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا
ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان
قوله فسئلوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر
اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود

او يرشد اليه ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا
فيه فيتنبهوا للحقايق افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا
لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله
بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب
السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اى متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم
بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم
متخوفون او على ان تنقص شيئا بعد شئ في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا انقصته
روى ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا
التخوف التنقص فقال هل يعرف العرب ذلك في اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف
ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رض عليكم
بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى
كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله
استفهام انكار اى قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها من شئ يتفيؤ ظلاله اى اولم ينظروا الى المخلوقات
التى لها ظلال لمتفيئة وقرا حمزة والكسائى ترو بالتاء وابو عمرو تتفيؤ بالتاء عن اليمين
والشمائل عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله
ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه
في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في قوله ظلاله والمراد من السجود
الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد
البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى
ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تع من جانب
الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تع فيها وجمع داخرون بالواو
لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك
وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى
المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند
الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة

هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبرائيل
على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة
او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد به ملائكتها
من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان
اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم
يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر فوق عباده
والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على الملائكة مكلفون مدارون بين
الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة
على ان مساق النهى اليه او ايماء بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو
اله واحد للدلالة على المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فاياى فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه
قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا
وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه
وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع
ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما
بكم من نعمة فمن الله واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه
والجوار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم
بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان
خاصا بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض
على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف
عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون
اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التى لا علم
لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع
لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به
نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة

حقيقة بالقرب اليها وهو وعيدلهم عليه. وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَنَاتِ. كانت خزاعة وكنانة يقولون
انّ الملائكة بنات الله. سُبْحَانَهُ. تنزيه له عن قولهم وتعجب منه. وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ. يعنى البنين
ويجوز فى ما يشتهون الرفع بالابتداء او النصب بالعطف على البنات على انّ الجعل بمعنى
الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد
تجويزه فى المعطوف. وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثَى. اخبر بولادتها ظَلَّ وَجْهُهُ. صار او دام
النهار كله. مُسْوَدًّا. من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير. وَهُوَ كَظِيمٌ. مملوّ غيظا من المراة. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ. يستخفى منهم مِنْ سُوءِ
مَا بُشِّرَ بِهِ. من سوء المبشر به عرفا. اَيُمْسِكُهُ. محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه. عَلَى هُونٍ
ذُلٍّ. اَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ. ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث
فيهما. اَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ. صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية
الاملاق. وَلِلّهِ الْمَثَلُ الْاَعْلَى. وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق
والنزاهة عن صفات المخلوقين. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. المتفرد بكمال القدرة والحكمة
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ. بكفرهم ومعاصيهم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا. على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها مِنْ دَابَّةٍ. قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود رض
كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم
لم يكن الابناء. وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ اِلَى اَجَلٍ مُسَمًّى. سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا. فَاِذَا
جَاءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَاْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. بل هلكوا او عذبوا لا محالة ولا يلزم
من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز ان
يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم. وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ. اى ما يكرهونه
لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال
وَتَصِفُ اَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ. مع ذلك وهو اَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى. اى عند الله كقوله ولئن رجعت
الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة. لَا جَرَمَ اَنَّ لَهُمُ
النَّارَ. رد لكلامهم واثبات لضده. وَاَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ. مقدمون الى النار من افرطته
فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد
مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات. تَاللّهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَا
اِلَى اُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اَعْمَالَهُمْ. فاصروا على قبايحها وكفروا بالمرسلين
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ. اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او

او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين
الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر
مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه
وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ. فى القيمة. وَمَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ اِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ. للناس الَّذِى
اخْتَلَفُوا فِيهِ. من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال. وَهُدًى وَرَحْمَةً
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين. وَاللّهُ
اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا. انبت فيها انواع النبات بعد يبسها
اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ. سماع تدبر وانصاف. وَاِنَّ لَكُمْ فِى الْاَنْعَامِ لَعِبْرَةً
دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم. نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ. استيناف لبيان العبرة
وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام
اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن
قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له
على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم
بالفتح هنا وفى المؤمنين. مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا. فانه يخلق من بعض اجزاء الدم
المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض
الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رض ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف
فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه
يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها
ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فيميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع
الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان
كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها
فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيضة فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تع فى احداث
الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية كقولك
سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدا منه الاستقاء وهى

متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة
خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء
الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد
والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي نسقيكم من ثمرات النخيل
والاعناب من عصيرها وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او
بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل
والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف
الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا
كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها
والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض
الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق
ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل
في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان
اتخذي بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير
على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما
سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لمكان الياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك
في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك
في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا
جمع ذلول وهي حال من السبل اى مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في فاسلكي
اى وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب
الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني
العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة
فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء
طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع
في بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر

واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما
في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء
منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة رضي ان
رجلا جاء الى رسول الله فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع
فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن
اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين
الله من احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من خالق
حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم باجال مختلفة ومنكم
من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان
القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم
ان الله عليم بمقادير اعمالهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه
على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على
قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى هذا المبلغ والله فضل
بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق
غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعل الله في ايديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية
او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون
بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم
فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان
يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه
الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر
تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من
جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة
والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد

بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ
والحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ
وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوائب وَبِنِعْمَتِ
اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة
على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا من مطر ونبات ورزقا
ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل عنه وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ان يتملكوه
اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى لا يملك لان ما مفرد فى معنى
الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به
او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ فساد ما تقولون
عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل فى التعظيم من عبادته او عظم جرمكم
فيما تفعلون وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى او انه
يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمون فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا
لله الامثال فانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا
لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ
مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز
عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية
والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التى هى اعجز المخلوقات وبين الله الغنى
القادر على الاطلاق وقيل هذا تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد
بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون
وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة
ليطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لانه للجنس فان المعنى هل يستوى الاحرار
والعبيد الْحَمْدُ لِلَّهِ كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ من الصنايع والتدابير
لنقصان عقله وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ عيال وثقل على من يلى امره أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ حيثما
يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله

كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ بنجح وكفاية مهم
هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ومن هو منطيق فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس
بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو فى نفسه
على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات
بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام
لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل
عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وَمَا أَمْرُ
السَّاعَةِ وما امر قيام القيمة فى سرعته وسهولته إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ الا كرجع الطرف
من اعلى الحدقة الى اسفلها أَوْ هُوَ أَقْرَبُ او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف
تلك الحركة بل فى الآن الذى تبتدأ فيه فانه تعالى يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة
كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله
كالشئ الذى يقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته
فقال وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او
اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
جهالا مستصحبين جهل الجمادية وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ اداة تتعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات
ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ كى تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور
فتشكرونه أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ قرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب
للعامة مُسَخَّرَاتٍ مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له
فِي جَوِّ السَّمَاءِ فى الهواء المتباعد من الارض مَا يُمْسِكُهُنَّ فيه إِلَّا اللَّهُ فان ثقل جسدها
يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معه الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم هم المنتفعون بها
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا هى القباب
المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث

انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة
يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها
اوضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو
لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل
والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش
ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين
مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية
وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون
بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان
والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر
كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل
ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي
تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب
يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها وحيث يعترفون
بانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب
كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد عم عرفوها بالمعجزات
ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون
الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط
او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله
بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم
لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به
من شهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو
الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا
رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون
واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم

شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم
فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم
حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله
الاصنام ح او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم
الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا
منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر
زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون
بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني
نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك
ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء
من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة
للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ان الله يأمر
بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط
بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان
الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر
على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس
والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان
شر وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال
ابن مسعود رض هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو
لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين ولعل
ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني البيعة لرسول الله

على الاسلام لقوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا
يلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان ايمان
البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها توثيقها بذكر الله ومنه وكد بقلب الواو همزة
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول
رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة من متعلق بنقضت اى نقضت
غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال
من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا
شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اى
ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل
الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد
عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم
وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا
اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونهم
اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش
وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير لاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن
لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال التبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان
زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم
عن سبيل الله بسبب صدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم فان من نقض البيعة وارتد
جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا
عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشرطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب
في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما
عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته باق

باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان نعيم الجنة باق ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم
بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء
احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف
العقاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر
وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضاء بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الاخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظ وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان
يتهنأ بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة
فاذا قرات القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم فاسئل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا
القبيل وعن ابن مسعود رض قرات على رسول الله فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان
الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرائيل عم عن القلم عن اللوح
المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم
به مشركون بالله او بسبب الشيطان واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية
الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون
مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة ح يكون مصلحة الان
فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اى الكفرة انما انت
مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل
اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم
لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطاء من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبرائيل
واضافة الروح وهو المطهر كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي
ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق
ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا

مافيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى
للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة
وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم
يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبر الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان الرسول عم يمر عليهما
ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب
وقيل سلمان الفارسى لسان الذى يلحدون اليه اعجمى لغة الرجل الذى يميلون
قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقراء حمزة والكسائى يلحدون
بفتح الياء لسان اعجمى غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربى مبين ذو بيان
وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان
ما يسمعه منه كلام اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تامل
فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن
لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك عجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى
فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة
معلم فايق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه
بعض اوقات مروره عليهما كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بامثال
هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم
فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات
الله والطعن بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه
بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ
خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون
من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل
لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته
وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده

اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه
وروى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين
بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا
وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله
ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله وهو يبكى فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك
فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان
يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال
لاحدهما ما تقول فى محمد عم قال رسول الله قال فما تقول فى قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر
ما تقول فى محمد عم قال رسول الله قال فما تقول فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد
جوابه فقتله فبلغ رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى
فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لا يهدى القوم
الكافرين اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه هم
واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب
المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار بالولاية والنصر
ثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقراء ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد
وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والصبر لغفور لما فعلوا
قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتى كل نفس منصوب برحيم
او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شأن
غيرها فيقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون
لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم
فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة اى
لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها
فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع
نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك

اثر الضرر والباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة
عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته
رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء
لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال وقد ينظر
الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه
ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم
رسول منهم يعني محمدا والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه
فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم
من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت
الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها
الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم
عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل
باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل
كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل
منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا
ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب
مبالغة في وصف كلامهم كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال
وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب
بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا
على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون

لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب
اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او حرمنا
وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه
وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه
وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم
يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة
في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس
الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم
ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول
كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم
على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم
القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة
الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة
لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك
يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول ملته
او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد
الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة على كل احد بحسب فهمه وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على
الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عم ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض
فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو

المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلّوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى واحتالوا
له الحيل وذكرهم ههنا لتهديدا المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله وان ربك
ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل
فريق بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة
المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات
المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية
لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن
طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك
انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بالمهتدين اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال
والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار فيه والى
من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك
عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف
والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عم لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن
اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فكفر عم عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص
ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوز وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا
على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه
عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم
على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فى ضيق صدر
من مكرهم وقراء ابن كثير فى ضيق هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز
ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصى والذين هم محسنون
فى اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون
بالشفقة على خلقه عن النبى عليه السلام من قرا سورة النحل لم يحاسبه
الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

سورة بنى اسرائيل مكية وهى مائة واحد عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه

التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءنى فخره
سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز
عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على
تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به
من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عليه السلام قال بينا انا فى المسجد الحرام فى الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبرائيل بالبراق او هو من الحرم وسماه
المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبداء المنتهى لما روى انه عم
كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة
عليها وقال مثل لى النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه
استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رض فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا
اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة
سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب
فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقد تقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام
او فى اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به
الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة
بما يثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة
ستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية
وقد برهن فى الكلام على ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله تع قادر
على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى عم او فيما يحمله والتعجب
من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى
باركنا حوله ببركة الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عم
ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه برهة من الليل مسيرة شهر
ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام
من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقوال محمد عم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى
الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه
ان افعل كذا وقراء ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دونى وكيلا ربا تكلون اليه اموركم

عزير ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص والنداء ان قرئ الا تتخذوا بالتاء
او على انه احد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون قوله ولا يأمركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو
تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق
بحملهم مع نوح فى السفينة إنه اى نوحا كان عبدا شكورا يحمد الله تع على مجامع
حالاته وفيه ايماء بان انجاه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به
وقيل الضمير لموسى ع م وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا
فى الكتاب فى التورية لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء
المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما
قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ع م ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن
طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا
عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى
وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد
فجاسوا ترددوا والطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل
والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد الاقصى
والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم
المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تع فى قلب
بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسب بن لهراسب شفقة عليهم
فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال ع م عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلنا
كم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون
للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها
فان وباله عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة
الآخرة ليسوءوا وجوهكم اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة
فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن
بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على
انه جواب اذا واللام فى قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه

دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم
تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف
اسمه جودرز وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم
عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ
الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى ع م فقال لمثل هذا
ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصابك قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله تع قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ع م
وقصدوا قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية
على الباقين هذا لهم فى الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج
منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم
للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما هو يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير
مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم ع م فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه ع م دفع
اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع
اليد ثم ندم ع م فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة عليه فنزلت
ويجوز ان يراد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث
اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه صبرا
يوم بدر وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد
بامكان غيره فمحونا آية الليل اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اهله جبناء وقيل الآيتان الشمس والقمر
وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين
ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا
فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع يبصر الاشياء

بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوسلوا
الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب
جنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه
بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش
الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير
لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تع وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه
ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان
الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكررها لها ملكات ونصبها
بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو الضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج
من خرج وقرئ ويخرج اي الله يلقيه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب
او يلقيه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقيه على البناء للمفعول
من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع
موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال
او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل
على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك
قوم لانفاد قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت
ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان
فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها
كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه
او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق ويحتمل ان
لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء فامرته
فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج
وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو

عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين
لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب
السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك
اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من
بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد فيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل
متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل
ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهورة
وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن
المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له
جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون
بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك
معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا
من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد
من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا
لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان
عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اي التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها
لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب للرسول عم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه
مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه
ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا بان
لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود
والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه اما يبلغن

عِنْدَكَ الْكِبَرَ اَحَدُهُمَا اَوْ كِلَاهُمَا اِمَّا اِن الشرطية زيدت عليها ما تاكيدًا ولذلك صح لحوق
النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلًا او بدلًا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدًا
للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفه وكفايته فَلَا تَقُلْ لَهُمَا اُفٍّ فلا تتضجر بما
تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو التضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراة نافع وحفص للتنكير
وقراء ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونًا وبالضم للاتباع كمنذ
منونًا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسًا
بطريق الاولى وقيل عرفًا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين ونهى عن يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
بهما وَلَا تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم
اخوات وَقُلْ لَهُمَا بدل التافيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلًا لا شراسة فيه
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحًا كما جعل
لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يدًا وللقرة زمامًا وامره بخفضهما مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض
جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى
واخفض لهما جناح الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول
مِنَ الرَّحْمَةِ من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وَقُلْ رَبِّ
ارْحَمْهُمَا وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رحمة مثل رحمتهما علي
وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلًا قال لرسول الله
ان ابواي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا
يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِمَا
فِي نُفُوسِكُمْ من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان
يضمر لهما كراهة واستثقالًا اِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ قاصدين للصلاح فَاِنَّهُ كَانَ
لِلْاَوَّابِينَ للتوابين غَفُورًا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عامًا لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته
لوروده على اثره وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم
وقال ابو حنيفة رحمه الله حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى

القربى اقارب الرسول عم وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا بصرف المال فيما لا ينبغي
وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي عليه السلام انه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار اِنَّ الْمُبَذِّرِينَ
كَانُوا اِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم
واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون
الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم
في الانفاق في القربات وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا مبالغًا في الكفر به فما ينبغي ان يطاع
وَاِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد
ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا تنفعهم على سبيل الكناية اِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ
تَرْجُوهَا لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل
معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب
عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا اي فقل لهم قولًا
لينًا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغنانا كم الله ورزقنا
الله واياكم وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً اِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ تمثيلان
لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرًا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فَتَقْعُدَ مَلُومًا
فتصير ملومًا عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير مَحْسُورًا نادمًا او منقطعًا بك
لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رض بينا رسول الله اذ اتاه صبي
فقال ان امي تستكسيك درعًا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه
فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه
واعطاه وقعد عريانًا واذن بلال رض وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك
ثم سلاه بقوله اِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ يوسعه ويضيقه
بمشيته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك اِنَّهُ كَانَ
بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان
يريد ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم
ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا يقبضوا كل
القبض ولا يبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدًا لقوله وَلَا تَقْتُلُوا اَوْلَادَكُمْ
خَشْيَةَ اِمْلَاقٍ مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر
فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَاِيَّاكُمْ اِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا

كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطاء الاثم يقال خطئ
خطأ كأثم إثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة
او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته
وخرطومه من منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا
بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا ان
تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا
طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان
وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه
للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على
من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان
فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله
فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد
الاول قراءة ابي رض فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما
انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا
بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله تع نصره حيث اوجب
القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص
او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا
بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي
دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه وما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به
او مسؤولا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث
كما يقال للموؤدة سئلت باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب
العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي
اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار
عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن
تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف

ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا
او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد
من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد
وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفوا
الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجرى
مجرى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد
اولئك الايام كان عنه مسؤولا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤولا عن نفسه يعني عما
فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤولا
مسند الى عنه كقوله تع غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل
وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد يؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو
الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق
الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال
وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة
الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رض
انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورة مامورات ومناهي
وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه
خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى
سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها
واقعة بارادته تع ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي
معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه ضاع سعيه وانه راس الحكمة
وملاكها ورتب عليه ما هو عائدة الشرك في قوله اولا لا تجعل مع الله في الدنيا وثانيا ما هو
نتيجة في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى
افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى
اخصكم ربكم افضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف
ما عليه معقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهو منزه عنه

بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون
ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه
من التقدير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات
اليه بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا
بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى
التذكير وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهم
نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب
المشركين مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو
والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب
اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم لقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة
سبحانه تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون
فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه
فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح
بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها
على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده
الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه اللفظ وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه
وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على
غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين
لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم ستيرا ذا ستر كقوله تعالى
وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم اي ممتلئ او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا
يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه
للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة
كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم
اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا
من حيث اللفظ والمعنى اثبت للمنكرين ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده

وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد وتقريره وتوليه
ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء
بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من
الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى
مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر
باذكر او بدل باذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم
هذا والمسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب
مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون
فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى الطعن بوجه فيتهافتون
ويخبطون كالمتحير في لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة
والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وخلقا
مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر
عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام
في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء
اقبل لما عهد مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو
ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون
متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان
قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير امرهما وان المقصود منهما
الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه
وتظنون ان لبثتم الا قليلا ويستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية او مدة
حياتكم لما ترون من الهول الفظيع وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة
التي هي احسن ولا تخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل
المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما
بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه يهيج على الشر
مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم

على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فداراهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روى
افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله فنزلت وقيل شتم عمر رجل فامره الله بالعفو وربك
اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد
لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع حتى داود فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتى من الملك وقيل هو اشارة
الى تفضيل رسول الله وقوله وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم
الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما ثبت فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى
الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر لانه فى الاصل
فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والفضل
او لان المراد وآتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين
زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم
كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب
بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه بذلك كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك
كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية
كان ذلك فى الكتاب فى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات
وما صرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الذين
هم امثالهم عن الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك واستوجبوا
الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن ثم ذكر
بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة
بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها اى فظلموا انفسهم
بسبب عقرها وما نرسل بالآيات اى بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر من بعثت
اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش يعنى
اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه وما

وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال
انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حتى رأى انه دخل مكة وفيه ان
الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تع
اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال كانى انظر الى مصارع القوم
هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون
منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان
المراد بقوله الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ما حدث فى ايامهم عطف على الرؤيا
وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة
ثم يقول تنبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله النار
واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار
شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها
بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وبابى جهل والحكم بن ابى العاص وقرئت
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ونخوفهم
بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوزا الحد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان
يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين اى أأسجد له واصله طين وفيه على
الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارأيتك هذا الذى كرمت على الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له
من الاعراب وهذا مفعول اول والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى
عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على لئن اخرتن الى يوم القيمة كلام مبتدأ
واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا لاستأصلنهم بالاغواء
الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا
مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها
من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب
امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان
جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين
على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر
باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز
واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد

واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عم يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسليطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالكسب المحرم والاشراك فيه بتسمية عبد العزى والتضليل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادى يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اى على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التى لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حـ لا يخطر بالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من يعبد وتنزعا نكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة عطاء فتى تمكن فى المعالى فاعرض فى المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قدر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره ان نخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبكم بسببكم وبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه فى البحر تارة اخرى بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشئ الا قصفته اى كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم

او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بنى ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رض ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله تع واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى علقة الاعمال وقيل بالقوى الحاصلة لهم على عقايدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتى من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك ما يذكرهم مع ان قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرا الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الاخرة اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقع فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرا ورش بين بين وان كادوا ليفتنونك نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب

لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا
وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل
ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك
وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة
بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك
واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانهم وليا لهم بريا من ولايتي
ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل
الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن
ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليهم وهو صريح في انه عم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه
اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء
الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف
من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يرفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بمعاداتهم من الارض اي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم
هلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي عم بالمدينة فقالوا
الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا معطوفا
على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها
على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال
عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك
من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم
من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا
تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عم اتاني جبرائيل عم
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلاك
لانه لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل

وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليه يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها
في لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقران الفجر وصلوة
الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل
فيها لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخ الموت بالانتباه او كثير
من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك
بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب وقوله
لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبداء الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد
الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران
نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاصه وجوبه بك
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل
مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رض انه عم قال هو المقام الذي
اشفع فيه لامتي واشعارا بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة
وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال
بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا
واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة
والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل
ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه
مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج
بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب بقوله تع فان حزب الله
هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق
الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير
ثابت عن ابن مسعود رض انه عم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت
بمخصره في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل
من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمريض ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض

كالفاتحة وآيات الشفاء وقراء البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية
عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقراء ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت
وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واما الخلف والكسائي فتحة النون والهمزة في السورتين
واما خلاد وفتحة الهمزة فيهما فقط واما ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش
على اصله في ذوات الياء وإذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح
الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا اسد طريقا
وأبين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذي
يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من أمر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير
مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامر ربي وحدث بتكوينه على ان السؤال
من قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح جبرائيل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما أوتيتم من العلم
الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه
الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض
تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عم في جواب وما رب العالمين
بذكر بعض صفاته روي انه عم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم
فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية
ان يعلم من الخير والشر ما تسعه القدرة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة
الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا
لنذهبن بالذي أوحينا إليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء
الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك
فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير

غير مذهوب به ويكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله
وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن
في البلاغة وحسن النظم وكمال البلاغة لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق
وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا
كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم
كانوا وسائط في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله تع ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد
صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى
هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فأبى أكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك
ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه
وقراء الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها
مفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قوله تع ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو
كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن
الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما وحفص الا فيما عدا الطور
وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر
وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف في الخبر في قوله ومن يك
امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون
لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء في معارجها
ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان
ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة
وقراء ابن كثير وابن عامر قال سبحان اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا
كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن
امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل
فقد ذكر في آيات اخر كقوله تع ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا
عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم عن الايمان بعد نزول الوحي

وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم
عن الايمان بمحمد والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه
فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون
موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول الله
اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا
نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة والظاهرة
فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون
عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر عيونهم ولا
يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما لا يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات
والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب
في الموقف الى النار مؤفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكنت لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة
مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء
واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله
الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون
مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه
وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة
هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه
ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه
هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا
واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على

على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان
يهوديا سأل النبي عليه السلام عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت
فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع
سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة
وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت حكم مستأنف زائد على الجواب
ولذلك غير فيه سياق الكلام فسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا لهم سلهم من فرعون
ليرسلهم معك او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة
قريش واذ متعلق بقلنا او بسال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى
وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او تعلم انه تعالى
لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه
جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا
سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه
ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا
على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين
فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان
اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد اي فرعون ان يستفزهم
ان يستخفهم موسى وقومه او ينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل
والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه
بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعني
قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم
من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا
القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل
وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك

الا مبشرا للمطيع ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرانا
فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل بحذف الجار كما فى قوله ويوم
شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة لتقراه
على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا فان
ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين
اوتوا العلم من قبله تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء
الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز
بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ما انزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون
تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث
بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القران يخرون للاذقان سجدا يسقطون على
وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد عليه
السلام على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر وعند انجاز الوعد والثانى لما اثر
فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى
الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن
خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت
حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعوا
الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التورية فالمراد على الاول هو
التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود والثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء
الى المقصود وهو اجوب لقوله تع ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء فى الاية بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين
فى ايا عوض عن المضاف وما صلته لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان
التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين

بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر
رض كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى وعمر رض كان يجهر ويقول اطرد الشيطان
واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا
والجهر ليلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك فى الالوهية
ولم يكن له ولى من الذل ولى يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له
ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه
للدلالة على انه الذى يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا
وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى العبادة
والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى ذلك روى انه
عليه السلام كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه
هذه الاية وعنه عليه السلام من قراء
سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر
الوالدين كان له قنطارا فى الجنة
والقنطار الف اوقية
وماتنا اوقية
والله اعلم

سورة الكهف مكية وهى مائة وعشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب يعنى القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله
تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادى الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما به ينتظم صلاح المعاش
والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى وانحراف
من الدعوة الى جناب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه
ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة
تشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب على ان
الواو فى ولم يجعل للحال دون العاطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين ابعاض
المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير وقرئ قيما لينذر باسا شديدا اى لينذر الذين
كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق
اليه من لدنه صادرا من عنده وقراء ابو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع

الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه فى الاجر ابدا بلا انقطاع
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما
لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقديم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه
او بالقول والمعنى انهم يقولون عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم
من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله
اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبنى كبرت
كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى
الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية
والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم
على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها او صفة محذوف هو المخصوص
بالذم لان كبرت ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا
فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد
على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك
على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متاسفا
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا
جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة
لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه
بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله عليه السلام وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد
ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله صعيدا املس لا نبات فيه ام حسبت
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم فى ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا
وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبايع
وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه
من آيات الله تع كالنوم الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى
الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم
مجاورا وصيدهم والقوم فى الكهف هجد او لوح رصاص او حجرى رقمت فيه اسماؤهم
وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة خرجوا يرتادون
لاهلهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا

اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم
فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم
وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقرة فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله
ورجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال لى ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها
اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء
وقال آخر كان لى فضل واصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله
ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له
واغيثى عيالك فاتت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت
ما لك فقالت اخاف الله فقلت لها خفتيه فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها
ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفوا وقال الثالث
كان لى ابوان هرمان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات
يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما
نائمين فشق على ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم ان جعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك
نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس
على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة
والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك اسدا واصل
التهيئة احداث هيئة الشئ فضربنا على آذانهم اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم
انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته فى الكهف سنين
ظرفان لضربنا عددا اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة
لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا
لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اى الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم
احصى لما لبثوا امدا ضبط امدا لزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم
فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء
بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه
كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نباهم بالحق بالصدق
انهم فتية شبان جمع فتى كصبى وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا

على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والمال والاهل والجرأة على اظهار الحق والرد
على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من
دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط
فى الظلم هؤلاء مبتدا قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار فى معنى
انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين
لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض
وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اى واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم
الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما مصدرية
على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان يكون نافية على انه اخبار من الله
عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم
يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون
به اى تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تع وقرأ نافع
وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه
الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم
يميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها
عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاء وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب
تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها
الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال
يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وهم فى فجوة منه اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى
وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب
الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذات مشرق رأس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى
يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواه
ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ذلك من آيات الله اى شأنهم وايواؤهم
الى كهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته
من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه
على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار
بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم

وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم فى رقدتهم
ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى
تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تع وقال انا احب احباء الله تع
فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبع الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم
اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت
بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة
والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله تع من الهيبة او لعظم اجرامهم
وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله من هو خير
منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت
ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر ويعقوب والكسائى رعبا
بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم
اى ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تع قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا
الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم
وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأه
ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو ومدغما او غير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان
التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر
وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى
حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم
ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم
او يعيدوكم فى ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا

او لا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم
وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا اى ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم
كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب فيها وان القيمة لا ريب فى امكانها فان
من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها
اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها اليها اذ
يتنازعون ظرف لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان
بعضهم يقولون يبعث الارواح مجردة وبعضهم يقولون يبعثان معا لترتفع الخلاف ويتبين
انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله تع ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا
وقال اخرون ناموا نومهم اول مرة وقالت طائفة يبنى عليهم بنيانا ليسكنه الناس
ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تع فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله
ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تع ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعون
او من المتنازعين فيهم على عهد رسولنا او من المتنازعين الرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم
وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل فى السوق
واخرج الدرهم وكان على اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان
نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم
من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم
وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس
ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا
الى الكهف فقال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل
فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اى الخائضون فى قصتهم فى عهد رسول الله من اهل الكتاب
والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اى هم ثلثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو
قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة
سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون
رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن
وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
انما قاله المسلمون باخبار الرسول عليه السلام لهم عن جبريل وايماء الله اليه بان اتبعه
قوله قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان

وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع
فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما بالغيب
ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة
حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على اتصافه بها امر ثابت وعن على رض
هم سبعة نفر وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين
الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع
الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة
لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل فى شان الفتية
الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان نقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد
عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسئل احدا منهم عن قصتهم سؤال المسترشد
فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد فضيح
المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشىء انى فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله نهى تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه
عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسالوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن
فابطا عليه الوحى بضع عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى اى
لا تقولن لاجل شىء تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا ان يشاء الله اى الا ملتبسا
بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان ياذن لك فيه
ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء
اعتراضها دون لا يناسب النهى واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روى انه
لما نزل قال ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رض
ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه
لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الاية
والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز
ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك به
او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقل عسى ان يهدين ربى يدلنى لاقرب من هذا
رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى نبى من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك
كقصص الانبياء والمتباعد عنه اياهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة

سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قبل
وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال
بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين
بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر
لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين
من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من احوال
اهلها فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك
خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف
وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء يعود الى الله تع ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند
سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير
لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش
والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت
للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم
ولا يشرك في حكمه (في قضائه) احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب
بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف
من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم
اصحابه فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت
بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره
ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك واحبسها وثبتها
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ
ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير
يريدون وجهه رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اي لا تجاوزهم نظرك
الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه
والمراد نهي الرسول ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا
الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن
في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا واتبع
هواه كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه
على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات
حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا تربية الجسد وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة

في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله قالوا انه مثل احمدته اذا وجدته
كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا
في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر
من غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه
بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز
ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حال فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان
بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط
وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من النار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي
الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير
في الكاف بئس الشراب وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت
الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم من احسن
عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقع الظاهر فان من احسن عملا
على الحقيقة اطلاقا الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري
من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر وخبر ثان
يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور
وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة واسوار في جمع سوار
ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق
مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب
نعم الجنة ونعيمها وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن
رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن
اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله وقيل الممثل لهما اخوان

من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج
ام سلمه قبل رسول الله جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة
بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا
بها كرومها يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله ومزيدة
الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما
جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
آتت اكلها ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم
في عام وينقص وعام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما
وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا
كثر وقرا عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما
وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار
اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون
معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو
جنته وما منح به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد
المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة
وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره وتمادي غفلته واغتراره بمهلته قال ما اظن
ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله دونه وتمادي غفلته واغتراره بمهلته
وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية
وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تع انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه
اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا
ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه
الشك في كمال قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر بدء
خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت
الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان وكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب في رواية
بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا وهو
على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبره خبر انا او ضمير الله والله بدله
وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به

مؤمن به وقد قرئ به لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك
قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على
ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا
بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء اباده لا قوة الا بالله وقلت
لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير
امرها فبمعونته واقداره عن النبي عليه السلام من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله
لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا
وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن
وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا
او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء
مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها
او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء مزلق عليها باستيصال
نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق
فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما
توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا
غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم
فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تحسرا وتلهفا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق
فيها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت
الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه
تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله
بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة
وقرا حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك
او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما
كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام
وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله تع
ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل
بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرا حمزة
والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه

اولا يعبد غيره كقوله تع واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها
على ان قوله يا ليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة وقراء ابو عمرو والكسائى الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على
المصدر المؤكد وقراء عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة
وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيوةِ الدُّنْيَا اذكر لهم ما يشبه الحيوة الدنيا فى زهرتها وسرعة
زوالها او صفتها الغريبة كَمَاءٍ هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على
انه بمعنى صير اَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْاَرْضِ فالتف بسببه وخالط
بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع فى النبات حتى روى ورق وعلى هذا كان
حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة فى كثرته فَاَصْبَحَ هَشِيمًا مهشوما مكسورا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ
تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة
من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح
فيصير كان لم يكن وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ من الانشاء والافناء مُقْتَدِرًا قادرا
اَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيوةِ الدُّنْيَا يتزين بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما هو
قريب وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ واعمال الخيرات التى يبقى له ثمرتها ابد الآبدين
ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام شهر رمضان
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ
من المال والبنين ثَوَابًا عائدا وَخَيْرٌ اَمَلًا لان صاحبها ينال به فى الاخرة وما
كان يامل بها فى الدنيا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجو
او يذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات
خير عند الله ويوم القيمة وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء
للمفعول وقرئ تسير من سارت وَتَرَى الْاَرْضَ بَارِزَةً بادية برزت من تحت الجبال
ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على البناء للمفعول وَحَشَرْنَاهُمْ وجمعناهم الى الموقف
ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير
ليعاينوا او يشاهدوا ما وعدهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فَلَمْ نُغَادِرْ فلم
نترك مِنْهُمْ اَحَدًا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير
لما غادره السيل وقرئ بالياء وَعُرِضُوا عَلٰى رَبِّكَ شبه حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان لا ليعرفهم بل ليامرهم صَفًّا مصطفين لا يحجب احد احدا لَقَدْ جِئْتُمُونَا
على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا فى يوم نسير كَمَا خَلَقْنَاكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ

مَرَّةٍ عراة لا شىء معكم من المال والولد كقوله تع ولقد جئتمونا فرادى واجبنا كما خلقنكم
الاولى لقوله تع بَلْ زَعَمْتُمْ اَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى وَوُضِعَ الْكِتَابُ صحائف الاعمال
فى الايمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ
خائفين مِمَّا فِيهِ من الذنوب وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ينادون هلكتهم التى هلكوها من بين
المهلكات مَا لِهٰذَا الْكِتَابِ تعجبا لشانه لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً هنة صغيرة وَلَا كَبِيرَةً اِلَّا
اَحْصَاهَا الا عدها واحاط بها وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا مكتوبا فى الصحف وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ
اَحَدًا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُوا
لِاٰدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلِيسَ كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك
المحال وههنا لما شنع على المفتقرين المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن
ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات
وتسويل الشيطان زهدهم اولا فى زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة
خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة
وهكذا مذهب كل تكرير فى القرآن كَانَ مِنَ الْجِنِّ حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل
ما له لم يسجد فقيل كان من الجن فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهِ فخرج عن امره بترك السجود والفاء
للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصيه البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا
فى الاصل والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة اَفَتَتَّخِذُونَهُ اعقيب ما وجد منه
تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وَذُرِّيَّتَهُ اولاده واتباعه وسماهم ذريته مجازا
اَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى تستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ
بَدَلًا من الله ابليس وذريته مَا اَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَلَا خَلْقَ
اَنْفُسِهِمْ نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض
ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله تع وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة
من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير
ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك
وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت
الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده
قراءة من قراء وما كنت على خطاب الرسول وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا
بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا ككذم جمع عاضد من عضده اذا قواه وَيَوْمَ

يقول اى الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شركاء او
شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه
وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم
وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة
هى فى شدتها هلاك كقول عمر رض لا يكون حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان
او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا
هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها
واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا
فى هذا القرآن من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شئ يتأتى منه
الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من
الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعى والقرآن المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار
او تقدير ان يأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو
لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة
وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به
ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك
قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا لو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا
آياتى يعنى القرآن وما انذروا وانذارهم او والذى انذروا به من العذاب هزوا
استهزاء وقرئ هزءا بالسكون وهو ما يستهزء به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكرها ونسى ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى
فلم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفى آذانهم
وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا
تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول
على تقدير قوله ما لى لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور
البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب

العذاب استشهادا على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة الرسول عم بل لهم
موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يقال وأل اذا نجا
ووأل اليه اذا التجأ اليه وتلك القرى يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف فى احدهما
ليكون مرجع الضماير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى وجعلنا لمهلكهم
موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا
بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى لهلاكهم
وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيص واذ قال موسى
مقدر باذكر لفتيه يعنى يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عم فانه كان يخدمه ويتبعه
ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح اى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو
السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان
يكون اصله لا يبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازال عما انا عليه من السير
والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى
المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر فان موسى كان بحر علم الظاهر
وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
او امضى حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب
او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة
وقيل سبعون روى ان موسى عم خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة
بليغة واعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا
خضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر
وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى سأل ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى
ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى
عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده
عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال
على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما
ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسى موسى ان يطلبه ويتعرف
حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى عم رقد فاضطرب

الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء
عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار
وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول
الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع
البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل
لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع
والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال
ارأيت اذ اوينا ارأيت ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها
موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت
ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اي وما انساني ذكره الا
الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه
لشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه
لما جرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك
لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة
الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين
واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا
عجبا وهو كونه كالسرب واتخاذ عجبا المفعول الثاني وهو الظرف وقيل هو مصدر
فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل
الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت
ما كنا نبغي نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما قصصا فرجعا في الطريق الذي
جاءا فيه قصصا يقصان اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الى الصخرة
فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل
الياس آتيناه رحمة من عندنا هو الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص
بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن
على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف وقرأ ابن كثير باثبات الياء فيه وفي
تبغي وصلا ووقفا ونافع وابو عمرو وصلا والباقون بحذفها في الحالين مما
علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان
كالبخل والبخل وهو مفعول ان تعلمن ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان

منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله
ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول
ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك
غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم
عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على
وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
على ما لم تحط به خبرا اي كيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وبواطنها لم يحط
بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره وقرأ حفص عن عاصم بفتح ياء معي
في المواضع الثلث قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا
عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن وخلفه
ناسيا لا يقدح في عصمته او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد
شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا
حتى ابتدأ بك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل
يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين
من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها
وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد
جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض
عليه او بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها
وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل من معاريض الكلام والمراد
شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي
فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه
وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعد ما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه كما لقيه قتله من غير
تردد واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو وورش عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط
والزكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه
لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت نفسا فيقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حقا او قصاصا

وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزء واعتراض موسى مستانفا وفى الثانية
قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل وكان جديرا بان يجعل
عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا وقرأ نافع فى رواية
قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى
صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز
والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة قال ان سألتك عن شئ
بعدها فلا تصاحبنى وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك
قد بلغت من لدنى عذرا قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله رحم الله
اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدنى بتحريك
النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدنى من نصر الخبيبين قدى وابو بكر لدنى بتحريك
النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية
وقيل ابلة بصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما
من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط فاستعيرت
الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابى براء ويعدل عن دماء
بنى عقيل وقال ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته
اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه وافعل من النقض وقرئ ان ينقض وان
ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده
به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا
على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كان لما راى الحرمان ومساس
الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس
من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب
وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بينى وبينك الاشارة الى الفراق الموعود
بقوله فلا تصاحبنى او الى الاعتراض الثالث او الى الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا
او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ
على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر
عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر
لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا
مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمناء

زمناء وخمسة يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوله بن جلندى
الازدى يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت
ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما
قدم للعناية ولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه
على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة
والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما اى يغشيهما
طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع
فى بيت واحد مؤمنان وكافر طاغ او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على
طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله اعلمه وعن ابن عباس رض ان نجدة الحرورى
كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى عليه السلام عن قتل الولدان فكتب عليه ان علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف
سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق
الرديئة واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبى
فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن
كثير ويعقوب رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة
واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم
المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم
على كنزهما فى قوله تع والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما
تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه
على ان سعيه فى ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا
واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اى الحلم وكمال الرأى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
مرحومين ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره
فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله
والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له

فى بلوغ الغلامين اولان الاول فى نفسه شر والثالث خير والثانى ممتزج او لاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رايته عن امرى عن رأيى وانما فعلته بامر الله تع ومبنى ذلك على انه اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممتد غيرات الشرايع فى تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم والتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذى القرنين يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذى القرنين او لانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض فى ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين ولذى القرنين وقيل لله انا مكنا له فى الارض اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول واتيناه من كل شئ اراده وتوجه اليه سببا وصلة يوصله اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان يكون العين جامعة للوصفين او حمئة على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فراها كذلك اذ لم يكن فى مطمح نظره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رض سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه حسنا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله تع قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته وظلم نفسه بالاصرار على كفره واستمر على ظلمه الذى هو الشرك فاعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله فى الاخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله

فله فى الدارين جزاء الحسنى فعليه الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتداء والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول له من امرنا مما نامر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او لانهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس فى الحكم والكفر وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربايجان وقيل جبلان فى اخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان ياجوج وماجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتانيث مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل

كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضرا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا
ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرا حمزة والكسائي خراجا
وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان
تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي
قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج
ولا حاجة بي اليه وقرا ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى
به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب
مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي
رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما
ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة
حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل
حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرا ابن كثير وابن عامر والبصريون
بضمتين وابو بكر بضمة الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات
من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الاخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا
اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء
قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول
لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو
معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرا
حمزة وابو بكر قال ائتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي
متقاربين وقرا حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا
ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه
وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صارت كالنار فصب النحاس
المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا
بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار
على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج
او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكاء مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض مصدر بمعنى
مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرا الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان
وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو اخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض

في بعض وجعلنا بعض ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين
في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى
ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري عن اياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون
سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع اذا
صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا فظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني
اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر
للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى
الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام به للنزيل وفيه تهكم
وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما يستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم
واخرتهم ومحله الرفع على الخبر لمحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على
الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك
الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه
بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا
نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع
لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك قوله جزاؤهم جهنم جملة
مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدا والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به
او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا
اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات
الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله تع ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله
البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا
اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل
لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه

قبل ان تنفد كلمات ربى فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائى بالياء
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه
بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلالة القاطعة على
تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا
بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما
انا بشر مثلكم لا ادعى الاحاطة على كلماته يوحى الى انما الهكم اله واحد وانما تميزت
عنكم بذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه يأمل حسن لقائه او يخاف سوء لقائه فليعمل
عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجره
روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع احد عليه سرنى فقال ان الله
لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة
وعن النبى عليه السلام من قرأها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو
ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ
من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه من قرأ سورة الكهف
من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم مكية وهى مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى ياآت وابن عامر وحمزة
الياء والكسائى وابو بكر كليهما ونافع بين بين وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال
والباقون يدغمونها ذكر رحمت ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل
عليه او خبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمت ربك او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليك ذكرها
وقرئ ذكر رحمت ربك على الماضى وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة والذكر على ان الرحمة فاعله
على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء
خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام
على طلب الولد فى ابان الكبر والشيخوخة او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم او لان ضعف
الهرم اخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس
وثمانون قال رب انى وهن العظم منى تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه
دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد

به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلث واشتعل الرأس شيبا
شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج
مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا له
ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى
عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما
سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة
وانه تعود بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه وانى خفت
الموالى يعنى بنى عمه لانهم كانوا شرار بنى اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ﻫ
ويبدلوا عليهم دينهم من ورائى بعد موتى وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق
بمحذوف او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت فعل الموالى من ورائى والذين يلون الامر من ورائى
وقرئ خفت الموالى من ورائى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى
فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتى عاقرا لا تلد فهب لى من لدنك فان مثله
لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فانى وامرأتى لا نصلح للولادة وليا من صلبى يرثنى
ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائى على انهما جواب الدعاء
والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثنى الحبورة فانه كان
حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا
او عمران بن ماثان من نسل سليمان عم وقرئ يرثنى وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين
واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثنى وهذا يسمى التجريد فى علم البيان
لانه جرد عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له
من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامى الغريبة تنويه
للمسمى وقيل سميا شبيها لقوله تع هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان فى الاسم
والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمى به لانه حيى به رحم امه
او لان دين الله حيى بدعوته قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت
من الكبر عتيا جساوة وقحولا فى المفاصل والاصل عتو كقعود فاستثقلوا توالى الضمتين
والواوين فكسروا التاء وانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة
والكسائى وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر
فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اى الله او الملك المبلغ للبشارة
تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان يكون الكاف منصوبة بقال فى قال ربك وذلك

اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت
اوكما وعدت وهو على ذلك يهون علىّ اوكما وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى
الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما
صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة والكسائى وقد خلقناك قال رب
اجعل لى آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال
سويا سوى الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة
على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج
على قومه من المحراب من المصلى او الغرفة فاوحى اليهم فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب
لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفى النهار ولعله كان مامورا
بان يسبح ويامر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا
يحيى على تقدير القول خذ الكتاب اى التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم
صبيا يعنى الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله فى صباه واستنبأه وحنانا
من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة
وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق
على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصى وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا
عصيا عاقا او عاصى ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به
بنى آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيمة
واذكر فى الكتاب فى القرآن مريم يعنى قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال
لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع
فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك اكرمتك اذ لم تكرمنى
فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك
اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت
من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت فى مشرقة
للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينا هى فى مغتسلها اتاها جبريل متمثلا بصورة شاب امرد سوى
الخلق لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها قالت انى اعوذ بالرحمن
منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله اى فانى عائذة منك او فتتعظ فتعوذه بتعويذى او فلا تتعرض بى ويجوز
ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال

قال انما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما لان اكون سببا فى هبته بالنفخ
فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة ابى عمرو والاكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت
انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق
فيه اما الزنا فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك
بغيا وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم يلحقه
التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم يلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال
ربك هو على هين ولنجعله آية اى ونفعل ذلك لنجعله آية او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل
عطف على لنهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة
منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله فى الازل وقدر
وسطر فى اللوح او كان امرا حقيقيا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ
فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية
ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلثة عشر سنة وقيل
عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله تدوس
بنا الجماجم والتربيا والجار والمجرور فى موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل
اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجاءها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال
كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن
ثم غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعها
ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت قبل هذا استحياء من الناس
ومخافة لومهم وقرئ مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح
لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط
بالماء وينساه اهله لقلته منسيا منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناديها من تحتها عيسى عم وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ
نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل
الضمير فى تحتها للنخلة الا تحزنى اى لا تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا جدولا
هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عم وهزى اليك بجذع النخلة واميليه
اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلى الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع

تساقط عليك فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقراء يعقوب بالياء وحفص تساقط
من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا
جنيا تمييز او مفعول روى انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها
فجعل الله تع لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها
فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة
اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام
ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلى واشربى اى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره
وقرى عينا وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ بالكسر وهى لغة نجد واشتقاقه
من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه
فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين
الهمزة وحرف اللين فقولى انى نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون
فى صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى
وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام
عيسى عم فانه قاطع فى قطع الطاعن فاتت به مع ولدها قومها راجعة اليهم بعد
ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اى
بديعا منكرا من فرى الجلد اذا قطعت يا اخت هرون يعنون هرون النبى عليه السلام
وكانت من اعقاب من كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما
الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان فى زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا
قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير
لان ما جاءت به فرى وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه
الى عيسى عم اى كلموه يجيبكم قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ولم نعهد صبيا
فى المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه
او تامة او دائمة كقوله وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال انى عبد الله انطقه
الله به اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتانى الكتاب الانجيل
وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق
فى قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما
كنت حيث كنت واوصانى وامرنى بالصلوة والزكوة زكاة المال ان ملكته او
تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتى وبارا بها عطف على مباركا وقرئ

وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصانى اى وكلفنى برا ويؤيده
القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلنى جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره
والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى عم والتعريف
للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على
نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تع والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب
على من كذب وتولى ذلك عيسى ابن مريم اى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما
يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى
حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف
اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة
وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقراء عاصم ويعقوب وابن عامر
قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون
فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء
على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن
كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقراء ابن عامر
فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقراء الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان
وقيل انه معطوف على الصلوة فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى
نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية
قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله
وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة ذلك اليوم
عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم واذانهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان
اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما وعميا
فى الدنيا او تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد
ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب
لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا
الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر
الناس المسئ على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان

الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة
بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين حال متضمنة
للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك
او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء وبالاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به
من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنباه الله تع اذ قال بدل من ابرهيم وما
بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة
ولذلك لا يقال يا ابتى ولا يقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع
ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج واوثقه برفق وحسن
ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل
الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا يحق الا لمن له
الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب
ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا
بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان
كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة
الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق
القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر
السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق
له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم
للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر فقال يا ابت لا تعبد
الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك
المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاع للعاصي
عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته
وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا قرينا في اللعن والعذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما
ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او
لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية

في الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لادم وذريته فنبه عليها
قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة
وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ
وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم
هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني
يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه
لارجمنك اى فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني
قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اصيبك
بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك
للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته
وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعوا ربي واعبده وحده عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم وفي تصدير
الكلام بعسى للتواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب
وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة
الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام
اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما
بالذكر لانهما شجرتا الانبياء عليهم السلام اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد
وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما اومنهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد
وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي
لسان صدق في الاخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته
الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى
على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا
موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله او اخلص نفسه عما سواه وقرأ
الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور الايمن
من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عم او جانبه الميمون من اليمن بان
تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته
نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روى انه رفع

فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض
رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي
فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال
منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به
والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح
فقال ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم
ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلوة
والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه
بالتكميل قال الله تع وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم
واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا
لاستقامة اقواله وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح
واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تع انزل
عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل
الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة
من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين
بيان للموصول من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض
لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي ومن ذرية
من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن
ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى
وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن
هدينا اي ومن جملة من هدينا الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى
عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستينافا
ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف
النسب وكمال النفس والزلفى من الله تع وعن النبي عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان
التأنيث غير حقيقي فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
يقال الخلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها

تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت
من الاب والانهماك في المعاصي وعن علي رض واتبعوا الشهوات من بني الشديد وركب
المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس
امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء غي كقوله تع يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة
وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل
على ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر
ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم
جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك
صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها اياهم
وهي غائبة عنهم او هم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان
وعده الذي هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه
احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون
قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على
بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة
واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق
ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم
كما نبقي على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق
من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون
من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث
بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطاه رسول الله
لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى
اليه فيه فابطاء عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه
وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق
بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا
بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين

ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن او الاحايين لا ننتقل
من مكان الى مكان او لا ينزل من زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان
ربك نسيا تاركا لك اى وما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك
عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول
الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما نتنزل الجنة الا بامر الله
ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه
وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقدير من الله لقولهم
اى وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب
السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر مبتداء
محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب
عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها
ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما
يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق
ان يسمى الها واحدا يسمى الله قال المشركون وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك
لظهور احديته وتعاليه عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا
صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان القول
مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم
محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه
بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتاكيد مجردة
عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل
ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشاء منه فانه
لو تذكر وتامل انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه
اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان منها من الاعراض وقراء نافع وابن عامر وعاصم
وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك
لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان الرسول والشياطين

والشياطين عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين
الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبة
الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا
جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا
غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع
السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول
المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله تع وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف التناول وان كان المراد
بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم
عن القيام لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا
ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد
تنبيه على انه تع يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم
اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التى تليق بهم
وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه
منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه
استفهامى وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين
يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم واستئنافهم
والفعل واقع على من كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما
بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى او صليهم اولى بالنار
وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم رؤساء التشيع فان عذابهم مضاعف
لضلالهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان
منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بساكنيها
بغيرهم وعن جابر رضى الله عنه انه عم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تع اولئك
عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها
كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به
وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجى الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقراء

الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين
فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان
المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد نجاتهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين
اي المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي
موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات
الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ
الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تع
لقصور نظرهم الى الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد
نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا
ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم
واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي
المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها
او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا
من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما
العيار على الفضل والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله
مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تع انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين
كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا
واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين
بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط
والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اي فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن
النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر
وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه
بل لان الله تع اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر

الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات
الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل ما قيل من الصلوات الخمس وقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع
به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه
الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة
او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه
مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين
بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى
سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا
الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة
فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظم شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي
توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ
عند الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا
باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب
عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب
ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي
تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان
نفس الكتبة لا تتاخر عن القول كقوله تع ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له
من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستاهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره
وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه
بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان
له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده
كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم سيجحد الالهة عبادتهم ويقولون ما
عبدتمونا كقوله تع اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها كقوله
تع ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول
الا اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في
عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونهم

وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عم وهم
يد على من سواهم وقرئ كلًّا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله
اقلى اللوم عاذل والعتابن او على معنى كَلَّ هذا الرأى كلًّا وكُلًّا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى
سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ بان سلطناهم
عليهم او قيضنا لهم قرناء تَؤُزُّهُمْ أَزًّا تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد
تعجيب رسول الله من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على
ما نطقت به الآيات المتقدمة فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم
وتطهر الارض من فسادهم إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ايام آجالهم والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا
ايام محصورة وانفاس معدودة يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ نجمعهم إِلَى الرَّحْمَنِ الى ربهم الذى غمرهم
برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه
الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وَفْدًا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك
منتظرين لكرامتهم وانعامهم وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ كما تساق البهائم إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا عطاشا فان
من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ الضمير فيه للعباد
المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب لليوم إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا الا من تحلى
بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله
او الا من اتخذ من الله اذنا فيها لقوله تع لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب
على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى
لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام
وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز
ان ينسب اليهم لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم
بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وادنى
اثقلنى وعظم على تَكَادُ السَّمَوَاتُ وقرأ نافع والكسائى بالياء يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن
والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل
للتكلف وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد
اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة
محسوسة لم تحتملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ

لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع
على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن
وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى
له ولدا او من دعى بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وَمَا يَنْبَغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل
ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ
النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به فقال إِنْ كُلُّ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اى ما منهم إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا الا وهو مملوك له
يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آتٍ الرحمن على الاصل لَقَدْ أَحْصَاهُمْ حصرهم
واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وَعَدَّهُمْ عَدًّا عدّ اشخاصهم
وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا منفردا عن الاتباع
والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن
النبى عليه السلام اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل عم ثم ينادى
فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا جاء الاسلام او لان الموعود
فى القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ
بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلناه بلغتك لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ الصائرين الى التقوى وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا اشداء الخصومة آخذين فى كل لديد اى شق من المراء
لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم
هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ هل تشعر باحد منهم وتراه أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا وقرئ تُسمع من اسمعت
والركز الصوت الخفى واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه فى الارض والركاز للمال
المدفون عن رسول الله عليه السلام من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به
ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين وبعدد من دعا الله فى الدنيا ومن بدع الله والله تع اعلم

سورة طه مكية مائة وثلثون واربع آية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل وفخم الطاء ابو عمرو وحده
لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها فى خلائقكم

لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه
امر للرسول بان يطاء الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احد رجليه وان اصله طاء
فقلبت الهمزة هاء او قلبت فى يطاء الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء
السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض
لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل واكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما
باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة
او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء
واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما
انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة
وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد
القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم
لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة
لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف
الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هى مصدر فى موقع
الحال من الكاف او القرآن او مفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا
عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه لمن يخشى لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار
او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى
او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشئ
لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء
الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذى هو عند العقل
فبدأ بخلق الارض والسموات التى هى اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده
من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها
بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما
اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وقال الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما
فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة
تابعة للارادة وهى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تع بجليات الامور وخفياتها
على سواء وقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اى وان تجهر بذكر الله ودعائه
فاعلم انه غنى عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع
الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها

ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات
الالوهية بين انه المنفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
ومن فى ممن خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام
وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات
الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه
ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن
خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن على المدح (على تقدير هو الرحمن) دون الابتداء ويجوز
ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تأنيث
الاحسن وفضل اسماء الله الحسنى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف
المعانى وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف
للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى
وادى طوى وفيه الطور ولد له ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل
الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا مكانكم وقرأ
حمزة لاهله امكثوا ههنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها انى آنست نارا ابصرتها
ابصارا لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلى آتيكم منها بقبس بشعلة من النار
وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار
مائلة اليها فى كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس
فانه كان متحققا ولذلك حققه لهم بانى ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء فى على النار
لان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه
لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء نودى
يا موسى انى انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء
مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه
ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله فانى اسمعه من جميع الجهات
وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عم تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه
وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك
لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد
حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والولد انك بالواد المقدس تعليل
للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادى ونونه ابن عامر

والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرتين

وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى الذى يوحى

اليك او للوحى واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى

بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى

هى كمال العمل واقم الصلوة لذكرى خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها

وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها

او لان اذكرك بالثناء او لذكرى خاصة لا تراءى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات

ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلاتى لما روى انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها

اذا ذكرها ان الله تع يقول اقم الصلوة لذكرى ان الساعة اتية كائنة لا محالة اكاد

اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها اتية ولولا ما فى الاخبار

باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب عنه

خفاه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية

او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلوة

من لا يؤمن بها نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا اريتك

ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى

ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه

ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد

بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجايب بيمينك

حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه

قال هى عصاى وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكؤا عليها اعتمد عليها اذا اعييت

او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمى واخبط الورق بها على رؤس غنمى

وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس

وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ولى فيها مارب اخرى حاجات اخر مثل انه كان

اذا سار القاها على عاتقه فيعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها

الكساء فاستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها

وكانه عم فهم ان المقصود من السؤال ان يتذكر حقيقتها او ما يرى من منافعها حتى

اذا راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصايص اخرى خارقة للعادة مثل

ان تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البير

وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى

اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله

وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصا

تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه قال القها يا موسى فالقيها فاذا

هى حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت

فلذلك سماها جانا تارة الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذى

يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال

خذها ولا تخف فانه لما راها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها

سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة

وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى

سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى

فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمانت نفسه حتى ادخل يده فى فمها

واخذ بلحيتها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان

كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج

بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة

لان الطباع تعافه وتنفر عنه اية اخرى معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج بيضاء او من ضميرها

او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه

الاية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك

ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الايتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى

وتكبر قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم ساله ان يشرح

صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل ويسهل الامر عليه باحداث

الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيد

او مبالغة واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه

رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب بغضب وامر

بقتله فقالت اسية انه صبى لا يفرق بين الجمرة والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها

فى فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احرقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرا ثم لما دعاه

قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرا يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها

فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح منى لسانا وقوله

ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسال حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك

نكرت وجعل تفقهوا جواب الامر ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل

واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى يعيننى على ما كلفتنى واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل
الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه فى اموره ومنه الموازرة
وقيل اصله أزير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزتها واوا
كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال او لى وزيرا
وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا من اهلى ولى تبيين كقوله تعالى ولم يكن له كفوا احد واخى
على الوجوه الثلثة بدل من هرون او مبتداء خبره اشدد به ازرى واشركه فى امرى على لفظ الامر
وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون
يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما
يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اى مسؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى
انعمنا عليك فى وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحى او مما ينبغى ان
يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه فى التابوت بان اقذفيه
او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول فاقذفيه فى اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع
كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة
به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر
كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض يأخذه عدو لى وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة ولان
الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته
فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه
الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به
فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك
محبة منى اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك
احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب
وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد
ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عينى ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك
وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل
معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب

بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى اذ تمشى اختك
ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم
على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم
يطلبون له مرضعا يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك
وفاء بقولنا انا رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن بفراقك او انت
على فراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى
فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه
بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو
اجمال ما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد
واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين فى اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين
قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمان مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك
واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه
الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك
لنفسى واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه
اذهب انت واخوك باياتى بمعجزاتى ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
فى ذكرى لا تنسيانى حيث ما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى اذهبا الى فرعون انه
طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى
وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك
الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو
عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى ابو الوليد
وابو العباس وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله
يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما على انه يثمر ولا يخيب
سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة عليهما فى الاجتهاد
مع علمه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث فى تضاعيف ذلك من الآيات
والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر
فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة
ولا يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق
الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف

على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط فى الاذية او
ان يطغى اى يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجراته وقساوته واطلاقه
من حسن الادب قال لا تخافا اننى معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجرى بينكما
وبينه من قول وفعل فاحدث فى كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لا يقدر
شئ على معنى اننى حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ
فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا فى ايدى القبط يستخدمونهم ويتعبونهم فى العمل ويقتلون
ذكور اولادهم فى عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة
اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج فى الدعوة قد جئناك باية من ربك جملة
مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد
اثبات الدعوة ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة
فات باية او لو جئتك بشئ مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة وخزنة الجنة
على المهتدين او السلامة فى الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب
المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى اول
الامر اهم وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله
حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشئ فعله لا محالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء
لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه
ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ
من الانواع خلقه صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون
اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثانى لان المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره فى الخلق
والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى
اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله
اختيارا او طبعا وهو جواب فى غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها
ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تع وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم
عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف
الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها
عند ربى اى انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به فى كتاب
مثبت فيه وهو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظ العالم وقيده
بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيا

والنسيان ان يذهب عنه بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان
يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تع بالاشياء كلها وتخصيص ابعاضها بالصور والخواص
المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم
وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب
ان علمه تع محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا ينسى الذى جعل لكم الارض
مهدا مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرا الكوفيون مهدا اى
كالمهد يتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش او جمع
مهد ولم يختلفوا فى الذى فى البناء وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين
الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل لكم
من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام
الله تع تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد
الاشياء المختلفة لمشيته وعلى هذا نظايره كقوله تع الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به
ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا
به حدايق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات
بيان او صفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث انه مصدر
فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصورة
والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهايم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم
وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى
ماهو الا لانتفاعكم بالاكل والعلف اذنين فيه ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى
العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبايح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب
اصل خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء
ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة
ورد الارواح اليها ولقد اريناه اياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد
لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد باياتنا ايات معهودة وهى الايات التسع
المختصة بموسى او انه عم اراه اياته وعد عليه ما اوتى غيره من المعجزات فكذب موسى
من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض
مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه
فان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل
بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلايم الزمان

والمكان وانتصاب مكاناً سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل
من موعداً على تقدير مكان مضافاً اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب في قوله قال
موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع
الناس فيه في ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو
على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد
بهما المصدر ومعنى سوى منتصفاً يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل
يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه
ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر
الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب
فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على كون الخطاب لقومه فتولى
فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني السحرة والآتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذباً بان تدعوا اياته سحراً فيسحتكم بعذاب فيهلككم
ويستأصلكم به وقراء حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو
لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى
واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اى تنازعت السحرة
في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا النجوى
بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا
في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا
النجوى كانهم تشاوروا في تلفيقه حذراً ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان
على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديراً وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها
مبتداء وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتداء وقيل اصله انه هذان لهما ساحران
فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقراء ابو عمرو ان هذين
وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية
واللام بمعنى الا وشدد ابن كثير نون هذان يريدان ان يخرجاكم من ارضكم
بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذي
هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله اني اخاف ان يبدل
دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنوا اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم

بينهم كقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث
انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوا واجعلوه مجمعاً عليه ولا يتخلف عنه واحد
منكم وقراء ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة
فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفاً مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا
سبعين الفاً مع كل واحد منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم
من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى اى بعدما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية
محذوف اى اختر القاءك اولاً او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا
مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافاً الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر
الاول في شقهم وتغير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا ما هو اقصى
وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اى فالقوا حبالهم وهى للمفاجأة والتحقيق انها ايضاً ظرفية
تستدعي متعلقاً ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة
والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم
وذلك بانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل انها تتحرك وقراء ابن
عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل
الاشتمال وقرئ يخيل بالياء على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه
خيفة موسى فاضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج
الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير
لغلبته مؤكداً بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال
على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيراً لها
اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيماً لها اى لا تحتفل بكثرة
هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثراً فالقه تلقف ما صنعوا
تبتلعه بقدرة الله واصله تتلقف فحذفت احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث
والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقراء ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص
بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد
ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقراء حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي
سحر او بتسمية الساحر سحراً على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما
وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير

الاول لتكثير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما أعدت في سعى دنيا طالما قد مدت
كانه قيل انما صنعوا كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل فألقي السحرة سجدا اى
فالقى موسى فتلقف فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته
فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا راغبا وتعظيما لما راوا قالوا آمنا
برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروى الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره
فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى
انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اى لموسى واللام لتضمين الفعل
معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به
او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو
العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن
بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف
بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام
مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه لم يكن من التعذيب في شيء
وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لنا من البينات المعجزات الواضحات والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا
والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة
كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزات روى انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نائما فاراهم اياه نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا
بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى
جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بان يموت
على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهنأة
ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى
تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان

وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اى من مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر
يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به
المؤنث وقيل شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف عنه او وصف على فعل كصعب
او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان قتود رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا
جياعا او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اى آمنا
من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر
ولا تخشى استيناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله
الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم
اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص آثارهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف
المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة
والمعنى فاتبعهم جنوده واذهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم
وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تع او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورطهم
للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم في الدين وما هديهم وهو تهكم به في قوله وما
اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر
واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي عليه السلام بما فعل بآبائهم قد
انجيناكم من عدوكم من فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن بمناجاة موسى
وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي لموسى او له او للسبعين المختارين
للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم
لذائذه او حلالاته وقرأ حمزة والكسائي قد انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ
ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم
غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل اذا نزل واني لغفار لمن تاب
عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور
وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة
في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم
جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري اى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة

وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب
لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا
قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون
وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ
العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالا لانه كان ضالا مضلا وان صح
انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بايامها اربعين وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه
كان ذلك اخبارا من الله له على المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون
في علمه ومقتضى مشيته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان
علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه
بعدما استوفى الاربعين واخذ التورية غضبان عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال
يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها هدى ونور افطال
عليكم العهد اى الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم
غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياى بالثبات
على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف
فيه اى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب
على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرأ نافع
وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي بالضم وثلثها في الاصل لغات في مصدر ملكت
الشئ ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها
منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم
ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه البحر على الساحل
بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم يكن تحل
بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي فقذفناها
اى في النار فكذلك القى السامري اى ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا
ان العدة قد كملت قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي
القوم وهو حرام عليكم فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا
فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف
فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا يعني

يعني السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اى فنسيه موسى
وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان
افلا يرون افلا يعلمون الا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا
وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك
لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل
رجوع موسى او قول السامري كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك
وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا
امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اى قال له موسى
لما رجع ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن ان تتبعني في الغضب لله
والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتي عقبي وتلحقني ولا مزيدة كما في قوله تع ما منعك ان
لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام
استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا
تأخذ بلحيتي ولا برأسي اى بشعر رأسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله تع
وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل
اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب
قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم
الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك قال فما خطبك يا سامري اى ثم اقبل عليه وقال
له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه
قال بصرت بما لم يبصروا به قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اى علمت ما لم تعلموه
وفطنت ما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذي جاءك روحاني محض لا يمس اثره شيئا الا احياه
او رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين
ولدته خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول
من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض واطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد
والاول الاخذ بجميع الكف والثاني الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول
جبريل ولعله لم يسمه لانه لم يعرفه انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه
ليذهب به الى الطور فنبذتها في الحلي المذابة او في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي
زينته وحسنته الي قال فاذهب فان لك في الحيوة عقوبة على ما فعلت ان
تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فيأخذك الحمى ومن مستك فتحامى الناس

ويحاموك ويكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم
للمسة وان لك موعدا في الاخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الاخرة
بعدما عاقبك في الدنيا وقراء ابن كثير والبصريان بكسر اللام اي لن تخلف الواعد
اياه وسيأتيه لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الاول ويجوز
ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الاولى
تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اي بالنار ويؤيده
قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه
ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا
يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين
به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا اله الا هو اذ
لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شئ علما وسع علمه كل
ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة
وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهور
لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك
مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق
من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم
وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذي هو
القران الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة وزرا
عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها لثقلها على المعاقب
وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه
في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم
يوم القيمة حملا اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي
ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن
والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ
في الصور وقراء ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ
وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور

المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين
يومئذ وقرئ يحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء
الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة
الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب
والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في الدنيا
يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الاخرة او لتأسفهم عليها لما
عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات
او في القبر كقوله نعم ويوم تقوم الساعة الى اخر الايات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة
لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول
من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل
من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها
فيذرها اي فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله
ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد
لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسي وثلثها
احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر
العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت هو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف
مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز
ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل
يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له
لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خضعت لمهابته
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس
بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اي الا من اذن
في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني
منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن ورضي له
قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع
في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال
وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم

بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع
ذلك ولا تفصيل ما علموا به منه وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له
خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز
ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل
ظلما وهو يحتمل الحال والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل
من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات
وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا
منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال ومثل انزال هذه
الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه
من الوعيد مكررين ايات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة
او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة
اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة
المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه
الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده عقابه الحق في ملكوته يستحق لذاته او الثابت
في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال
في تلقي الوحي من جبريل او مساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على
سبيل الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وقل رب
زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله لا محالة
ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز عليه وعهد اليه
اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه
من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان
من قبل من قبل هذا الزمان فنسي العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به
من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات على الامر اذ لو كان ذا
عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك في بدء امره قبل ان
تجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي عليه السلام لو وزنت احلام بني آدم
بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تع ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطا
ولم يتعمد ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان
من الوجود المناقض فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزم
والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستانفة لبيان ما منعه من السجود
وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا ولان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا
بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء
اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها
او محافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة
الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف
التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي
في تحصيل اعواض ما عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه
باصناف الشقوة المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل
لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه فوسوس
اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانها
سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما
للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب
وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان
والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه
ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له من جبى الي كذا فاجتبيته
مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته
لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا
منها جميعا الخطاب لآدم وحوا اوله ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما مخاطبتهم
فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب ولاختلاف
حال كل من النوعين بواسطة الاخر ويؤيد الاول قوله فاما ياتينكم مني هدى كتاب
ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ومن اعرض عن ذكري

عن الهدى الذاكر لى والداعى الى عبادتى فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به
ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح
نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازدياد الدنيا خائفا على انتقاصها بخلاف
المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان
كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب
القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل
فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيده
الاول قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائى
لان الالف منقلبة عن الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس الآية
ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال
اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها
وكذلك اى ومثل ذلك تركك اياها اليوم تنسى تترك فى العمى والعذاب وكذلك نجزى
من اسرف بالانهماك فى الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى وللنار
بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار
زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم
مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اى
اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجرى مجرى اعلم ويدل
عليه القراءة بالنون يمشون فى مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم ان فى ذلك
لآيات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى ولولا كلمة
سبقت من ربك وهى العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما
لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به
او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف
على كلمة اى ولولا العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم
القيمة او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى
لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل
مسمى لازمين لهم فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد
لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص

من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس
يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى الظهر والعصر لانهما فى آخر النهار او العصر وحده ومن آناء
الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعنى المغرب
والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع
والنفس اميل الى الاستراحة وكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال ان ناشئة
الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتى الصبح والمغرب
ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقوله اظهرهما مثل ظهور
الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف
الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع فى اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى
نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك ولا تمدن
عينيك اى نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك
مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير والمفعول
منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا
منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل
من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ
يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهرو الدنيا
لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم
ونختبرهم او لنعذبهم فى الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك
فى الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم فى الدنيا وابقى
فانه لا ينقطع وامر اهلك بالصلوة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له
من امته بالصلوة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة بها على خصاصتهم ولا يهتموا
بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك
رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة
والعاقبة المحمودة للتقوى لذوى التقوى روى انه كان اذا اصاب اهله ضر امرهم
بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه فى ادعاء
النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا
فالزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة
المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك

ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرًا وابقى اثرًا فكذا ماكان من هذا القبيل ونبههم
ايضًا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما
في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمالها
على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم
ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب
من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها وقرأ
نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف
بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عم او البينة
والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى
بدخول النار يوم القيمة وقد قرئا بالبناء للمفعول قل كل اي كل واحد منا
ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط
الجيد والسوى والسوء اي الشر والسوى وهو تصغيره ومن اهتدى
من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلهما الرفع بالابتداء
ويجوز ان يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فيكون معطوفة
على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب
او على الصراط على ان المراد به النبي عم وعنه عم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء عليهم السلام مائة واثنتى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى او عند الله تع
لقوله تع انهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وان يومًا عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان كل ما هو آت
قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة
واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم
وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب
معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير فيجوز ان يكون الظرف حالًا من المستكن
في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة
لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا او قرئ

وقرئ بالرفع حملًا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون
منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم
يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء
والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على
انه خبر اخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم
بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له
والواو لعلامة الجمع او مبتداء والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا
النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلًا على فعلهم بانهم ظلموا او منصوب على الذم
هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب
بدلًا من النجوى او مفعولًا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرًا على كذبه في ادعاء
الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكًا واستلزموا منه ان ما جاء
به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورًا في استنباط
ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض
جهرًا كان او سرًا فضلًا عما اسروا به فهو اكد من قوله تع قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى فقرأ
حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم
فلا يخفى عليه ما يسرون ولا يضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو
شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه
ثم انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء بالاخرى او للاضراب
عن تحاورهم في شان الرسول وما ظهر عليه من الايات الى تقاولهم في امر القرآن
والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات
اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها
ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلًا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه
شعرًا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم ليس فيها ما يناسب قول الشعراء
وهو من كونه احلامًا لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك
بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله نيفًا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبًا قط
وهو من كونه سحرًا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل
الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء
الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالاية ما امنت قبلهم

من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الايات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم
بها اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به
لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستيصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا
نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر
مثلكم فامرهم ان يسئلوا اهل الكتاب من حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة
والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم فى امر الرسول عم
ويثقون بقولهم او ان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرء حفص
نوحى بالنون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين
نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل
جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان
التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس
او لانه مصدر فى الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون
ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان
اصله لجمع الشئ واشتداده ثم صدقناهم الوعد اى فى الوعد فانجيناهم
ومن نشاء يعنى المؤمنين بهم ومن فى ابقائهم حكمة كمن سيؤمن هو او واحد
من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين
فى الكفر والمعاصى لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعنى القرآن فيه ذكركم صيتكم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر مكارم
الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنوا به وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان
القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت
بها لما اقيمت مقامه وانشأنا بعدها اى بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم
فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل
المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط
اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اى قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال
او المقال والقائل او من ثم من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ
والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التى كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم
او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او يقصدون للسؤال والتشاور فى المهام
والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك
لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله

الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء
فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه
دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك
ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت
المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة
المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى وجعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد
والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
وانما خلقناها مشحونة بضروب البدايع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا
لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال
ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب
الخيل الطوال يأكل بعضها بعضا فيسلط على بنى آدم ثم خلق الله الارض الخامسة مثلها
لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش
وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ان كنا
فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية
بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اى بل من شأننا
ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداد اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعير
لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ
بحيث يشق غشاؤه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ
فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلى لبنى تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه
مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح
وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع
الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من فى السموات والارض خلقا وملكا
ومن عنده يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو
معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة
متعال عن التبوء فى السموات والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا
يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جئ بالاستحسار الذى هو ابلغ
من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو فى يسبحون

وهو استئناف اوحال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم
من الارض صفة للالهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون
التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاءهم لها الالهية فان
من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك
زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله غير الله وصف بالا
لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون
الالهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى
بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون
في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينها من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت
في المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش
المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشاء المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد لا يسئل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة
الذاتية وهم يسئلون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للالهة او للعباد ام اتخذوا من دونه
الهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما
لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون دليلا من العقل على معنى اوجدوا الهة
ينشرون الموتى فاتخذوهم الهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية
الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده
عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل
فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا
ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد
والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب
صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر
اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف
كقبل وبعد بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق
بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتوكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون
عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي
من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلثة
وقراءة حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح

وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات
الله سبحانه تنزيه عن ذلك بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا
باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا
يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول محله واداته تنبيها
على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة
اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته
اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده
فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن
ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته من عظمته ومهابته مشفقون
مرتعدون واصل الخشية الخوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف
مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس ومن يقل
منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به
نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا
اولم يعلموا وقراء ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين
وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز
او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون
واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة
بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد
بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها على ان لها مدخلا ما
في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض
مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما
قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على
تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي
وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده
ولفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى
دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان

أفلا يؤمنون مع ظهور الايات وجعلنا فى الارض رواسى ثابتات من رسى اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان تميد بهم فحذف لا لامن الالباس
وجعلنا فيها فى الارض او الرواسى فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم
فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا
فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التاكيد لعلهم
يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته
او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم
عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته
التى يحس ببعضها ويبحث عن بعضها فى علمى الطبيعة والهيئة معرضون غير
متفكرين وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات
كل فى فلك اى كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس
كقولك كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على
سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس
والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا
نتربص به ريب المنون وفى معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى
الشامتون كما لقينا والفاء لتعليق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر
ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما
انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم
فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد
منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحيوة الابتلاء والتعريض
للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
ما يتخذونك الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا الذى يذكر الهتكم اى بسوء
وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن
بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة عليهم او بالقران
هم كافرون منكرون فهم احق ان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتاكيد والتخصيص
ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل كانه خلق منه
لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة
المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته

ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث
حين استعجل ساريكم اياتى نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون
بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا
الوعد وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبى واصحابه لو يعلم الذين
كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف
الجواب وحين مفعول لو يعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا
الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون
ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم
علم لما استعجلوا يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة فجاة مصدر
او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير
للوعد او الحين وكذا فى قوله فلا يستطيعون ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة
او الحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او البغتة ولا هم ينظرون يمهلون
وفيه تذكير بامهالهم فى الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد له بان ما يفعلونه يحيق بهم
كما حاق المستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم
من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن
تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر
ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا
الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهم الهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال
على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر
على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء واباءهم
حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج
والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالات على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو
انه متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك
وانه بسبب ما هم عليه عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتى
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير

لما يخربه الله على ايدى المسلمين أفهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم
بالوحى بما اوحى الى ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب
النبى عليه السلام وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع
ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار او للمبالغة فى تصامهم
وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى
القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة من عذاب ربك
من الذى ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل
واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل يوزن بها صحايف الاعمال
وقيل وضع الميزان تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل
وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيمة او لاهله
او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او
من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اى وان كان العمل او الظلم مقدار
حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا
بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال
واتاهم بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته
الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين اى الكتاب لكونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرايع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال
من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب
حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفى تصدير الضمير وبناء
الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعنى القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد
أفأنتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه
الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة
من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انى
وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تع باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه
متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل

التماثيل التى انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال الصورة
لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف
بعلى والمعنى وانتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان تؤول بعلى او يضمن العكوف معنى
العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام
من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال
مبين منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل
والتقليد ان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق قالوا أجئتنا بالحق ام انت
من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله انما قاله على وجه
الملاعبة فقالوا أبجد تقوله ام بلعب تقوله قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه
وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم
وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين
عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه وتالله وقرئ بالباء وهى الاصل
والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن
فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل
بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا
قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو
لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذاذا جمع جذيذ وجذذا جمع
جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره فاستبقاه وجعل الفأس على عنقه لعلهم
اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة
آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه
عن كاسرها اذ من شان المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله
اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا
بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى
حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر
ثانى مفعولى سمع او صفة للفتى يصححه لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر
اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا
فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب
لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت

هذا بالهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا
ينطقون اسند الفعل اليه تجوّزا لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له تسبّب لمباشرته
اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريض كما لو قال لك امّي وانت
شهير بحسن الخطّ فيما كتبته بخطّ رشيق انت كتبته فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم
من مذهبهم جوازه وقيل انّه فى المعنى متعلّق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض
او الى ضمير فتى او الى ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتداء وخبر ولذلك وقف على فعله
وما روى انّه قال لابرهيم ثلث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته
فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انّكم انتم الظالمون
بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضرّ ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انّه لمن الظالمين
ثمّ نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا اى بالمراجعة شبّه عودهم
الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا
اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضرّكم انكار لعبادتهم لها
بعد اعترافهم بانّها جمادات لا تنفع ولا تضرّ فانّه ينافى الالوهيّة افّ لكم ولما تعبدون
من دون الله تضجّر منه على اصرارهم بالباطل البيّن وافّ صوت المتضجّر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتأفّف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا فى المضارّة
لما عجزوا عن المحاجّة حرّقوه فانّ النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم
بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزّرا والقائل فيهم
رجل من اكراد فارس اسمه هيزون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كونى بردا
وسلاما ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضارّ وفيه مبالغات جعل النار المسخّرة
لقدرته مأمورة ومطيعة واقامة كونى ذات برد مقام ابردى ثمّ حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلّمنا سلاما عليه روى انّهم بنوا
حظيرة بكوثى واجّجوا فيها نارا عظيمة ثمّ وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له
جبريل هل لك حاجة فقال امّا اليك فلا قال فسل ربّك فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى
فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الّا وثاقه فاطّلع عليه نمرود من الصرح
فقال انّى مقرّب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكفّ عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن
ستّة عشر سنة وانقلاب النار هواء طيّبة ليس ببدع غير انّه هكذا على خلاف المعتاد
فهو اذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنّه تع دفع عنه اذاها كما ترى
فى السمندر ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا فى اضراره فجعلناهم

فجعلناهم الاخسرين اخسر من كلّ خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انّهم على الباطل
وابرهيم على الحقّ وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشدّ العذاب ونجّيناه ولوطا
الى الارض التى باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامّة انّ اكثر
الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات
الدينيّة والدنيويّة وقيل كثرة النعم والخصب الغالب وروى انّه نزل بفلسطين
ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
عطيّة فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختصّ بيعقوب
ولا بأس به للقرينة وكلّا يعنى الاربعة جعلنا صالحين بان وفّقناهم للصلاح
وجعلناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمّة يقتدى بهم يهدون الناس
الى الحقّ بامرنا لهم بذلك وارسلنا ايّاهم حتّى صاروا مكمّلين واوحينا اليهم فعل
الخيرات ليحثّوهم عليها فيتمّ كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان يفعل الخيرات
ثمّ فعل الخيرات وكذلك قوله تع واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاصّ
على العامّ للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوّضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه
مقامها وكانوا لنا عابدين موحّدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدّم الصلة
ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوّة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغى علمه
للانبياء ونجّيناه من القرية قرية سدوم التى كانت تعمل الخبائث يعنى
اللواطة وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
ويدلّ عليه انّهم كانوا قوم سوء فاسقين فانّه كالتعليل له وادخلناه
فى رحمتنا فى اهل رحمتنا او فى جنّتنا انّه من الصالحين الذين سبقت لهم منّا
الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين
فاستجبنا له دعاءه فنجّيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى
قومه والكرب الغمّ الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اى جعلناه منتصرا من القوم
الذين كذّبوا بآياتنا انّهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين
تكذيب الحقّ والانهماك فى الشرّ ولم يجتمعا فى قوم الّا واهلكهم الله وداود وسليمان
اذ يحكمان فى الحرث فى الزرع وقيل فى كرم تدلّت عناقيده اذ نفشت فيه غنم
القوم رعته ليلا وكنّا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين
ففهّمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روى انّ داود
حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما
امر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث

الى ارباب الغنم فيقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادّان ولعلهما قالا بالاجتهاد
والاول نظير قول ابى ح رحمه الله فى العبد الجانى والثانى مثل قول الشافعى بغرة الحيلولة
للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد
ضبط الدوآب ليلاً ولذلك قضى النبى عليه السلام لما دخلت ناقة البراء حائطاً وافسدته
فقال على اهل الاموال حفظاً بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابى ح
لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عم جرح العجماء جبار وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا
دليل على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها
لاظهار ما تفضل عليه فى صغره وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ يقدسن الله معه
اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال
او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن وَالطَّيْرَ عطف على الجبال
او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وَكُنَّا فَاعِلِينَ
لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيباً عندكم وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ عمل الدرع وهو
فى الاصل اللباس قال البس لكل حال لبوسها قيل كانت صفايح فحلقها وسردها لَكُمْ
متعلق بعلم او صفة للبوس لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ بدل منه بدل الاشتمال باعادة
الجار والضمير لداود او للبوس وفى قرأة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل
الدرع وفى قرأة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ذلك امر اخرجه
فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ وسخرنا له ولعل اللام فيه
دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاول امر يظهر فى الجبال
والطير مع داود وبالاضافة اليه الرِّيحَ عَاصِفَةً شديدة الهبوب من حيث انها تبعد
بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال تع غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة
وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تَجْرِي بِأَمْرِهِ بمشيته حال ثانية
او بدل من الاولى او حال من ضميرها إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا الى الشام رواحاً بعد
ما سار به بكرة وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ فنجريه على ما يقتضيه الحكمة وَمِنَ الشَّيَاطِينِ
مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فى البحار ويخرجون نفايسها ومن عطف على الريح او مبتداء خبره ما قبله
وهى نكرة موصوفة وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن
والقصور واختراع الصنايع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل
وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى
رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ بانى مسنى الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه

معناه والضر بالفتح شايع فى كل ضرر وبالضم خاص بما فى النفس كمرض وهزال وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب
لطفاً فى السؤال وكان رومياً من اولاد عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله
فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض فى بدنه ثمانى
عشرة سنة او ثلث عشرة او سبعاً وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخير
بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوماً لو دعوت الله فقال
كم كان مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيى من الله ان ادعوه وما بلغت
مدة بلائى مدة رخائى فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ بالشفاء من مرضه
وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ بان ولد له ضعف ما كان او احيى ولده وولد له
منهم نوافل رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين
ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمى به لانه كان
ذا حظ من الله تع او تكفل امته او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجئ بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كُلٌّ كل هؤلاء مِنَ الصَّابِرِينَ على مشاق التكاليف
وشدائد النوب وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا يعنى النبوة او نعمة الآخرة إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ
الكاملين فى الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد
وَذَا النُّونِ وصاحب الحوت يونس بن متى إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا لقومه لما برم لطول
دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجراً عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم
لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو بناء المغالبة
للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضباً فَظَنَّ
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة من القدر ويعضده
انه قرئ مثقلاً او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه
فى مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظناً
للمبالغة وقرئ بالياء وقرئ يقدر على البناء للمفعول وقرئ به مثقلاً فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ
فى الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ بانه
لا اله الا انت سُبْحَانَكَ ان يعجزك شئ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لنفسى بالمبادرة
الى المهاجرة وعن النبى عليه السلام ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان
فى بطنه وقيل ثلثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ

من عموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية
فانها تخفى مع حروف الفم وقراء ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت
النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف
المضارعة التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع
المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض
مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول
مذكور والماضي لا يسكن اخره وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وحيدا
بلا ولد يرثني وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ اي اصلحناها للولادة بعد عقرها
او لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة إِنَّهُمْ يعني المتوالدين او المذكورين من الانبيا
كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ يبادرون الى ابواب الخير وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
ذوي رغب او راغبين في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة خائفين العقاب
او المعصية وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ مخبتين او دائمين الوجل والمعنى انهم نالوا
من الله ما نالوا بهذه الخصال وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا من الحلال والحرام يعني
مريم فَنَفَخْنَا فِيهَا اي عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها
مِنْ رُوحِنَا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبريل وَجَعَلْنَاهَا
وَابْنَهَا اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آيَةً لِلْعَالَمِينَ فان من تأمل حالهما
تحقق كمال قدرة الصانع إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم
التي يجب عليكم ان تكونوا عليها أُمَّةً وَاحِدَةً غير مختلفة فيما بين الانبياء اذ لا مشاركة
لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر
وقرئتا بالرفع على انهما خبران وَأَنَا رَبُّكُمْ لا اله لكم غيري فَاعْبُدُونِ لا غير
وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين
وجعلوا امره قطعا موزعة تقبيح فعلهم الى غيرهم كُلٌّ إِلَيْنَا من الفرق المتحزبة رَاجِعُونَ
فنجازيهم فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بالله ورسله فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ فلا
تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي نفي الجنس
للمبالغة وَإِنَّا لَهُ لسعيه كَاتِبُونَ مثبتون في صحيفة عمله لا يضيع بوجه ما
وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقراء ابو بكر وحمزة والكسائي وحرم
بكسر الحاء واسكان الراء أَهْلَكْنَاهَا حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة أَنَّهُمْ
لَا يَرْجِعُونَ رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتداء

مبتداء خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم
او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك
وهو المذكور في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم
انهم لا يرجعون حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام
عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة
وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي يحكى الكلام بعدها والمحكي
هي الجملة الشرطية وقراء ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وَهُمْ يعني ياجوج وماجوج
او الناس كلهم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر يَنْسِلُونَ
يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ وهو القيمة
فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا جواب الشرط واذا للمفاجاة وتسد مسد الفاء
الجزائية كقوله تع اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على وصل الجزاء
بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يَا وَيْلَنَا مقدر بالقول
واقع موقع الحال من الموصول قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا لم نعلم انه حق بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ
لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه ع م
لما تلى الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود
عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام
بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تع ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي
ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال ع م
بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او للتخصيص تاخر
عن الخطاب حَصَبُ جَهَنَّمَ ما يرمى به اليها ويهيج به من حصبه اذا رماه بالحصباء
وقرئ بسكون الضاد وصفا بالمصدر أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ استيناف او بدل من حصب
جهنم واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها
لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وَكُلٌّ فِيهَا
خَالِدُونَ لا خلاص لهم عنها لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ انين وتنفس شديد وهو من اضافة
فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ
من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا
الْحُسْنَى الخصلة الحسنى وهو السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة

اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رض خطب وقرأ
هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول
لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال من ضمير سيق للمبالغة في ابعادهم
عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون
في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر
النفخة الاخيرة لقوله تع ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملائكة
تستقبلهم مهنئين هذا يومكم الذي يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول كنتم
توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقيهم
او حال مقدر من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني
هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء
والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب فيه ويدل
عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل
ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله وقرئ السجل كالدلو والسجل
كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتداء اعادة مثل بدئنا
اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة
بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة
لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او مفعول لفعل يفسره نعيده او
موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف
لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب
لانه عدة بالاعادة علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا في الزبور
في كتاب داود من بعد الذكر اي التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر
اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او ارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون يعني
عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد عليه السلام
ان في هذا اي فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى
البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار
امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد

واحد اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي
من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل
انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على ما يقتضي الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت
ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم
ما امرت به او حربي لكم على سواء مستوين في الاعلام او مستوا انتم وانا في العلم بما
اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل او
استقامة رأي بالبرهان النير وان ادري اقريب وما ادري ام بعيد ما توعدون
من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما
تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين
فيجازيكم عليه وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج
لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل
مقدر يقتضيه مشيته قال رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل
المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله
وقرئ رب بالضم وربي احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن
كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان
الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان
حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله فخيب امانيهم ونصر رسوله عليهم وعن
النبي عليه السلام من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج ثمانية وسبعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد
المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في او اضافة المصدر
الى الفاعل على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة
ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا
على انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا
ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب والاياب عن الامر بدهشة والمقصود
الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت

عنه وما موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس
سكارى كانهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ ترى بالضم من اريتك قائما
او رايتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه على تاويل
الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره
وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن
اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعم واضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة
احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العرى كتب عليه على الشيطان
انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه
اضلال من يتولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشانه ان يضله لا على العطف
فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار
القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك
كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم من تراب
بخلق آدم منه والاغذية التي تكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف
وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم
وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب
وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغيير والفساد والتكون مرة
قبلها بعد اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا
وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته
ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء اي نقره الى اجل مسمى
هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ
ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على لنبين كان
خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى تولدوا
وينشاؤا ويبلغوا حد التكليف وقرئ بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر
بالضم من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او الدلالة
على الجنس ولانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل

والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها في الاصل شدة في الامور ومنكم
من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم
من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم
فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري
الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على
ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا
صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت
وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن
رائق وهذه الدلالة ثالثة كررها الله تع في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة
ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة
واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدا خبره بان الله هو الحق اي بسبب انه الثابت
في نفسه الذي به تتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى والا لما احيى النطفة والارض
الميتة وانه على كل شيء قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على السواء
فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها
وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان
الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب
منير على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين
والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا
وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح
العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة الجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل
خروج عن الهدى الى الضلال وانه من حيث انه مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزي
وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما
قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيمة ذلك الخزي والتعذيب
بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم
على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر

فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ روى انها نزلت
فى اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريًّا
وولدت امرأته غلامًا سويًّا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرًّا وانقلب
وعن ابى سعيد ان يهوديًّا اسلم فاصابته مصائب فتشأم بالاسلام فاتى النبى
عليه السلام فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خَسِرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةَ بذهاب عصمته وحبط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال
او الرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه
خبر محذوف ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ اذ لا خسران مثله يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ
الْبَعِيدُ عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالا يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ
أَقْرَبُ بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الاخرة مِنْ نَفْعِهِ
الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله واللام معلقة ليدعوا
من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة
مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او
مستانفة على ان يدعوا تكرير للاول ومن مبتداء خبره لَبِئْسَ الْمَوْلَى الناصر
وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ اى الصاحب إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ من اثابة الموحد
الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله
فى الدنيا والاخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد
بالنصر الرزق والضمير لمن فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فليستقص
فى ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ
جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجازيه او فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة
حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو
وابن عامر ثم ليقطع بكسر اللام فَلْيَنْظُرْ فليتصور فى نفسه هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ
فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه مَا يَغِيظُ غيظه
او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم مسلمين استبطؤا نصر الله

الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الانزال
أَنْزَلْنَاهُ انزلنا القرآن كله آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ واضحات وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي
ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى مَنْ يُرِيدُ هدايته او ثباته انزله كذلك
مبينات إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بالحكومة بينهم واظهار
المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازى كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما
ادخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ
عالم به مراقب لاحواله أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل لذلة على عظمة مدبره ومن
يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف والجمع بين الساكنين
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه
واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الاخر الى الاخر فان تخصيص الكثير
يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتداء خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه
اى حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا
للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى
العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ
بالشقاوة فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ من الاكرام والاهانة هَذَانِ خَصْمَانِ اى فوجان
مختصمان ولذلك قال اخْتَصَمُوا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون
والكافرون فِي رَبِّهِمْ فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون
نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا
ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فَالَّذِينَ كَفَرُوا فصل لخصومتهم وهو المعنى
بقوله تع ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قُطِّعَتْ لَهُمْ قدرت لهم على مقادير
جثتهم وقرئ بالتخفيف ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ نيران تحيط بهم احاطة الثياب
يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار

يصهر به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به
احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير
ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به
اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل
من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون
الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فترفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في الاحراق ان
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار غير
الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما
لشانهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد
من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب
بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة
به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمارا لناصب مثل ويؤتون وترك ابو بكر
والسوسي عن ابي عمرو الهمزة الاولى وروى حفص بهمزتين وقرئ لولوا بقلب الثانية
واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما يائين ولول كادل
ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او
للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا
وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق
او المستحق لذاته الحمد وهو الله تع وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان محذوف دل عليه اخر الآية
اي معذبون والمسجد الحرام عطف على سبيل الله واوله الحنفية بمكة واستشهدوا
بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز
بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تع الذين اخرجوا من ديارهم وشرى
عمر دارا ليسجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل
للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف
مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول
كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان
مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك

كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا لابراهيم مكان
البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلنا له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه
فيه وقيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست
ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية
موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف
به ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء
ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن في الناس ناد فيهم وقرئ آذن
بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت
ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق
في علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله امر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى
وعلى كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة
لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون
الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق
والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنياوية وتنكيرها لان
المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا
والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها
على انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل ايام النحر
على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا
على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة
لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا
في المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة الفقير
المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا
وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا
نذورهم ما ينذرون من البر في حجتهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن
الذي به تمام التحليل فانه قرينه قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم
لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك

خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم
حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم
خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم
تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير
ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس
الذى هو الاوثان كما يجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير
عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور
وكانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه
قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الاية والزور من الزور
وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف
عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن
يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه
الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره او تهوى به الريح فى مكان سحيق بعيد
فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما فى قوله تع او كصيب او للتنويع
فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على
بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت
نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين وقرا نافع فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء ذلك
ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها
من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روى انه عم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من ذوى
تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشاء التقوى
والفجور والامرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية
الى البيت اى ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخى فى الوقت والتراخى فى الرتبة اى
لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاولين
اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها منافع دينية

دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت الذى يرفع اليه
الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات
فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف
الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله تعالى
وقرا حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسكهم
لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة
الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله
اسلموا اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب والمقيمى الصلوة
فى اوقاتها وقرئ المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها
الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقر لها فى اجزائها
عن سبعة بقوله عم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة
لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه
جعله مبتداء من شعائر الله من اعلام دينه التى شرعها الله لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا
الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن
وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل
احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين حرف الاطلاق عند الوقف
وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم اعط القوس
باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا
القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل
من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال والمعتر المعترض بالسؤال وقرئ
والمعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما
سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها وتحبسوها
صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب
والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق
بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم

ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين
لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك
سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو
التكبير عند الاحلال والذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى
الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدافع
عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع
اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله
كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم
اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله
للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع
وابن عامر وحفص بفتح التاء اى الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم
ظلموا وهم اصحاب رسول الله كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب
ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى
اول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم
لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم
يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول
النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين
لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف
صوامع صوامع الرهبانية وبيع بيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود
سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد ومساجد
المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا
ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين
والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
ان الله لقوى على نصرهم عزيز لا يمانعه شئ الذين ان مكناهم فى الارض
اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين

للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع
ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها
الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو
ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى
غير فيه النظم وبنى فيه الفعل للمفعول لان قومه بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه
القبط ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين
فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكارى عليهم
بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهى ظالمة اى اهلها فهى خاوية
على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها
ثم انهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها
فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هى خالية وهى على
عروشها اى مظلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة
معطوفة على اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها
فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها
الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لا يستقى
منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع
او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء
عروشها وقيل المراد ببئر بئر فى سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا
لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا
فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا
قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد
بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحى
والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره
الابصار وفى تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك
فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى
ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزل ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى

قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون اعمى في الاخرة فنزلت
ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف
في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان
يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر
مدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد
مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء وكاين من قرية وكم من اهل
قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضماير والاحكام مبالغة
في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله
فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم
لا محالة وان تأخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلكم وهي ظالمة مثلكم ثم
اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم
نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين
لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم
فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم ورزق كريم هي الجنة
والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا بالرد والابطال في اياتنا
معاجزين مسابقين مسابقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه
وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الاخر عن اللحاق
وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة
وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة
مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل
الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي ع م علماء امته بهم
والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه ع م سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل
الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول هو من لا كتاب له
وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه الا اذا
تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما
يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال ع م وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته
عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته

ايات الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة والله عليم باحوال الناس حكيم
فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان
قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه
سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان
حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به
المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في اخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
الا سجد ثم نبهه جبرائيل فاغتم فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان
صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى
اول مرة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم
بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه قراءة النبي ع م فقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق
على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه
ايضا يحتمل والاية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل
ما يلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه
المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم
المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم
لفي شقاق بعيد عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء
هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن ادم فيؤمنوا به
بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين
امنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصل الى ما هو الحق فيه ولا يزال
الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته
يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيمة او الموت
او اشراطها بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر
سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب
فاذا قتلوا صاروا عقما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح
العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة
على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله
التنوين فيه منوب عن الجملة التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم
بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات

في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال
الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالحسنات تفضل من الله
وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل لهم في عذاب
والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه
في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله
هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب
ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معادهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي
هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه
في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما
كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف
بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على
بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين
في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار
بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب
بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال العلم والقدرة بان الله هو
الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
ان يكون مبدءا لكل ما يوجد سواه عالما بذاته او بما عداه او الثابت الالهية ولا
يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما تدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع
وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقيل بالبناء للمفعول فتكون الواو
لما فانه في معنى الآلهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية وان
الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك ولا شيء اعلى منه شانا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع

رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي
للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل
ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم
والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره
حال منها او خبره ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان
تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته
وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام
في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم
حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح لهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار
وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم
ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها
لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا
هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر
الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من
ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة
المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم
كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت
في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله
وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول عم والمبالغة في تثبيته على دينه على انه
من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك
لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمته
الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها
وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين
بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم
فيه تختلفون من امور الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات والارض
فلا يخفى عليه شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك

امرهم مع علمنا به وحفظنا له إِنَّ ذَٰلِكَ ان الاحاطة به واثباته في اللوح او
الحكم بينكم عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء
وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا حجة تدل على جواز عبادته وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ
حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وَمَا لِلظَّالِمِينَ وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم
مِن نَّصِيرٍ يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا من القرآن بَيِّنَاتٍ
واضحات الدلالة على العقايد الحقة و الاحكام الالهية تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنكَرَ الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة
والاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يَكَادُونَ يَسْطُونَ
بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ يثبون ويبطشون بهم قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ من غيظكم
على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم
النَّارُ اي هو النار كانه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتداء خبره وَعَدَهَا
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة
استينافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها وَبِئْسَ الْمَصِيرُ النار يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ
مَثَلٌ بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اي
مثل في استحقاق العبادة فَاسْتَمِعُوا لَهُ للمثل او لشانه استماع تدبر وتفكر إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ يعني الاصنام وقرا يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول
والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا لا يقدرون على خلقه مع
صغره لان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب
من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ بجواب المقدر في موضع حال
جئ بها للمبالغة اي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا
منفردين وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ جهلهم غاية التجهيل
بان اشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات باسرها تماثيل هي اعجز
الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى
على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها
قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى
فياكله ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ عابد الصنم ومعبوده او الذباب وطالبه ما يسلب
من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب والصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ
منه ما سلبه فلو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة

مناسبة إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ على خلق الممكنات باسرها عَزِيزٌ لا يغلبه شئ والهتهم التي
يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحي وَمِنَ النَّاسِ يدعون سائرهم الى الحق
ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته في الالوهية ونفى ان يشاركه
غيره في صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء
بهم الى عبادة الله سبحانه وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات
الله ونحو ذلك إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مدرك للاشياء كلها يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ عالم بواقعها ومترقبها وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ واليه مرجع الامور
كلها لانه مالكها بالذات لا يسال عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسئلون يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا في صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا
وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
بسائر ما تعبدكم به وَافْعَلُوا الْخَيْرَ وتحروا ما هو خير واصلح فيما ياتون ويذرون كنوافل
الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون
الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس
وعنه عم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حَقَّ جِهَادِهِ
اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو
حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله
ومن اجله هُوَ اجْتَبَاكُمْ اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على ان المقتضى
للجهاد والداعي اليه وفي قوله وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ اي ضيق
بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه
او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عم اذا امرتكم
بشئ فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص
لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات والاروش والديات
في حقوق العباد مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ منتصبة على المصدر لفعل دل عليه مضمون
ما قبلها بحذف المضاف اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم

الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته
فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة
وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم
مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسمية من قبل في قوله ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسمية اياكم المسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على
قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى
وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف واعتصموا
بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو
مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له
في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي عليه
السلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون مائة وثمانية عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما
ان لما تنفيه ويدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون
متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح
بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ قد افلحوا على لغة اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول
الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون عن الله متذللون له ملزمون ابصارهم
مساجدهم روي انه عم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره
نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه هذا لخشعت
جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما
شغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء
الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض
مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا
فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة
فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل على انهم بلغوا

بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب
المروءة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل
الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون من قولك
احفظ على عنان فرسي وحال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري
وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافرد ذلك
بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس
واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لما دل عليه الاستثناء اي
فان بذلوها لازواجهم وامائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك
المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العداوة والذين هم لاماناتهم
وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون
بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لامن الالتباس
او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها
في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما للصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة
والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة
عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشأنها اولئك الجامعون
لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون
الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وهي مستعارة
لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون
من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة
ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها الاعلى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق
بمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون
ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا
من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة
نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم
جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار
مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة
كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان خلقنا النطفة البيضاء علقة حمراء

فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها
فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن
عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الاخر ثم انشأناه خلقا اخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه
فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة
فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى
شانه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف التمييز لدلالة
الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك
ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة
تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة
اولانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل
نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال
حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وانزلنا من السماء ماء بقدر
بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه
ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد بحيث
يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة
طرقه ومبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا
فمن ياتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها
في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات ثمارها وزروعها تاكلون
تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون
الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تاكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئ بالرفع على
الابتداء اي ومما انشأنا لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل
بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم البقعة
اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث
على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر

او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال
اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن
ومستصحبا له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية تنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول
زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير
تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن
وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان وصبغ للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه
عطف احد وصفي الشيء على الاخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به
ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها
نسقيكم مما في بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن
للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها وشعورها
ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه
كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فيكون الضمير
فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون في البر والبحر ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى اخر القصص مسوق لبيان كفران الناس
ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره
استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون
افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة
غيره وكفرانكم نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم
ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في ابائنا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى
ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة
متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به
فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما ايس من ايمانهم رب
انصرني باهلاكهم او بانجاز ما اوعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم

اياى او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان
تخطئ فيه او يفسد عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء
امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روى انه قيل لنوح اذا فار الماء
من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله
فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردت من الشام وفيه
وجوه اخر ذكرتها فى هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره
قال الله تع ما سلككم فى سقر من كل زوجين اثنين من كل امتى الذكر والانثى واحدا
من زوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك
واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اى القول من الله
باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى
قوله تع ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لهم
بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شانه لا يشفع
له ولا يشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين كقوله
فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى فى السفينة
او فى الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة
فيه وتوسلا الى الاجابة وانما افرد بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله
واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان فى ذلك فيما فعل بنوح
وقومه لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين
لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى
الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد وثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود
او صالح وانما جعل القرآن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما
اوحى اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اى قلنا
لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين
كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام قوم نوح وحيث استؤنف
فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحياة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاولاد والاموال ما هذا
الا بشر مثلكم فى الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة

ثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة
ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون
حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب
انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول
اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتداء خبره الظرف المقدم او
فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم
وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف
لان اسم جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون
واللام للبيان كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد
قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتداء خبره لما توعدون وقرئ بالفتح
منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هى الا حيوتنا الدنيا اصله ان
الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا عن التكرير
واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله هى النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة
الا هذه الحيوة لان ان نافية دخلت على هى التى فى معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت مثل
لا التى تنفى ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما
يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرنى عليهم وانتقم
لى منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى قال عما قليل عن زمان قليل وما زائدة صلة
لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب
فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا
واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذى لا دافع له او بالعدل
من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم
فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميل كقول العرب سال به الوادى لمن هلك فبعدا للقوم
الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وبعدا من المصادر التى
تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعنى قوم صالح ولوط
وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق

وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد
من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتانيث لان
الرسل جماعة وقراء ابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواتر وقع حالا كلما جاء
امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل
اليهم لان الارسال الذى هو مبداء الامر منه والمجيء الذى هو منتهاه اليهم فاتبعنا
بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم
لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالايات التسع وسلطان
مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول
المعجزات وانها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها وتلقفها ما افكته السحرة
وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد بهما المعجزات وبالايات الحجج فانها ايات
للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبى عليه السلام الى فرعون وملائه فاستكبروا
عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا
ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر
احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى
شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة
وفساده يظهر للمستبصرين بادنى تامل فان النفوس البشرية وان تشاركت
فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيها وكما ترى فى جانب النقصان
اغبياء لا يعود عليهم التفكر يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التفكر
والتعلم فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون
ما لا ينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما
الهكم اله واحد وقومهما يعنى بنى اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون
كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق فى بحر قلزم ولقد اتينا موسى
الكتاب التورية لعلهم لعل بنى اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه
لان التورية نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا
ابن مريم وامه اية بولادتها اياه من غير مسيس فالاية امر واحد مضاف
اليهما او جعلنا ابن مريم اية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه اية
بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها واويناهما الى ربوة

ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر
فان قراها على الربا وقراء ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر
ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون
فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد
فى الشيء او الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه
لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه
وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا
على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا فى ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا
منهم خوطب به فى زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء كلام ذكر
تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء
شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية فى رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه
عند ايوائهما الى الربوة لتقتديا بالرسل فى تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ
الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافى القوام فالحلال
ما لا يعصى الله فيه والصافى ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ
العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم انى بما تعملون
عليم فاجازيكم عليه وان هذه اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا
ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقراء ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر
على الاستيناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اى متحدة فى العقايد
واصول الشرايع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة
ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون فى شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا
امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم
منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا
جمع زبور الذى بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو
او مفعول ثان لتقطعوا فانه يتضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا
ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل ورسل كل حزب من المتحزبين
بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم فى غمرتهم فى جهالتهم
شبهها بالماء الذى يغمر القامة لانهم يغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ فى غمراتهم حتى
حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا
لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم

ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى ايحسبون
ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهايم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لامسارعة
فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون
فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بايات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا
جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ يأتون ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا من الطاعات وقلوبهم وجلة
خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيواخذ به انهم الى
ربهم راجعون لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم اليه وهو يعلم ما يخفى
عليهم اولئك يسارعون في الخيرات يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة
فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال
بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفى
عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون
الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس
ولدينا كتاب يعنى اللوح او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق
ولا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة العقاب
او نقصان الثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة فى غفلة غامرة لها
من هذا من هذا الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة
من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها
عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعنى
القتل يوم البدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعل عليهم سنين كسنى يوسف عم فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف
والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجؤا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
والجملة مبتداء بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر بالقول
اى قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهى اى لا تجأروا فانه لا ينفعكم

لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد
كانت اياتى تتلى عليكم يعنى القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون
تعرضون مدبرين عما سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع
قهقرى مستكبرين به الضمير للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم
بانهم قوامه اغنت عن سبق ذكره او لانه استكبارهم على المسلمين حدث
بسبب استماعه او بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القرآن والطعن فيه
وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر
تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القرآن
او تهذون فى شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون
من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن
ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم
يأت آباءهم الاولين من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله
فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن
الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم
له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار
الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او التشخص
او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا
يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم وايقنهم نظرا بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه
وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ
قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم
بان كان فى الواقع آلهة شتى لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما
سبق تقريره فى قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق
اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به
محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة واهلك العالم من فرط غضبه او
لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يستهزاء به من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية
ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او وصيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم

لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه
ام تسئلهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه
فى الدنيا او ثوابه فى العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن اعطائهم والخرج
بازاء الداخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه
اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن
عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير
لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته
لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة فى هذه الايات
بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق
وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوى
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه
ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعنى القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ
فى طغيانهم افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين
يعمهون عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله
وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر فما
استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان
استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت
فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد يعنى الجوع فانه اشد من القتل والاسر اذا هم فيه مبلسون
متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتادهم يستعطفك وهو الذى انشأ لكم
السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا بها
وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذى ذرأكم فى الارض خلقكم وبثكم
فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذى يحيى
ويميت وله اختلاف الليل والنهار ومختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا
لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الاخرة
افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث

البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اى
كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد
وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة
لانه يستعمل الا فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا
لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما لما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم
بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اى بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر
الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته
وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها
اعظم من ذلك سيقولون لله قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما
يقتضيه لفظ سؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا
قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شئ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه
وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع وتعديته
بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين
تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق
من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله
من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه فى الالوهية اذا
لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة
ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به
وامتاز ملكه عن الاخرين ولظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن
بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان
على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك
لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة مبتداء محذوف وقد جره ابن
كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء
على توافقهم فى انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل
رب اما تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد ما يوعدون من العذاب
فى الدنيا والاخرة رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين قرينا لهم فى العذاب وهو اما

لهضم النفس ولان شوم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تع اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه
على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء
به فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخر
علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد
لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح
مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها
لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو
الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنى السيئة لما فيه من التنصيص
على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك او بوصفهم اياك على خلاف حالك
واقدر على جزائهم وكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم
واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة على
المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب
ان يحضرون فيحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
وحلول الاجل لانها احرى الاحوال ان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق
بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن الشيطان
ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط
فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو
لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما
تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي اتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا
وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تع واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الخ والكلمة
الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه
ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا
وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة
بفتح الواو وبكسر الصاد يؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم
لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه

من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون
ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا ينافي قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار
النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقايده واعماله اي ومن كان له عقايد واعمال
صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة
والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم
لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان
استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة
او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تاثيرا
وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان
وقرئ كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم الم تكن اياتي
فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا
غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرا حمزة
والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين
عن الحق ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون
لانفسنا قال اخسؤا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال
من خسات الكلب اذا زجرته فخسا ولا تكلمون في رفع العذاب او لا تكلمون
راسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول
مني فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده فيقولون
الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا
فيجابون اولم تكونوا فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم
فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم الا زفير وشهيق
وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه كان فريق من عبادي يعني المؤمنين
وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرا نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهما
مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ
والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم
بالاستهزاء فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم
اليوم بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به

ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استينافا قال اى الله او الملك
المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل
النار كم لبثتم فى الارض احياء وامواتا فى القبور عدد سنين تمييز لكم
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصار لندرة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم
فى النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور قصار او لانها منقضية
والمنقضى فى حكم المعدوم فاسأل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان
اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها
او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف
اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا
يستقصرون قال وفى قراءة الكوفيين قل ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم
تعلمون تصديق لهم فى مقالتهم افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ لهم على تغافلهم
وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف
على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم
فتعالى الله الملك الحق الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات
مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه
عبيد رب العرش الكريم الذى يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام
ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة
الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده لا برهان له به صفة اخرى لالها لازمة
له فان الباطل لا برهان له جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين
بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء
لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون
ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة
بتصدير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره
ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبى عليه السلام
من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند
نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم
قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان فى اولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور ستون واربع آية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك
ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها
او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة
لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزانى اى
فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئتا بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما
قدم الزانية لان الزنا فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان
مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل
على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى تغريب الحر سنة لقوله عم البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدهما الآخر نسخا مقبولا
او مردودا وله فى العبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة
فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود لرجمه عم يهوديين
ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى يقتص له من المسلم
ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله فى طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه
ولذلك قال عم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت
بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضى الجد فى طاعة
الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان
تكون حافة حول كل شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به
التشهير الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة
ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهن
لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن
عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزانى وحرم ذلك على المؤمنين

لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك
من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به
والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا
الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهى الزانى عن الزنا
الا بزانية والزانية اى يزنى بها الا زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات
يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقيب الزوانى واعتبار اربعة
شهداء بقوله ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف
بغيره مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين
الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف النساء اغلب
واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة
خلافا لابح ولكن ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك
نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اى شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم
فى القذف ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابح فان الامر بالجلد
والنهى عن القبول سيان فى وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان
عليه دفعة كيف وحاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابح
الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا
من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء
الشرط لهذا الامر ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام
له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر
على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب وقيل
منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا
على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة
احدهم اربع شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع
نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة بالله
متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اى

اى فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت وعلق العامل عنه باللام
تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط
حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابح ونفى الولد ان
تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اى الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رمانى به والخامسة ان
غضب الله عليها ان كان من الصادقين فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم
اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب
من الافك وهو الصرف لانه قول   عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رض
وذلك انه عم استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت
لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع
فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها
وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان
صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها
فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم
جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن
ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
وهى خبران وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول وابى بكر
وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم
وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل
الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذى تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب
بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة
لرسول الله او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين
له عذاب عظيم فى الاخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهودا بالنفاق
وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا اذ سمعتموه ظن

المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله
ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ
واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف
لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره
وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا
افك مبين كما يقول المتيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول
تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه فكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك
رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لولا هذه
لامتناع الشىء لوجود غيره والمعنى ولولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم
التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم
لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه
يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه
من الالق والولق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه
اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه
بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا من علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم
ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم فى الوزر
واستجرار العذاب فهذه ثلثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك
بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ
سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغى وما يصح لنا سبحانك هذا يجوز
ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا
فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله بهتان عظيم تعجب ممن يقول
ذلك واصله انه يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل
لكل متعجب او تنزيه لله من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود
الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله يعظكم الله لعظمة المبهوت عليه
فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا

تعودوا او فى ان تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع
عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
لتتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة
على نبيه ولا تقريره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة
فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله
يعلم ما فى الضماير وانتم لا تعلمون فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله
سبحانه وتعالى يعاقب على ما وقع فى القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم
ورحمته تكرير للمنة بترك العاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة وكذا عطف
قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو
مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان
باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر
بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر
ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر
ولكن الله يزكى من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالهم عليم
بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية او ولا يقصر من الالو ويؤيد الاول
انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن
خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم فى الدين والسعة فى المال
وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ
بالتاء على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله صفات
لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها
فيكون ابلغ فى تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون
ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم
مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عم قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح
نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات
بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول والمؤمنين كابن ابى لعنوا فى الدنيا
والآخرة لما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف
ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى عليه السلام ولذلك قال ابن عباس رض
لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة رضى الله

يوم تشهد عليهم ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ
حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور اثاره عليها وفى
ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون
لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه
فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق المبين اى العادل
الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل
على قوله اولئك يعنى اهل بيت النبى عليه السلام او الرسول وعايشة وصفوان مبرؤن
مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات
من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرؤن مما يقولون
فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم
يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عم بشاهد من اهلها وموسى
من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة بهذه
الآيات مع المبالغة وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول واعلاء منزلته يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا
لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستاذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشئ اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد
دخوله او يؤذن له او من الاستيناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستاذن
مستوحش خائف ان لا يؤذن فاذا اذن استانس او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس
وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ادخل وعنه عم التسليم ان يقول
السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اى
الاستيذان او التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية كان الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع
امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عم استاذن على امى قال نعم قال انها ليس لها خادم
غيرى استاذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون
متعلق بمحذوف اى انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم
فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى ياتى من ياذن لكم

لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس
عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق
او غرق او كان فيه منكر ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا
هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم عما لا يخلوا الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة
وترك المروة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون
وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع لكم استمتاع لكم كالاستكنان
من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم
السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
اى ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان
المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل
حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد
على الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال
سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه فى كل حركة
وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما يحل لهن النظر
اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان
النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان
فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا
فى الصلوة لا فى النظر فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها
الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن
ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او
اباءهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن
او بنى اخواتهن لكثرة مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة
عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر
الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا

ان يصفوهن لابنائهن اَوْ نِسَائِهِنَّ يعني المؤمنات فان الكافرات لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف اَوْ مَا مَلَكَتْ اَيْمَانُهُنَّ
يعم الاماء والعبيد لما روى انه عم اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا
قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم انه ليس
عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى
اَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ اُولِي الْاِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم
والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس
لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب
على الحال اَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل
جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف وَلَا يَضْرِبْنَ بِاَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث
ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وَتُوبُوا اِلَى اللّٰهِ جَمِيعًا اَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ اذ لا يكاد يخلو احد كم من تفريط سيما فى الكف
عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن
يجب الندم عليه والعزم على الكف كلما يتذكر لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بسعادة الدارين
وَاَنْكِحُوا الْاَيَامٰى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَاِمَائِكُمْ لما نهى عما عسى
ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد
الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح
الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية
والمملوك وذلك عند طلبهما واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به
اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايايم كيتامى جمع
وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال فان تنكحى انكح وان تتايمى
وان كنت افتى منكم اتايم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم
والاهتمام بشانهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
اِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى
لا يمنعن فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال
فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء كقوله عم اطلبوا الغنى فى هذه الاية
لكن مشروطة بالمشيئة لقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله

من فضله ان شاء وَاللّٰهُ وَاسِعٌ ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته
عَلِيمٌ يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته وَلْيَسْتَعْفِفِ
الَّذِينَ وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا اسبابه ويجوز
ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حَتّٰى يُغْنِيَهُمُ اللّٰهُ
مِنْ فَضْلِهِ فيجدوا ما يتزوجون به وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ المكاتبة
وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب
على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله من الكتب
بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض مِمَّا مَلَكَتْ
اَيْمَانُكُمْ عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فَكَاتِبُوهُمْ او
مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب
عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها
واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق
لا يعم مع ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى المسلم فيما لا يوجد عند
المحل اِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد
روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظ لفظا ومعنى
وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللّٰهِ الَّذِى
آتَاكُمْ امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيئا من اموالهم وفى معناه حط
شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رض
يحط الربع وعن ابن عباس رض الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد
ان يؤدوا او يعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن
والمشترى ويدل عليه قوله عم فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا
هدية وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ اماءكم عَلَى الْبِغَاءِ على الزنا كانت لعبد الله بن ابى
ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله
فنزلت اِنْ اَرَدْنَ تَحَصُّنًا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع
المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لِتَبْتَغُوا
عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَاِنَّ اللّٰهَ مِنْ بَعْدِ اِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لهن
او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود رض من بعد اكراههن

بهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة اثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه
لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ يعنى الايات التى بينت فى هذه السورة واوضحت
فيها الاحكام والحدود وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى بالكسر لانها واضحات
تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لوانها
بينت الاحكام والحدود وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ومثلا من امثال من قبلكم
اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عايشة فانها كقصة يوسف ومريم
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ يعنى ما وعظ به فى تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم
المنتفعون بها وقيل المراد بالايات القرآن والصفات المذكورة صفاته اللّٰهُ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والنور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها
سائر المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما
وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تع الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم اى بمعنى
ذو كرم او على تجوز واما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تع نورها
بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم
للرئيس الفايق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدها فان
النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم
والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها
من حيث انه نور يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك
عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات
والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل
ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها
وهو الله سبحانه وتع ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا
ويقرب منه قول ابن عباس رض هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما
للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات
البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مَثَلُ نُورِهِ صفة نوره العجيبة الشان
واضافته الى ضميره سبحانه وتع دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كَمِشْكَاةٍ
كصفة مشكاة وهى الكوة فى الغير النافذة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب وقيل
المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة الْمِصْبَاحُ
فِي زُجَاجَةٍ فى قنديل من الزجاج الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ مضئ متلالئ كالزهرة

كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه
او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابى بكر على
الاصل وقراءة ابى عمرو والكسائى دِرّيءٌ كشريب وقد قرئ به مقلوبا يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان
رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها
تفخيم لشانها وقراء نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة
والكسائى وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد
بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ
تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة
او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة
وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا فى مضحى تشرق
الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفى الحديث
لا خير فى شجرة ولا نبات فى مقناة ولا خير فيهما فى مضحى يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ اى يكاد يضئ بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نُورٌ عَلَى نُورٍ نور
متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط
المشكاة لاشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه
الايات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او
تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما
ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل
لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها
ويؤيده قراءة ابى مثل نور المؤمن او تمثيل ما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس
المترتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس
الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى
شاءت والعاملة التى تدرك الحقايق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات
لتستنتج بها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التى تتجلى بها لوايح الغيب واسرار الملكوت
المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تع ولكن جعلناه نورا نهدى به
من نشاء بالاشياء الخمسة المذكورة فى الاية وهى المشكوة والزجاجة والمصباح
والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكوة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك
ما وراها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات

من الجوانب وضبطها الى الانوار العقلية وانادتها بما يشتمل عليها من المعقولات
والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة
بالشجرة المباركة لتأديها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذى
هو مادة المصباح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية
او لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضئ بالمعارف من غير تفكر ولا
تعليم او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم
مستعدة لقبولها كالمشكوة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات
بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار
وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد والشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت
وان كان بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل
بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا
حصلت له العلوم بحيث تتمكن من استحضارها كان نورا على نور يهدى الله لنوره
اى لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيته لاغية اذ بها تمامها
ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل
شئ عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها
ولمن لم يكترث بها فى بيوت متعلق بما قبله اى كمشكوة فى بيوت او توقد فى بيوت
فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكوة اذ المراد
بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد
لا بيذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا اى فى بيوت والمراد بها
المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان
ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله
والمباحثة فى احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات
والعشيات والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل
وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على
اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا
لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو رجال لا تلهيهم تجارة
لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص

التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو اهم من قسمى التجارة فان الربح
يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبداءها
وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار
واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وايتاء الزكوة ما يجب اخراجه من المال
للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب
والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه
وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون
احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء
لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة
وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم
كسراب بقيعة والذين حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة
عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو
الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة يحسبه
الظمآن ماء اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند
مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه
ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه
استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روى
انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء
الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية
لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر
والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة
فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا وكالسراب فى الاخرة
فى بحر لجى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من
فوقه موج اى امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثانى سحاب
غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر بعضها فوق بعض وقرأ ابن
كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهى

اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها كقوله اذا غير النأى المحبين
لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير الواقع فى البحر وان لم يجر ذكره
لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم
يوفقه لاسبابها فما له من نور خلاف الموفق الذى له نور على نور الم تر الم
تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى والاستدلال ان الله
يسبح له من فى السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات
والارض ومن لتغليب العقلاء والملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال
او دلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به
تقوى على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط
حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير
قد علم صلاته وتسبيحه اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا
لقوله والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق
والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله
الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لا يكاد يهتدى
اليه العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب
والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجى سحابا يسوق ومنه
البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا
فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه ثم يجعله
ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من
فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل
ما علاك فهو سماء من جبال من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها
فيها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال
فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع
المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال
من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم يحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك
اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى

الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا
فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك لا بد وان يستند الى
ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها
واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء
والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام
الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة
وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة
وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب
على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص
احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او
بما يعم ذلك ان فى ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولى الابصار لدلالته
على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته
وتنزهه عن الحاجة وما يفضى اليها لمن يرجع الى بصره والله خلق كل دابة
حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة
من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب
منزلة الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق
بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وانما سمى
الزحف مشيا على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشى على رجلين
كالانس والطير ومنهم من يمشى على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما
اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير
لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب
لتقديم ما هو اعرف فى القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا
ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافعال
مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شىء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا
آيات مبينات للحقايق بانواع الدلائل والله يهدى من يشاء بالتوفيق
للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل
الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت فى بشر
المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبى عليه
السلام وقيل مغيرة بن وائل خاصم عليا فى ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول

وَأَطَعْنَا اى واطعنالهما ثُمَّ يَتَوَلَّى بالامتناع عن قبول حكمه فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ بعد قولهم هذا وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ اشارة الى القائلين باسرهم فيكون
اعلامًا من الله بان جميعهم وان امنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم اوالى الفريق
منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفهم وهم المخلصون فى الايمان والثابتون عليه وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ اى ليحكم النبى عليه السلام فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه
وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه فى الحقيقة حكم الله إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ فاذا جاء فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم
بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ اى الحكم
لا عليهم يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا
اولمذعنين وتقديمه للاختصاص أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كفر اوميل الى الظلم أَمِ
ارْتَابُوا بان راوا منك تهمة فزال ثقتهم ويقينهم بك أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ فى الحكمة بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اضراب عن القسمين
الآخرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم
اوفى الحاكم والثانى اما ان يكون محققا عندهم اومتوقعا وكلاهما باطل لان
منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فيتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفى ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه إِنَّمَا
كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ على عادته تع فى اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على
ما ينبغى بعد انكاره لما لا ينبغى وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده
الى ضمير مصدر على معنى ليفعل الحكم وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فيما يامرانه او
فى الفرايض والسنن وَيَخْشَ اللَّهَ على ما صدر عنه من الذنوب وَيَتَّقْهِ
فيما بقى من عمره وقرء يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون
الهاء وحفص بسكون القاف فشبهه تقه بكتف وخفف فَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ بالنعيم المقيم وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ انكارا للامتناع عن
حكمه لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ بالخروج عن ديارهم واموالهم لَيَخْرُجُنَّ جواب لاقسموا على
الحكاية قُلْ لَا تُقْسِمُوا على الكذب طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ اى المطلوب منكم معروفة لا
اليمين الطاعة النفاقية المنكرة اوطاعة معروفة امثل منها اولتكن طاعة وقرئت
بالنصب على اطيعوا طاعة إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فلا يخفى عليه سرائركم قل

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة
فى تبكيتهم فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ على محمد مَا حُمِّلَ من التبليغ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ
من الامتثال وَإِنْ تُطِيعُوهُ فى حكمه تَهْتَدُوا الى الحق وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقى ما حملتم فان اديتم
فلكم وان توليتم فعليكم وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
خطاب الرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ
ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكهم وهو جواب قسم
مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم اوالوعد فى تحققه ينزل منزلة
القسم كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى بنى اسرائيل استخلفهم فى مصر والشام
بعد الجبابرة وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وهو الاسلام بالتقوية
والتثبيت وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ من الاعداء أَمْنًا منهم وكان رسول الله
واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة فكانوا يصبحون
فى السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم
بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار على الغيب على ما هو به
وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع
وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الاخرة يَعْبُدُونَنِي حال من الذين
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن
لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين وَمَنْ كَفَرَ ومن ارتد
اوكفر هذه النعمة بَعْدَ ذَلِكَ بعد الوعد وحصول الخلافة فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات اوكفروا بتلك
النعمة العظيمة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فى سائر ما
امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به
فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق الرحمة بها اوبالمندرجة هى فيه
بقوله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ كما علق به الهدى لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
ولا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين
اوولا تحسبن الكفار فى الارض احدا معجز الله فيكون فى الارض مفعوليه اولا تحسبنهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين كشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين
عن الثالث وقرء ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول فى الاحتمالات وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ
عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماويهم النار

لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ولبئس المصير المأوى
الذى يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
رجوع الى تتمة الاحكام السابقة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب الطاعة
فيما سلف من الاحكام وغيره والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به
خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روى ان غلام اسماء بنت ابى مرثد دخل
عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله مدلج بن عمرو الانصارى
وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عن ثوبه
فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا
بهذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى فوجده وقد انزلت
عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا
من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات فى اليوم
والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف
اى هى من قبل وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة
بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف ثلث عورات لكم اى هى ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز
ان يكون مبتداء وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان
ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات
ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات فى ترك الاستيذان
وليس فيه ما ينافى اية الاستيذان فينسخها لانه فى الصبيان ومماليك
المدخولات عليه وتلك فى الاحرار البالغين طوافون عليكم اى هم
طوافون استينافا ببيان العذر المرخص فى ترك الاستيذان وهو المخالطة
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات
الثلث وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض
او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم
الآيات اى الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما يشرع لكم واذا
بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم
الذين بلغوا من قبلهم فى الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان
العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما

قسيما للماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم
كرره تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتى
قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام
فى القواعد بمعنى اللاتى او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امر
باخفائه فى قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار ما يخفى
من قولهم سفينة بارحة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها
محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها
للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع
لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
ولا على المريض حرج نفى لما كانوا يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو
وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم
الى بيوت ابائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما
يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن او قرينة او كان فى اول الاسلام بنحو قوله
لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفى للحرج عنهم فى القعود
عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم
من البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان
ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية
وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ
مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم واسر به
وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت باذن
او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم او كان فى اول الاسلام فنسخ
فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا
جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين فنزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون
ان ياكل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه او فى قوم تحرجوا

عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام فى القزازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا
من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين منكم دينا وقرابة تحية
من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه
طلب الحيوة وهى من عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس رض انه عليه السلام قال متى لقيت
احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك فاذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاولين كذلك يبين الله لكم الايات
كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضى
لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اى الحق والخير فى الامور
انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين امنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم
واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا
رسول الله فياذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز
للمخلص فيه عن المنافق فانه ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب
عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان
الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن
مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم
ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم
تفويض للامر الى رأى الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن
منع ذلك قيد المشية بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فاذن لمن علمت
ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور لانه
لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا
فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه
ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله ويا رسول الله مع
التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا
بسخطه فان دعاءه موجبا ولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده
اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون قليلا قليلا من

من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض
حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ
بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون
سمتا خلاف سمته وعن لتضمين معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين
من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان
المخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة او للرسول فانه المقصود
بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم فى الاخرة
واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد
العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك
يستلزم الوجوب الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد
علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما
عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شئ عليم
لا يخفى عليه خافية عن النبى عم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

سورة الفرقان وهى سبع وسبعون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة
وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى
الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل
دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل
الا لله تع والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به الفرقان لفصله بين
الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال
وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان
الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا
منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها
اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذى له ملك السموات والارض بدل من الاول
او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك فى الملك
كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل

عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعا فيه التقدير حسب ارادته كخلق الانسان
من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد
منه الخصايص والافعال كهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل
مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد
كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن
الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل
عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب
ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف
عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم يلقون
اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق في قوله
تع انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود
وزورا بنسبة ما هو بريء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته
وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ
على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم السر
في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين
انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم العذاب على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة
وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي
والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك وقصور نظرهم على المحسوسات
فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله
تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش

المعاش او يكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا
اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة
والكسائي بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا
عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك
الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة
فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا
خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى
تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة
لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا
عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان
ماضيا جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول
لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الآخرة
وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال وطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك
بما وعد الله لك في الآخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار
المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربا بحيث
يكون احدهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد
هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت
غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة
عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان لما تقدم فصار
حالا ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف
الله الجنة بان عرضها السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه
تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا
لان عذابكم انواع كثيرة وكل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تع كلما نضجت جلودهم

بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت بثبور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل
والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة
الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها والتمييز عن جنان الدنيا كانت لهم في علم الله تعالى
او اللوح او لان ما وعده الله في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا
ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد
بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن ما يشاؤنه
من النعيم ولعله يقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك
شيئاً والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال
من احد ضمائرهم كان على ربك وعداً مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود اي كان
ذلك موعوداً حقيقاً بان يسئل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما
وعدتنا على رسلك والملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما
في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق
الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر
الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه
استعمل ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شيء يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف
كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيراً او اعتباراً لغلبة عبادها او يخص الملائكة
وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او يتكلم بلسان الحال كما قيل
في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون
أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله اأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه
العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجباً مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء
معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعاراً بانهم المرسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف
يليق بهم اضلال عبيده او تنزيهاً لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا يصح لنا ان نتخذ
من دونك من اولياء للعصمة او عدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احداً
دونك وقرئ نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتاكيد النفي ولكن
متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك

عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم
واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا
للمعتزلة وكانوا في قضائك قوماً بوراً هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه
الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام
على حذف القول فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا
والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفاً دفعاً للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصراً
فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذاباً كبيراً هي النار
والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم
وفاقاً وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعاً وبالعفو عندنا وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا
رسلاً انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله
وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالاً اكتفي فيها بالضمير وهو جواب
لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي
تمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء
ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم
بالعداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله على ما قالوه بعد نقضه وفيه
دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله لنبلوكم ايكم احسن عملا او حث لهم على الصبر
على ما افتتنوا به وكان ربك بصيراً لمن يصبر او بالصواب فيما يبتلي به وقال
الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر
على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية فانه الوصول الى المرئي
والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا انزل
علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد وقيل ليكونوا رسلاً الينا او نرى ربنا
فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها
ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتها او ما يكون هو اعظم
من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتواً كبيراً بالغاً اقصى مراتبه حيث عاينوا
المعجزات القاهرة واعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطالع

النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستينا بالجملة حسن واشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابانا بنابها كليبا غلت
ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب
باذكر ويما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها
ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما يتعلق به اللام او لبشرى
ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم
من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين ح نفى البشرى بالعفو والشفاعة
فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع
للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اى ويقولون
الكفرة ح هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا
يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما
عليكم الجنة والبشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع
مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه
بمحجورا للتاكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من مكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة
الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا
سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى فى شعاع
الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهو الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط
فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله تع كونوا
قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر
الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج
والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا
اذ لا نوم فى الجنة وفى احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
والزين فيحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب
ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك فيقيل اهل الجنة
فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء واصله تتشقق فحذف التاء
وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام

المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل
الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام وهو الغمام بصحايف اعمال العباد وقراء ابن كثير وننزل
وقرئ ونزلت وانزل ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك
يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر
وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر
يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم
على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها
كنايات من الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل
عقبة بن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى عليه السلام فدعاه الى ضيافته فابى
ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه فقال
صبات فقال لا ولكن آلى ان ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له
والشهادة ليست فى نفسى فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق
فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه السلام لا القاك خارجا
من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا بقتله وقيل قتله عاصم
بن ثابت بن افلح الانصارى وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن الرسول ابيا باحد
فى المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة
او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب بطرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على
الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا
كناية عن الاجناس لقد اضلنى عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول
او كلمة الشهادة بعد اذ جاءنى وتمكنت منه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل
او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس
للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان
وقال الرسول محمد يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله تع يا رب ان قومى قريشا اتخذوا
هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعن الايمان وعنه عم من تعلم القرآن
وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب عبدك
هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا والغوا فيه اذ سمعوه او زعموا انه هجر
واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود
والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل الله لهم العذاب
وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل

على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم
ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اى انزل عليه كخبر بمعنى
لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل
تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار
اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك
على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا
يكتبون فلو القى اليه جملة تعب بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى
الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى
ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه
ولانه اذا نزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك
صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا
نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه
فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة
او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل
بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق
الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال
ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم
الى جهنم اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
وجوههم اليها وعنه عم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب
وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره
اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله
قل اءنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل
حاملهم على هذه الاسولة تحقير مكانه بتضليل سبيله ولا يعلمون ما لهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي

ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا
اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه بآياتنا فدمرناهم تدميرا اى
فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسول واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار
الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة
وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب
واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين
عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم
وعادا وثمود عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين
وقرئ وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينا هم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث
اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا
النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم بطير عظيم كان فيها من كل
لون وسموه عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ بالتاء
والخاء وقال بعضهم بالياء والجيم والاول اصح او دمخ وتنقض على صبيانهم
فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه
في بئر وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل
مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا
ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا
فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتنا تفتيتا ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني
بتبرنا لانه فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية
التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله
بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك
لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون

طمعًا في الثواب او لا يخافون على اللغة التهامية وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا
محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض
التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا له
اهذا الذى زعم انه بعثه الله رسولا إِنْ كَادَ انه كاد لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ليصرفنا
عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن
من الحجج والمعجزات لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا
في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون
الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ
إِلَهَهُ هَوَاهُ بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم
المفعول الثاني للعناية به أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي
وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار أَمْ تَحْسَبُ بل أتحسب
أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ فيجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم
وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم
من آمن ومنهم من عقل الحق وكابروا استكبارا وخوفا على الرياسة إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها
ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا
يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا
يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد
باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي
الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم
وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ الم تنظر الى صنعه
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان
المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب
ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او ألم ينته
علمك الى ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به

به الجنة فقال وظل ممدود وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا
فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر
عن احداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف
قَبْضًا يَسِيرًا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها
ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليها دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا
اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه بتفاوت بحركتها ويتحول
بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او قبضا
سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وَهُوَ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا شبه ظلامه باللباس في ستره وَالنَّوْمَ سُبَاتًا راحة للابدان
بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله تع وهو الذي يتوفيكم بالليل لانه
قطع الحيوة ومنه المسبوت للميت وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه
الناس للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وَهُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نُشْرًا ناشرات للسحاب جمع نشور
وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه مصدر وصف به
وعاصم بُشْرًا جمع بشور بمعنى مبشر بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ يعني قدام المطر وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً طَهُورًا مطهرا لقوله تع ليطهركم وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضؤ
ويوقد به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل
سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة وفعول وان غلب في المعنيين لكنه قد
جاء للمفعول كالضبوب والمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعارا بالنعمة
وتتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها
على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجري مجرى الجامد وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا يعني اهل البوادي الذين
يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى

يقيمون بقرب الانهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السما
وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه
الآيات كما هو للدلالات على عظيم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية
الانسان وعامة منافعهم وعلية معاشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ
نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي بحذف ياء
وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت
النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات
المتفاوتة من وابل وطل وغيرها وعن ابن عباس رض ما من عام اقل مطرا
من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او في
الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك
ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا
الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا
ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله
والانواء وسايط وامارات بجعله تع ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا
ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما
لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة
واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين
وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى
انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم
جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف
او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد
مع الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين
متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات
قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح
على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا
من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله
المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله

خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر
المالح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف
الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت
في الكيفية وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة
البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة فجعله نسبا
وصهرا اي قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا
يصاهر بهن كقوله تع وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث
خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين
متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توامين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق
يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك
والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به
اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة
الذي يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك
بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه قلعا كليا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا
وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث
انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه
الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل
عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد
الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده بما ظهر منها وما بطن خبيرا
مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا
بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني
في الامر فانه تع مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق الاشياء على تؤدة
وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدا وللمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدلا

من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي فسئل به خبيرا فسئل عما ذكر من الخلق
والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبريل او من وجده من الكتب
المتقدمة ليصدقك فيه وقيل الضمير في به للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله
فسئل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز
ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما تعدى بعن لتضمنه معنى
التفتيش تعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل
لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم
ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا
بسجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وهو قراءة حمزة
والكسائي وقرأ الباقون يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر
بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج
الاثنى عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها
واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس
سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ
قمرا اي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان
يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي
للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر
في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم العباد او اراد شكورا
ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده
في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا
ووافقه الكسائي فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين
يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته
على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به
والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما
منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء
والاثم ولا ينافيه آية القتال لنسخه فان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك
مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلوة وتخصيص البيتوتة
لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر

او مصدر اجري مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان
غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق
واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم
اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما
اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به
ترتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز
والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق
الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون
ونافع وابن عامر بضم الياء من اقتر يقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد وكان بين
ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ
بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز
ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبني لاضافته الى غير متمكن
وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون
مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق
متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفي عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم
اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك
وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك
يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب
يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستيناف او الحال
وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد
وحذف الالف في يضعف وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف
العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس
بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب
ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن تاب
عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج عن المعاصي ودخل

في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلقى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا مبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليه باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقولك رايت منك اسدا وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم معتقدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وللقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل

معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قيل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه السلام من قرئ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مائتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرا حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القران على ما مر في اول البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشا ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله صح وما ياتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا

فى تكذيبه بحيث ادتهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله فسيأتيهم
اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة أنباء ما كانوا به يستهزؤن
من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب
فيستخف امره أولم يروا الى الارض او لم ينظروا الى عجايبها كم انبتنا فيها
من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى
وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما متضمنه الدلالة على القدرة وان يكون مبينة
منبهة على انه ما من نبت الا وله فايدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج
وكم لكثرتها إن فى ذلك ان فى انبات تلك الاصناف او فى كل واحد لاية
على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم
مؤمنين فى علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الايات العظام
وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم
حيث امهلهم والعزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ
نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اى ائت او
بان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم
قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم
للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استيناف اتبعه ارساله
اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ
بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا
حين الخطاب اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه
اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره
وتامل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون
بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون
ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء
ضم اخيه اليه واشراكه فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب
وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست
الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى
لا يختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر
بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرا يعقوب

يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكون من جملة ما خاف
عنه ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد
قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى
مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا
وانما هو استدفاع البلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار
فى امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة يا موسى عما نظن
فاذهب والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون
مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه
بمن حضر مجادلة قوم استماعا عاما لما يجرى بينهم وترقبا لامداد الاولياء
منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى
هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو
خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة
قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى
تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به
او لانه اراد كل واحد منا ان ارسل معنا بنى اسرائيل اى ارسل لتضمن الرسول
معنى الارسال المتضمن بمعنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال
اى فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك ألم نربك فينا فى منازلنا
وليدا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث
فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله
ثلثين ثم بقى بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى
وبخه به معظما اياه بعد ما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها
كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى او ممن
تكفرهم الان فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين
ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة
او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين
من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب والتأسيس
من قوله ان تضل احديهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى

من المرسلين رد اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة
ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة
نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي
وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل
وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي اليك وحصولي في تربيتك
وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي اوتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت
ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء
او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب
في تمنها وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار
منه ومن ملائه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به
فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ
بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما
عرفه باظهر خواصه واثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص
والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين
الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها
وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ
لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب
واستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن
تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل او يزعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير
معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى
ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون
اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية
قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتي بالشمس
من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب
على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان
لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا لما رأى شدة شكيمتهم

شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا من المحاجة الى التهديد بعد الانقطاع وهكذا ديدن
المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان تعجبه
بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا اعتقد ان
من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام في المسجونين
للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى
يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي تفعل
ذلك ولو جئتك بشيء مبين يصدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته
فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين
في ان لك بينة اي في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت
الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
روي ان فرعون لما رأى الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما
فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد
الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان
هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى
مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن
ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما
وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم
يفضلون عليه في هذا الفن وامالها ابن عامر وابو عمرو والكسائي وقرئ
بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين
وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم
في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا هل انت باعث دينار
لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا
نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى
لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم

لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة
عليه ان غلبوا فاذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر
وهما لغتان قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى بعد ما قالوا له
اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه
بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق فالقوا
حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على
ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان
يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرا حفص
تلقف بالتخفيف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم
وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية
للمأفوك مبالغة فالقى السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر
وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان
التبحر في كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم
لما راوا لم يتمالكوا انفسهم وكانهم اخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى
القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القى
بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدل للتوضيح
ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما قال
امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا
دون شيء ولذلك غلبكم او فوادعكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس
على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرا حمزة والكسائي
وابو بكر وروح اامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له
قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا
فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله او بسبب
من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من
اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة
المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة

بالخاتمة او على طريقة المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا
الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق
ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرا ابن كثير ونافع ان اسر
بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم حتى اذا اتبعكم
مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون
على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل
فرعون في المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون
على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى
جنوده اذ روي انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة
القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط
منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون
وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار اولا الى
عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم
ووجوب في شانهم حثا عليه او اعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا
يظن به ما يكسر سلطانه وقرا ابن عامر والكوفيون حاذرون والاول
للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر
لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي
السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح فان
ذلك يوجب حدادة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج
بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم
يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا
فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر
كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم
وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءا
الجمعان تقاربا بحيث راى كل منهما الاخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب
موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع
ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم
فان الله تعالى وعدكم الخلاص ان معي ربي بالحفظ والنصر

سيهدين طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما
اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق
اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مالك فكان كل فرق كالطود
العظيم كالجبل المنيف الثابت فى تقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب
وازلفنا وقربنا ثمة الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم
وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك لآية واية اية وما كان اكثرهم
مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه واتل عليهم على مشركى العرب نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم وشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا
بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون
دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ
يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من
اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم
سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجئوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم
تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا
ينقلب به الباطل حقا فانهم اى هذه الآلهة التى تعبدونها عدو لى يريد انهم
اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة
عدوه او ان المغرى لعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر
فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة
بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل
مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير
لكل معبود عبدوه وكان من ابائهم من عبد الله الذى خلقنى فهو يهدين فانه يهدى
كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية

هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع
المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث
من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان
جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذى هو يطعمنى ويسقين
على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير
الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء
الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما
من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض
اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت
من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر فى مقدماته وهى المرض
ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى يستحقر دونها
الحيوة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر
انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط
والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها
والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذى
يميتنى ثم يحيين فى الآخرة والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا
على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه
من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث انى سقيم بل فعله كبيرهم
وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لى حكما كمالا
فى العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين
ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين
لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم
يحبونه ويثنون عليه او صادقا من ذريتى يجدد اصل دينى يدعو الناس
الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم واجعلنى من
ورثة جنة النعيم فى الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابى
بالهداية والتوفيق الى الايمان انه كان من الضالين طريق الحق

وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين الهتكم التى تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله تعالى ينطق الاصنام فيخاصم العبدة ويريد الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اى في استحقاق العبادة ويجوز ان يكون الضمير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء كما للمسلمين ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحد الصديق

الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمنى للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير وشرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتامل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح الياء في اجري في الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرا يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رايهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما على الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم

عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله إن أنا إلا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب إن قومي كذبون اظهارا بما يدعوا عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم عملهم فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم أغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه إن في ذلك لآية شاعت وتواترت وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية أتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها وإذا بطشتم بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تاديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء وأطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله تعالى اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال أمدكم بأنعام وبنين وجنات

وعيون

وعيون ثم اوعدهم فقال إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه إن هذا إلا خلق الأولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتتركون في ما هاهنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل وهو الطف ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر الاشجار النجات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الأرض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا إنما أنت من المسحرين الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اى من الاناسي فيكون ما أنت إلا بشر مثلنا تاكيدا له فأت بآية إن كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اى بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء

كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اى العذاب الموعد ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او تأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف على الانكار عليه بالابعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لد لالته على انه معدود في زمرتهم مشهور من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون اى من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر

في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا وان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين متنافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرا حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتهديداً للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار
الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب
اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب
العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقيقة تلك القصص وتنبيه
على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن
لم يتعلمها لا يكون الا وحياً من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك
وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولاً على الروح
ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم يتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها
لوح المتخيلة والروح الامين جبريل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر
وحمزة والكسائي بتشديد الزاء ونصب الروح الامين لتكون من المنذرين
عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا
ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون
ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسمعيل وشعيب ومحمد عليهم السلام
وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم
يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد عليه السلام ان يعلمه علماء
بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ
ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل
وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة
خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة
العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه اي ادخلناه في قلوب المجرمين
والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا مؤمنين فدلت الآية على انه
بخلق الله وقيل القرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا
عناداً لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم
بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن
منظرون تحسراً وتأسفاً افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر
علينا حجارة فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرأيت

افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاماً للحجة ذكرى تذكرة
ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها
صفة منذرين باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة
او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك
غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعمت
المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم
وما يصح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع
لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفات
الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات
لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من
المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر
عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم
روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلاً اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب
شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار
من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم
ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان
او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون
مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على
قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم
وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك
حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح
احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت
الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك فيما
بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما

وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه بان من شانه
قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه السلام انه هو السميع
العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين لما تقولونه الشياطين تنزل
على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد
ذلك بان بين ان محمد عليه السلام لا يصلح لان ينزلوا عليه من وجهين
احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان
بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات الله عليه
على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون
يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنوناً وامارات لنقصان
علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث
الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا
كذلك محمد عليه السلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد
فسر الاكثر بالكل كقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقواله على معنى
ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضماير للشياطين
اي يلقون السمع الى الملاء الاعلى قبل ان رجموا فيخطفون منهم بعض المغيبات
ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به الى اوليائه اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة
لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون
واتباع محمد ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعراً وقررته بقوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها
واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهاد وتمزيق الاعراض
والقدح والانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه
والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون
وكانه لما كان اعجاز القرآن من جهة اللفظ والمعنى وقد قدحوا في المعنى بانه
مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين
وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول لحال اربابها وقرا نافع يتبعهم
بالتخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيهاً لبعه بعضد الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون

ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو
قالوا هجواً ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله
بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان وكان عليه السلام يقول لحسان
قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال اهجهم
فوالذي نفس محمد بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا
من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام
والتهويل وقد تلاه ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منقلب
ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا
من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي
عليه السلام من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى

وصدق بمحمد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين
الاشارة الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو
كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار
الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه
وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم
وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه هدى وبشرى
للمؤمنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها
او خبران اخران او خبران لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من
تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين
يعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف
العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زينا اعمالهم القبيحة بان
جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب
عليهم ان يعملوها بترتب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون

ما يتبعها من ضر ونفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم
بالآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة
وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اى حكيم واى عليم والجمع
منهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل
والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس
كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم
بقوله اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا اى اذكر قصته اذ قال ويجوز
ان يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر اى عن حال الطريق لانه قد ضله
وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين
للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس
شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون
ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان
على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة
على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله
تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان
تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودى ان بورك
اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او
مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين
او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة من فى النار
ومن حولها من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله
نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حولها مكانها
والظاهر انه عام فى كل من فى تلك الوادى وحواليها من ارض الشام
الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا
وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى
والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له
امر عظيم ينتشر بركته فى اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين
من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة
ذلك الامر او تعجب من موسى لما دعاه من عظمته يا موسى انه
انا الله الهاء للشان وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله

والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد
انا القوى القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله
بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اى نودى ان بورك من فى النار
وان الق عصاك ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى انى انا الله
بتكرير ان فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة
وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب
ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد
به ويدل عليه قوله لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله انى لا يخاف
لدى المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس
اى من الله او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة يخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا
بعد سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر
من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان
فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف
اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة
صوف لا كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء
آفة كبرص فى تسع آيات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم
والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخير من
واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات
على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين
يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل
للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة مبينة اسم فاعل
اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر
نفسها لو كانت مما تبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا يهتدى
او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر
قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا
من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الاخرة ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة
من العلم وهو علم الحكم والشرايع او علما اى علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا
بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا
وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعنى من لم يؤت علما
او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم
وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذى لم يؤت
غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد
انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة والعلم
او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ تشهيرا لنعمة الله
وتنويها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير
وغير ذلك من عظايم ما اوتيه والنطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر
عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات
الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت
باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه السلام
مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض
الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى عنه انه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول
اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول
ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح
الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له
ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ
كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين
الذى لا يخفى على احد وحشر جمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون يحبسون اى يحبس اولهم لاخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على
واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال
او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان
ينزلوا اخريات الوادى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم
متوجهين الى الوادى فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت

بها ما يحضرها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك
اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم
سليمان وجنوده نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها
كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون
لا يدخله فى السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا
كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استيناف اى فهم سليمان
والقوم وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها
وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى من ادراك
همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعنى ان
اشكر نعمتك اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه ولا ينفلت
عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى التى انعمت
على وعلى والدى ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة
عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا
ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين فى عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد
فقال مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه
لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال مالى لا اراه ثم احتاط
فلاح انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسأل عن صحة
ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه فى الشمس او
حيث يأكله النمل او جعله مع ضده فى قفص او لاذبحنه ليعتبر به ابناء
جنسه او ليأتينى بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة
على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور
الثلثة ثلث المحلوف عليه لعطفه عليهما وقرأ ابن كثير اوليأتيننى بنونين الاولى
مفتوحة مشددة فمكث غير بعيد زمانا غير بعيد يريد الدلالة على سرعة رجوعه
خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعنى حال سبأ
وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى ادنى خلق الله واضعفه من
احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء
فى التاء باطباق وبغير اطباق وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير برواية
البزى وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبأ يقين

بخبر محقق روي انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم
واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة
فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد دليله لانه يحس
طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمن فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر
وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله تعالى وما خص به خاصة عباده اشياء
اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها انى
وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبا
او لاهلها واوتيت من كل شيء يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم
عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين
عرضا وسمكا او ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم
الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا
لله فصدهم لان لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم
او لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب الا بالتخفيف
على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كقوله فقالت
الا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيب وعلى هذا صح ان يكون
استينافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون امرا
بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة
لا عند قراءتها وقرئ هلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون
على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد
بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء
ما خفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار
وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع
فانه اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود والوجوب ومعلوم انه يختص
بالواجب لذاته وقرأ الكسائي وحفص تخفون وما تعلنون بالتاء الله
لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام واعظمها

واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف
من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين ام كذبت والتغيير
للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول
عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اي بعد ما القي اليها يا ايها الملأ
اني القي الي كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة
شانه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد في كوة
والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استيناف كانه قيل لها
ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان وانه
وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين
مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على
المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا
او التزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع
لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته
حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة
من اعظم الدلائل قالت يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري
الفتوى واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت
امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالؤها على الاجابة
قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو بأس شديد نجدة وشجاعة
والامر اليك موكول فانظري ماذا تأمرين من المقاتلة والصلح نطعك
ونتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما
احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية
واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم الى افساد
ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها
وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك
من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من
حالهم وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها
من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه

في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة
بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت
منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري
على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت
ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا
وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت
اليه نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرئيل بالحال وطلب الحق
واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة
بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء
بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب
به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمن اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما
جاؤا قال أتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على
تغليب المخاطب وقرئ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين
وحذف الياء فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير
مما آتاكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم
لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا تفرحون بما يهدى
اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم
والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان ما حملهم
عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع
ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من
سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون
قال يا ايها الملؤا ايكم يأتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض
ما خصه الله من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة
ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتوني
مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت
خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه
وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك
للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي امين

آمين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب
آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله به او سليمن
نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة
كانت بسببه والخطاب في انا آتيك به ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه
استبطأه فقال ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم
انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب
جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية
والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال
الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك
المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك
نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما رآه اي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا
للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا من فضل ربي
تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش
في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان
مثله قد مر في آية الاسرى ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول
مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في
اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عب الواجب
ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني كريم بالانعام
عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر
جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي أم تكون من الذين
لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله
ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة
في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كأنه هو
ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها وأوتينا
العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه
اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله

وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الايات وقيل انه من كلام
سليمن وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله
حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثم من المعجزات
التى لا يقدر عليها غير الله ولا يظهر الا على الانبياء او واوتينا العلم بالله وقدرته
وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون
غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا لله وصدها
ما كانت تعبد من دون الله وصدها عبادتها الشمس عن التقدم
الى الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق الى الايمان انها كانت
من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اى صدها
نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلى الصرح القصر وقيل عرصة
الدار فلما رأته حسبته لجة كشفت عن ساقيها روى انه امر قبل قدومها
فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات
البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا
فكشفت عن ساقيها وقرا ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا
على جمعه سؤق واسؤق قال انه انما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من
قوارير من الزجاج قالت رب انى ظلمت نفسى بعبادتى الشمس وقيل بظنى
سليمن فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة واسلمت مع سليمن لله
رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها
او زوجها من ذى تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء
فاذا هم فريقان يختصمون ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العذاب فانهم
كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا لولا تستغفرون الله قبل نزوله
لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل ح قالوا اطيرنا تشاءمنا بك
وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق مذ اخترعتم
دينكم قال طائركم سببكم الذى جاء منه شركم عند الله وهو
قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب
السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيط بهم

يحيط بهم الى ذكرناه هو الداعى اليه وكان فى المدينة تسعة رهط تسعة انفس
وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلث
او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون
فى الارض ولا يصلحون اى شانهم الافساد الخالص عن شوب
الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع
بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله
ليلا وقرا حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء
على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراآت الثلث لوليه لولى دمه
ما شهدنا مهلك اهله فضلا عن ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر
والزمان والمكان وكذلك مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء
مصدرا كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون
ونحلف انا لصادقون او الحال انا لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد
للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم
كقولك ما رايت ثمه رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة
ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون
بذلك روى كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم
انه يفرغ منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب
ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة
وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه بقوله فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت
ناقصة فخبرها كيف انا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لا خبر كان
لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرا الكوفيون ويعقوب
انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف
حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة
منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان فى
ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه
وكانوا يتقون الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا
واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه

بدل على الاول ظرف على ان فى آ اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح
او يبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش
ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة
للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لا قضاء
الوطر من دون النساء اللاتى خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون
تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فى معنى المخاطب فما
كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا
فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين
فى العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى امر رسوله بعد ما قص
عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله
من الايات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين
من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه لما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم
وحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين او لوطا بان يحمده على هلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة
من الهلاك آلله خير اما تشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرايهم
اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازن بينه وبين
من هو مبدا كل خير وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء
امن خلق السموات والارض التى هى اصول الكائنات
ومبادى المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله وانزل لكم
لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق
البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة
لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان
تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة
االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المنفرد بالخلق

بالخلق والتكوين وقرئ االها باضمار فعل مثل تدعون او تشركون وبتوسيط
مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون
عن الحق الذى هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن
خلق السموات وجعلها قرارا ابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتاتى
استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها اوساطها انهارا
جارية وجعل لها رواسى جبالا يتكون فيها المعادن وينبع من
حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح او خليجى فارس والروم
حاجزا برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون
الحق فيشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذى احوجه
شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة
واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف
السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض
خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم االه مع الله
الذى حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اى
تذكرون الاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة
المزيحة للفائدة وقرا ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص
بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم
وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر
للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى
فى تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار
حرها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية
لذلك من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب االه مع الله يقدر على
مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى الخالق القادر عن
مشاركة العاجز المخلوق امن يبدا الخلق ثم يعيده والكفرة
وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم
من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية االه مع الله يفعل
ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى اشراككم فان
كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من فى السموات والارض

الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة
اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع
المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى وان كان ممن في السموات
والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد
بمن في السموات من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه
يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون
ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اى وان وقرئ بكسر الهمزة
والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى علمهم
على الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ بان اضرب
عنهم وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو
ان القيمة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك
منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون
دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل و
الاضراب الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور
بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في علم الآخرة
تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها
غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزه والكسائي وحفص
بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو
فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك واصله تفاعل او افتعل
وقرئ ءادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل تدارك وبل
ادرك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او
مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك
على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على
ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان
لعمههم والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون
لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبله وتكرير الهمزة
للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من

او من حال الفناء الى الحيوة وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وابن
عامر والكسائي اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل من قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر
هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين
التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم
ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في حرج
صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر
ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد
العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم
ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام
مثل دنى وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما
يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز فيهم كالتصريح من غيرهم
وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس
بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها
فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه
فلا يشكرون بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما يخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت وما يعلنون
من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض
خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية
او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب مبين
بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين
بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل
عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة

مايقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق
المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى
تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم
رأساً وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما
شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
فان اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة
وحده وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن بآياتنا
من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع
القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون
ذراعاً ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام
وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى
وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فتبيض به
وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس
كانوا بآياتنا لا يوقنون بخروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن
وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح لا يوقنون لا يتيقنون وهي حكاية معنى
قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او كلمها على حذف الجار
ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب
بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة
كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها
علماً الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظراً
يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف
اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها
اما ذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت

للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا
غير ذلك ووقع القول حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد
ذلك عليهم بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فهم
لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان من جعل النهار
ليبصروا فيه سبباً من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم
في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار
مبصراً فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالاً من احوال المجعول
عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور
الثلثة ويوم ينفخ في الصور في الصور او في القرن صورة وصور كصوفة وصوف
وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في السموات
ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله اي لا يفزع
بان يثبت الله قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة
وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك
وكل اتوه اي حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ
حمزة وحفص اتوه على الفعل وقرئ اتاه لتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين
وقرئ دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين
حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله
وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما تفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله
خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة
وقيل خير منها اي هو خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون
يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من
الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد
فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وامن يعدى بالجار وبنفسه كقوله افامنوا

مكر الله وقراء الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ قيل بالشرك فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ فكبوا فيها على وجوههم
ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله تع ولا تلقوا بايديكم
هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ على الالتفات وباضمار القول اى قيل لهم ذلك
إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا امر الرسول ان يقول لهم
ذلك بعد ما بين لهم المبدء والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة
وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشانه والاستغراق فى عبادة ربه
وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها وقرئ التى حرمها
وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ خلقا وملكا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ المنقادين او الثابتين
على ملة الاسلام وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقايقه
فى تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم القران وان اتل فَمَنِ اهْتَدَى
باتباعه اياى فى ذلك فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ فان منافعه عائدة اليه وَمَنْ ضَلَّ
بمخالفتى فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول
الا البلاغ وقد بلغت وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به
سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفى الاخرة
فَتَعْرِفُونَهَا فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ فى السبعة
بالياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة قصص ثمان وثمانون اية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ نقراه
بقراءة جبريل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بعض
نبائهما مفعول نتلوا بِالْحَقِّ محقين لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم المنتفعون به إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته
او اصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة
كيلا يتفقوا عليه يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ وهم بنو اسرائيل والجملة حال من
فاعل جعل وصفة لشيعا او استئناف وقوله يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ

نِسَاءَهُمْ بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود من بنى اسرائيل يذهب
ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب
فما وجهه إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فلذلك اجتراء على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء
لتخيل فاسد وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ان نتفضل عليهم
بانقاذهم من باسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث
انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ
تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز
ان يجرى مجرى المقارنة وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً مقتدين فى امر الدين وَنَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ لما كان فى ملك فرعون وقومه وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ارض مصر والشام
واصل التمكين ان يجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق
الامر وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ من بنى اسرائيل مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ
من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء وفرعون وهامان
وجنودهما بالرفع وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى بالهام او رؤيا أَنْ أَرْضِعِيهِ ما
امكنك اخفاؤه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ بان يحس به فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ فى البحر يريد النيل
وَلَا تَخَافِي عليه ضيعة ولا شدة وَلَا تَحْزَنِي لفراقه إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ عن قريب
بحيث تامنين عليه وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ روى انها لما ضربها الطلق
دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض
هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها
من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم الح فرعون فى طلب المواليد واجتهد
العيون فى تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته فى النيل فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ
لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض
الحامل عليه وقراء حمزة والكسائى حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ فى كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله
ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان
ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما
ابتلوا به وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وَقَالَتِ
امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ هو
قرة عين لنا لانهما لما رايا اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لهما ابنة برصا

وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائل والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطاء في التقاطه او طمع النفع منه والتبني له او من احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فزعا من قولهم وما ؤهم بينهم فرغ اي هدر او من الهم لفرط وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزتها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقصها وانها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل من قبل قصها على اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك قالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه

عليه النشور وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ روي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى قده وعقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم العلماء والحكماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنباؤه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة واقعة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله فاصله فانهى حيوته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى فقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اوليائك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي كانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تطاول

على الناس ولا تنظر العواقب وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بين الناس فتدفع
التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله
فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى
يسرع صفة لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان
تخصصه بها يلحقه بالمعارف قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ يتشاورون
بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فَاخْرُجْ إِنِّي
لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ اللام للبيان وليس صفة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على
الموصول فَخَرَجَ مِنْهَا من المدينة خَائِفًا يَتَرَقَّبُ لحوق طالب قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ خلصني منهم واحفظني من لحوقهم وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قبالة مدين
قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر مسيرة ثمان قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ توكلا على الله وحسن ظن به
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها فجاء الطلاب عقيبه
واخذوا في الآخرين وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها
وَجَدَ عَلَيْهِ وجد فوق شفيرها أُمَّةً مِنَ النَّاسِ جماعة كثيرة مختلفين يَسْقُونَ
مواشيهم وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ في مكان اسفل من مكانهم امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا يختلط باغنامهم قَالَ مَا خَطْبُكُمَا اى شأنكما تذودان
قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة
الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه الى السقي
لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يَصْدُرَ اى ينصرف وقرئ الرُّعاء بالضم وهو
اسم جمع كالرُّخا وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا
اضطرارا فَسَقَى لَهُمَا مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر
حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة
القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى
الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ اى لاى شيء انزلت مِنْ خَيْرٍ قليل او كثير وحمله
الاكثرون على الطعام فَقِيرٌ محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل
انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون والغرض
منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ اى مستحيية
متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي
تزوجها موسى قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ ليكافيك أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا جزاء

جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته
لا طمعا في الاجر بل روى انه لما جاءه قدم طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت
لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا
وان من فعل معروفا واهدى بشيء لم يحرم اخذه فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يريد فرعون وقومه قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يعني
التي استدعته يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ لرعي الغنم إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل
وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه مجرب معروف روى ان شعيبا قال لها
وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت قوته باقلال الحجر وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته
وامرها بالمشي خلفه قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ان
تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او تثيبني من اجرك الله ثَمَانِيَ حِجَجٍ ظرف على الاولين
ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثماني حجج فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا عملت عشر
حجج فَمِنْ عِنْدِكَ فاتمامه من عندك لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد
لا نفسه فلعله جرى على معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي
الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرايع
في ذلك وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات
واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ اى ذلك
الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ اطولهما او اقصرهما
قَضَيْتُ وفيتك اياه فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب
بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او فلا اكون معتديا بترك الزيادة
كقولك لا اثم علي وهو ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال
ان قضيت الاقصر فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين ايهما على
من الغيث استهلت مواطره وقرئ واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتأكيد
الفعل اي الاجلين جردت عزيمتي لقضائه وعدوان بالكسر وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ من
المشارطة وَكِيلٌ شاهد حفيظ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ
بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على
الرجوع آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ابصر من الجهة التي تلي الطور قَالَ لِأَهْلِهِ

امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر بخبر الطريق أو جذوة عود غليظ سواء
كان في رأسه نار أو لم يكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى
غير خوار ولا دعر قال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها
ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم
تصطلون تستدفئون بها فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن أتاه النداء
من شاطئ الأيمن لموسى في البقعة المباركة متصل بالشاطئ أو صلة لنودي
من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة من الشاطئ أن يا موسى
أي يا موسى إني أنا الله رب العالمين هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظا فهو
طبقه في المقصود وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز أي فالقاها فصارت ثعبانا
واهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان في الهيئة والجثة أو في السرعة ولى مدبرا منهزما
من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى نودي يا موسى أقبل ولا تخف إنك من
الآمنين عن المخاوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك أدخلها
تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم إليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما
الحية كالخائف الفزع بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب
فيكون تكريرا لغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة ومبدأ لظهور
معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من
حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه من الرهب
من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص
بالفتح وبالسكون والكل لغات فذانك إشارة إلى العصا واليد وشدده ابن كثير
وأبو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان كقولهم أبره الرجل إذا جاء
بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل
فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما
فاسقين وكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف
أن يقتلون بها وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا معينا وهو في
الأصل اسم ما يعان به كالدفء اسم لما يدفأ به وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقني
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة إني أخاف أن يكذبون ولساني لا يطاوعني
عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد
الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف

محذوف قال سنشد عضدك بأخيك سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد
على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا
غلبة أو حجة فلا يصلون إليكما باستيلاء أو حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف
أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم
أو قسم جوابه لا يصلون أو بيان للغالبون في قوله أنتما ومن اتبعكما الغالبون
بمعنى أنه صلة لما تبينه أو صفة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما
جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل من
قبل مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر
وما سمعنا بهذا يعنون السحر أو ادعاء النبوة في آبائنا الأولين أي كائنا في أيامهم
وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم أني محق وأنتم مبطلون وقرأ
ابن كثير قال بغير واو لأنه قال جوابا لمقالهم ووجه العطف بالواو أن المراد حكاية
القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة
الدار العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار دار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة
لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب إنما
قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء إنه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم
من إله غيري نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه
ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله فأوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما
في السماء يمكن الترقي إليه ثم قال وإني لأظنه من الكاذبين أو أراد أن يبني له
رصدا يترصد منها أوضاع الكواكب ويرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها
لازمة لتحقق معلوماتها فلا يلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية
قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة
مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر
هو وجنوده في الأرض بغير الحق بغير الاستحقاق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون
بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الأخذ واستحقا

لسان الماخوذ كانه اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره وما قدروا
الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر
يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة
قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار
الى موجبها من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم
الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح
وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوار القلوب بهم تتبصر بها
الحقايق وتميز الحق والباطل وهدى الى الشرايع التى هى سبل الله ورحمة
لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى
منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربى يريد
الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربى منه
والخطاب لرسول الله اى ما كنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا
اليه الامر الذى اردناه تعريفه وما كنت من الشاهدين للوحى اليه او على الوحى
اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على اخباره عن ذلك
من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه
بقوله ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر اى ولكنا اوحيناه اليك
لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت
الشرايع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت
ثاويا مقيما فى اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرؤ عليهم تعلما
منهم اياتنا التى فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه التورية وبالاول
حيث ما استنباه لانهما المذكوران فى القصة ولكن رحمة من ربك ولكن
علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف
ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة
وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت
مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان

ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
لولا الاولى امتناعية والثانى تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بالفاء
تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى
السببية المشبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به
وانه لا يصدر عليهم حتى يلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم
اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا
يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انا ارسلناك
قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعنى الرسول المصدق بنوع من
المعجزات ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى
من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما اوتى موسى من
قبل يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى عليه السلام وكان
فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهارون او موسى ومحمدا عليهما
السلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران
بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب
الاعجاز وقرئ اظهارا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اى بكل منهما او بكل
الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى
واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المعنى بالساحرين موسى ومحمد اتبعه ان كنتم
صادقين انا ساحران مختلفان فهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت
ولعل مجئ حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب
الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء
وباللام الى الداعى فان عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب
الى الندا فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا
حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفى بغير هدى من الله
فى موضع الحال للتاكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدى
القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم
القول اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم ليتقرر الدعوة بالحجة
والمواعظ بالمواعيد والنصايح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون
الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين
من اهل الانجيل اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير

فى من قبله للقرآن كالمستكن فى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به اى بانه كلام الله انه الحق من ربنا استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استيناف اخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما راوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ولكن الله يهدى من يشاء فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال خدع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ثمرات كل شئ من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان حالهم هذا وهم عبدة الاصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكم اهلكنا من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية

خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وساير متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث فى امها فى اصلها التى هى من اعمالها لان اهلها يكون افطن وانبل رسولا يتلوا عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر وما اوتيتم من شئ من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدى افلا تعقلون فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء هو ابلغ فى الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السبب كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالالام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب والعذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الاية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا اغيا مثل ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وان كانت فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم

من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازبا بهم
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب
وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم
الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى
اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن
انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره
والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى
الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم
وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا
عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل
صالحا وجمع بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق
على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار
لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير فظاهره
نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار
الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قولهم لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه محذوف
والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله تنزيها
له ان ينازعه احد او يزاحمه اختيار اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او
مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول وحقده
وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون
فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل
شئ واليه ترجعون بالنشور قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما
وهو من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان
الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله يأتيكم بضياء
وكان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين

بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل أرأيتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق
الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال
ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك
الليل ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا
تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار بانواع
المكاسب ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ويوم
يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه
لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد رأيهم والثانى لبيان
انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا
وهو نبيهم ليشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم
تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله فى الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم
وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم
موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب
الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه
فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة
وانا فى غير شئ الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه
مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها
المفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء
الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها
فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم
عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم
وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين
اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما
يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك
المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك

وَاَحْسِنْ الى عباد الله كَمَا اَحْسَنَ اللهُ اِلَيْكَ فيما انعم الله عليك وقيل احسن بالشكر
والطاعة كما احسن اليك بالانعام وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْاَرْضِ نهى له عما كان من الظلم
وابتغى بامر يكون علة للظلم والبغى اِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ لسوء افعالهم قَالَ اِنَّمَا
اُوتِيْتُهُ عَلٰى عِلْمٍ عِنْدِى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه
والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء
وقيل علم التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى
صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى اَوَلَمْ يَعْلَمْ
اَنَّ اللهَ قَدْ اَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُوْنِ مَنْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَاَكْثَرُ جَمْعًا تعجيب وتوبيخ
على اعتذاره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه فى التورية وسمعه من حفاظ
التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى اعنده مثل ذلك
العلم الذى ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع المهالكين وَلَا يُسْئَلُ
عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُوْنَ سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم
يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه
واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن ما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم
معاقبهم عليها لا محالة فَخَرَجَ عَلٰى قَوْمِهٖ فِى زِيْنَتِهٖ كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه
الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قَالَ الَّذِيْنَ يُرِيْدُوْنَ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا على ما هو عادة الناس من الرغبة يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا اُوْتِىَ قَارُوْنُ
تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد اِنَّهٗ لَذُوْ حَظٍّ عَظِيْمٍ من الدنيا وَقَالَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا
الْعِلْمَ باحوال الآخرة للمتمنين وَيْلَكُمْ دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثَوَابُ
اللهِ فى الآخرة خَيْرٌ لِمَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها وَلَا يُلَقّٰيهَا
الضمير فيه التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل
الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة اِلَّا الصَّابِرُوْنَ على الطاعات وعن المعاصى فَخَسَفْنَا بِهٖ
وَبِدَارِهِ الْاَرْضَ روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام
موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه
فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون فجرت بفلانة فاحضرت
فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى
فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه

خذيه فاخذته الى ركبتيه ثم قال خذيه فَاَخَذَتْهُ الى وسطه ثم قال خذيه فخسفت به
وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك
مرارا فلم ترحمه وعزتى لو دعانى مرة فاجبته قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله
حتى خسف بداره وامواله فَمَا كَانَ لَهٗ مِنْ فِئَةٍ اعوان مشتقة من فاءوت
راسه اذا ميلته يَنْصُرُوْنَهٗ مِنْ دُوْنِ اللهِ فيدفعون عنه عذابه وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِيْنَ
الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه عنه فامتنع فَاَصْبَحَ الَّذِيْنَ
تَمَنَّوْا مَكَانَهٗ منزلته بِالْاَمْسِ منذ زمان قريب يَقُوْلُوْنَ وَيْكَاَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَيَقْدِرُ يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط
ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه
والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الرزق وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك
اعلم ان الله لَوْلَا اَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا فلم يعطنا ما تمنينا لَخَسَفَ بِنَا لتوليده فينا ما ولده
فيه فخسف به لاجله وَيْكَاَنَّهٗ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُوْنَ لنعمة الله او المكذبون برسله
وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تِلْكَ الدَّارُ الْاٰخِرَةُ اشارة تعظيم كانه قال تلك التى
سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لَا يُرِيْدُوْنَ عُلُوًّا فِى
الْاَرْضِ غلبة وقهرا وَلَا فَسَادًا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون وَالْعَاقِبَةُ
المحمودة لِلْمُتَّقِيْنَ ما لا يرضاه الله مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهٗ خَيْرٌ مِنْهَا ذاتا وقدرا ووصفا
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ وضع فيه الظاهر موضع الضمير
تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ الا مثل ما كانوا يعملون
فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة اِنَّ الَّذِىْ فَرَضَ عَلَيْكَ
الْقُرْاٰنَ اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لَرَادُّكَ اِلٰى مَعَادٍ اى معاد وهو
المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة
رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد
المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى
مولده ومولد ابائه فنزلت قُلْ رَبِّىْ اَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدٰى وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم وَمَنْ هُوَ فِىْ ضَلَالٍ مُبِيْنٍ وما استحقه من العذاب
والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وَمَا كُنْتَ تَرْجُوْا اَنْ يُلْقٰى
اِلَيْكَ الْكِتَابُ اى سيردك الى معادك كما القى الكتاب وما كنت ترجوه اِلَّا رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القى
اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فَلَا تَكُوْنَنَّ ظَهِيْرًا لِلْكَافِرِيْنَ بمداراتهم

والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها
بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصد وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده
ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج
وقطع اطماع المشركين عن مساعدتهم لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه الا ذاته
فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ فى الخلق
واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له
من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل
استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل
للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما كقوله
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم
آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم آمنا هو الثانى كقولك حسبت
ضربه للتأديب وانفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر
عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من
الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل
فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم
بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب
او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع
خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا
حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم
ولذلك قيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ فليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس
او فليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيئات الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا
يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة
والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون

يحكمون اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من
كان يرجوا لقاء الله فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت
والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع
السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل
الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا
لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضاء وهو
السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر
على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله
لغنى عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة
لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان
والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء
اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى ذاته حسن
لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك
حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى قلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق بما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا او احسانا
وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم بالالهية عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا
بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة
لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر الى مرجعكم مرجع من آمن
منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية
نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل
من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان
والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى جملتهم
والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله والمرسلين او فى مدخلهم
وهى الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله بان عذبهم الكفرة
على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان كعذاب
الله فى الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم
فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا عن اذى المشركين
ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما فى صدور العالمين من الاخلاص والنفاق
وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازى الفريقين وقال الذين

كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذى نسلكه فى ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان
ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان
تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم من شىء انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير
وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم
واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصى
من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شىء وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع
وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التى اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روى انه بعث
على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل
اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما
يقرب منه ولما كان فى ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من
القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابد من الكفرة واختلاف
المميزين لما فى التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة
من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة
ومن ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة
نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة آية للعالمين
يتعظون ويستدلون بها وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع
على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلناه حين
كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر
واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير
مما هو شر او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله
اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا فى تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها
وتنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ
تخلّقون من خلّق للتكثير وتخلقون من تخلّق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا
دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون
ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله

كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ
بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبونى فقد كذب امم من قبلكم من قبلى من الرسل
فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب وكذا تكذيبكم
وما على الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا
يكذب فالآية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان
تكون اعتراضا بذكر شأن النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد
على سوء صنيعهم توسط بين طرفى قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول والتنفيس
عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله
فيهم بحال ابراهيم فى قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها
وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار
بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه
ويجوز ان يكون الاعادة بان ينشئ فى كل سنة مثل ما كان فى السنة السابقة من النبات
والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر
من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر فى فعله الى شىء قل سيروا فى الارض حكاية
كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف
الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التى هى
الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح
باسم الله تعالى مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة
على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة
على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرأفة
ان الله على كل شىء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته على كل الممكنات على سواء فيقدر
على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من
يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم فى الارض
ولا فى السماء ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصن
فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان امن يهجو رسول
الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يحرسكم
عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتى اى

ييأسون منها يوم القيمة فعبّر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا
لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه
قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه
وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل منهم ورضى به الباقون اسند الى كلهم فانجاه
الله من النار اى فقذفوه فيها فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما
ان في ذلك في انجائه منها لايات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها
في زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالتفحص عنها
والتأمل وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اى
لتتوادّوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف
ويجوز ان يكون المودّة المفعول الثاني بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودودة اى
اتخذتم اوثانا سبب المودّة بينكم وقراءها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة
بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي ورويس مرفوعة مضافة على
انها خبر مبتداء محذوف اى هي مودودة او سبب مودّة بينكم والجملة صفة اوثانا
او خبر انّ على انّ ما مصدرية او موصولة والعايد محذوف وهو المفعول الاوّل
وقرئ مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودّة
بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر
والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم
ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط
وهو ابن اخته واوّل من آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم يحرقه وقال
اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الذي يمنعني من
اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي روى انه هاجر من كوثى سواد
الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة
من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم
الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره
على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار
النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه
في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم
او ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في

في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على
الاستفهام في الثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرّر
لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزّت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس
حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل
وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق
او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون
في ناديكم في مجالسكم الغاصّة ولا يقال النادي الا لما فيه اهله المنكر كالجماع
والضراط وحلّ الازار وغيرها من القبايح عدم مبالات بها وقيل الحذف
بالحصى والرمي بالبنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله
ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ
قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنّها
فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء
بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد
والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية
لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم
وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا اعتراض
عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبي بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به
وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل بمن عداه واهله
او تأقيت للاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت
من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ
بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتأكيد
الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه
اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له
وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما رأوا فيه اثر
الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف
ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع الكاف جرّ على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل

هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم
ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هى حكايتها الشايعة او اثار الديار
الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا
او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر
وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل
صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها فاصبحوا فى دارهم فى بلدهم او دورهم ولم
يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار
اذكر او فعل دل عليه ما قبل مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير منصرف
على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم
من الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السبيل السوى وكانوا مستبصرين متمكنين
من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل
ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون
لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين
فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه
عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبا ريحا عاصفا فيها الحصباء او ملكا
رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذاك من عادته ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
فيما اتخذوا معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته من الوهن
والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه
لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك

من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل
فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه
من شىء على اضمار القول اى قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب
بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها
ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشىء مفعول تدعون او مصدرية وشىء مصدر
او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين
تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على
المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا ممن هذا شانه وان الجماد بالاضافة
الى القادر القاهر على كل شىء البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من
هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعنى هذا المثل ونظايره نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفايدتها الا العالمون
الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغى وعنه عم انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير
قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته
كما اشار اليه بقوله ان فى ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحى اليك
من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ
المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلوة
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال
الاشتغال وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روى ان
فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا اركبه
فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب ولذكر الله اكبر والصلوة
اكبر من ساير الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل فان اشتمالها على ذكره وهى العمدة فى
كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه لطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن ساير الطاعات فيجازيكم بها احسن
المجازات ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا بالخصلة التى هى احسن
كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية
السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذووا العهد منهم
الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله
مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم هو

من المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم لاتصدقوا اهل
الكتاب ولاتكذبوه وقولوا امنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم
تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ
مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله وَكَذَٰلِكَ مثل ذلك الانزال أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وحيا مصدقا لسائر
الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ هم عبد الله
ابن سلام واحزابه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتاب وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ ومن العرب او اهل مكة او ممن في عهد الرسول من اهل
الكتابين مَن يُؤْمِنُ بِهِ بالقرآن وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا مع ظهورها وقيام الحجة
عليها إِلَّا الْكَافِرُونَ الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما
يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وَمَا كُنتَ
تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع
الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للنفي
ونفي للتجوز في الاسناد إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ اي لو كنت ممن يخطه ويقرء لقالوا
لعله تعلمه او التقطه من كتب المتقدمين وانما سماهم مبطلون لكفرهم او لارتيابهم
بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم
نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بَلْ هُوَ
بل القرآن آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ يحفظونه لا يقدر احد تحريفه
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلايل
اعجازها حتى لم يعتدوا بها وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ مثل ناقة صالح وعصى
موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ليس شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ آية
مغنية عما اقترحوه أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ تدوم تلاوته عليهم متحدين
فلا يزال معهم آية ثابتة لا يضمحل بخلاف ساير الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك إِنَّ فِي ذَٰلِكَ في ذلك الكتاب الذي هو آية
مستمرة وحجة مبينة لَرَحْمَةً لنعمة عظيمة وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وتذكرة لمن همه
الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها
بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوما ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ماجاء

الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا بصدقي وقد صدقني
بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فلا يخفى عليه حالي وحالكم وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ
وهو ما يعبد من دون الله وَكَفَرُوا بِاللَّهِ منكم أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ في صفقتهم
حيث اشتروا الكفر بالايمان وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ بقولهم امطر علينا حجارة من
السماء وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لكل عذاب او قوم لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عاجلا وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً
فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت بهم وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ باتيانه
يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب
او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على
وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا
بحكم الجنس على حكمهم يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ من جميع جوانبهم وَيَقُولُ الله او بعض ملائكته بامره
لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ اي جزاءه يَا عِبَادِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم
يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض
الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء
جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها في غيرها كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ تناله لا محالة ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ للجزاء ومن
هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم لننزلنهم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا علالي وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم
اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ
وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الَّذِينَ صَبَرُوا على اذية المشركين
والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ولا يتوكلون الا على الله
وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة
عندها اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ثم انها مع ضعفها او توكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء
في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق كل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا
على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وَهُوَ السَّمِيعُ بقولكم هذا الْعَلِيمُ بضميركم وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

والارض وسخر الشمس والقمر المسؤل عنهم اهل مكة ليقولن الله لما تقرر في العقول وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لايكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لايقدر على شيء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لايعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل لايعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهي لاتزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت وجعلت هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لايذكرون الا الله ولايدعون سواه لعلمهم بانه لايكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لايقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول

الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي لم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قراء سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية وهي ستون وتسع خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب والجلب سيغلبون في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لايقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب عنه بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل

ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو
وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا اوحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه
وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلاً وبعداً اى اولاً واخراً ويومئذ
ويوم يغلبه الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من
انقلاب التفأل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم وازدياد
يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض
اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز
الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن
اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحته وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التى هى غايتها
والمقصود منها هم غافلون لا يخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى ومبتداء وغافلون
خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى
الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقرير الجهالتهم وتشبيهالهم بالحيوانات المقصور
ادراكها من الدنيا ببعض زخارفها فان من العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها و
خصايصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك
نكر ظاهرا واما باطنها انها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعار
بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا اولم يتفكروا فى انفسهم
اولم يحدثوا التفكر فيها اواولم يتفكروا فى امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة
يجتلى فيها للمستبصر ما يجتلى له فى الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها
قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى ينتهى عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من
الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون
جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لا تكون اولم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم فى اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين
من قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما
عمروها عن عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيرها وفيه
تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها

امرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتصرف فى اقطار الارض بانواع
العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لا نفع لها وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
او الايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من
غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم
ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء اى ثم كان عاقبتهم العقوبة السوءا او الخصلة
السوءا فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم
جاؤا بمثل افعالهم والسوءا تانيث اسوء كالحسنى او مصدر كالبشرى نعت بها ان
كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوءا او خبر كان
والسوء مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله
على قلوبهم حتى كذبوا بالايات واستهزؤا بها ويجوز ان يكون السوءا صلة الفعل وان
كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل او يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا
كانت بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون
عاقبة بالنصب على ان الاسم السوى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم
ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة فى المقصود وقرأ
ابو بكر وابو عمرو وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون
متحيرين ايسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة البلاس
التى لا ترغوا وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوا
بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضى لتحققه وكانوا بشركائهم
كافرين يكفرون بالهتهم حيث يئسوا منهم وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب
فى المصحف شفعوا وعلموا ابنى اسرائيل بالواو واسواء بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذى منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اى المؤمنون والكافرون لقوله
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون
يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
فاولئك فى العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون فيه فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار فى معنى الامر
بتنزيه الله تعالى هو الثناء عليه فى هذه الاوقات التى يظهر فيها قدرته ويتجدد فيها نعمته او دلالة
على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه تعالى واستحقاقه الحمد ممن له التمييز
من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة
فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو اخر النهار من عشى العين اذا نقص نورها والظهيرة

التى هى وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله
وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون
صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر
ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت
اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه صلى الله عليه وسلم
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين الاية وعنه
صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك ما فاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت من الحى النطفة والبيضة او يعقب الحيوة بالموت وبالعكس
ويحيى الارض بعد موتها بيبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم
فانه ايضا يعقب الحيوة الموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم
من تراب فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم
وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء
خلقت من ضلع آدم وساير النساء خلقن من نطف الرجال او لانهن من جنسهم لا من
جنس آخر لتسكنوا اليها لتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر
وجعل بينكم اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة
الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف ساير الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف
على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة
عن الولد كقوله ورحمة منا ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما فى ذلك من
الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم الله كل
صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد
تسمع منطقين متساويين فى الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيط الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما
واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ ذلك لا محالة ان فى
ذلك لايات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ حفص بكسر
اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى
الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين

بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما
فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده ساير الايات الواردة فيه ان فى ذلك لايات
لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم
البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت
مخلدى او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه
او صفة لمحذوف تقديره اية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما
اموت واخرى ابتغى العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا فى الغيث
للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم يستلزم رؤيتهم او له
على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشياطين او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من السماء ماء
وقرئ بالتشديد فيحيى الارض بالنبات بعد موتها بيبسها ان فى ذلك لايات
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره قيامهما اقامته لهما
وارادته لقيامهما فى حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال
القدرة والغنى عن الالة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف
على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم
من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب
حصول ذلك على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعى
المطاع على دعائه وثم اما للتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض متعلق بدعا كقوله
دعوته من اسفل الوادى فطلع الى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبله واذا الثانية
للمفاجاة ولذلك ناب مناب الفاء فى جواب الاولى وله من فى السموات والارض
كل له قانتون منقادون لفعله فهم لا يمتنعون عليه وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده بعد
هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
الى اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو
لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الوصف العجيب الشأن كالقدرة العامة
والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى
الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فى السموات والارض يصفه به ما فيهما دلالة
ونطقا وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذى يجرى
الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التى هى

اقرب لامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة
مزيدة لتاكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه
كخيفتكم انفسكم كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل
الايات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
فى تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شئ
فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدى من اضل الله فمن يقدر على هدايته
وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن افاتها فاقم وجهك للدين
حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عليه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه
والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها
التى فطر الناس عليها التى خلقهم عليها وهى قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة
الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد ماخوذ من ادم
وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغى ان يغير ذلك اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوى
الذى لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين
اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب
وهو حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله او فى اقم لان الاية خطاب للرسول
والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب
الرسول تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما
يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرا حمزة والكسائى فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذى امروا به
وكانوا شيعا فرقا يشايع كل امامها الذى اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون
ظنا بانه على الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس
ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه
رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجاء فريق منهم بالاشراك
بربهم الذى عافاهم ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل اللام بمعنى التهديد
لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان
اى ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق

او ينطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذى بسببه يشركون به
فى الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها
وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون
فاجؤا القنوط من رحمته وقرا ابو عمرو والكسائى بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين
ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على ان وجوب النفقة للمحارم وهو
غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما من الزكوة والخطاب للنبى صلى الله
عليه وسلم او لمن بسط له الرزق ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين
يريدون وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم
وما اتيتم من ربا زيادة محرمة فى المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرا
ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربوا فى اموال الناس ليزيد
ويزكوا فى اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك فيه وقرا نافع ويعقوب
لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا اذا ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون
وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف
المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة
وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم
كانه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك
فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون
به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما
اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان
ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكونوا له شركاء فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط
من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء
والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منهما مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا
حمزة والكسائى بالتاء ظهر الفساد فى البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم

وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدى الناس بشوم معاصيهم
اوبكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه وفى البحر بان جلندى كان يأخذ
كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى عملوا بعض جزائه فان تمامه فى الاخرة واللام
للعلة اوللعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون
عما هم عليه قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا
مصداق ذلك ويتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استينافٌ للدلالة على ان سوء
عاقبتهم كان لفشوّ الشرك وغلبته فيهم اوكان الشرك فى اكثرهم ولما دونه من المعاصى
فى قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان يأتى يوم لا مردّ له
لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتى ويجوز ان يتعلق بمردّ لانه مصدر على
معنى لا يردّه الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصّدّعون يتصدّعون اى يتفرقون
فريق فى الجنّة وفريق فى السعير كما قال تعالى من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النّار
المؤبّدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوّون منزلا فى الجنّة وتقديم الظرف
فى الموضعين للدّلالة على الاختصاص ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
علة ليمهدون اوليصّدّعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود
بالذات والاكتفاء فى فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة
للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصّلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل
له وقوله من فضله دالّ على انّ الاثابة تفضّل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على
الثواب عدول عن الظاهر ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصّباء والجنوب
فانها رياح الرّحمة واما الدّبور فريح العذاب ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقراء ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على ارادة
الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعنى المنافع التابعة لها وقيل
الخصب التابع لنزول المطر المسبّب عنها او الرّوح الّذى هو مع هبوبها والعطف على
علّة محذوفة دلّ عليها مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلّل
عليه ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعنى تجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام
لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه صلّى الله عليه
وسلّم ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يردّ عنه نار جهنم ثم تلا
ذلك وقد يوقف على حقّا على انه متعلّق بالانتقام الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا

سحابا فيبسطه متصلا تارة فى السماء فى سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا
مطبقا او غير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة
اخرى وقراء ابن عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف فترى
الودق اى المطر يخرج من خلاله فى التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده
يعنى بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب وان كانوا من قبل ان
ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام
يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لايسين فانظر الى اثر رحمة
الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى
وحفص كيف يحيى الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان
ذلك يعنى الذى قدر على احياء الارض بعد موتها لمحيى الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث
لمثل ما كان فى مواد ابدانهم من القوى كما انّ احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى
النباتيّة هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت
من جنسها فى بعض الاعوام السالفة وهو على كل شئ قدير لان نسبة قدرته الى جميع
الممكنات على سواء ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا فراوا الاثر او الزرع فانه مدلول
عليه بما تقدّم وقيل السّحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطّئة للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سادّ مسدّ الجزاء
ولذلك فسّر بالاستقبال وهذه الايات ناعية على الكفار بقلّة تثبتهم وعدم تدبرهم
وسرعة تزلزلهم لعدم تفكّرهم وسوء رأيهم فانّ النظر السّوى يقتضى ان يتوكّلوا
على الله ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطّاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا
فى الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا
نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدّوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصّمّ
الدّعاء اذا ولوا مدبرين قيّد الحكم به ليكون اشدّ استحالة فانّ الاصمّ المقبل
وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا وقرأ ابن كثير بالياء المفتوحة
ورفع الصّمّ وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود
الحقيقى من الابصار او بعمى قلوبهم وقراء حمزة وحده تهدى العمى ان تسمع الا من
يؤمن باياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقّى اللفظ وتدبّر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن
المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به الله الذى خلقكم من ضعف
اى ابتداءكم ضعفاء وجعل الضّعف اساس امركم كقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا

اوخلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً وذلك
اذا بلغتم الحلم اوتعلق بابدانكم الروح ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً اذا
اخذ منكم السن وفتح حمزة وعاصم الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قرأتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضَعف فاقرأنى من ضُعف وهما لغتان كالفقر
والفُقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم ليس عين المتأخر يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من ضعف
وقوة وشيبة وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ فان الترديد فى الاحوال المختلفة مع امكان
غيره دليل على العلم والقدرة وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ القيمة سميت بها لانها تقوم
فى اخر ساعة من ساعات الدنيا اولانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب
للزهرة يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث
او انقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام غَيْرَ سَاعَةٍ استقلوا مدة لبثهم اضافة الى مدة عذابهم
فى الاخرة اونسيانا كَذَلِكَ مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كَانُوا يُؤْفَكُونَ
يصرفون فى الدنيا وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ من الملائكة والانس
لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فى علمه وقضائه او ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القران
وهو قوله ومن ورائهم برزخ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه
فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ الذى انكرتموه وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ انه حق لتفريطكم فى
النظر والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه
اى فقد تبين بطلان انكاركم فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وقرأ
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر اولان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما
وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة
والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى
فارضيته وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ولقد وصفنا لهم فيه
بانواع الصفات التى هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما
يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم بكل مثل ينبئهم على التوحيد والبعث وصدق الرسول وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ
بِآيَةٍ من ايات القران لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا من فرط عنادهم وقساوة قلوبهم
إِنْ أَنْتُمْ يعنون الرسول والمؤمنين إِلَّا مُبْطِلُونَ مزورون كَذَلِكَ مثل ذلك
الطبع يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات
اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فَاصْبِرْ على اذاهم

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حَقٌّ لا بد من انجازه
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ولا يحملنك على الخفة والقلق الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ بتكذيبهم وايذائهم
فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف النون وقرئ
لا يستحقنك بالقاف اى يزيغوك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع فى يومه وليلته

سورة لقمان اربع وثلثون وثلث اية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ سبق بيانه فى يونس
هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ حالان عن الايات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة
على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها بها
وتكرير الضمير للتأكيد ولما حيل بينه وبين خبره أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ
الْحَدِيثِ ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك
وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية
ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث
بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم
واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام
ومنعه عنه لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح
الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بِغَيْرِ عِلْمٍ بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل
اللهو بقراءة القران وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى
ويعقوب وحفص عطفا على ليضل أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم الحق
باستيثار الباطل عليه وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا متكبرا لا يعبأ بها
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا مشابها حاله حال من لم يسمعها كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا مشابها من
فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى ومستكبرا والثانية
بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خَالِدِينَ فِيهَا

حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا مصدران
مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا
وَهُوَ الْعَزِيزُ الذى لا يغلبه شئ فيمنعه من انجاز وعده ووعيده اَلْحَكِيمُ الذى
لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قد سبق فى الوعد
وَاَلْقٰى فِى الْاَرْضِ رَوَاسِىَ جبالا شوامخ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميد بكم فان
تشابه اجزائها يقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها
لذاته او بشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَاَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَاَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته
التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله
هٰذَا خَلْقُ اللّٰهِ فَاَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ هذا الذى ذكر مخلوقه فماذا خلق
آلهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته
واورونى معلق عنه بَلِ الظَّالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم
بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون
باشراكهم وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ يعنى لقمان بن باعورا من اولاد آزر ابن اخت
ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتى قبل
مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلماء استكمال النفس
الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة
على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وان داود
قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يد غيرى فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق
صعقة وانه امر بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب
ثم بعد ايام امر بان يأتى باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال
هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا اَنِ اشْكُرْ لِلّٰهِ لان اشكر او اى اشكر فان ايتاء
الحكمة فى معنى القول وَمَنْ يَشْكُرْ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ لان نفعه عائد اليها وهو دوام
النعمة واستحقاق مزيدها وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِىٌّ لا يحتاج الى الشكر حَمِيدٌ حقيق
بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال وَاِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ
وَهُوَ يَعِظُهُ انعم او اشكم او ماثان يَا بُنَىَّ تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بنى لَا تُشْرِكْ
بِاللّٰهِ باسكان الياء وقنبل يا بنى اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفى يا بنى انها
ان تك بفتح الياء والبزى مثله فى الاخير والباقون فى الثلثة بكسر الياء لَا تُشْرِكْ بِاللّٰهِ

بِاللّٰهِ قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما اِنَّ
الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه وَوَصَّيْنَا الْاِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ اُمُّهُ وَهْنًا ذات وهن او تهن وهنا عَلٰى وَهْنٍ اى تضعف ضعفا فوق
ضعف فانها لا تزال تضاعف ضعفها والجملة فى موضع الحال وقرئ بالتحريك فقال
وَهَنَ يَهِنُ وَهْنًا وَوَهِنَ يَوْهَنُ وَهَنًا وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ وفطامه فى انقضاء عامين
وكانت ترضعه فى تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان
اَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال
وذكر الحمل والفصال فى البين اعتراض مؤكد للتوصية فى حقها خصوصا ومن ثم قال
عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك
اِلَىَّ الْمَصِيرُ فاحاسبك على شكرك وكفرك وَاِنْ جَاهَدَاكَ عَلٰى اَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ باستحقاق الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفى العلم نفيه فَلَا تُطِعْهُمَا فى ذلك
وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم وَاتَّبِعْ
فى الدين سَبِيلَ مَنْ اَنَابَ اِلَىَّ بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة ثُمَّ اِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ
مرجعك ومرجعهما فَاُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بان اجازيكم على ايمانكم واجازيهما على
كفرهما والايتان معترضتان فى تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيهما من النهى عن
الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة فى ذلك فانهما مع انهما
تلو البارى فى استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا فى الاشراك فما ظنك
بغيرهما ونزولهما فى سعد بن ابى وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلثا لم تطعم فيها شيئا
ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يَا بُنَىَّ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
خَرْدَلٍ اى ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا فى الصغر كحبة الخردل
ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال
الى الحبة كقول الشاعر كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة
فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ اَوْ فِى السَّمٰوَاتِ اَوْ فِى الْاَرْضِ فى اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاها
كمحدب السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر فى
وكنته يَأْتِ بِهَا اللّٰهُ يحضرها فيحاسب عليها اِنَّ اللّٰهَ لَطِيفٌ يصل علمه الى كل خفى خَبِيرٌ
عالم بكنهه يَا بُنَىَّ اَقِمِ الصَّلٰوةَ تكميلا لنفسك وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ تكميلا
لغيرك وَاصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ من الشدائد سيما فى ذلك اِنَّ ذٰلِكَ الاشارة الى الصبر
او الى كل ما امر به مِنْ عَزْمِ الْاُمُورِ مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر
اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ

للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو
الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرء نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا
تصاعر ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اى
فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب
كل مختال فخور علة للنهى وتاخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا
لتوافق رؤس الاى واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه
عليه السلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عمر رضى الله عنه كان اذا مشى اسرع
فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو
الرمية واغضض من صوتك وانقص شيئا منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين
وفى تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد
الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا
ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقدم شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة
وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده
وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله
بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير
لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد والاشراك وجواب لو محذوف
مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض
امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد
وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة
الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى
شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن
وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب
ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا

او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب
غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره
بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب
بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض
لا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغنى عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة
لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد
ممدودا بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حال او الابتداء على انه مستأنف او الواو للحال ونصبه
البصريان بالعطف على اسم ان واضمار فعل يفسره يمده وقرئ يمده وتمده بالتاء والياء
ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار
بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شئ حكيم لا يخرج عن
علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا
وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم
كل شئ ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شان
عن شان لانه يكفى لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا
لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر
كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى كل من النيرين يجرى في فلكه
الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الى اخر السنة والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة
والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمه غرضه حقيقة
او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك
اشارة الى الذى ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى
بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت
الهيته وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف
الا بجعله او الباطل الهيته وقرء البصريان والكوفيون غير ابى بكر بالياء وان الله هو
العلى الكبير مترفع عن كل شئ ومتسلط عليه الم تر ان الفلك تجرى في البحر بنعمة الله
باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه

والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز
فى مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان فى ذلك لآيات لكل
صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر فى الآفاق والانفس شكور يعرف النعم
ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم
علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة
كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد
بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد
الذى هو التوحيد او متوسط فى الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل
ختار غدار فانه نقض للعهد الفطرى ولما كان فى البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده لا يقضى عنه وقرئ
لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اى لا يجزى فيه ولا مولود
عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان
المولود اولى بان يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر فى الآخرة
ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى ان
الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روى ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال متى قيام الساعة وانى قد القيت حباتى فى الارض فمتى السماء تمطر وحمل
امرأتى ذكر او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح الغيب
خمس وتلا الآية وينزل الغيث فى ابانه المقدر له والمحل المعين له فى علمه وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما فى الارحام اذكر ام انثى اتام او ناقص وما تدرى
نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شئ وتفعل خلافه وما تدرى
نفس باى ارض تموت كما لا تدرى فى اى وقت تموت روى ان ملك الموت مر على
سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك
الموت فقال كانه يريدنى فمر الريح ان تحملنى وتلقينى بالهند ففعل فقال الملك كان
دوام نظرى اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم
لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل
حيله وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الصق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم
ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل فى كلهن
ان الله عليم بعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام

من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطى من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهى ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل
الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف او مبتدأ
خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا تعمل
فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فى
فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله
بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب
عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما
يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى
اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذى خلق
السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فى الاعراف
ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاء الله احد ينصركم ويشفع لكم
او ما لكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان
الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ
الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة وغيرها
نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فى يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك استطالة
ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه
فى زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين
السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله
يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا
يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص
وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز
الرحيم على العباد فى تدبيره وفيه ايماء بانه يراعى المصالح تفضلا واحسانا الذى احسن
كل شئ خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه

بدل من كل شئ بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اى
يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقراء نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف
فالشئ على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثانى بمتصل وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ يعنى
ادم عليه السلام مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ ذريته سميت به لانها تنسل منه
اى تنفصل مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ممتهن ثُمَّ سَوَّاهُ قوّاه بتصوير اعضائه على ما ينبغى
وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له
مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ
تشكرون شكرا قليلا وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن
وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نبعث او
يجدد خلقنا وقراء نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده
الى جميعهم لرضاهم به بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ بالبعث او بتلقى ملك الموت وما بعده كَافِرُونَ
جاحدون قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ يستوفى نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا والتفعل
والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته وتعجلته واستعجلته مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ
بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ للحساب والجزاء وَلَوْ تَرَى
إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ من الحياء والخزى رَبَّنَا قائلين ربنا أَبْصَرْنَا ما وعدتنا
وَسَمِعْنَا منك تصديق رسلك فَارْجِعْنَا الى الدنيا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ اذ لم يبق لنا
شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنى
والمضى فيها وفى اذ لان الثابت فى علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو
يكون منك رؤية فى هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول او لكل احد
وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ما يهتدى به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له
وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ثبت وعيدى وسبق قضائى وهو لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ وذلك تصريح لعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل
النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها
بقوله فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا فانه من الوسائل والاسباب المقتضية له إِنَّا نَسِينَاكُمْ
تركناكم من الرحمة او فى العذاب ترك المنسى وفى استينافه وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
فى الانتقام منهم وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من
التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصى كما علله بتركهم

تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضى ذلك إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا وعظوا بها خَرُّوا سُجَّدًا خوفا من عذاب الله
وَسَبَّحُوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بِحَمْدِ رَبِّهِمْ حامدين له شكرا على
وفقهم للاسلام واتاهم الهدى وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن الايمان والطاعة كما يفعل
من يصر مستكبرا تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ترتفع وتتنحى عَنِ الْمَضَاجِعِ الفرش ومواضع النوم
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ داعين اياه خَوْفًا من سخطه وَطَمَعًا فى رحمته وعن عليه السلام
فى تفسيرها قيام العبد فى الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والاخرين
جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم
الذين كانوا يحمدون الله فى البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى
الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء
فنزلت فيهم وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فى وجوه الخير فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ لا ملك
مقرب ولا نبى مرسل مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ مما تقر به عيونهم وعنه عليه السلام يقول الله اعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم
عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وقراء حمزة ويعقوب اخفى على
انه مضارع اخفيت وقرئ نخفى واخفى والفاعل للكل هو الله سبحانه وتعالى وقراة اعين
لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى جزوا جزاء او اخفى للجزاء فان اخفاءه لعلو شانه وقيل هذا القوم
اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا خارجا عن الايمان
لَا يَسْتَوُونَ فى الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى فانها المأوى الحقيقى والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل
المأوى جنة من الجنان نُزُلًا سبق فى ال عمران بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بسبب اعمالهم او على اعمالهم
وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ مكان جنة المأوى للمؤمنين كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا عبارة عن خلودهم وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ
اهانة لهم وزيادة لغيظهم وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من
السنة سبع سنين والقتل والاسر دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ عذاب الاخرة لَعَلَّهُمْ لعل من بقى
منهم يَرْجِعُونَ يتوبون عن الكفر روى ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه
الايات وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ولم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض
عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما فى بيت

الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين
منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن
في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا اتيناك
من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك ببدع مما لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء
موسى عليه السلام الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رايت ليلة اسري بي
موسى عليه السلام رجلا طوالا آدم جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اى المنزل
على موسى عليه السلام هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه
من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا وقرا حمزة والكسائي
وورش لما صبروا اى لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم
فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق
من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من
جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اى كثرة من اهلكناهم
من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون
في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اى قطع وازيل لا التي لا تنبت
لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم بالتبن والورق
وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى
هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة فانه يوم نصر المسلمين
على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم
فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى
باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع
الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر
النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي عليه السلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر
كانما احيا ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام

سورة الاحزاب مدنية سبعون وثلث آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما

تعظيما له وتفخيما لشان التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما
نهي عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اى فيما يعود بوهن في الدين روي ان
اباسفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت
بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس وقالوا له ارفض ذكر
الهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد
حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ومغن عن الاستماع الى الكفرة وقرأ
ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اى ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها
عنك وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اى ما جمع قلبين في جوف لان القلب معدن الروح
الحيواني المتعلق بالنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية
والامومية في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من
ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او جميل بن اسد الفهري ذو القلبين والزوجة
المظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن محمد او المراد نفي الامومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد اصل يحملون عليه والمعنى كما لم يجعل الله تعالى في جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون
كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعي الذين لا ولادة بينهما وبينه
امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللائي بالياء وحده واصل تظهرون
تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي
بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون
من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ
كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في
الاسلام يقتضي الطلاق والحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر
الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم
فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي على الشذوذ وكانه
شبهه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الاخير قولكم بافواهكم
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة
له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود

من اقواله الحقة وقوله هُوَ اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا
واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
الصدق فَاِنْ لَمْ تَعْلَمُوا اٰبَاءَهُمْ فتنسبوهم اليهم فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ فهم اخوانكم
في الدين وَمَوَالِيكُمْ واوليائكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التاويل وَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا اَخْطَاْتُمْ بِهِ ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي
او بعده على النسيان او سبق اللسان وَلٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ولكن الجناح فيما
تعمدت قلوبكم او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا لعفوه عن
المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت
النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ في الامور كلها
فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق
فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ من امرها وشفقتهم عليه اتم من
شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس
نستأذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته
من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وَاَزْوَاجُهُ
اُمَّهَاتُهُمْ منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات
ولذلك قالت عايشة لسنا امهات النساء وَاُولُوا الْاَرْحَامِ ذووا القرابات بَعْضُهُمْ اَوْلٰى
بِبَعْضٍ في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام في التوارث بالهجرة والموالات
في الدين فِي كِتَابِ اللّٰهِ في اللوح او فيما انزل وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرض الله
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة اِلَّا اَنْ تَفْعَلُوا اِلٰى اَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية
او منقطع كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القرآن
وقيل في التورية وَاِذْ اَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ
الرسالة والدعاء الى الدين القيم وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَاِبْرٰهِيمَ وَمُوسٰى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب شرايع وقدم نبينا تعظيما له وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا
غَلِيظًا عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف لِيَسْاَلَ الصَّادِقِينَ
عَنْ صِدْقِهِمْ اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه
لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق
صادقا والمؤمنين الذين صدقوا عهدهم وَاَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا اَلِيمًا عطف على اخذنا من جهة

من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل كانه
قال واثاب المؤمنين واعد للكافرين يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا
فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ريح الصبا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا الملائكة روي انه عليه السلام لما سمع
باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة الاف والخندق بينه وبينهم ومضى
على الفريقين قريب من الشهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا
باردة في ليلة شاتية فاحضرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت
خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبر الملائكة في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بَصِيرًا رائيا
اِذْ جَاؤُكُمْ بدل من اذ جاءتكم مِنْ فَوْقِكُمْ من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان وَمِنْ
اَسْفَلَ مِنْكُمْ ومن اسفل الوادي من قبل المغرب قريش وَاِذْ زَاغَتِ الْاَبْصَارُ مالت عن
مستوى نظرها حيرة وشخوصا وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع
فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وَتَظُنُّونَ
بِاللّٰهِ الظُّنُونَا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء
دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى
عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ اختبروا فظهر المخلص عن المنافق والثابت من المتزلزل وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح وَاِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ضعف اعتقاد مَا وَعَدَنَا اللّٰهُ وَرَسُولُهُ من الظفر واعلاء الدين اِلَّا
غُرُورًا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا
لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور وَاِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يعني اوس بن قيظي
واتباعه يَا اَهْلَ يَثْرِبَ اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها
لَا مُقَامَ لَكُمْ لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام
فَارْجِعُوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه
لتسلموا او لا مقام بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها وَيَسْتَاْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ
النَّبِيَّ للرجوع يَقُولُونَ اِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف
العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ بل هي حصينة اِنْ يُرِيدُونَ

الا فرارا اى ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة
او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين
عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة
اى الردة ومقاتلة المسلمين لاتوها لاعطوها وقراء الحجاز يان بالقصر بمعنى لجاؤها
وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ويتما السؤال والجواب
وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعنى بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا
لمثله وكان عهد الله مسئولا مسؤلا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان
ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل شخص من حتف انفه او قتل فى وقت معين
سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة
فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من
معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم
الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من
ساكنى المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام ولا يأتون
البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل
انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح
ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى عليه كنظر المغشى عليه او كدوران عينه
او مشبهين به او مشبهة به من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق
البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع
وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله
اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فيبطل او ابطل صنعهم ونفاقهم وكان
ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا

ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب
تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسئلون كل قادم من جانب المدينة
عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد او هو فى
نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى فى نفسها هذا
القدر من الحديد وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
اى ثواب الله او لقائه ونعيم الاخرة او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجوا زيدا وفضله فان اليوم الاخر يوم الله والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة
الحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر
الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية بملازمة الطاعة وان المؤتسى بالرسول
من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية وقوله عليه السلام
سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه السلام انهم
سائرون اليكم بعد تسع او عشر وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله
ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء
واظهار الاسمين للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب والبلاء الا ايمانا
بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه من الثبات مع الرسول والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق
فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى
استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر
لازم فى رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد
ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد حتى اصيبت يده فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفيه تعريض
لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به وكأن المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم
مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب
ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين

وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة
وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين ظاهروهم
ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية
وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك مخلبه التى فى ساقه
لانه به وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روى ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم تضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا
العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين حتى جهدهم الحصار فقال لهم
تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بينهم بقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة
ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم
وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه السلام جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست
يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لى طعمة قال رضينا بما صنع الله وارضا لم تطؤها كفارس
والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شئ قديرا فيقدر على
ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها
زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار
وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد
وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت
زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عايشة
خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعد طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم
وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا
وبائنة عند ابى حنيفة واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن
واسرحكن بالرفع على الاستيناف وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد
للمحسنات منكن اجرا عظيما تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن محسنات
يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابى بكر
يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فزيادة

فزيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد
وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفاعل وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء
النبى كيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة ومرة على طلبهن رضى
النبى عليه السلام بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء ايضا حملا
على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما فى الجنة زيادة على
اجرها يا نساء النبى لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى
العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء فى الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله فلا تخضعن
بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذى فى قلبه مرض
فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب
نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن فى
بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءى اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف فاستغنى عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو
لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن فلا تتبخترن فى مشيكن
تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة وقيل هى ما بين
ادم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط
الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل
الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى الفسوق فى الاسلام
ويعضده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام
قال جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله فى سائر ما امركن به
ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن
ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم
عن المعاصى تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها
وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عليه السلام
خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على
فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص
بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث يقتضى انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين
وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من
برجاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما
كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن
او يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين
في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بالله ورسوله وبما يجب
ان يصدق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات والصادقين والصادقات
في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب
في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات
عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة
لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والاية وعدلهن ولامثالهن
على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي عليه السلام قلن يا رسول الله
ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال
نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو
ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك
في مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم
امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت
عبد المطلب خطبها رسول الله عليه السلام لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عليه السلام فزوجها من زيد ان تكون لهم
الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار
الله ورسوله والخيرة ما يتخير فيه وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما
في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص
الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله
عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله
فيه فهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك ان رسول الله عليه السلام
ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب
بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام

عليه السلام فقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال لا والله
ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق
الله في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان
تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه
حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في
امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة
بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر
كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها
زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي ان الله تعالى تولى انكاحي
وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على
قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله
اي امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم
سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم
وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة
للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان
محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة
المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه لكونه ابا للطاهر او الطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا
مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا
بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة
وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من
عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم
بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام في ابرهيم حين
توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر
من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه يا ايها
الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد

والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار واخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة
على فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل
الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته
بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة
للانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم
سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من
ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح
امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك الملائكة المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى
المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام
اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة واعد لهم اجرا كريما الجنة ولعل اختلاف النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت
اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره اطلق له من
حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب
قدسه وسراجا منيرا يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصاير
وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا على ساير الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف
على محذوف مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو
عليه من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة او مواخذة
على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ باية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكهم وكفى بالله
وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل
كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده
كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار
والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فان
من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفي به عن غيره يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي بالالف
وضم التاء فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد الى الرجال للدلالة
على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى

احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها فظاهره يقتضي عدم وجوب
العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان من شان المومن ان لا ينكح
الا مؤمنة تخيرا لنطفة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الامساس
كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض
نصف المفروض دون المتعة ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر المشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم
عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه
مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييد الاحلال باعطائها معجلة
لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما
ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدؤ امرها وما جرى عليها وتقييد
القرايب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات
خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول
ام هاني بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله تعالى
هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بان
التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مؤمنة تهب لك
نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر
اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر
وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح اي لان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام
زيد جالسا ان اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان
هبتها نفسها منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول
والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة
لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة
لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد
خص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح طلب
النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او احلال ما احللنا لك
على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت او صفة لمصدر محذوف
اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم من شرايط العقد ووجوب

القسم والمهر بالوطئ حيث لم يتم وما ملكت أيمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف
ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه
وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك لا بمجرد التوسيع عليه
بل لمعان تقتضي التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى وكان الله غفورا
لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها
وتترك مضاجعها وتؤوي إليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من
تشاء وتمسك من تشاء وقرأ حمزة والكسائي يرجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت
طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك أدنى أن
تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيتك اقرب الى قرة
عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء
ونصب الاعين وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن
والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما
لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي
وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم
حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة وتنكح
اخرى مكانها ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو أعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا
اعجابك بهن واختلف في ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك
من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك
النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من
اجناس اخر إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل
منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم إلى
طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من
غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين إناه غير منتظرين وقته او ادراكه حال من فاعل
لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز
الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر اني الطعام اذا
ادرك ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطا

لخطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون
ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل
بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لحديث
بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا
تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين إن ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق المنزل
عليه وعلى اهله واشغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم والله لا يستحيي
من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم
بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء فإذا سألتموهن متاعا
شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال
يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه
عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي عليه
السلام ذلك فنزلت ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما
كان لكم وما صح لكم أن تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا أن تنكحوا أزواجه
من بعده أبدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان الاشعث بن قيس
تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها
فترك من غير نكير إن ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما
وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد فقال
إن تبدوا شيئا لنكاحهن على السنتكم أو تخفوه في صدوركم فإن الله كان
بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد
تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا
أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما
نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء
الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا
في قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان
يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات وما ملكت أيمانهن من العبيد والاماء
وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به إن الله كان على كل
شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية إن الله وملائكته يصلون على النبي يعتنون باظهار
شرفه وتعظيم شانه يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا عليه انتم ايضا فانكم
اولى بذلك فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها

النبي وقيل الانقياد والاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه في الجملة وقيل
يجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على
غيره تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان
يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا وجليلا إن الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون
ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر او مجنون
ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره
بالمعنيين باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة وأعد لهم
عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ظاهرا روي انها نزلت في
منافقين يؤذون عليا رضي الله عنه وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض
فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك أدنى أن يعرفن يميزن والقينات
فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما
بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم
والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم في الدين
او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها
من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونها
متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم
الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك وثم للدلالة على ان الجلاء
ومفارقة جوار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها في المدينة
إلا قليلا زمانا قليلا او جوارا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء
شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في
الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين
نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا
لانه لا يبدلها ولا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها
استهزاء وتعنتا او امتحانا قل إنما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك

وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب
وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد
للمستعجلين واسكات للمتعنتين إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا نارا شديدة
الايقاد خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم
يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى
حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فأضلونا
السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا أيها
الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني
مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في
القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة
ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى او قذفوه بعيب
في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله
وجيها ذا قربة ومنزلة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق من
سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم أعمالكم
يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد
فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا إنا عرضنا الأمانة على السماوات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة شأنها بحيث
لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها
بخير الدارين إنه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا
وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها
والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون

الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت الجنة لمن اطاعني فيها
والنار لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما
خلق ادم عرض عليه مثل ذلك فتحمله فكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة
عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى
استعدادهن وبابائهن الاباء الطبعي الذى هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية
وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين
حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما
لِيُعَذِّبَ اللّٰهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر
التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن فرطات
وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعتهم قال
عليه السلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر

سورة السبإ مكية خمس وخمسون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ خلقا
ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْاٰخِرَةِ لان ما فى الاخرة
ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف بما يدل على انه المنعم
بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون
بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الاخرة وَهُوَ الْحَكِيمُ الذى احكم امور الدارين
الْخَبِيرُ ببواطن الاشياء يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْاَرْضِ كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى اخر
وكالكنوز والدفائن والاموات وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا كالحيوان والنبات والفلزات
وماء العيون وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ كالملائكة والكتب والارزاق والمقادير والانداء
والصواعق وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا كالملائكة واعمال العباد والادخنة والابخرة وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ للمفرطين فى شكر نعمه مع كثرتها او فى الاخرة مع ماله من سوابق هذه
النعم الغائبة للحصر وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ انكار لمجيئها او استبطاء
استهزاء بالوعيد به قُلْ بَلٰى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ
تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده على

استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس
عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوَاتِ
وَلَا فِى الْاَرْضِ وقرأ الكسائى لا يعزب بالكسر وَلَا اَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا اَكْبَرُ اِلَّا فِى
كِتَابٍ مُبِينٍ جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى
الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف
لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا
عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب الا مسطورا فى اللوح لِيَجْزِىَ
الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها اُولٰئِكَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ لا تعب فيه ولا من عليه وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى اٰيَاتِنَا بالابطال وتزهيد
الناس فيها مُعَاجِزِينَ مسابقين كى يفوتونا وقرأ ابن كثير وابن عامر معجزين اى مثبطين
عن الايمان من اراده اُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ من سيئ العذاب اَلِيمٌ مولم ورفعه
ابن كثير ويعقوب وحفص وَيَرَى الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن
شايعهم من الامة او من مسلمى اهل الكتاب الَّذِى اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ القرآن هُوَ الْحَقَّ
ومن رفع الحق جعل هو ضمير مبتدأ والحق خبره والجملة ثانى مفعولى يرى وهو مرفوع مستأنف
للاستشهاد باولى العلم على جهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم
اولوا العلم عند مجئ الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا وَيَهْدِى اِلٰى صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قال بعضهم لبعض
هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلٰى رَجُلٍ يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يُنَبِّئُكُمْ يحدثكم باعجب الاعاجيب
اِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ اِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل
تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله
محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه
بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل
مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد كحد يد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه
اَفْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَمْ بِهِ جِنَّةٌ جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم
الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة
بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ فِى الْعَذَابِ
وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال
البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع
ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة واستحقاقهم له والبعد فى الاصل صفة الضال ووصف الضلال به

على الاسناد المجازى اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشاء
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما عاينوه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى
وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوا افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا
فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وانا ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ الكسائى وحمزة
يشاء ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وحفص كسفا بالتحريك ان فى ذلك
النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون
كثير التأمل فى امره ولقد آتينا داود منا فضلا اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبى معه رجعى معه التسبيح
على الذنب او النوحة وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها
او سيرى معه حيث سار وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من
فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا
على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه لاوبى
وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم ولقد آتينا داود منا فضلا
تاديب الجبال والطير فبدل به على هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه
وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين فى امره فى نفاذ مشيئته فيها
وألنا له الحديد وجعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالانة او بقوته
ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعا وقرئ صابغات
وهو اول من اتخذها وقدر فى السرد وقدر فى نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا يجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم يكن مسمرة ويؤيده قوله والناله
الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود عليه السلام واهله انى بما تعملون بصير
فاجازيكم ولسليمان الريح وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اى لسليمان الريح مسخرة
وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشى كذلك وقرئ
غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء
من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن
الجن حال متقدمة او جملة من مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل
منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة
يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب عنها
ويحارب عليها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء على ما اعتادوا من العباد

من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وروى انهم عملوا
اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من
الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها
لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه
شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادى
الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه
لان توفيقه للشكر نعمة يستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض
اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة
الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تأكل منسأته
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنسأته على مفعالة كميضاءة فى ميضاة ومن سأته اى
طرف عصاه مستعار من ساة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته
بالف ساكنة بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين
فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
فى العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حيث ما وقع فلم
يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود عليه السلام اسس بيت المقدس فى موضع
فسطاط موسى فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله
واعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام
يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا
عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا
فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث
عشر سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن
يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير
قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب فى مساكنهم فى مواضع سكناهم
وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح
والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود

الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيئ معاضدة للبرهان
السابق كما فى قصتى داود وسليمان جَنَّتَانِ بدل من اية او خبر مبتداء محذوف تقديره الاية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ جماعة
عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منهما فى تقاربها وتضايقها كانه جنة واحدة
او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ
حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بَلْدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة
وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح
قيل كانت احصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فَأَعْرَضُوا عن شكرها فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه
وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس
فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على
انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد
عليهما السلام وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ مر بشيع فان الخمط كل نبت اخذ
طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجرة لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ معطوفان
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف
السدر بالقلة فان جناه هو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين وتسمية البدل
جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ذواتى اكل بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل
ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انهم بعث اليهم ثلثة عشر
نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وهل يجازى
ما فعلنا بهم الا البليغ فى الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون والكفور بالنصب
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام قُرًى ظَاهِرَةً
متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وَقَدَّرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ بحيث يقيل الغادى فى قرية ويبيت الرائح فى قرية الى ان يبلغ الشام سِيرُوا فِيهَا
على ارادة القول بلسان المقال او الحال لَيَالِيَ وَأَيَّامًا متى شئتم من ليل ونهار آمِنِينَ
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا امنين وان طال مدة سفركم فيها او سيروا فيها
ليالى اعماركم وايامها ولا تلقون فيها الا الامن فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا اشروا النعمة
وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها

فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم
افراطا فى الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم عليهم فيه قراءة من قرأ ربنا بعد وبُعِّدَ على النداء
واسناد الفعل الى بين وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبا وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ففرقناهم
غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان إِنَّ فِي
ذَلِكَ فيما ذكر لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ عن المعاصى شَكُورٍ على النعم وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه
كما فى صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ
بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق
حين خيل له اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم
فى الشهوات او ببنى ادم حين راى اباهم ادم عليه السلام ضعيف العزم او ما ركب فيهم من
الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم
ولاغوينهم فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم
بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون وَمَا كَانَ
لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ
مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من
الشاك فيها او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول
متعلقه مبالغة وفى نظم الصلتين نكتة لا تخفى وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ محافظ والزنتان
متآخيان قُلِ للمشركين ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول
لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثانى لانه
لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه مِنْ دُونِ اللَّهِ والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب
وانه لا يقبل المكابرة فقال لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ من خير او شر فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
فى امر ما وذكرهما للعموم العرفى او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها
ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم
وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ من شركة لا خلقا ولا ملكا وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ يعينه على تدبير امرهما
وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله إِلَّا لِمَنْ
أَذِنَ لَهُ ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام فى قولك

الكرم لزيد وعلى الثانى كاللام فى جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بضم الهمزة حتى اذا فزع
عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف
الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرّغ اى نفى الوجل من فرغ الزاد اذا فنى قالوا
قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فى الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اى مقوله الحق وهو العلى الكبير ذو العلو
والكبرياء ليس لملك ولا نبى ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا فى
الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين
اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به
الجماد النازل فى ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما
تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو على الضلال ابلغ من التصريح لانه فى صورة
الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما
لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادى كمن صعد منارا ينظر
الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه كيف يشاء والضال كانه منغمس فى ظلام
مرتبك لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسئلون عما
اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل فى الانصاف وابلغ فى الاخبات حيث اسند الاجرام الى
انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل
بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة
العليم بما ينبغى ان يقضى به قل ارونى الذين الحقتم به شركاء لارى باى صفة الحقتموهم
بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم
كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة
وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا
والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به
والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله
والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته لليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ

يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم
وهو جواب تهديد جاء مطابقا بما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا
لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا
ذلك وقيل الذى بين يديه يوم القيمة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى فى
موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين
استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا
عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن
صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن
الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد
عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر
الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا
ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف
يعطف على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب
على المصدر ومكر الليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة
لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه
مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما فى اشكيته
وجعلنا الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم
واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اذ لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء
على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا فى قرية من نذير
الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمتفاخر بزخارف الدنيا والانهماك بالشهوات والاستهانة
بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون
على مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن
بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم
ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة فى الخصائص
والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال
وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى قربة والتى اما لان المراد وما جماعة

اموالكم واولادكم او لانها صفة محذوفة كالتقوى والخصلة وقرئ بالذى اى بالشئ الذى تقربكم
الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اى الاموال والاولاد لاتقرب احدا الا
المؤمن الصالح الذى ينفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم
واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف بان يجازوا الضعف الى عشر
فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما
على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذى دل عليه لهم بما عملوا وهم
فى الغرفات امنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون فى اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين
انهم يفوتوننا اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا فى شخص واحد باعتبار الوقتين وما سبق فى
شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او اجلا وهو خير الرازقين
فان غيره وسط فى ايصال رزقه لاحقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا عما يتوقعون
من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ
الشرك واصله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذى نواليه من دونهم لاموالاة
بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضاء بعبادتهم لهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم
عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة غير
الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للانس وللمشركين بمعنى الكل والثانى للجن فاليوم لايملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ الامر كله له لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون عطف على لايملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا
ما هذا يعنون محمدا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا
ما هذا يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او الاسلام او للقران والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما
فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار
عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها وفيها دليل على صحة الاشراك وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لاوجه له فمن
اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب الذين

الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة
وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف
كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا
تكرير فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف
عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة وهى ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام من مجلس رسول الله عليه السلام او الانتصاب فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء
والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط
القول ثم تتفكروا فى امر محمد وما جاء به لتعلموا حقيته ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب
باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان
ما عرفوا من رجاحة عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لايدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم
من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه
معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شئ به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم
بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى شئ سألتكم
من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال كانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون
واما توقع نفع دنيوى عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما
وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على
الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله
على من يجتبيه من عباده او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار
الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن فى يقذف
او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم
كالعشور وبالفتح كالصبور على انه مبالغة غايب قل جاء الحق الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد
وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحى فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة
قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لايبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لاينشئ خلقا
ولا يعيده او لايبدئ خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق
فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها فانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا
الاعتبار قابل الشرطية بقوله فان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه
سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم
بدر وجواب لو محذوف مثل لرأيت امرا فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا

مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف
على فزعوا اولا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا
آمَنَّا بِهِ بمحمد عليه السلام وقد مر ذكره فى قوله ما بصاحبكم وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ ومن اين لهم ان
يتناولوا الايمان تناولا سهلا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ فانه فى حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل
حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فاتهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة
تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها
او انه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة اقحمنى جار ابى الجاموش اليك نأش القدر النؤوش
او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى وقد حدثت بعد الامور امور
فيكون بمعنى التناول من بعد وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ بمحمد عليه السلام او بالعذاب مِنْ قَبْلُ من قبل ذلك
اوان التكليف وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى الرسول من
المطاعن او فى العذاب من البت على نفيه مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ من جانب بعيد عن امره وهو الشبه
التى تمحلوها فى امر الرسول او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى
شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويُقذفون على ان الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم
ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف
فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ من نفع الايمان والنجاة
به من النار وقرأ ابن عامر والكسائى باشمام الضم للحاء كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ باشباههم
من كفرة الامم الدارجة إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ موقع فى الريبة او ذى ريبة منقول من المشكك
او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة
سبأ لم يبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وهى خمس واربع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما من الفطر بمعنى
الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضى جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده ويبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام
والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ
وَرُبَاعَ ذوى اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون
بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفى
ما زاد عليها لما روى انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة
جناح يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ استيناف للدلالة على ان تفاوتهم فى ذلك مقتضى مشيته ومؤدى

ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول
ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافى لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات
الصور والمعانى كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة
مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب مِنْ رَحْمَةٍ كنعمة
وامن وصحة وعلم ونبوة فَلَا مُمْسِكَ لَهَا يحبسها وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ يطلقه واختلاف
الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثانى مطلق يتناولها والغضب وفى
ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه مِنْ بَعْدِهِ من بعد امساكه وَهُوَ الْعَزِيزُ الغالب
على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الْحَكِيمُ لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد
للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ
اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره
فى ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل
من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفى او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائى
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام
مبتداء وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ اى فتأس بهم فى الصبر على التكذيب فوضع فقد كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضى زيادة التسلية والحث على
المصابرة وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ بالحشر والجزاء حَقٌّ لا خلف فيه فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فيذهلكم التمتع بها عن
طلب الاخرة والسعى لها وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على
المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ
بالضم وهو مصدر او جمع كقعود إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ عداوة عامة قديمة فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا فى
عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ
السَّعِيرِ تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الَّذِينَ
كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وعيد لمن
اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للامانى الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح
وقوله أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا تقرير له اى افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه
على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن

الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الجواب للدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء
عليه وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الخبر لدلالة فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات عليه والمعنى فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب
والفاآت الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع
الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة مساوى افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم
ليس صلة لها لان صلة المصدر لا يتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما
يصنعون فيجازيهم عليه والله الذى ارسل الرياح وقرأ حمزة وابن كثير والكسائى الريح فتثير
سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان
المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة
على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره
او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من
الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل
احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال الاختلاف فى المادة
فى المقيس عليه وذلك لا مدخل فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش
ينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اى
فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما
مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل
الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل
بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القران وعنه عليه السلام هو سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى
صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتداريهم الرأى فى حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد
لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير
كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق ادم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها
ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما
يعمر من معمر ولا يمد من عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له
عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله

مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا
بحق وقيل الزيادة والنقصان فى عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبت فى اللوح مثل ان يكون
فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينقص
فانه يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا فى كتاب
هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص
وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر
والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرئ
سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على وزن فعل ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد
لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة
لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الاخر او تفضيل
للاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك
فيه فى كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجى
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر
كل يجرى لاجل مسمى هى مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى
الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدأ فى قران والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية
والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل
خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فان الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين
والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ونفى ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى انفسكم
وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة فى فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان
افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغنى
الحميد المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت
بخلق جديد بقوم اخرين اطوع منكم او بعالم اخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او
بمتعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم

واثقالاً مع اثقالهم فى الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل
ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم وإن تدع مثقلة نفس اثقلتها الاوزار الى حملها
بحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لم تجب بحمل شئ منه نفى ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب
غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ
ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلايم نظم الكلام انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس فى خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة
فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر عن دنس المعاصى
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم
الصلوة لانهما من جملة التزكى والى الله المصير فيجازيهم عن تزكيتهم وما يستوى الاعمى
والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا
الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا تأكيد لنفى الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوى الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول
ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم اياته والاتعاظ
بعظاته وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة فى اقناطه
منهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع
على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة
لقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا
مضى فيها نذير من نبى او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما
وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من
قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابرهيم وبالكتاب
المنير كالتورية والانجيل والزبور على التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير
الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اى انكارى بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها لها اصناف مختلفة او هيئاتها
من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اى ذو جدد اى خطط وطرائق يقال جدة الحمار للخطة
السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض
وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال
ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره فان الغربيب تأكيد للاسود
وحق التأكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها

يمسحها وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس
والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء
اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال
عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم
المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية
مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة
ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على
المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يرجون تجارة تحصيل
ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم
اجورهم علة لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول
ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم
انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان
ويرجون حال من واو انفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب يعنى القرآن ومن للتبيين او الجنس
ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال
مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير
بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب
المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه او اورثناه من الامم
السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين
اصطفينا من عبادنا يعنى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم
على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به فى غالب الاوقات
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد
المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى
ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك
سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون
حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل
الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون

الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث
او الاصطفاء او السبق جنات عدن يدخلونها مبتداء وخبر والضمير للثلثة او للذين او للمقتصد
والسابق والمراد بها الجنس وقرئ جنة عدن وجنات عدن منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو
يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية
من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او
من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا
دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب
تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة والذين
كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان
وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها
بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ فى الكفر او الكفران
وقرأ ابو عمرو ويجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون
يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من
غير الصالح او الاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن
تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم
وما يتذكر فيه متناول لكل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى ستين
وعنه عليه السلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم
فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت
الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات
والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا
علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم لغيرها هو الذى جعلكم خلائف فى الارض ملقى
اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر فعليه
كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا
خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء
قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة
قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء

شركاء الله تعالى او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال
لانه بمعنى اخبرونى عن هؤلاء الشركاء اروني اى جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك فى
السموات ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ام آتيناهم
كتابا ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية
ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر
والكسائى على بينات فيكون ايماء على ان الشرك خطر لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو
تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليهم ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما
ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد
الله او من بعد الزوال والجملة ساد مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان
حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود
والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من امم اليهود والنصارى
وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير يعنى محمدا ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف
استغناء بصفته ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل
ولا يحيق ولا يحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر
اى لا يحيق الله تعالى فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب
ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه بما يشاهدونه فى مسائرهم الى الشام واليمن والعراق
من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته فى السموات
ولا فى الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من المعاصى ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الملائكة

دعته ثمانية ابواب الجنة ادخل من اى باب شئت

سورة يس ثلث وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم فى المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طى على
ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله فى ايمن الله وقرئ بالكسر كجير
وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم
بناء كحيث او اعرابا على هذه يس وامال اليا حمزة والكسائى وابو بكر وروح وادغم النون فى واو
والقرآن الحكيم ابن عامر والكسائى وابو بكر وورش ويعقوب وهى واو القسم او العطف
ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم اى لمن الذين ارسلوا على
صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة فى الامور ويجوز ان يكون على صراط مستقيم
خبرا ثانيا او حالا من المستكن فى الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل
عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى او فعله على انه على اصله وقرئ
بالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم
قوما غير منذر اباؤهم يعنى اباؤهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة
حاجتهم الى ارساله او الذى انذر به او شيئا انذر به اباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا
لتنذر او انذار اباؤهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفى على الاول اى لم ينذروا
فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخر اى ارسلتك اليهم لتنذرهم فانهم
غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعنى قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين
فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا تقرير
لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين
غلت اعناقهم فهى الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون
فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم فى انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا
فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون
قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فى الايات والدلائل
وقرأ حمزة والكسائى وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان بفعل الناس فبالفتح وما
كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الايتان فى بنى مخزوم حلف ابو جهل
ان يرضخ رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده

يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومى
آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
سبق فى البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اى القرآن
بالتأمل والعمل به وخشى الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او فى
سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيى الموتى
بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة
واثارهم الحسنة كعلم علموه او حبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شئ
احصيناه فى امام مبين يعنى اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه
الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما
مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على
واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل
من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى اهلها واسناده الى نفسه فى قوله اذ ارسلنا
اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا
وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه فحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر
المعزز به بثالث وهو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اوثان
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما
فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرئ
فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على ايديهما خلق كثير فبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى
الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر فى امركما فحبسهما ثم بعث عيسى عليه السلام
شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له
يوما سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا
الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال شمعون صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر فاخذا
بندقتين فوضعا فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك
حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع
ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال انى
ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت
شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه
فامن الملك فى جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا

لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع لبشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا
وما انزل الرحمن من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا
ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام
المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالآيات الشاهدة
لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك
لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم
وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم
والتعذيب وقد زيد بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان وان بغير استفهام
واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف
في العصيان فمن ثمة جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد عليه السلام وبينهما
ستمائة سنة وقيل كان في الغار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسول اتاهم اظهر دينه قال يا قوم اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين
وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايرانه في معرض المناصحة لنفسه وامحاض
النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك
قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءأتخذ من دونه آلهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا ينفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة
والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر
على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون
فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه
قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر
الشهداء ولما هموا بقتله فرفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان
المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء
ربه بعد تصلبه في نصر دينه ولذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من
المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول العظيم له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم
على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم
الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق
وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على

على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم
وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم
كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل
جندا لاهلاك قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا لانتصارك من قومك وقيل ما موصولة
معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة او ريح وامطار شديدة ان
كانت اي ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبرئيل وقرئت بالرفع
بالوقع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة
والميت كرمادها قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط
بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون
من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على
انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى
محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على
الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء وان مخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فيكون ان
نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ
نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي
الخبر او المبتدأ والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية واخرجنا منها حبا جنس الحب
فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها
جنات من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال
على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب
والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير
كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل

الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه تعالى وقرأ حمزة والكسائى
بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد
منه ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد
الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون
امر بالشكر من حيث انه لتركه سبحان الذى خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت
الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا مما
لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً الى معرفته وآية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله
ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام فى اعرابه ما سبق فاذا هم مظلمون
داخلون فى الظلام والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر
اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال
والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع
وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ
لا مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دائما ولا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجرى
على هذا التقدير المتضمن للحكم التى يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته
على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره
فى منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة
الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل
القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد
منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى اخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق
واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الراء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون
والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها لا يصح لها
ويتسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى آثاره
ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة
على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه
وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا
للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملايم بسرعة سيره وكل وكلهم التنوين عوض عن

عن المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال توجب تعددا ما
فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط
وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان استقرارهم
فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب فى الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل
الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية
لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجيب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ
لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر
لآجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقايع التى خلت والعذاب المعد
فى الاخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم
ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم
من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب
اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم
قال الذين كفروا بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به
وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش
حين استطعمهم فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فلم يطعمهم فنحن
احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقراء
وتوفيقهم له ان انتم الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هى النفخة الاولى تأخذهم
وهم يخصمون يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الصاعقة
بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت الفاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو به
مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى
مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية فى شئ من امورهم
ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ فى الصور اى

مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ
بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا
من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا
وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا
ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتداء وخبر
وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتداء
خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة
او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان
الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم
البعث وارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس بعث النائم فيهمكم
السؤال عن الباعث وانما البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت الفعلة الا
صيحة واحدة هى النفخة الاخيرة وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم جميع لدينا محضرون
بمجرد تلك الصيحة وفى كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان
بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال
لهم حين نصويرا للموعود وتمكينا له فى النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل
فاكهون متلذذون فى النعمة من الفكاهة وفى تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من البهجة
والتلذذ وتنبيه على انه اعلى ما يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع
وابو عمرو فى شغل بالسكون ويعقوب فى رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان
يكون فى شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين وفكهين على
الحال من المستكن فى الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم
فى ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى فى ظلل على الارائك
على السرر المزينة متكئون وهم مبتداء خبره فى ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان
او متكئون والجاران صلتان له او تأكيد للضمير فى شغل او فاكهون وعلى الارائك متكئون
خبر اخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة فى الاحكام الثلثة وفى ظلال حال من المعطوف
والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به لانفسهم يفتعلون
من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او ما يتداعونه كقوله ارتموه بمعنى تراموه
او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على او ما يدعونه فى الدنيا من الجنة ودرجاتها
وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة
اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوفا ومبتداء محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب

بالنصب على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اى يقول الله تعالى
او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة
تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم
ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم
الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا فى النار فان لكل كافر بيتا ينفرد
لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم
تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته
الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الامر بها المزين لها وقرئ اعهد بكسر
حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته
بالطاعة فيما يحمل عليه وان اعبدونى عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة
الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استيناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشق الاخر والتنكير
للمبالغة او التعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم
جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح
اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائى
بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع
جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها عن الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور اثار المعاصى عليها ودلالتها على
افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفى الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم
ايديهم وتشهد ارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة
فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتداء او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون
الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على
مكانتهم بحيث مكانهم يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا
يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا
باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى ومضيا كصبى والمعنى انهم بكفرهم
ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة واقتضاء الحكمة امهالهم
ومن نعمره نطول عمره ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه
عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ حمزة وعاصم ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون

ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غرابة على التدرج وقرء نافع وابو
عامر ويعقوب بالتاء لجرى الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اى ما علمناه الشعر
بتعليم القرءان فانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة
وما ينبغى له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة
وقوله انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله
ما لقيت اتفاقى من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا فى تضاعيف المنثورات على ان
الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روى انه حرك البائين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن
الثانية وقيل الضمير للقرءان اى وما يصح للقرءان ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة
وارشاد من الله تعالى وقرءان مبين كتاب سماوى يتلى فى المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما
فيه من الاعجاز لينذر القرءان او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من
كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت او مؤمنا فى علم الله فان الحيوة الابدية بالايمان وتخصيص
الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات
فى الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه
غيرنا وذكر الايدى واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث
انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون
بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم قال اصبحت لا احمل السلاح ولا
املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ
ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها
ركوبهم ومنها يأكلون اى ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار
ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله فى ذلك
اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها كيف امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون
الله الهة اشركوها به فى العبادة بعد ما راوا تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد
بها لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم لالهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون اثرهم
فى النار فلا يحزنك فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم فى الله بالالحاد والشرك
او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك
ان تتسلى به وهو تعليل للنهى على الاستيناف ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه

ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا
فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى بداء خلقه ومقابلة النعمة التى
لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان
ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده فقال اترى الله يحيى هذا بعد
ما رم فقال عليه السلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه وضرب لنا مثلا
امرا عجيبا وهو نفى القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسى خلقه
خلقنا اياه قال من يحيى العظام وهى رميم منكرا اياه مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام
ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه
دليل على ان العظم ذو حيوة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذى انشأها اول مرة فان
قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق
عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها
وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض
والقوى التى كانت فيها او احداث مثلها الذى جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا
بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون
لا تشكون فى انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة
لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله
فمالئون منها البطون اوليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر
على ان يخلق مثلهم فى الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها
وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه وهو
الخلاق العليم كثير المخلوقات والمعلومات انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا ان يقول له
كن اى تكون فيكون فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع
للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة
الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائى عطفا على يقول
فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه
مالكا للملك كله قادرا على كل شئ واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ
يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به فاذا انه
لهذه الاية وعنه عليه السلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرءان يس من قرأها يريد بها وجه الله
غفر الله له واعطى من الاجر فكانما قرأ القرءان اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به

ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان الجنة بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وهي مائة وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرايعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه السلام رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم يختلف اوقات الانتقال إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا القربى منكم بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على الاضافة الى الفاعل وركوز الثوابت

الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وَحِفْظًا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا لها مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ خارج من الطاعة برمي الشهب لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى كلام مبتدأ لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم وَيُقْذَفُونَ ويرمون مِنْ كُلِّ جَانِبٍ من جوانب السماء اذا قصدوا اصعوده دُحُورًا اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اي قذفا دحورا وَلَهُمْ عَذَابٌ اي عذاب آخر وَاصِبٌ دائم او شديد وهو عذاب الآخرة إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ استثناء من واو يسمعون ومن بدل عنه فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ والخطف الاختلاس والمراد اختلاس الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب بمعنى تبع والشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث لما ذكر في بعض الاوقات رجما للشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عليه السلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثَاقِبٌ مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فَاسْتَفْتِهِمْ فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ فانه الفارق

بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالته والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقرير ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائي الى الجزء الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدؤهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقديرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا رأوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام الحجة على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ اي الله او الرسول وقرأ الكسائي وحمزة نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع

مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم بعد الهدى والتعريف للسؤال ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار عن يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه السلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسول وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف من غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه

من الدوام ومحض للذة ولذلك فسر بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ
دون التغذي به والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن
التحلل فكانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
كما دل عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال
من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين
حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمين
يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت لذة من معين من شراب
معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف
خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة
لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما
للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض
العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده
ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا
ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما يعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس براسه وقرأ حمزة
والكسائي بكسر الزاء وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه واصله
للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات
الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون
شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة
فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم
اي يشربون ويتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتاكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل
وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا
يقول ائنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال ذلك القائل هل
انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل
تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابي عمرو
مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من
حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الامرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه اي قرينه

اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ
لتغوين وان هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من
المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا
وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على
الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له او
معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتقريعا للقرين بالتوبيخ
ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله
والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون
اي لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالالام السريعة الانصرام
وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز او على الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام
للنازل ولهم ما وراء ذلك ما تقصر عنه الاوهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة
الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين
محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك
والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق
الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها
ترفع دركاتها طلعها اي طلعها اي ثمرها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او
الطلوع كانه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق
في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك
فانهم لآكلون منها من الشجرة او طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او الجبر على اكلها
ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون
ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر سمي به
ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم خارج عنها
لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما
يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين
فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة بتقليد الآباء في الضلال والاهراع
الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك

من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا
فيهم منذرين انبياء انذروهم من العذاب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة
والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله تعالى وقرئ
بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم سمعوا
اخبارهم وراوا اثارهم ولقد نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد
نادانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اى اجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن
فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق وقومه وجعلنا
ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيمة اذ روى انه مات
كل من كان من السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه في الاخرين من الامم سلام
على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله
عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء
بثبوت هذه التحية في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل
بنوح من التكرمة فانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه
بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الاخرين يعني كفار قومه
وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما
في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما هود وصالح
اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم
من افات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ
ومعنى المجيء به اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا الهة دون الله تريدون اى اتريدون
الهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل
ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدل منه على انها افك
في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى افكين فما ظنكم
برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم
به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته
او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه على طريق الالزام وهو كالحجة على
ما قبله فنظر نظرة في النجوم فراى مواقعها واتصالاتها او في علمها او في كتابها
ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سالوه ان يعيد معهم فقال
اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا

لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
او اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه
او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة
جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ
الى الهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال للاصنام
استهزاء الا تاكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي
فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين
مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ وتقييده باليمين للدلالة
على قوته فان قوة الالة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله
تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسرة
و عن كاسرها فظنوا انه كما شرحه في قوله من فعل هذا بالهتنا الاية يزفون يسرعون
من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اى يحملون على الزفيف وقرئ
ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف اذا اسرع ويزفون من زفاه
اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون
ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه
وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه
ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او وعملكم بمعنى معمولكم ليطابق
ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم
المتوقف على فعلهم اولى بذلك وهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم
ان يرجحوه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التاجج واللام بدل الاضافة
اى جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك
لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله
برهانا نيرا على علو شانه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب
الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين
الى ما فيه ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله
او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين
بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون

حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما الصلوة والسلام وحالهما
المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله
ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا ببلغ فان
بلوغهما لم يكن معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب
اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له
يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني انى ارى فى المنام انى اذبحك يحتمل انه راى ذلك وانه راى
ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح
روى انه من الله او من الشيطان فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله
فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة
والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد
معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلام انا ابن الذبيحين فاحدهما
جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر
زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله خرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها
فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه
فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انه عليه السلام سئل اى النسب اشرف
فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح
انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى ان يعقوب
كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرا ابن كثير وعاصم وابو عمرو بفتح الباء فيهما فانظر
ماذا ترى من الراى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت
قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد
له قبل نزوله وقرا حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها
وابو عمرو يميل بفتحة الراء وورش بين بين والباقون باخلاص فتحها قال يا ابت
وقرا ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به فحذفا دفعة او على الترتيب كما
عرفت او امرك على ارادة المامور به والاضافة الى المامور ولعله فهم من كلامه انه
راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه
الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل
على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله

الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله وقرا نافع بفتح الياء فلما اسلما استسلما
لامر الله او سلما الذبح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له
فانه سلم ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد
جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان
ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه
امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق
به ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد
حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب
العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مامورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر
ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره
او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح عظيم بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم عظيم الجثة سمينا او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واى نبي من نسله سيد
المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند
الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم وانما
قال وفديناه لانه المعطي والامر به على التجوز فى الفداء والاسناد واستدل به الحنفية
على ان من نذر ان يذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه فى
الاخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه فى قصة نوح كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة وبشرناه باسحق
نبيا من الصالحين مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين
ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير شرط مقارنة تعلق
الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل
وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله
فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا
نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة
نبوته وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى
الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم فى اولاده وعلى
اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب واقصنا

عليهم بركات الدين في الدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه
بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفي ذلك
تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما
بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع
الدينية والدنياوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق
ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما
الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما الصراط المستقيم
الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى
وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثل
ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين بن سبط هرون اخي موسى
بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان
ابليس وقرئ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه
الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو
اسم صنم لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح
بقوله الله ربكم ورب ابائكم الاولين قرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما
اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد
الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في
الاخرين سلام على الياسين لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به
هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه
بحذف ياء النسب كالامين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب
على اضافة ال الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس
وقيل محمد عليه السلام او القران او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم
سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون
عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين

داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قرب
منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم
عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه
عليه الى الفلك المشحون المملو فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد
ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او ات بما يلام عليه او مليم
نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند
الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه
من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس يونس ويسبح
حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلثة
ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين تولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساق يفعيل من قطن بالمكان اذا
اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي
اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر
على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وقيل اهل نينوى
والمراد ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى
الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الكثرة وقرئ بالواو فامنوا
فصدقوه او فجددوا الايمان بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله
انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب
الشرائع الكبر واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين
في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول

السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام
فى تقريره جاز الما يلايمه من القصص موصلا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن
وجه القسمة حيث جعلوا الله البنات ولانفسهم البنين فى قولهم الملئكه بنات الله
وهولا زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله فان
الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفصيل انفسهم عليه حيث
جعلوا اوضع الجنسين له وارفعها لهم واستهانتهم بالملائكه حيث انثوهم ولذلك
ذكروا الله تعالى انكار ذلك وابطاله فى كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات
يتفطرن منه وينشق الارض وتخر الجبال هذا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين
لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم
حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم اَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ
وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من
لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يبسون به كانه قد شاهدن واخلقهم أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ
لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما يتدينون
وقرئ ولد الله اى الملائكة ولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع
المذكر والمونث أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ استفهام ابكار واستبعاد
والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة
ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون فى قولهم اصطفى او ابداله
من ولد الله مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ مما لا يرتضيه عقل أَفَلَا تَذَكَّرُونَ انه منزه عن ذلك
أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فَأْتُوا
بِكِتَابِكُمْ الذى انزل عليكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعواكم وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ
نَسَبًا يعنى الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه الرتبه وقيل
قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان وَلَقَدْ عَلِمَتِ
الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ان الكفرة او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة لَمُحْضَرُونَ فى العذاب
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ من الولد والنسب إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ استثناء
من المحضرين ومنقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون
فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ عود الى خطابهم مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ عَلَى اللَّهِ بِفَاتِنِينَ مفسدين
الناس بالاغواء إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ الا من سبق فى علمه انه من اهل النار ويصليها
لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلبت فيه المخاطب على الغائب لانكم وقرناءكم لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه

تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريقة الفتنة الا مستوجبا للنار وقرئ صال بالضم
على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على
القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة
فان اصلها بالية وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية
للرد على عبدتهم والمعنى ما احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله
تعالى فى تدبير العالم ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله
تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيه لا يتجاوزونها فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة وَإِنَّا لَنَحْنُ
الْمُسَبِّحُونَ المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعات
وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم
المخاطبون على ذلك وانما عبر فترة دون غيرهم وقيل هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيمة وانا
لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ اى مشركو
قريش لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ كتابا من الكتب التى نزلت عليهم لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلَصِينَ لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فَكَفَرُوا بِهِ اى لما جاءهم الذكر الذى
هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عاقبة كفرهم وَلَقَدْ سَبَقَتْ
كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات
وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فاعرض عنهم
حَتَّى حِينٍ هو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وَأَبْصِرْهُمْ على ما ينالهم
حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدامه فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ
ما قضينا لك من التاييد والنصرة والثواب فى الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فَسَاءَ صَبَاحُ
الْمُنْذَرِينَ صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت اخر وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ
وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ تاكيد الى تاكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم

يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا
والثانى لعذاب الاخرة سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ عما قاله المشركون فيه على ما
حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد
ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ
للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على ما افاض عليهم وعلى
من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخر عن التسلم والمراد تعليم المؤمنين كيف
يحمدونه ويسلمون على رسله وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى اجر
يوم القيمة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان بلفظ اخر السورة وعن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرا والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت
عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظا وانه كان مؤمنا بالمرسلين

سُورَةُ صٓ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صٓ قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من
المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القران
بعملك وبالفتح لذلك او بحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر
فانها غير مصروفة لانه علم السورة وبالجر على تاويل الكتاب وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ الواو
للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدى او الرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة
خبر المحذوف او لفظ الامر والعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه
ما فى ص من التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز او لواجب العمل به او ان محمد الصادق
او قوله بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين
كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به
وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد
بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقايد والشرايع
والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة
عما يجب عليهم النظر فيه كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ وعيد لهم على كفرهم به استكبارا
وشقاقا فَنَادَوْا استغاثة وتوبة واستغفارا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ اى ليس الحين حين
مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم
وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين
مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه

على انه اسم او مبتداء محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر
كقوله طلبوا صلحنا ولات حين وان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان
لولا تجر الضماير فى نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبيه باذ لانه مقطوع عن
الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما
من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير المتمكن ولات بالكسر كجير و
تقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على
حين لاتصاله به فى الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد
فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ
مُنْذِرٌ مِنْهُمْ بشر مثلهم او امى من عدادهم وَقَالَ الْكَافِرُونَ وضع الظاهر موضع المضمر
غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هَذَا سَاحِرٌ فيما يظهره
من معجزة كَذَّابٌ فيما يقول على الله أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا بان نجعل الالوهية التى
كانت لواحد إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده
من ان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روى
انه لما اسلم عمر شق ذلك على قريش فاتوا ابو طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء وانما جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء يسئلونك السواء فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه
السلام ما يسئلوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم
ان اعطيتكم ما سئلتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ
وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد ما بكتهم رسول الله أَنِ امْشُوا قائلين بعضهم
بعضا وَاصْبِرُوا واثبتوا عَلَى آلِهَتِكُمْ على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هى المفسرة
لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع
فى القول وامشوا من مشت المراة اى كثرت ولادتها ومنه الماشية اى
اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ان هذا الامر لشئ
من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من
الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل واحد او ان دينكم يطلب
ليوخذ منكم مَا سَمِعْنَا بِهَذَا بالذى يقوله فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ فى الملة التى ادركنا عليها
اباءنا او فى ملة عيسى التى هى اخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا

من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا فى الملة المترقبة إن هذا
إلا اختلاق كذب اختلقه أأنزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحى وهو
مثلهم او ادون منهم فى الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبداء تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام
الدنيوى بل هم فى شك من ذكرى من القران او الوحى بميلهم الى التقليد واعراضهم
عن الدليل وليس فى عقيدتهم ما يبنون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابى بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون
به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز
الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفى تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها
عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل
بها على من يشاء من عباده لا مانع فانه العزيز الذى اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب
الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال أم لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عنهم التصرف فى نبوته بان ليس لهم عندهم خزائن
رحمته التى لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل فى امر العالم الجسمانى الذى هو
جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا اليها فليرتقوا فى الاسباب جواب
شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى المعارج التى يتوصل بها الى العرش
حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلون الوحى الى من يستصوبون وهو غاية
التهكم بهم والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها
اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند
ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير
الالهية والتصرف فى الامور الربانية او فلا تكترث لما يقولون وما مزيدة للتقليل
كقولهم اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلايم ما بعده وهنالك اشارة
الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد عتوا فيها
بانعم عيشة فى ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو
الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل يصب
اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى
يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الأيكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب
اولئك الاحزاب يعنى المتحزبين على الرسل الذى جعل الجند المهزوم منهم إن كل إلا كذب

إلا كذب الرسل بيان اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التاكيد
ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما
مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر
قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم فى علم الله إلا
صيحة واحدة هى النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين
او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائى بالضم وهما
لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التى يعد
للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد
فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية فى اعينهم
فانه على نبينا وعليه الصلاة والسلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات
لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه
واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك
ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه او فى اهمال ذا الايد ذو القوة يقال
فلان ايد وذو ايد وآد واياد بمعنى إنه أواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد
دليل على ان المراد به القوة فى الدين كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل
إنا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشى والاشراق ووقت
الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما
شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانى رضى الله عنها انه صلى الله
عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنه
ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع
المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير
محشورة بالابتداء والخبر كل له أواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع
الى التسبيح والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة بالتسبيح وهذا على
المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله بالتسبيح وشددنا ملكه وقويناه
بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على
اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فقال صدقت انى قتلت اباه
غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم

وانقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذى
بينه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والعطف والاستيناف
والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما
سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع
محل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلوة والسلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك
نبؤا الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام
واو متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم او تسوروا والبناء على ان المراد به الواقع
فى عهد داود ان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم
لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول عليه الصلوة والسلام لم يكن
حينئذ واذ فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع
منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون
من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صور الانسان فى يوم
الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الغرض وقصد التعريض ان كانوا
ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ
ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى الشطط وهو
مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى فى الدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضان وقد يكنى بها
عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح باء لى نعجة فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى
فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته
اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى
وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه
ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان كثيرا من

من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على
تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء
اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم
وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك
الحكومة هل تنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه
مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار واناب ورجع الى الله
بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه الصلوة والسلام ود ان يكون له ما لغيره وكان
له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة
فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين
بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها
هراء وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان
ينتقم منهم وظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم واناب فغفرنا
له ذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن
ماب مرجع الى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك
فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق
بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق
المدعى وتظليم الاخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على
الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة
الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه
او ذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
لاعبين او للباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد
المصدر مثل والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه
موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام

فيه لانكار التسوية بين الحزبين التي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا
التي في قوله أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين
ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول
باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم ولانه تدل على صحة القول
بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي
الحكمة فيه او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ نفاع وقرئ بالنصب على الحال لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ
ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة
وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ
وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط
تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول
والتذكر للثاني وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ اي نعم العبد اذ ما بعده
تعليل للمدح وهو من حاله إِنَّهُ أَوَّابٌ رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع
إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بِالْعَشِيِّ
بعد الظهر الصَّافِنَاتُ الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او
رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص الْجِيَادُ
جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل
جمع جيد روي انه عليه الصلوة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل
تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم لما فاته
فاستردها فعقرها تقربا الى الله فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي
اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته
وقيل بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وحب الخير
مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل معقود بنواصيها الخير الى
يوم القيمة حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ اي غربت الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة
بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها رُدُّوهَا عَلَيَّ الضمير للصافنات
فَطَفِقَ مَسْحًا فاخذ يمسح السيف مسحا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ اي بسوقها واعناقها
يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها

اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو
بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا
عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن على سبعين
امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا
امراة جاءت بشق انسان والذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا
وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به
الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على ابيها
فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها
كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب المراة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا
وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها
يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب
الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته وكان يدور على البيوت يتكفف حتى
مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه
الملك فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك
والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير
علمه لا يضره قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح
لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف
الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو
عمرو بفتح الياء إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ المعطي ما تشاء لمن تشاء فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ فذللناها
لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً لينة من الرخاوة لا تزعزع
او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حَيْثُ أَصَابَ اراد من قولهم اصاب الصواب
فاخطأ الجواب وَالشَّيَاطِينَ عطف على الريح كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ بدل منه وَآخَرِينَ
مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ عطف على كل كانه فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر

ولعل احسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم
عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا
بين نعليهما فقالوا اصفده قيده اوصفده اعطاه عكس وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا
عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسط والتسلط على ما لم يسلط به غيرك
عطاؤنا فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء او صلة
له وما بينهما اعتراض والمعنى عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في القيد وان له عندنا لزلفى في
الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا
ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له
اني مسني بان مسني وقراء حمزة باسكان الباء واسقاطها في الوصل الشيطان
بنصب تعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذي ناداه ولولا هي لقال
انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل
انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك
كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب ومراعاة
للادب او لانه وسوس اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد من النصب
والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه
على الجزع وقراء يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد
والرشد بضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية لما اجيب به اي اضرب برجلك
الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل
تغتسل به وتشرب منه فيبرء ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم
او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف
ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا
الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض
والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى
ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرايم بن يوسف ذهب لحاجة فما
بطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية
في الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به

به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء انه قال
خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر
عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقراء ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على
ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي
والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة
فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى
مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة
جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة
دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون ويذرون جوار الله
والفوز بلقائه وذلك في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر
واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى
فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميت
واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام
فيه كما في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا وقراء حمزة والكسائي والليسع تشبيها
بالمنقول من الليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته
ولقبه فقيل فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل فاواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل
صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي كلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم
من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القران ثم شرع في بيان ما اعد لهم
ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن
مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها
مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين
على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان
يدعون استيناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار
بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف
لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن
لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا
ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقراء ابن كثير

وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا
او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم
فبئس المهاد المهد والمفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف
وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه
او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتداء خبره حميم وغساق وهو على الاولين
خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد النار من غسقت العين اذا سال
دمعها وقرا حفص وحمزة والكسائى غساق بتشديد السين وآخر من شكله اى مذوق
او عذاب اخر وقرا البصريان واخرى ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل
هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم
والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهو لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة
له وللثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال
لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام
ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة
لفوج او حال اى مقولا لا مرحبا اى ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم
بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب
او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة
فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه
مثله فيصير ضعفين لقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم
بهمزة الاستفهام على انه انكار لانفسهم وتانيب لها فى الاستسخار منهم
وقرا نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين ام زاغت
مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفى
رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم
على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم او تحقيرهم
فان زيغ الابصار كناية منه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة
على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم

وانظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذى حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا فيه ثم بين
ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على
البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله
الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته القهار لكل شئ رب السموات
والارض وما بينهما منه خلقهما واليه امرها العزيز اى يغلب اذا عاقب الغفار
الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد
للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو به هو الانذار
قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادى غفلتكم
فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد
فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره
عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت فى الكتب المتقدمة من غير سماع
ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ متعلق بعلم او محذوف اذ التقدير من
علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما
جوز ان الوحى ياتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله انما انا منذر
ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال
ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة
التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم واستحقاقه
الخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على
ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى بمثل ما حاق
ابليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولته الله اياهم بواسط
ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته
ونفخت فيه من روحى واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه
وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا وقد مر الكلام فيه فى البقرة
فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من
الكافرين باستكباره على امر الله واستنكافه عن المطاوعة او كان منهم فى علم الله
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى خلقته بنفسى من غير توسط
كاب وام والتثنية لما فى خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد
وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعى للتعظيم او بانه الذى تشبث به
فى تركه وهو لا يصلح لمانع اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله

مزيد اختصاص أستكبرت أم كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابدا للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة او السماء او الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة والكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك بسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة واخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق اقول اى فانا الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرئ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتداء اى الحق يميني او قسمي او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو شايع فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره بنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اى على القران او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين ولتعلمن نباه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه باتيانه بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغيرا وكبيرا

سورة الزمر مكية سبعون وخمس آية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدا خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له من الشرك والريا وقرئ برفع الدين على الاستيناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به موكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه الا لله الدين الخالص اى الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة فان المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدا خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في خبره حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا الهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا في ما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبودهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنون ان الله لا يهدي لا يوفق للاقتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود ما سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن الوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما الاخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال اخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق ادم اولا من غير اب ثم خلق حوا من قصيراه ثم شعب الخلق الفايت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس وحدث ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم

لتفاوت ما بين الاثنين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته
كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى وقسم لكم فان قضاياه توصف بالنزول من السماء
حيث كتبت في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام
ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم
بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه
غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصود دون خلقا من بعد خلق حيوانا
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد
نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والمشيمة
او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم المستحق لعبادتكم
والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم
عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم
وقرأ ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت
بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابن عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر
وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة
انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر
دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع الفطرة في الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا
خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان
يدعوا اليه اي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان يتضرع اليه
وما مثله في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا
ليضل عن سبيله وقرئ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال
لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا عرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر فيه نوع لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الاخرة
ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو
قانت قائم بوظايف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره
الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل ام من هو قانت كمن هو بضده وقرأ
الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت كمن جعل لله اندادا ساجدا وقائما حالان
من ضمير قانت لله وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة
ويرجوا رحمة ربه في موضع الحال او الاستيناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون

يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار
القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اي كما
لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب
بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي للذين احسنوا بالطاعات في الدنيا مثوبة حسنة
في الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه
بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفي على الاحسان في وطنه
فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون اجرهم على مشاق الطاعة من احتمال البلاء
ومهاجرة الاوطان لها بغير حساب اجرا لا يهتدي اليه حساب الحساب وفي الحديث
انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت
ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك
لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في الدين بالاخلاص ولانه
اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المعروفة بالاخلاص وان اقتضت
لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزم من السبقة في الدين ويجوز ان
اللام مزيدة كما في قوله اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم في الاخلاص
والبداء في نفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت
ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم
عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه
وان يكون له مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة
والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب
عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال
يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل
وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا
انفسهم وان من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك
هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير

بالاو توسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل
من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار وهي ظلل للآخرين ذلك
يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عبادي فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت
البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر
كالرحموت ثم وصف به للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان أن يعبدوها
بدل الاشتمال منه وأنابوا إلى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى
بالثواب على السنة الرسل او الملئكة عند حضور الموت فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا
للدلالة على مبتداء اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون
الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولو الالباب
العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على ان الهداية
تحصل بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من
في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أأنت
مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد
الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من
حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه فان اجتهاد الرسول في دعائهم
الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة
للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض
تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله
لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله محال
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله ينابيع في الارض
هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع
فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه اصنافه من بر
وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه
اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه
مثال الحيوة الدنيا فلا تغتر بها لأولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم أفمن شرح الله

الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد
لقبوله غير متأبية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق
للنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه
عليه الصلوة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك
قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله
وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو
ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من قبوله من
القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع
ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه
اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادي نظر والاية نزلت في حمزة وعلي وابي
لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعني القران روي ان اصحاب رسول الله تعالى
عليه وسلم ملوا ملة شديدة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله
وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا
متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز و
تجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى
او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وآيات
والانسان عروق وعظام واعصاب وجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا
حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد
وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو
الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار
بان اصلها من الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون
والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك اي الكتاب
هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد
يخرجه من الضلال أفمن يتقي بوجهه يجعله درقا يقي به نفسه لانه يكون مغلولة
يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن
منه فحذف الخبر كما حذف في نظايره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر
موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما
كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم

فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم
منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي
والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون
لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا
القران من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به
قرانا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني رجلا صالحا
او مدح له غير ذي عوج لا اختلاف فيه بوجه ما هو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني
وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك بيقين غير ذي عوج من الاله وقول غير
مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره
وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا
وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخص الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون
سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلثها مصادر وسلم نعت بها
او حذف منها ذا ورجل سالم وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر
والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين
للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين
فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه
لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط
جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ
مايت ومايتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة
عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في
التشريك واجتهدت في الارشاد البليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون
بالباطل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا اباءنا وقيل به الاختصام العام تخاصم
الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة
الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام
اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم
مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم

فانهم يكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاذا جاءه ما علم مجيء الرسول به
بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسول والمؤمنين لقوله
اولئك هم المتقون وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضي اضمار الذي
وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار
صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء مفعول لهم ما يشاؤن
عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوء الذي
عملوا اخص الاستواء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم
لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من
الصغاير اسواء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى الشيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا
بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي
كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم
اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر
بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم
قالوا انا نخاف ان تخبلك الهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا لتكسر العزى
فقال لسادنها احذرها فان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه عليه الصلوة والسلام لانه الامر له بما خوف عليه ومن
يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد
يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله
بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل ارايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارايتم بعد ما تحققتم ان
الخالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل يكشفنه او ارادني
برحمة نفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكها عني وقرأ ابو عمرو كاشفات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر
اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات
وممسكات بل ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل

المتوكلون لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم اسم للمكان استعير
للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم إني عامل اي على مكانتي
فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على
مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر
ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم
فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه
اذ نفع به نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما أنت
عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت
الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت اي يقبضها عن الابدان بان يقطع
تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو
في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ حمزة والكسائي
قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الأخرى اي النائمة
الى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية
جنس الارسال وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان في ابن آدم نفسا
وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها
النفس والحركة فيتوفيان عند الموت وتتوفى الانفس وحدها عند النوم قريب
مما ذكرناه إن في ذلك من التوفي والامساك والارسال لآيات على كمال
قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان و
توفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها
من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيهما عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين
الى توفي حالها أم اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء يشفع لهم عند
الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون يشفعون ولو كانوا على هذه
الصفة كما تشاهدونها جمادات لا تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا رد لما
عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك
الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك
فقال له ملك السموات والأرض فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم
فراء من دون اذنه ورضاه ثم إليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا
حينئذ وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت وإذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان
إذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى
الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة
قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم التجئ الى الله
تعالى بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت عن عنادهم وشدة شكيمتهم فانه
القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد
واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة
فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين في الوعد وبدا لهم سيئات
ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به
يستهزئون واحاط بهم جزاؤه فإذا مس الإنسان دعانا اخبار عن الجنس
بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم
وتعكيسهم في التسبيب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم دعوا اشمأزوا من ذكره دون استبشروا بذكره وما بينهما
اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم إذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا
فان التخويل مختص به قال إنما أوتيته على علم مني بوجوه كسبه او باني سأعطاه
لما لي من استحقاقه او من الله باستيجابي والهاء لما ان جعلت موصولة والا
فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة امتحان له أيشكر ام يكفر
وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير
ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها
الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ
بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما أغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فأصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى
ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان
او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم
فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين أو لم

يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا
ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله
بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف بالمعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما عرف في القران
لا تقنطوا من رحمة الله لا تيئسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر
الذنوب جميعا عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه
فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر الاية والتعليل بقوله انه
هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة
وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا
عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع
اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتاكيد
بالجميع وما روي انه عليه الصلوة والسلام قال ما احب ان يكون الدنيا وما
فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس
بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس
فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا فافتتنوا او في الوحشي
لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب
ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب
لتغني عن التوبة والاخلاص في العمل وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم القران او المامور به دون المنهي او العزايم دون الرخص
او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة
من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتداركون ان تقول
نفس كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتا
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله جانبه اي في
حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرا
عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة والندى
في قبة ضربت على ابن الحشرج في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل

وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول
لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل او للدلالة على
انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها
واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني
من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق
للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع
تاثير قدرته في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب
على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما
يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفي فيها بالضمير
عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير
لانهم يرون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وينجي الله بمفازتهم بفلاحهم مفعلة
من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح
اطلاق لها على السبب وقرئ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه
والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان
وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض
لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده
مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب
اكليد على الشذوذ ككبد اكبر وعن عثمان رضي الله عنه انه سال النبي صلى الله عليه
عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله
وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله
هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها
اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله
الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم

مجازا عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة فى فلاح المؤمنين فضل وفى هلاك
الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم وبما
يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض وكلمات
توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب
قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون اى افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل
والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم
بعض الهتنا ونؤمن الهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمرونى
اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله
احضر الوغا ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقراءة ابن عامر تأمرونى باظهار النونين
على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد أوحى إليك وإلى الذين
من قبلك اى من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل
الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب
باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به
فى قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف
الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروا به ولولا
دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك
وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته
فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد
والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على
ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها
البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض
منظومة فى حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته
عن اشراكهم او ما يضاف اليه من شركاء ونفخ فى الصور يعنى المرة الاولى فصعق
من فى السموات ومن فى الأرض خروا امواتا او مغشيا عليه إلا من شاء الله قيل جبرائيل

جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه أخرى نفخة
اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى
يحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر
ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون
ما يفعل وأشرقت الأرض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع
ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف
اسمه الى الارض او بنور خلق فيها لا بتوسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه
ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال
فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجىء
بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضى بينهم
بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد
ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو أعلم بما يفعلون فلا يفوته شئ من افعالهم ثم فصل
التوفية وقال وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على
تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة وهى الجمع القليل واشتقاقها من الزمر وهو الصوت
اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة حتى إذا
جاؤها فتحت أبوابها ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف
التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل
على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب
قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم
بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص
ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه
للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافى اشعاره بان مثويهم فى النار لتكبرهم
عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم
مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلقه للنار استعمله على عمل
من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة اسراعا بهم الى دار
الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم فى الشرف

وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ
من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين
وقراء الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد
مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون
المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم
او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي نتبوأ
كل منا في اي مقام اراده من الجنة الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش
اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال
ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصف جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار
بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق
اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على
حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم
المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من قرء سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب
الخائفين وعن عايشة رضي الله تعالى عنها وعن ابيها كان يقرء كل ليلة
بني اسرائيل والزمر سورة المؤمن مكية وايها خمس او ثنتان وثمانون

سورة المؤمن ثمانون وخمس ايات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا
ونافع براوية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين
او النصب باضمار اقرء ومنع صرفه للتعريف والتانيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل
وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القران
من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب
والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج

للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين
الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم
الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة
دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير فيجازي
المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر
على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به
الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقايقه وقطع تشبث اهل الزيغ به
وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام ان جدالا في
القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في
البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن
بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت
قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم
نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه
ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل
بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء
لهمهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه
تعجب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا
لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ
او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم
وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم
من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون
الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا
لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا
لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون
للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء ردا على
المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه
تنبيه على ان المشاركة في الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس

لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو
بيان يستغفرون او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك
فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومها وتقديم الرحمة
لانها المقصود بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد
اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم
وعدتهم اياها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى
ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح
بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم
الذى لا يفعل الا ما يقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات
العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى
فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد
رحمته فى الاخرة كانهم طلبوا السبب بعد ما طلبوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم
يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة
بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول
لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء
اعمالها الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان
المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم
صيرتنا امواتا عند انقضاء اجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة ابتداء
او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الاخر
واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند
انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياء ان ما فى القبر
والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك
تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم
بالبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما
يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اى الذى انتم
فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم

واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق
للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى من ان يشرك به ويسوى بغيره الكبير
حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم اياته
الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا
اسباب رزق كالمطر مراعات لمعاشكم وما يتذكر بالايات التى هى كالمركوزة فى العقول
لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار
بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له
الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش
خبران اخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى
الالوهية وان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى
هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات
او مصاعد الملائكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح
يلقى الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهارها اثارها
وهو الوحى وتمهيد النبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه الامر بالخير
او مبدأه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها
عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد
الثانى يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد او اهل السماء والارض
او المعبودون والعباد او الاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شئ او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله
منهم شئ من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم
فى الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به
او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال
فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه
ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنه لا تشعر بها
فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها
لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان
عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها
لازوفها اى قربها او الخطة الازفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب
لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحناجرهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج

فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من
ضميرها فی لدی وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم على انه مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع
ولا شفيع مشفع والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم
للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخاينة كالنظرة
الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضماير
والجملة خبر خامس للدلالة على ان ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه
لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقرئ نافع وهشام
بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه
بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل
قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع
بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ ابن عامر
اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمداين الحصينة وقيل المعنى
واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من
واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
والاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد
العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات
وسلطان مبين وحجة قاهرة وظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات
كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى
وفيه تسلية لرسول الله وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم
زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كي يصدوا عن مظاهرة موسى وما كيد
الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة
على العلة وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله ويقولون انه ليس
الذي تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله
بذلك مع كونه سفاكا في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله او ظن انه
لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه

بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة
الاصنام لقوله تعالى ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم
بالتحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن
عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء
ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه اني عذت بربي وربكم من كل متكبر
لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد في دفع
الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه
واليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول
وقرئ ابو عمرو وحمزة والكسائي عدت فيه وفي الدخان عت بالادغام وعن نافع مثله
وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلي
او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول
او وقت ان يقول من غير روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر
مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات
من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا الى الاعتراف به
ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال فان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان
يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك
قدم كونه كاذبا او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما
هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها
او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذات وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما
هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه
فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل
النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه
ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة
وليريهم انه منهم ومساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم

الا ما ارى واستصوبه من قتله وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبي ولساني
متواطئان عليه وما اهديكم الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد
على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه
مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج او بتات وقال الذي امن يا قوم
اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح
وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم
كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم
بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث
تعلق ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي
فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب
الجنة اصحاب النار كما حكى في الاعراف وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم
من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين منصرفين
عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل
الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون
موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف
من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين
حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته
وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك
الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما يشهد به البينات
بغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في ايات الله بدل من الموصول
الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان اتاهم بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة
كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون
الذين مبتداء وخبره كبر على حذف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير
سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرئ ابو عمرو
وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم
رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي متكبر وقال فرعون

يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ
الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها وايضاحها تفخيم لشانها
وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص
بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه
احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها
ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وذلك
مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه
كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد
عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون
صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون
الا في تباب اي خسار وقال الذي امن يعني مؤمن ال فرعون وقيل موسى يا قوم
اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه
تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع
يسير لسرعة زوالها وان الاخرة لخلودها دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير تقدير وموازنة
بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية
مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى
له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما
هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه
تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء
كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي
المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن
ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة
والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على

على التعذيب والغفران لا جرم لارد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما
تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا
لانها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيتها او عدم مستجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب
وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل
من ذلك الا بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل
من التبديد وهو التعريف والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع
فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان
مردنا الى الله بالموت وان المسرفين فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك
الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا معاينة العذاب
ما اقول لكم من النصيحة وافوض امرى الى الله ليعصمنى من كل سوء ان الله بصير بالعباد
فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم
وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون بفرعون وقومه فاستغنى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل او النار
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون
استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الال وقرئت منصوبة على الاختصاص
او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم
عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم
فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص
والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا ال فرعون يا ال فرعون اشد العذاب عذاب
جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرء نافع وحمزة والكسائى ويعقوب
وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار واذ يتحاجون فى النار واذكر وقت
تخاصمهم فيها ويحتمل العطف على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له
انا كنا لكم تبعا تباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه
مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا فيكون من صلة لمغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم
فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى

بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن فى الظرف
فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم
بين العباد بان ادخل اهل الجنة والنار النار ولا معقب لحكمه وقال الذين فى النار لخزنة
جهنم اى لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او البيان محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون
جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم
من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب
بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم
اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترى فيه اولم
يؤذن لنا فى الدعاء لامثالكم وما دعاء الكافرين الا فى ضلال فى ضياع لا يجاب وفيه
اقناط لهم عن الاجابة انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة
فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لهم من الغلبة
امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد
من يقوم يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانها لا يؤذن لهم
فيعتذرون وقرء غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار
جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والصحف والشرايع
واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعد ذلك هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا
ومذكرا لاولى الالباب لذوى العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله
بالنصر حق لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك واقبل على امر
دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى
كافيك بالنصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ودم على التسبيح
والتحميد لربك وقيل صل هذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان
عشيا ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان اتاهم عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت
فى مشركى مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح بن داود ويبلغ سلطانه
البر والبحر ويسير معه الانهار ان فى صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر
والتعلم وارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه ببالغى
دفع الايات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير
اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه

امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم
واتباعهم اهوائهم ولا يستوي الاعمى والبصير الغافل والمستبصر فينبغي ان يكون حال يظهر
فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن
المسيء وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين
في المقصود والدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اي تذكرا ما قليلا
يتذكرون والضمير للناس او للكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب
او الالتفات وامر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح
الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني
استجب لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلة
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون
بضم الياء وفتح الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه فان خلقه
باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به
واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله
لذو فضل لا يوازيه فضل والاشعار به لم يقل لمفضل على الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم
ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرأ خالق
بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة
فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون من عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بآيات الله ولم
يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر
مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة
متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيأ لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل
ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية
لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته قل اني نهيت ان

اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات
فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له او اخلص له
دين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد
لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف
تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ شيوخا بكسر الشين
وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الرشد ولتبلغوا
ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول
له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على
ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد
والمواد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق وتكرير
ذم المجادلة لتعدد المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس
الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرايع فسوف
يعلمون تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال
والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره
يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال
او اضمار الباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا
ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اي ملئ والمراد تعذيبهم بانواع
من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا
نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم
فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال
يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو
طالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى
الخطاب للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين

الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين لكن
لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب ثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكفار
حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون
الفعل فلا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل
ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فيجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حيوتك او لم نعذبهم
فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا
الموضع ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص
عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص
معدودة وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم
على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد
باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق
وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم
عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان جنسها ما ياكل كالغنم ومنها
ما ياكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا
عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما
قال على الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة اذ
اذ يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة
او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط
رحمته فاي ايات الله اي من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب
اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل
اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات والايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم
عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم في الاخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم
او من علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه

منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما راوا
تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك
قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر
منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم رسلهم كالتفسير لقوله فما اغنى عنهم والباقيتان لان
رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله التي قد خلت
في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك
الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى
عليه واستغفر سورة السجدة مكية وايها ثلث واربع وخمسون ايات

سورة السجدة اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته
تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاول
بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السورة السبع بحم وتسميتها به لكونها
مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة
على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت اياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى
وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني وفصلت بين الحق والباطل
قرانا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان لسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون
العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول
اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئنا بالرفع على الصفة
لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تامل وطاعة
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه اغطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل
وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدا منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو
قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه

ولا ادعوكم الى ما ينبو عنه العقول و الاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليها دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في
افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه
مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط
جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق
وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه
لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مشعرة
بان امتناع عن الزكوة فاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم الاخرة ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع
من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم
الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار
يومين او بنوبتين وخلق كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة
السفل من الاجرام البسيطة وخلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها
صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا
ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع
ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استيناف غير معطوف على خلق
للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للناظر ما فيها
من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر
خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها
بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا ينشاء منها بان خص حدوث
كل قوة بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة
اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر الى الكوفة في خمس عشرة
ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما لليومين اولا ولبن
والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة
ايام ويدل عليه قراءة بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او فيها وقرئ بالرفع على
سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد
نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان
ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها

ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها
والاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير
والتأثر وابرزاما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود
على ان الخلق السابق بمعنى التقدير والترتيب للرتبة او الاخبار واتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليات كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا وآتينا من المواتاة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما
اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع
مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا وابينا طائعين
منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلهما
بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على
الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما
مخاطبات كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن
امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز
على الثاني في يومين قبل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة
واوحى في كل سماء امرها شانها وما يتاتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى
الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها يرى كانها تتلألأ
وحفظا اي وحفظناها من الافات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى
كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم خذرهم
ان يصيبهم عذابا شديدا الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وهي المرة من الصعق والصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم
لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة
او من جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما اعد لهم في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم
اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعيين الى الايمان
بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ياتيها رزقها رغدا من كل
مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا ارسال
الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم

بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق فتعظموا فيها
على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان
من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذى خلقهم
هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر
عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على
فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو
البرد الذى يصر اى يجمع ويقبض او شديدة الصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام
نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن اخر شوال
من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى
فى الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله
ولعذاب الاخرة وهو فى الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد
المجازى للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم
على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده
ومنونا فى الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على
الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب
ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا
يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء فهم يوزعون
يحبس اولهم على اخرهم لئلا يتفرقوا وهى عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها
اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها اثارا تدل على ما اقترف بها
فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد
به نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شئ اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله
الذى انطق كل شئ وليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى انطق كل حى ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش
مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه

تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق انه لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو
مبتدأ وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم
خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين
فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسئلوا العتبى وهو الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا
من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون
عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة
للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة
وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب فى امم فى جملة امم كقوله ان تك عن احسن
الصنيعة مافوكا ففى اخرين قد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن
والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم
وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا
اصواتكم بها لتشوشوا على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغا يلغو ولغى يلغى اذا
هذى لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد
هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله
الذين كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان
للجزاء او خبر محذوف لهم فيها فى النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه
الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا
يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا
الذين اضلانا من الجن والانس يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا
بالتخفيف كفخذ وفخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما
انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين
قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا فى العمل وثم للتراخى
عن الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار
وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل
واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع

عنهم الخوف والحزن او عند الموت والخروج عن القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتهم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء مفسرة وابشروا بالجنة التى كنتم
توعدون فى الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على
الخير بدل ما كان الشياطين بفعل بالكفرة وفى الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى
الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها فى الاخرة ما تشتهى انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم
كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين
ربه وقال اننى من المسلمين تفاخرا به واتخاذا الاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا
قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى
عليه السلام وقيل المؤذنين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن العاقبة
ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفى ادفع بالتى هى احسن اى ادفع السيئة حيث اعترضتك
بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها
به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة
وكذلك وضع الاحسن موضع الحسنة فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى
حميم اى اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقيها
وما يلقى هذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها
تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال اليقين
وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به
وسوسة لانها بعث على ما لا ينبغى كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا
على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله
من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذى خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما
اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود
اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابى حنيفة
رضى الله تعالى عنه الاخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما لقوله
وهم لا يسأمون اى لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة

يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اى زادت ان الذى احياها بعد موتها
لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة
فى اياتنا بالطعن والتحريف والتاويل الباطل والالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم
على الحادهم افمن يلقى فى النار خير امن ياتى امنا يوم القيمة قابل الالقاء فى النار بالاتيان
امنا مبالغة فى احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد
بالمجازات ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون فى اياتنا او مستانف
وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القران وانه لكتاب
عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتاتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية
والامور الاتية تنزيل من حكيم حميد اى حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من نعمة ما يقال لك
اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا ما قال لهم كفار قومهم
او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لمن امن لانبيائه وذو عقاب
اليم لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم
وعد المؤمن بالمغفرة والكافر بالعقوبة ولو جعلناه قرانا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل
القران بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمى
وعربى اكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتخصيص والاعجمى يقال للذى لا يفهم
كلامه ولكلامه وقرئ اعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام اعجمى على الاخبار
وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود
ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى
الايات كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء لما فى الصدور من
من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ وخبره فى اذانهم وقر على تقدير هو
فى اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم
من الايات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين امنوا هدى اولئك
ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من
مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما
اختلف فى القران ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة وفصل الخصومة
حينئذ او تقدير الاجال لقضى بينهم باستيصال المكذبين وانهم وان اليهود والذين
لا يؤمنون لفى شك منه من التورية او القران مريب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه

نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله
اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من أكمامها
من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع
وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان يكون موصولة
معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان الا بعلمه
الا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائى بزعمكم قالوا آذناك
اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون
السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء
اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون
من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب وظن معلق
عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة
وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته
وهذا صفة الكافر لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم وقد بولغ فى يأسه من جهة
البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى حقى استحقه بما لى من الفضل والعمل او لى دائما
لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن
قامت على التوهم كان لى عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما
اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم
بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب
غليظ اى لا يمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى
بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب
مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل
اذ الطول طول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل أرأيتم
اخبرونى ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من نظر واتباع دليل من اضل ممن
هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم
وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا فى الآفاق يعنى ما اخبرهم النبى صلى الله عليه
وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح
والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم ما ظهر فيما

فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة
حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او لله أولم يكف بربك اى اولم يكف
ربك والباء مزيدة للتأكيد كأنه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا يكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى
انه على كل شئ شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق
امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم
اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية
الا انهم فى مرية شك وقرئ بالضم وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث
والجزاء الا انه بكل شئ محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته
شئ منها قال النبى عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة
ويستغفرون له ويسترحمون له سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلث وخمسون آية

سورة عسق ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين
وان كان اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق وكذلك يوحى اليك والى
الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها
اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك
مبتدأ ويوحى خبره مسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل
عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به مسند الى اليك كما مر
فى السورة السابقة او بالابتداء كما قراءة نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز
الحكيم صفتان له له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم خبران له وعلى الوجوه
آخر استيناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول
ابلغ لان مطاوع فطر وقرئ تنفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اى
يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الآيات
وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق
الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب
المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى

فما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على
الاولى زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم
معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم
فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا
اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في
فى القران فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرانا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى
اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع الخلائق
فيه او الارواح والاشباح او العمال والاعمال وحذف ثانى مفعول الثانى للتهويل
وايهام التعميم وقرى لينذر بالياء والفعل للقران لا ريب فيه اعتراض لا محل له
فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف جمعون اولا ثم يفرقون
والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقريا منصوبين على الحال
منهم اى وتنذر يوم اجمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دار
الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين ولكن يدخل
من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير
اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير فى عذابه ولعله غير المقابلة للمبالغة فى الوعيد
اذ الكلام فى الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولى
جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولى بالحق وهو يحيى الموتى وهو
على كل شىء قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شىء
من امر من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر
او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى
المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربى عليه توكلت فى مجامع الامور واليه انيب ارجع
فى المعضلات فاطر السموات والارض خبر اخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرى
بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء
ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام
اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر
والذرو فيه فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم
توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شىء اى ليس مثله شىء يزاوجه

يزاوجه ويناسبه والمراد مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة
فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره
قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته
ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه اكد لما ذكرنا
وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع
ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يوسع ويضيق على وفق مشيئته انه بكل شىء عليم فيفعله على ما ينبغى شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اى شرع لكم من دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك
فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف
كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا
فى هذا الاصل اما فروع الشرايع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم من التوحيد اليه الله يجتبى اليه
من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدى اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعنى الامم السابقة وقيل اهل
الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان
التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول والكتب وغيرها فلم يلتفتوا
اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال
الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضى بينهم باستيصال المبطلين
حين افترقوا العظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعنى اهل الكتاب
الذين كانوا فى عهد الرسول والمشركين الذين اورثوا القران من بعد اهل الكتاب
وقرى ورثوا وورثوا لفى شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون
به حق الايمان او من القران مريب مقلق او مدخل فى الريبة فلذلك لما اوتيت
فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى الافادة
الصلة او التعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع
اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعنى جميع الكتب المنزلة لا
كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرايع

والحكومة والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية
الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولى امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل يجازى بعمله
لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا
للخلاف مبداء سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل
القضاء وليس فى الاية مايدل على متاركة الكفار راسا حتى يكون منسوخة باية
القتال والذين يحاجون فى الله فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له
اهل الكتاب ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم
بدر او من بعد ما استجاب له من اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به
حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة عليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب
شديد على كفرهم الله الذى انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من
الباطل او بما يحق انزاله من العقايد والاحكام والميزان والشرع الذى يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن واوحى باعدادها
وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب
على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل
تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون عنها خايفون مع
اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون
فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مرية الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال
بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها
فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه الله لطيف بعباده برّ بهم بصنوف من البر
لا يبلغها الافهام يرزق من يشاء اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوى الباهر القدرة العزيز المنيع
الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه
فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث فى الاصل
القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له فى حرثه فنعطيه
بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا
منها على ما قسمنا له وما له فى الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل
امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم

وشركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم انهم متخذوها شركاء شياطينهم شرعوا بالتزيين
لهم من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم
اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانه سبب ضلالتهم
وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سن لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين
والمشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل
اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب
الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين يوم القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا
من السيئات وهو واقع بهم اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا
وعملوا الصالحات فى روضات الجنات اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند
ربهم اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير
الذى يصغر دونه ما لغيرهم فى الدنيا ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذى
يبشره الله عباده وقرئ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ
يبشر من ابشره قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم الا المودة فى القربى ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء
منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة
ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة او فى من اجلها كما جاء فى الحديث
الحب فى الله والبغض فى الله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على
وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم
اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب
طاعة سيما حب آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر ومودته لهم نزد له فيها فى الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور
لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل يقولون افترى على
الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة والقران فان يشاء الله يختم على قلبك استبعاد
للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا
بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك
لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك ينسك القران والوحى عنه او يربط
عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته

عليم بذات الصدور واستيناف لنفي الافتراء عما يقولون بانه لو كان مفتريا لمحقه
اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او لوعد بمحو باطلهم
واثبات حقه بالقران او بقضائه الذي لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف
لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما
تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة
وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة
كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفوا عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة
وقرئ الكوفيون بالتاء غير ابي بكر ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب
الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء او الاثابة
على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه السلام افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله
على ما سئلوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب
شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده
لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء
وهذا على الغالب واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى الاقتصار فيما
يتحرى كيفية وكمية ولكن ينزل بقدر ما يشاء ما اقتضته مشيته انه بعباده
خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم روي
ان اصل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا
واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك
خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ما ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات
والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد
على ذلك ومن اياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود
الصانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على
اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين
يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير
متمكن منه واذا كما يدخل الماضي يدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما

كسبت ايديكم بسبب معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها
نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفوا عن كثير من الذنوب فلا يعاقب
عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها تعريضه
للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن
الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كانه علم في
راسه نار ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على
النظر في ايات الله والتفكر في الائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد
اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر
فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا
بذنوبهم وينج ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين
يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب
نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانها ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر
بالرفع على الاستيناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك
قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها
الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حيوتكم وما عند الله
من ثواب الاخرة خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما
الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب التمتع بها
في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق ابو بكر
رض بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين بما بعده عطف على الذين
امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم
الاخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم والذين استجابوا
لربهم نزلت في الانصار دعاهم رسول الله الى الايمان فاستجابوا له واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه
وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وهو مصدر كالفتيا بمعنى التشاور
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعله

الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات
القبايل وهو لا يخالف وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بساير امهات الفضايل
وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن
مقاومة الخصم والحلم من العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء
واغراء على البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به
فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم
الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في الانتقام
ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك عليهم من سبيل بالمعاتبة
والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار
او يطلبون ما لا يستحقون تجبرا عليهم ويبغون في الارض بغير الحق
اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر
ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف كما حذف
في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب
حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى
رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين
من الذل متقاصرين مما يلحقهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ
نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمقتول ينظر الى السيف
وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض
للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون
اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام كلامهم
او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن
يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي
يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي
اي من قبل ان ياتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ مفر وما لكم
من نكير انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم يشهد عليه السنتكم
وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك
الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان

بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ
الكفران ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص
بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية
الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع
الضمير في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات
والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء من غير لزوم ومجال
اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض من الكل والمعنى يجعل احوال
العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من
ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر
لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية
الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن
بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر
التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج
اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير
فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا
كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة تتوقف
على تموجات الصلوة ولا متعاقبة فيه وهو ما يعم المشافهة به كما روى في حديث المعراج
وما وعد به في الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عم في طوى والطور لكن عطف
او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها
وقيل المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل
فيكون المراد به او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبينا فيبلغ
اليه وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا
بما عطف عليه نصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال
نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا
وقعت احوالا انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته
فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه ما يوحي ما كنت تدري ما الكتاب

ولا الايمان اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل
المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه نورا اى الروح او الكتاب
او الايمان نهدى به من نشاء من عبادنا ما التوفيق المقبول والناظر فيه
انك لتهدى الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى لنهديك صراط الله
بدل من الاول الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا الا الى الله
تصير الامور بارتفاع الوسايط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين
والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف ممن يقال له يوم القيمة
يا عبادى لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون دخل الجنة بغير حساب سورة الزخرف
مكية وقيل الا قوله وسئل من ارسلنا او اسها تسع وثمانون ايات

سورة الزخرف مكية وثمانون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرانا عربيا اقسم
بالقران على انه جعله قرانا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه
كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها
من الدلالة على المقسم عليه والقران من حيث انه معجز مبين طريق الهدى وما
يحتاج اليه فى الديانة او بين المغرب يدل عليه انه تحاصره كذلك لعلكم تعقلون
لكى تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرا حمزة والكسائى بالكسر على الاستيناف
فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب
لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلى رفيع الشان فى الكتب لكونه معجزا من بينها
حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهو خبران لان وفى ام الكتاب
متعلق بعلى واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب
عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض
قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف
على محذوف اى انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية
الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة
عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا وحينئذ
يحتمل ان يكون تخفيفا صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون
الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموا ان كنتم قوما
مسرفين اى لان كنتم وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض

الاعراض وقرا نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة الشرطية مخرجة للمحقق
مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبى فى الاولين
وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب
عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف فى القران قصتهم العجيبة وفيه
وعد للرسول ووعيد لهم صلعم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله الزم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم
مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع اخر وهو
الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف
الذى جعل لكم الارض مهادا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها
لعلكم تهتدون لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك والذى
نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا ما عند الماء وتذكيره
لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من
قبوركم وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذى خلق
الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة
وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك
قال لتستووا على ظهوره اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا
استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذى
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينة
اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه السلام
انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله
على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون
واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه
مخطر فينبغى للراكب لا يغفل عنه وليستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا
متصل بقوله ولئن سالتهم اى وجعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا
فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد
دلالة على استحالة على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان
لكفور مبين ظاهر الكفران من ذلك نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل

والتحقير لشانه او اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار
والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم
وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمهم بها كما قال واذا بشر احدهم
بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذي جعل له مثلا اذ الولد لا بد وان يماثل الوالد
ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم
مملو قلبه من الكرب وفي ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر
في الذكور وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة
وقعت خبرا او من ينشأ في الحلية اي او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني
البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل
وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اي من هذا حاله ولده وفي
الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ينشأ اي يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظيره ذلك اعلاه وعلاه
وغالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم
شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رأيا واخسهم
صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان والبصريان عند على تمثيل زلفاهم واناثا
وهو جمع الجمع أشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك
مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع أأشهدوا بهمزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التي
شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب
وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهن الملائكة
ويسألون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء عدم عبادة الملائكة
ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها
وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا
حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كأنه لما ابدى وجوه
فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى
انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل
القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك الكتاب
مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لا حجة

اي لا حجة لهم عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة
التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي
القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن
لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة
صرفهم عن النظر الى التقليد قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم اي
اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير
او خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص
قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى اقناطا للنذير
من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله
هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن بد من
التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم
ومعبودكم نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان
ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان
ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين
سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني وجعلها وجعل ابراهيم
عليه الصلاة والسلام او الله تعالى كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في
ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة في عقبه
بالتخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم
بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه
وسلم من قريش وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات
وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة
باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول
مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما
جاءهم الحق لينبههم على غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة
فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به

واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين
مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية يستدعي
عظيم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف
الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة
النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهي
خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة التي هي اعلا المراتب
الانسية واطلاق الخشية يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله تعالى ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تألف ونظام
ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض
لهم علينا ولا تعترف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة
وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم من رزق لامنها لامنه ولولا
ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم
لحبهم الدنيا يجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج
ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح
لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا
لقميصه وقراء ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا
بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو في سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على
محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرئ عاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ مع ان وما والآخرة عند
ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا
في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى تجمع الناس على الايمان وهو انه
يمنع قليل بالاضافة الى ماهم في الآخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الآفات
قل من تخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض
عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعمى
يقال عشى اذا كان في بصره آفة وعشى اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ
يعشى على ان موصولة نقيض له شيطانا يوسوسه ويغويه دائما وقراء يعقوب

يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه فهو له
قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي من حقه ان يسبل وجمع الضمير
للمعنى اذ المراد جنس العاصي والشياطين المقيض له ويحسبون انهم مهتدون
الضمائر الثلاثة الاول والباقيات للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرئ
الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان
ياليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى
واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني
اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان
حقكم ان تشتركوا وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند
الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لمكابدة عنائه اذ لكل ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم
بالكسر وهو يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون
هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث
صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب في دعاء
قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار
تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن
بك اي فان قبضناك ان ينصرك عذابهم وما مزيدة موكدة بمنزلة لام القسم في
استجلاب النون الموكدة فانا منهم منتقمون بعذاب في الدنيا والآخرة او نرينك الذي
وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون
لا يفوتونا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء
للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك
ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسئل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي اسئل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون
الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم
والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع
ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما هم على التكذيب والمخالفة ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين يريد باقتصاصه
تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم

منها يضحكون فاذا جاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزاؤا بها اول ما راوها ولم يتأملوا
فيها وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث
يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر
كقولك رايت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسرى بها السارى او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها
بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون
على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايه الساحر نادوه بذلك في تلك الحال لشدة
شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك بما
عهد عندك من النبوة او من يستجيب دعوتك وان يكشف العذاب عن عمى اهتدى
او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم
العذاب اذا هم ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه
في قومه في مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال
يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر
طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى تحت قصرى او امرى او بين يدى
في جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك وتجرى حال منها او واو حال
وهذه مبتدا والانهار صفتها وتجرى خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع
هذه المملكة والبسطة من هذا الذى هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة
من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرياسة
وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على
اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى
خير منه فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى فهلا القى عليه مقاليد الملك ان كان
صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واساورة
جمع اسوار بمعنى السوار واساورة على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به
وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ القى عليه اسورة واساور على البناء
للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او يصدقونه
من قرنته فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم
الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما
فاسقين فلذلك اطاعوه ذلك الفاسق فلما اسفونا اغضبونا بالافراط في
العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم

فاغرقناهم اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في
استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى
بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سالف كخنث وقرئ سلفا
بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ومثلا للاخرين اى عظة لهم
او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم
مثلا اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون
عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك او على قوله واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا
او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون
يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم
من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف
وقالوا ءالهتنا خير ام هو اى الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في النار فلتكن الهتنا معه
او الهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى
بذلك او الهتنا خير ام محمد فنعبده وندع الهتنا ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا
المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد
الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل امرا
عجبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا
منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى
قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة
يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب
الى الله تعالى وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة
يعلم به دنوها او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى لعلامة ولذكر
على تسميته ما يذكر به ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها
افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فياتى بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر
الامام فيتقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وقيل الضمير
للقران فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها
واتبعون واتبعوا هداى وشرعى او رسولى وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا

الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة
انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرايع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة
بالانجيل والشريعة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين
لا يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربى وربكم
بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع هذا صراط
مستقيم بالاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما
هو المقتضى للطاعة فى ذلك فاختلف الاحزاب من بينهم من بين النصارى واليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم
هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم
بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ
بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتحابون له
سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابدا الابادين يا عباد
لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون
فى الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة المنادى وكانوا مسلمين حال من الواو ولى
الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم
المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون
من الحبر اى حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب
جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفى الجنة ما تشتهى الانفس وقرأ نافع وابن
عامر وحفص ما تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم
بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ وانتم فيها خالدون فان كل
نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر فى ثانى الحال
وتلك الجنة التى اورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل
وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتداء والجنة خبرها والتى اورثتموها
صفة او الجنة صفة لتلك والتى خبرها او صفتها والخبر بما كنتم تعملون
وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة

كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم
والملابس وتكريره فى القرآن وهو حقير بالاضافة الى ساير نعايم الجنة لما كان بهم
من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين فى الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالآيات
وحكى عنهم ما يخص بالكفار فى عذاب جهنم خالدون خبران وخالدون خبر والظرف متعلق به
لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب وهم فيه
فى العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة
منه وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار
بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فاقتصروا ليقض
علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضى علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافى
بلاسهم فانه جؤار وتمنى للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت
ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان فى قال ضمير الله
والا فجواب منه ولعله تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون
لما فى اتباعه من اتعاب النفس وآداب الجوارح ام ابرموا امرا فى الحق ورده ولم يقتصروا
على كراهته فانا مبرمون امرا فى مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء
من كراهتهم او احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله
ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعها
ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازموهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين منكم فان النبى صلى الله عليه وسلم يكون اعلم بالله وبما يصح له
وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن يعظم الوالد يعظم ولده ولا يلزم
من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيها على
ابلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمة مشعرة بانتفاء
الطرفين وان هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية معلوما للازم الدال
على ان انكاره للولد ليس بعناد ومراء لو كان انكاره اولى الناس بالاعتراف به
وقيل معناه ان كان له ولد فى زعمهم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الانفين
منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له فانا اول الموحدين
من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائى ولد بالضم وسكون اللام سبحان رب السموات
والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا
ذات استمرار تبرأت عما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها
وخالقها فذرهم يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى

يوعدون وهو القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى فانهم مطبوع قلوبهم معذبون فى الاخرة وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او تضمن معناه كقولك هو حاتم فى البلد وكذا فيمن قرا الله الراجع مبتداء محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتداء محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دلالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفى الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما كالهوى وعنده علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها واليه يرجعون للجزاء قراء نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاءهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين الى المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال وقيله وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتداء خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية الرسول وتهديد لهم وقرا نافع وابن عامر بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة الزخرف من كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون

سورة الدخان تسع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كانت مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا فى اللوح ثم انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية

اولما فيها من نزول الرحمة والملائكة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استيناف تبيين به المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة والملتبسة بالحكمة يستدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون امرا من عندنا اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل امر او ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احدى ضميرى انزلناه بمعنى امرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل رحمة فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة اى تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف وقرا الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم وان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سالتم من خلقهما فقلتم الله علمتم ان الامر كما بينا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيى ويميت كما تشاهدون ربكم ورب ابائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظرلهم يوم تأتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهوى يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه عليه الصلوة والسلام لما قال اول الايات الدجال ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر والدخان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملا ما بين المشرق والمغرب

تمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران
يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط
بهم صفة الدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بمقدر
تقول تقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى
من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ماهو
اعظم منها فى ايجاب الاذكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون
قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال اخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب
بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا
قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر عقيب الكشف ومن فسر الدخان
بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم
بعد الاربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسر بما فى القيمة اوله بالشرط
والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل
عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش
بجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او بحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول
بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى اليهم او اوقعناهم
فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة
القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه
وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوا الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى
حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان يكون ان مخففة ومفسرة
لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين غير متهم لدلالة
المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر وان لا تعلوا
على الله ولا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى فى
وجوهها انى اتيكم بسلطان مبين علة للنهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان
مع العلا شأن لا يخفى وانى عذت بربى وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون
ان تؤذونى ضربا او شتما او ان تقتلونى وقرئ بالادغام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون
فكونوا بمعزل منى لا علىّ ولا لى ولا تتعرضوا الىّ بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى ما فيه
فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو التعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر اضمار القول
فاسر بعبادى ليلا اى فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر وقرئ ابو عمرو

ابو عمرو بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم
واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته
بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون
وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين كانوا وقرئ فكهين
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل
المقدر او على تركوا قوما اخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم
لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم
والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء وكسفت لهلكه الشمس فى نقيض
ذلك ومنه ما روى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه وموضع عبادته
ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا
منظرين ممهلين الى وقت اخر ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون
وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى
التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له
لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العتو والشرارة وهو
خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد
اخترناهم اخترنا بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون
فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمى زمانهم واتيناهم من الايات كفلق
البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين نعمة جليلة او اختبار ظاهر
ان هؤلاء كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم
مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى
ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى
اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن
بمنشرين بمبعوثين فأتوا بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
ان كنتم صادقين فى وعدكم ليدل عليه اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع تبع
الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه
كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلوة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا
او غير نبى وقيل لملوك اليمن التابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمال قوم تبع والذين من بعدهم

هم وبه كفار قريش وحال باضمار قد اخبر من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان الجامع المقتضى للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر كما مر فى الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذى اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء وفصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ميعاد جزائهم فى يوم الفصل يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل فى النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت يغلى فى البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلى الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وقرئ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى وقوله ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرئ الكسائى انك بالفتح اى ذق لانك او عذاب انك ان هذا اى العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين فى مقام فى موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم امين يأمن صاحبه من الآفة والانتقال فى جنات وعيون بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير فى الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب ومشتق من البراقة متقابلين فى مجالسهم

فى مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف فى انهن نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه ولا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها والجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها والاستثناء للمبالغة فى تعميم النفى وامتناع الموت وكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى فى المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم عذاب على المبالغة فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون بما لم يتذكروا فارتقب ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية سبع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله وفى خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيى به الارض بعد موتها بعد يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين وفى الابتداء او ان الا ان يضمر فى او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الآيات الثلث فى الدقة والظهور تلك آيات الله تلك الآيات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى

الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فبأي حديث بعد الله واياته يؤمنون
اى بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه
او بعد حديث الله وهو القران لقوله تعالى الله نزل احسن الحديث واياته دلائله
المتلوة او القران والعطف لتغاير الوصفين وقراء الحجازيان وحفص وروح يؤمنون
بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثيرا لاثام يسمع ايات الله تتلى
عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد
سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كانه فخفف وحذف
ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصير مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره
والبشارة على الاصل والتهكم واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شئ من اياتنا وعلم انه
منها اتخذها هزوا كذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهمزة والضمير لاياتنا وفائدته
الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء بالايات كلها
ولم يقتصر على ما سمعه او لشئ لانه بمعنى الايات اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم
جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد اجالهم ولا يغنى عنهم
ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون
الله اولياء اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القران
ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقراء ابن كثير ويعقوب
وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح
يطفوا عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجرى الفلك بامره بتسخيره
وانتم راكبوها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض
جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال اى سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه او خبر
لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات وقرئ منه على المفعول له ومنه على انه
فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون
فى صنايعه قل للذين امنوا يغفروا احذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم
اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه
باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التى وقتها لنصر
المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والاية نزلت فى عمر شتمه غفارى فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة باية القتال ليجزى قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم
هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع
والكسب المغفرة او الاساءة او بعمها وقراء ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى

لنجزى بالنون وقراء ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير والشر والجزاء اعنى
ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه
ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم
على اعمالكم ولقد اتينا بنى اسرائيل الكتاب التورية والحكم النظر والعملية او فصل
الخصومات والنبوة اذ اكثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من الطيبات
مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم ما لم نوت غيرهم
واتيناهم بينات من الامر ادلة فى امر الدين وتندرج فيها المعجزات وقيل ايات
من امر النبى صلى الله عليه وسلم مبنية لصدقه فما اختلفوا فى ذلك الامر بعد ما
جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون بالواحدة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر
امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون اراء
الجهال التابعة للشهوات وهم رؤسا القريش قالوا له ارجع الى دين ابائك
انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض
اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله
بالتقى واتباع الشريعة هذا اى القران او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات
تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون
اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار
الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثانى مفعول نجعل وقوله سواء محياهم
ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون
حيوتهم ومماتهم بينان فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى
وحفص سواء بالنصب على البدل والحال من الضمير فى الكاف والمفعولية والكاف
حال وان كان الثانى فحال منه او استيناف مبين لمقتضى للانكار وان كان لهما
فبدل او حال من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة
او ترك المواخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحيوة او استيناف مقرر لتساوى
محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ ومماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم
ظرفان كقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا بالحق او بئس شيئا حكموا به ذلك
وخلق الله السموات بالحق بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق
ذلك المقتضى للعدل يستدعى على انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت

بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في الجزا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لانه في معنى العلة او علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته
او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثوابه وتضعيف عذابه وتسميته ذلك
ظلما ولو فعله الله لم يكن ذلك منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء
والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى
فكانه يعبده وقرئ واذا راى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم
عالما بضلاله وفساد جوهر وجه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظة
ولا يتفكر في الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار
وقرئ حمزة والكسائي غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون
وقرئ تذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا نحن التي فيها
نموت اي نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى من بعد ذلك او نموت بانفسنا
ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيا بعض ويصيبنا الموت والحيوة فيها
وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم اراد وابه التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة
الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم
من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما
يتعلق بها على الاستقلال وانكار البعث وكليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم
عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم ما كان
لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين انما سماه
حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه
من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دل عليه
الحج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة
والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قدر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على
وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان بابائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم
الجمع للجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله
ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اي ويخسر يوم الساعة ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية
مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية
اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة

صحيفة اعمالهم وقراء يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون
ما كنتم تعملون محمول على قول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر
الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان
انا كنا نستنسخ فستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين
الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم اي فيقال
لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن اياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة
والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقراء حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم
ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا
فادخل حرفا النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا
او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اي لامكانه ولعل
ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابائهم وما تليت عليهم من الايات في امر الساعة
وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها
او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب
ترك المنسي كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم
اضافة المصدر الى الظرف ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم
ايات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة
سواها فاليوم لا يخرجون منها وقراء حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون
يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال القدرة وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيها وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف خمس وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والمعدلة
وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير

اجل مسمى ينتهى اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو مدة بقائه المقدر له والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اي اخبروا عن حال الهتكم بعد تامل فيها هل يعقل ان يكون لها
في نفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك
بالسموات احتراز عما يتوهم ان الوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني
بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القران فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم
او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة
او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا
بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة تثير
المعاني واثرة اي شيء او ثرتم به بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة
للمرة من مصدر اثر الحديث اذ رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يوثر
ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من
المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم
او يسمع دعائهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت الدنيا
وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون مشتغلون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا
بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله
تعالى والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات مبينات
قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها
ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر
والانهماك والضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين
ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع
منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان
عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي
للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون
فيه من القدح في اياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم
بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة
والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل

من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو
الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم
او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي
بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية
مرفوعة وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم
الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما
انا الا نذير عن عقاب الله تعالى مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به اي وقد كفرتم به ويجوز ان يكون
الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه
بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى عليه السلام
وشهادته ما في التورية من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القران وهو ما في
التورية من المعاني المصدقة للقران المطابقة له او مثل ذلك وهو كونه من عند الله تعالى
فامن اي بالقران لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي
القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على
الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان الايمان
او ما اتى به محمد عليه الصلوة والسلام خيرا ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم
فقراء وموال ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم
جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا
به ظرف بمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو
كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القران وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله
اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا
حال من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار
بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحي وتوفيقه من الله تعالى
وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله تعالى او الرسول صلى الله عليه وسلم ويويد الاخير قراءة نافع وابن عامر
والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي
هي منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف
عليهم عن لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط

اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية
وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا واجزاء
ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان
وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر
وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال العظام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله
او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال
قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده
الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر
لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقي ذلك وبه قال الاطباء واقل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق
ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله
وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني
من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين وما يعمها
وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم
هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره للتعظيم اولانه
اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى واصلح لي في ذريتي واجعل لي
ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه تخرج في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه
او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم احسن
ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم
وقرئ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين
او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان نتقبل ونتجاوز وعد الذي
كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك والمراد
به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب
لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج
ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع
واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او سألانه ان يغيثه
بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء بالثبور بالحث على ما يخاف
على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها

كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه
يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لا اسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله
في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف
ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا
والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ
نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب
ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة
كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأه بهمزة ممدودة وهما يقرآن
بها وبهمزتين ومحققتين طيباتكم لذائذكم في حيوتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم
بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن
طاعة الله تعالى وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه
بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء
اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر
الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا
الا الله اي لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا
عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك
قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به
وانما علمه عند الله فيأتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما
على الرسول الا البلاغ ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا
مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما رأوه عارضا سحابا عرض في افق من السماء
مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا
عارض ممطرنا اي يأتينا بالمطر بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب
وقرئ قل بل ريح هي ريح ويجوز ان يكون بدلا فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله
تدمر تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة
ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد
سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا

او الهاء فی ربها ویحتمل ان یکون استینافا للدلالة علی ان لکل ممکن فناء ومقضیا لا یتقدم ولا یتاخر ویکون الهاء لکل شیء فانه بمعنی الاشیاء فاصبحوا لا تری الا مساکنهم ای فجاءتهم الریح فدمرتهم فاصبحوا بحیث لو حضرت بلادهم لا تری الا مساکنهم وقری عاصم وحمزة والکسائی لا یری الا مساکنهم بالیاء المضمومة ورفع المساکن کذلک نجزی القوم المجرمین روی ان هودا علیه السلام لما احس بالریح اعتزل بالمؤمنین فی الحظیرة وجاءت الریح فامالت الاحقاف علی الکفرة وکانوا تحتها سبع لیال وثمانیة ایام ثم کشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فی البحر ولقد مکناهم فیما ان مکناکم فیه ان نافیة وهی احسن من ما ههنا لانها توجب التکریر لفظا ولذلک قلبت الفها هاء فی مهما او شرطیة محذوفة الجواب والتقدیر ولقد مکناهم فی الذی او فی شیء ان مکناکم فیه کان بغیکم اکثر او صلة کما فی قوله یرجی المرء ما ان لا یراه ویعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله تعالی هم احسن اثاثا کانوا اکثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة لیعرفوا تلک النعم ویستدلوا بها علی مانحها ویواظبوا علی شکرها فما اغنی عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شیء من الاغناء وهو القلیل اذ کانوا یجحدون بایات الله صلة لما اغنی وهو ظرف جری مجری التعلیل من حیث ان الحکم مرتب علی ما اضیف الیه وکذلک حیث وحاق بهم ما کانوا به یستهزؤن من العذاب ولقد اهلکنا ما حولکم یا اهل مکة من القری کحجر ثمود وقری قوم لوط وصرفنا الایات بتکریرها لعلهم یرجعون عن کفرهم فلولا نصرهم الذین اتخذوا من دون الله قربانا الهة فهلا منعهم من الهلاک الهتهم الذین یتقربون الی الله حیث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولی اتخذوا الراجع الی الموصول المحذوف وثانیهما قربانا والهة بدل او عطف بیان او الهة وقربانا حال او مفعول له علی انه بمعنی التقرب وقری قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان یستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلک افکهم وذلک الاتخاذ الذی هذا اثره صرفهم عن الحق وقری افکهم بالتشدید للمبالغة وآفکهم ای جعلهم افکین وافکهم ای قولهم الافک ای ذو الافک وما کانوا یفترون واذ صرفنا الیک نفرا من الجن املناهم الیک والنفر دون العشرة وجمعه انفار یستمعون القران حال محمولة علی المعنی فلما حضروه ای القران او الرسول صلی الله علیه وسلم قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسکتوا لنسمعه فلما قضی ای اتم وفرغ من قراءته وقری علی بناء الفاعل وهو ضمیر الرسول ولوا الی قومهم منذرین ای منذرین ایاهم بما سمعوا روی انهم وافوا رسول الله صلی الله علیه وسلم بوادی النخلة عند منصرفه من الطائف یقرأ تهجده قالوا یا قومنا انا سمعنا کتابا انزل

من بعد موسی قیل انما قالوا ذلک لانهم کانوا یهودا اما سمعوا بامر عیسی مصدقا لما بین یدیه یهدی الی الحق من العقائد والی طریق مستقیم من الشرایع یا قومنا اجیبوا داعی الله وامنوا به یغفر لکم من ذنوبکم بعض ذنوبکم وهو ما یکون فی خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالایمان ویجرکم من عذاب الیم هو معد للکفار واحتج ابو حنیفة باقتصارهم علی المغفرة والاجارة علی ان لا ثواب لهم والاظهر انهم فی توابع التکلیف کبنی ادم ومن لا یجب داعی الله فلیس بمعجز فی الارض اذ لا ینجی منه مهرب ولیس له من دونه اولیاء یمنعونه اولئک فی ضلال مبین حیث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم یروا ان الله الذی خلق السموات والارض ولم یعی بخلقهن ولم یتعب ولم یعجز والمعنی ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالایجاد ابد الاباد بقادر علی ان یحیی الموتی ای قادر ویدل علیه قراءة یعقوب یقدر والباء مزیدة لتاکید النفی فانه مشتمل علی ان وما فی خبرها ولذلک اجاب عنه بقوله بلی انه علی کل شیء قدیر تقریر للقدرة علی وجه عام یکون کالبرهان علی المقصود کانه لما صدر السورة بتحقیق المبداء اراد ختمها باثبات المعاد ویوم یعرض الذین کفروا علی النار منصوب بقول مضمر مقوله الیس هذا بالحق والاشارة الی العذاب قالوا بلی وربنا قال فذوقوا العذاب بما کنتم تکفرون بکفرکم فی الدنیا ومعنی الامر هو الاهانة بهم والتوبیخ لهم فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد منهم فانک من جملتهم ومن للتبیین وقیل للتبعیض واولوا العزم اصحاب الشرایع اجتهدوا فی تأسیسها وتقریرها وصبروا علی تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنین فیها ومشاهیرهم نوح وابرهیم وموسی وعیسی علیهم الصلوة والسلام وقیل الصابرون علی بلاء الله کنوح صبر علی اذی قومه کانوا یضربونه حتی یغشی علیه وابراهیم علی النار وذبح ولده والذبیح علی الذبح ویعقوب علی فقد الولد والبصر ویوسف علی الجب والسجن وایوب علی الضر وموسی قال له قومه انا لمدرکون قال کلا ان معی ربی سیهدین وداود بکی علی خطیئته اربعین سنة وعیسی لم یضع لبنة علی لبنة ولا تستعجل لهم لکفار قریش بالعذاب فانه نازل بهم فی وقته لا محالة کانهم یوم یرون ما یوعدون لم یلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم فی الدنیا حتی یحسبونها ساعة بلاغ هذا الذی وعظتم به او هذه السورة بلاغ ای کفایة او تبلیغ من الرسول صلی الله علیه وسلم ویؤیده انه قری بلغ وقیل مبتداء خبره لهم وما بینهما اعتراض ای لهم وقت یبلغون الیه کانهم اذا بلغوه وراوا ما فیه استقصروا مدة عمرهم وقری بالنصب ای بلغوا بلاغا فهل یهلک الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقری یهلک بفتح اللام وکسرها من هلک وهلک ونهلک بالنون ونصب القوم غیر النبی

صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام ثمان وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه اومنعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا لاحيث لم يقصد وا به وجه الله تعالى او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناء لهن ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتائيد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدا خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك سمي تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوز فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا بتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح

كالسلاح والكراع اي تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عليه السلام ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم بالاستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرئ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا لهم وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القران لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقران للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقران ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا وياكلون كما تاكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القران او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين

كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا
عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتداء
خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او مثل الجنة
كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء مثله تصوير المكابرة
من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو
على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله
كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الاخرة وتقريرا لانكار المساواة
فيها انهار من ماء غير اسن استيناف لشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل واسن
من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرء ابن كثير اسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين
لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او مصدر نعت به
باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل
مصفى لم يخالط الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في
الجنة بانواع ما يستلذ منها في التجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها
واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتداء خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا
ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى
اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال انفا
ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له اذانهم تهاونا به وانفا من قولهم
انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استأنف واءتنف وهو ظرف بمعنى
وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم
الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم واتاهم تقواهم بين لهم
ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل
ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها
كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فاني لهم اذا جاءتهم ذكريهم
والمعنى ان تأتهم الساعة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانشقاق القمر فكيف لهم ذكريهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ

لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة
المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس
باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
ولذنوبهم بالدعاء لهم بالتحريص على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف
المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس اخر فان الذنب ما له
تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم
في العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا المعادكم ويقول الذين
امنوا لولا نزلت سورة اي هلا انزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة
مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف
في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم
فويل لهم افعل من الولي وهو القرب وفعلى من ال ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استينافا اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف
خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب
الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اي فيما زعموا
من الحرص على الجهاد او الايمان لكان اصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان
توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية
من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا احقاء
بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بني تميم
لا يلحقون الضمير وفيه خبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اي ان تولاكم
ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ
وتقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم
الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القران
يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجترؤا على المعاصي ام على قلوب اقفالها
لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير
القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او
لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال
مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين
ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة

والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل
حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها
ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد
الشيطان سول لهم وأملى لهم ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لقراءة يعقوب وأملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او للاستيناف وقراء ابو عمرو
وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل
الله اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم
او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى بعض الامر فى بعض اموركم او فى بعض ما تامرون به
كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتضافر على الرسول والله
يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقراء حمزة والكسائى وحفص اسرارهم
على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم
وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير
لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفى الموصوف بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فاحبط
اعمالهم لذلك ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم
بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام
الجواب كررت فى المعطوف ولتعرفنهم فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب
والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد
وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم
ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها
وكذبها وقراء ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو
على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما
تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم
وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط
اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك ومكائدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها
الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله

الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء
والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله
فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا
فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان
وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى دعا وقراء ابو بكر وحمزة بالكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون
والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا
له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا
يسئلكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسئلكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه
اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والضمير فى يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء
والتاء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا
فى سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو
والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل
عن نفسه فان نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل متعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك
والتعدى فانه امساك عن مستحق والله الغنى وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان
امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم يقم
مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى والزهد فى الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه
الصلوة والسلام عنه وكان سلمان رضى الله عنه الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه
او قومه والانصار او اليمن او الملائكة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
من قراء سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح ارتع وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد فتح مكة والتعبير عنه
بالماضى لتحققه او بما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح حديبية وانما
سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام

خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه
فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس فى تلك السنة
وقد عرف كونه فتحا للرسول صلى الله عليه وسلم فى سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء
اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدى الظلمة ما تقدم من ذنبك
وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم
الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة
وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه
مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة فى قلوب المؤمنين حتى تثبتوا
حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم
برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض
يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما يقتضيه
حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود
السموات والارض من معنى التدبير اى دبرها دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله
فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا
او انزل ما ذكرا وليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم
يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى
ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من فوزا ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين
والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال
الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات

والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا
على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والامة
او لهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوا وعشيا او دائما وقرا ابن
كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء
وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزائين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له
على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا
عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى فى مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة
وقرئ عهد وقرا حفص عليه بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه
بالنون والاية نزلت فى بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم
وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة
والخوف عن مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من
يقوم باشغالهم وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم
من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة
وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقراه حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم
نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم
فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين
يستاصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما
اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله تعالى او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء
او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله
لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر
وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله
ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب
عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه

بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا
انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوايل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد
الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام
الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل
قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة
وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله
من قبل من قبل تهيؤهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنايم
وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم
لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات
الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب
كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم
اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
او المشركين فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او
الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية
وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم
ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وهو الغنيمة
في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا
اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هولاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد
مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول
يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله
ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه
عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به
فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم
على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في

قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح
واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني
مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
وهي ما يفي على المومنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم
ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة
او الغنيمة اية للمومنين امارة يعرفون بها انهم من الله تعالى بمكان او صدق الرسول في وعدهم
فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد الغنايم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة بمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه
او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة
وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم
بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء
دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم
لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه
سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا
وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة
من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة
الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت
عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة
لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم
الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك
كان عام الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله
مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر
في غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مومنون ونساء مومنات لم تعلموهم لم
تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا
وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلوة والسلام ان اخر وطأة وطئها
الله بوج وهو واد بطائف كان اخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم بها واصله الدوس

وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم
بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى
تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان
تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف
ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لمن فيها
من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله في رحمته اى في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام
من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر
باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التي تمنع
اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الوقار والثبات
وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد
العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من القابل
ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلوة والسلام لعلي رضي الله عنه
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب
هذا صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عليه الصلوة والسلام اكتب ما يريدون
فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا و
تحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد
رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى
لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها والمستأهل لها وكان الله
بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا
فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر
قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه
في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام
القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد
الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله او بنقيض
الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء
الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت

لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه آمنين حال
من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون
لا تخافون حال مؤكدة او استئنافا اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير
ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح
اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه
ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغليه على جنس الدين كله بنسخ
ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد
قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن
او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون
رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى
انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله تعالى اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر
السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه
وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف
المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشأن
المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليه اى ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع
تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا
افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ
شطاءه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه
بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرأ
ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كأجر في آجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظة
فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب
الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله للصحابة قلوا في
بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار
علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات ثمان عشرة اية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اى لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفى التقديم راسا او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدى الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله فى التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوا باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط فيكون علة للنهى او لان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار التأدية لان فى الجهر والرفع استخفافا قد يؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الاية وانى رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه الصلوة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهى قيل كان ابو بكر وعمر رضى الله عنهما بعد ذلك كانا يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استيناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتداء

والمبتداء اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة فى الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد ان يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلثتها جمع حجرة وهى القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فهى فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبى صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذى ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضى حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اى ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما فى خبرها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغى ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ فى نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفى اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغى ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روى انهم وفدوا شافعين فى اسارى بنى العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبإ للتعميم وتعليق الامر بالتبيين على فسق المخبر يقتضى جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب

تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل
بالغير وقرئ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان تتبين لكم الحال أن تصيبوا كراهة
اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما
لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع الدوام واعلموا أن
فيكم رسول الله ان بما في خبره ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به الحال وهو
قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون
ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار
بان بعضهم اشار اليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم
وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد
او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله أولئك
هم الراشدون اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره يعدى بنفسه
الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له الاخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل كره منزلة
بغضكم فعدي الى آخر بالى والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن
القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما
بينهما اعتراض لا للراشدون فان الفضل فعل الله والراشدون كان سببا من فعله مسندا الى
ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه والله عليم
باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وإن
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت احديهما تعدت على الاخرى فقاتلوا التي
تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل رجوعه بعد نسخ
الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل
ما بينهما على ما حكم الله من تقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه
بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء
والاية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال
وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فاء
الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون
اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو

وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين
اخويكم ووضع الظاهر موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص
الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ
بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان
منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله
من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر
وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث
فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن
لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة
للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذا ذات
خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما
تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم
ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان بئس الاسم الفسوق بعد
الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به
والمراد اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت
في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي
يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة
على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك
هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل
حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من
العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث وظن السوء
بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف
للامر والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه
من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل
للحواس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا

بالسوء في غيبته سئل عليه السلام عن الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب له على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامه على طعامه فقال ما عندي شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم

نظم الكلام ان يقول لا تقولوا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذه النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هديكم بالكسر واذ هديكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق واربع وخمس اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن

ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب ولانه كلام المجيد اولان من علم معانيه
وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان
ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب حكاية
لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار
بتعينهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعثة والمبالغة
فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم
يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره
او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني
استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اى
انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد عن الوهم
او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم تاكل
من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب
القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب
محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح والمحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني
النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القران لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج
مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر
وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله
في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج
فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا
فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال
المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير النفع
فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد
كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من اسبقت الشاة اذا حملت فيكون من
افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل
القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه
من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك
الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون

يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد
بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط وانما قال اخوانه لانهم كانوا اصهاره
واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم
وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي
بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون
قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير
الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان
ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن
كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد
مثل في القرب قال والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان
عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل
سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اى هو اعلم
بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ
الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
تثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد
عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس فحذف
الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد
كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه الا لديه رقيب ملك
يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب
الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت
سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه
اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان
عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك
جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر والموعود الحق او الحق الذي
ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ

سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستنفعا بها له كانها جاءت به او على
ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت
ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفرعنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعنى
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى
مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والاخر يشهد بعمله
بعمله وملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات
وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال
من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب
لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الاخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك
الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور
النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع الابصار وقيل الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى
وتعليم القران فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة
من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدى
عتيد هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى
وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى له واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد
صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار
خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل
منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى
احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده
انه قرئ الفين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه
المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد ابن مغيرة لما منع
بنى اخيه عنه معتد متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذى جعل مع الله الها اخر
مبتدأ متضمن بمعنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون
فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان
المقيض له وانما استؤنف كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف
دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته
بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما في
الحصول اعنى مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان في ضلال بعيد فاعنته عليه

عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال الله تعالى
وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال اى الله تعالى لا تختصموا لدى
اى في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استيناف مثل الاول وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبى وعلى السنة رسلى فلم يبق لكم حجة وهو حال
فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان
قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول
لدى اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض
الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا
بظلام للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل
من مزيد سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح
فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى لاملأن جهنم او انها والسعة بحيث
يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها او حدتها وتشبثها بالعصاة
كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقراءة نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر
كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه
فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير
بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيئا غير بعيد او على زنة
المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة
الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل
من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف
به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من
الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو
غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار
بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه او بانهم يخشون خشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف
القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله تعالى بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم
او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله تعالى ادخلوها
خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا
قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد وتصرفوا فيها او جالوا في الارض

كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبب وعلى الثاني لمجرد التعقيب التنقيب
عن الشئ والبحث عنه هل من محيص اى هل لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في
نقبوا لاهل مكة اى ساروا في اسفارهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا
مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو
ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان في
ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر
في حقايقه او القى السمع او اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه
او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم
واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت
اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم
السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم
البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما
يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن
والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها
قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين
ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر
وقراء الحجازيان وحمزة وخلف بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاءان والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء
واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المناد
اسرافيل او جبرئيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان يجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل
على سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم
يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به
البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد
انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الاخرة يوم تشقق تتشقق وقراء عاصم
وحمزة والكسائي وخلف وابو عمرو بتخفيف الشين الارض سراعا مسرعين ذلك حشر
بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك يتيسر الا على العالم

العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان عن شان كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على
الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به
غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات ستون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب
وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلايق من الملائكة
وغيرهم وقراء ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة
للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على
تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية
في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر
فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم
وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على
ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في
الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى
الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء
العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او
مصدرية والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد
اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار وتتوصل
بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما يزين الموشي طرائق الوشي
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك
كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي
قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون
او في القران او القيمة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها
يؤفك عنه من افك يصرف عنه والضمير للرسول او القران او الايمان من صرف
اذ لا صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله

و قضائه ویجوز ان یکون الضمیر للقول علی معنی یصد رافك من افك عن القول
المختلف وبسببه کقوله ینهون عن اکل وعن شرب ای یصدرتناهیهم عنها وبسببهما
وقرئ افك بالفتح ای من افك الناس وهم قریش کانوا یعقدون الناس عن الایمان
قتل الخراصون الکذابون من اصحاب القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجری مجری
اللعن الذین هم فی غمرة فی جهل یغمرهم ساهون غافلون عما امروا به یسئلون ایان
یوم الدین ای فیقولون متی یوم الجزاء ای وقوعه وقراء ایان بالکسر یوم هم علی النار
یفتنون یحرقون جواب للسؤال ای یقع یوم هم علی النار یفتنون او هو یوم هم علی النار
یفتنون وفتح یوم لاضافته الی غیر متمکن ویدل علیه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتکم ای
مقولا لهم هذا القول هذا الذی کنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذی کنتم به
تستعجلون ویجوز ان یکون هذا بدلا من فتنتکم والذی صفته ان المتقین فی جنات
وعیون اخذین ما اتیهم ربهم قابلین لما اعطاهم راضین به ومعناه ان کل ما اتاهم
حسن مرضی متلقی بالقبول انهم کانوا قبل ذلک محسنین قد احسنوا اعمالهم وهو
تعلیل استحقاقهم ذلک کانوا قلیلا من اللیل ما یهجعون تفسیر لاحسانهم وما
مزیدة ای یهجعون فی طائفة من اللیل او یهجعون هجوعا قلیلا او مصدریة او موصولة
ای فی قلیل من اللیل هجوعهم او ما یهجعون فیه ولا یجوز ان یکون نافیة لان ما بعدها
لا یعمل فیما قبلها وفیه مبالغات لتقلیل نومهم واستراحتهم ذکر القلیل واللیل الذی
هو وقت السبات والهجوع الذی هو الغرار من النوم وزیادة وبالاسحار هم یستغفرون
ای انهم مع قلة هجوعهم وکثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا فی الاستغفار کانهم اسلفوا
فی لیالیهم الجرایم وفی بناء الفعل علی الضمیر اشعار بانهم احقاء بذلک لوفور علمهم بالله
وخشیتهم منه وفی اموالهم حق نصیب یستوجبونه علی انفسهم تقربا الی الله واشفاقا
علی الناس للسائل والمحروم للمستجدی والمتعفف الذی یظن غنیا فیحرم الصدقة
وفی الارض ایات للموقنین ای فیها دلائل من انواع المعادن والحیوان او وجوه دلالات
من الدحو والسکون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها فی الکیفیات والخواص
والمنافع تدل علی وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفی
انفسکم ای وفی انفسکم ایات اذ ما فی العالم شئ الا وفی الانسان له نظیر یدل دلالته
مع ما انفرد به من الهیئات النافعة والمناظر البهیة والترکیبات العجیبة والتمکن
من الافعال الغریبة واستنباط الصنایع المختلفة واستجماع الکمالات المتنوعة
افلا تبصرون تنظرون نظر من یعتبر وفی السماء رزقکم اسباب رزقکم او تقدیره وقیل
المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان

لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مکتوبة ومقدرة فی السماء وقیل انه
مستانف عنه فورب السماء والارض انه لحق وعلی هذا فالضمیر لما وعلی الاول یحتمل ان یکون له
ولما ذکر من امر الایات والرزق والوعد مثل ما انکم تنطقون ای مثل نطقکم کما انه لا شك لکم
فی انکم تنطقون ینبغی ان لا تشکوا فی تحقق ذلک ونصبه علی الحال من المستکن فی لحق او الوصف
لمصدر محذوف ای انه لحق حقا مثل نطقکم وقیل انه مبنی علی الفتح لاضافته الی غیر متمکن وهو
ما ان کانت بمعنی شئ وان بما فی حیزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع علی انه صفة لحق ویؤیده
قراءة حمزة والکسائی وابی بکر بالرفع هل اتیك حدیث ضیف ابراهیم فیه تفخیم لشان
الحدیث وتنبیه علی انه اوحی الیه والضیف فی الاصل مصدر ولذلك یطلق للواحد
والمتعدد قیل کانوا اثنی عشر ملکا وقیل ثلثه جبریل ومیکائیل واسرافیل سماهم
ضیفا لانهم کانوا فی صورة الضیف المکرمین ای مکرمین عند الله او عند ابرهیم
اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا علیه ظرف للحدیث او الضیف او المکرمین
فقالوا سلاما ای نسلم علیك سلاما قال سلام ای علیکم سلام عدل به الی الرفع
بالابتداء لقصد الثبات حتی تکون تحیته احسن من تحیتهم وقرئا مرفوعین وقراء حمزة
والکسائی قال سلم وقرئ منصوبا والمعنی واحد قوم منکرون ای انتم قوم منکرون
وانما انکرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم یعرفهم او لان السلام لم یکن تحیتهم فانه
علم الاسلام وهو کالتعرف منهم فراغ الی اهله فذهب الیهم فی خفیة من ضیفه فان من ادب
الضیف ان یباده بالقری حذرا من ان یکفه الضیف او یصبر منتظرا فجاء بعجل سمین لانه
کان عامة ماله البقر فقربه الیهم بان وضعه بین ایدیهم قال الا تاکلون ای منه وهو مشعر
بکونه حنیذا والهمزة فیه للعرض والحث علی الاکل علی طریقة الادب ان قاله اول ما وضعه
وللانکار ان قال حیثما رای اعراضهم فاوجس منهم خیفة فاضمر منهم خوفا لما رای اعراضهم عن
طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقیل وقع فی نفسه انهم ملائکة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف
انا رسل الله وقیل مسح جبرئیل العجل بجناحه فقام یدرج حتی لحق بامه فعرفهم وامن منهم
وبشروه بغلام هو اسحق علیم یکمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة الی بیتها وکانت فی زاویة
تنظر الیهم فی صرة فی صیحة من الصریر ومحله النصب علی الحال او المفعول ان اول
فاقبلت باخذت فصکت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقیل
وجدت حرارة دم الحیض فلطمت وجهها من الحیاء وقالت عجوز عقیم ای انا عجوز عاقر
فکیف الد قالوا کذلك مثل ذلك الذی بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو
الحکیم العلیم فیکون قوله حقا وفعله محکما فال فما خطبکم ایها المرسلون فلما علم انهم
ملائکة وانهم لا ینزلون مجتمعین الا لامر عظیم سال عنه قالوا انا ارسلنا الی قوم

مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة
مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين
الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة
من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين
واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن
والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة
على ذات واحدة وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي
الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ
ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض
عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن
اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه
جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره
وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم
بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن
منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا
جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى
حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن
امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي
المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من
قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن
دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله
يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة
والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن
عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون
من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها
وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون
اي نحن ومن كل شيء من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد

من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله
من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن
اشرك او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله تعالى بالمعجزات او مبين ما يجب ان
يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها اخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر عنه اني لكم منه
نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك
كذلك اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم
اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
كالتفسير له ولا يجوز نصبه باتى او بما يفسره اي كذلك لان ما بعد ما النافية لا يعمل
فيما قبلها اتواصوا به اي كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول
حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى
ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض
عنه مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم
على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان
الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من امن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنامرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا
لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل
رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمامورين به فالمراد ان يبين ان شانه
مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو
الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني انا
الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا
اي للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة
الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب قولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذي
يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا
سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور اربعون وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين
سمع فيها موسى كلام الله تعالى والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى
حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر
ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القران او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح
موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور
الرق والجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم
والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني
الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين والضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشية من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف
المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط او الموقد من قوله تعالى
واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل يوم القيمة البحار نارا يسجر بها جهنم
او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع
يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة
الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا
تضطرب اضطرابا والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف
وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين
اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون
الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع
نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا
بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي
كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا
سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم
لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم
ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه
فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم
تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين في

في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة
بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف
لغو ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتيهم ان جعل ما مصدرية او في خبات او
حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او من فاعل اتى او مفعوله او منهما
كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص
فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء الزائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنأكم
ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين
الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا
بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على
حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله
واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع
وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او
الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان
الحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عليه السلام قال ان الله
يرفع ذرية المؤمنين في درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ
نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا
الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل
ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت يالت
وعنه لتناهم من لات يليت والتناهم من آلت يولت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل
واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها
وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم
يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك
انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا
يفعلون ما يؤثم به كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما
ابن كثير والبصريان بالفتح ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم
وصفائهم وعنه عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسال

بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين في عصيان الله
معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل
ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح
همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمت
ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم
احلامهم عقولهم بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر
والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من
المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في
العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون
بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القران ان كانوا صادقين
في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون
ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير
محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد
الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض
وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم
ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم
خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من
اختياره حكمة ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا ام لهم سلم
مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة بصدق استماعه
ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء
فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ
الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك
ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة به رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل
العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه

انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم
وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم
من عذابه سبحان الله عما يشركون من اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها
على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون
على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء
في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم
والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب الاخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في
الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في حفظنا
بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ
وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن
الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه
على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت
وعنه عليه السلام من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

سورة والنجم وهي مكية ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه
غلب فيه اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القران اذا نزل او النبات
اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد
صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا
والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقران عن
الهوى ان هو ما القران او الذي ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه
واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده
وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد
القوى ملك شديد قواه وهو جبرئيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي انه قلع
قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين

ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي
خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى بقوته على ما جعل له من الامر
وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبرئيل ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم
فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا
من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقرير
لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير
وادلى دلوه والدلى والى للثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار او
المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله تعالى او يزيدون
والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد
الملبس فاوحى جبرئيل الى عبده عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما
كقوله تعالى على ظهرها ما اوحى جبرئيل وفيه تفخيم للموحى به او الله اليه وقيل
الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله تعالى هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب
القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبرئيل او الله تعالى
او ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل
منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى انه لم يكن تخيلا كاذبا ويدل
عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي
وقرئ هشام ما كذب اي صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه
عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المجادلين يمري
ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اي افتغلبونه
في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين
الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد
رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها
اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئي و
والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد
به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق واعمالهم
او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم

لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى
الجنة التي يأوي اليها المتقون وارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير
لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من
الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن
رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اي والله
لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها
المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف
اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهي فعلة من
لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن
يعقوب اللات بالتشديد سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم خالد الوليد فقطعها واصلها تانيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
او لثقيف وهي فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين
ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون الانواء
عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه او
الاخرى من التاخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات
الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض
فان فعلى بالكسر لم يات وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر
نعت به ان هي الا اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء
تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية او للصفة
التي تصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها
ومناة اعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم
بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون
وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى

الا نفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه
أم للإنسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والأولى يعطي منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع الا من بعد ان يأذن الله في الشفاعة
لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك
فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل
واحد منهم تسمية الأنثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ بها
اي بالملائكة او التسمية إن يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان
الحق الذي هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف
الحقيقية وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فأعرض عن من تولى
عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من
غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ
علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونه شهيته
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا
وقوله إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ
وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي الذين أساؤا بما عملوا
بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل
عليه ما قبله اي خلق العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم
لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو الجنة او باحسن من
اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم ما يكبر عقابه
من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ
حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما
فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبي الكبائر
والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه
خبر محذوف إن ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له
ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين

المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب
العقاب على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم إذ انشأكم من الارض وإذ انتم
اجنة في بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب
بخلق آدم وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل
وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم
قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه السلام أفرأيت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه
وأعطى قليلا وأكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب
الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم
بخل بالباقي أعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه أم لم ينبأ بما في صحف
موسى وإبراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبرئيل حين يلقى
في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية
كانت اشهر واكثر عندهم ألا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما
بعدها في محل الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما
فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى وكتبنا على
بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا
وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة
فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وأن ليس للإنسان الا ما سعى وأن
سعيه سوف يرى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما
جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه
ثم يجزاه الجزاء الأوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض
ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله
وأن الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى لا يقدر
على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله
تعالى على سبيل العادة وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى تدفق

في الرحم او يخلق او يقدر منها الولد من مني واذا قدر وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى الاحياء بعد
الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاء وَأَنَّهُ هُوَ
أَغْنَى وَأَقْنَى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او
او ارضى وتحقيقه جعل الرضاء له قنية وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى يعني العبور وهي اشد
ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلوة والسلام وخالف
قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم
خالفه ايضا في عبادتها وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
نوح وقيل عادا الاولى قوم هود وعادا الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة
ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وَثَمُودَا عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير
الالف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف فَمَا أَبْقَى الفريقين وَقَوْمَ نُوحٍ ايضا
معطوف عليه مِنْ قَبْلُ من قبل عاد وثمود إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى من الفريقين لانهم
كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وَالْمُؤْتَفِكَةَ والقرى التي
ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط أَهْوَى بعد ان رفعها فقلبها فَغَشَّاهَا
مَا غَشَّى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى تتشكك والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما
سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هَذَا نَذِيرٌ
مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من
جنس المنذرين الاولين أَزِفَتِ الْآزِفَةُ دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت
الساعة لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت
الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع
عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ يعني
القرآن تَعْجَبُونَ انكارا وَتَضْحَكُونَ استهزاء وَلَا تَبْكُونَ تحزنا على ما فرطتم وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ
لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس
عن استماعه من السمود وهو الغناء فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا اي واعبدوه دون الآلهة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر خمس وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ روي ان الكفار
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد
الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر
وقوله وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا عن تأملها والايمان بها وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ مطرد وهو يدل على انهم
رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال امررته
فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ
الماضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا
وشقاوة او سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو
مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
في القرآن مِنَ الْأَنْبَاءِ انباء القرون الخالية او انباء الآخرة مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ازدجار من تعذيب
او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها
زايا وادغام حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب
حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ نفي او
استفهام انكاري اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر
بمعنى الانذار فَتَوَلَّ عَنْهُمْ لعلمك بان الانذار لا يغني فيهم يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ اسرافيل ويجوز ان
يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب
يوم بيخرجون او باضمار اذكر إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول
القيمة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان
فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع
وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة
تشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ مسرعين مادي اعناقهم اليه
او ناظرين اليه يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ صعب كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ قبل قومك
فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وَقَالُوا مَجْنُونٌ هو مجنون
وَازْدُجِرَ وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو مجنون وقد ازدجرته
الجن وتخبطته فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مَغْلُوبٌ غلبني قومي

فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا عليه فيفيق فيقول اللهم اغفر فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء
منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقراء ابن عامر
ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض
كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير مبالغة فالتقى الماء ماء
السماء وماء الارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا
على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت
وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر مسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدي
مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء
لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف
الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام بها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم
ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من
يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ
والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف
كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس شوم مستمر شومه او استمر
عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته
وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر
وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر
اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في
قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي ونذر للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم
في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الاخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت
ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا

او من جملتنا لا فضل له علينا واحدا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء
والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من احادهم دون اشرافهم نتبعه
انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه
على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على
الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب
الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه
وقراء ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح
وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم
فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم
مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره
صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى
فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى على السيف فقتلها والتعاطي
تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة
صيحة جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل
الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته
في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا ال لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو اخر الليل
او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا
بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر
فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا
اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم
جبرئيل صفقة فاعماهم فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة
او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروف على ان المراد بها اول
نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب
كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ

واستينافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي
آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم
عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ
عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير من أولئكم الكفار
المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله أم لكم براءة في الزبر أم نزل لكم في الكتب
السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من عذاب الله تعالى أم يقولون نحن جميع جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد
على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد
يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي
فلما كان يوم بدر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع
فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين
في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم
يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب
التألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته
انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا
في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى
هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق
بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة
الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر
في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب
الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في جنات
ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون
والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد
صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهم ذوو الافهام
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن جل وعلا ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد
النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه
بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه
واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان
خلق البشر وما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه
لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف
لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون
والحساب والنجم والنبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر والذي له ساق
يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم
في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم
والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل
على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما
في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره
والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته
وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي
حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات
والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كان لما وصف السماء بالرفعة التي
هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف
به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا في الميزان ان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا
ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية
به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها
على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها
خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى
فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار والتمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير
وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم
او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان

اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وقرئ حمزة
والكسائى والريحان بالخفض والباقون بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلب الواو ياء
وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف فبأى آلاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار
الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله
طينا ثم حماء مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان
الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج
اذا اضطرب فبأى آلاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما فى اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل
المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقى الشتاء والصيف
ومغربيهما فبأى آلاء ربكما تكذبان مما فى ذلك من الفوائد التى لا تحصى كاعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين
ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان
ينشعبان منه بينهما برزخ حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغى احدهما
على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأى
آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان
الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من
مجتمع الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد وكان المخرج من احدهما
كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان
فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء
كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات
وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتى ينشئن الامواج او السير
فى البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فبأى آلاء ربكما تكذبان من خلق
مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لا يقدر على
خلقها وجمعها غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب
او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت
وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله اى الوجه الذى يلى جهته تعالى
ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فبأى آلاء ربكما تكذبان اى مما
ذكرنا قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما ترتب

ترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من فى السموات والارض فانهم
مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل
على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان او غيره كل يوم هو فى شأن كل وقت يحدث اشخاصا و
يجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع
قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فبأى آلاء ربكما
تكذبان اى مما يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم
ايها الثقلان اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه
غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى
عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم
والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم
او لانهما مثقلان بالتكليف فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض
هاربين من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات
والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها
بافكاركم فبأى آلاء ربكما تكذبان اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال
القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق
السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس ودخان قال تضئ كضوء
سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير
شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب
فى رواية وقرئ ونحس وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فبأى آلاء ربكما تكذبان
فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء
فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة
فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوى الغنائم او يموت كريم
كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم
الاحمر فبأى آلاء ربكما تكذبان اى مما يكون بعد ذلك فيومئذ اى فيوم تنشق السماء
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من
قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى
فوربك لنسألنهم ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه

وان تأخر لفظا تقدم رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم الله على عباده المؤمنين
في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ
بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار
يحرقون بها وبين حميم ان ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه
وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب
كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب
للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله
او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها
عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان
ذواتا افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي
تتشعب من فرع الشجرة وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر ومد الظل فبأي آلاء
ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم
والاخرى السلسبيل فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب
ومعروف او رطب ويابس فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من
استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح
للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن في
الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او في
هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف
نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس
الانسيات انس ولا الجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم
الميم فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان اى في حمرة الوجنة وبياض
البشرة وصفائها فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان
في الثواب وهو الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين للمقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي آلاء

آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان يضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار
بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين
الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء
وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رطبا
او رمانا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اى خيرات فخفف لان خيرا الذي
بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدورة او
مقصورات الطرف على ازواجهن في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
كحور الاوليين وهم في قبلهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب
انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى
فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على
ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما في قوله الى الحول ثم اسم
السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة الاسم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق
وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا
يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله
تعالى قدمت لحياتي وليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ
نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا
نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة
تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون
حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مجازها بنثر الكواكب
وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا

شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة او بدل من اذا وقعت وَبُسَّتِ
الْجِبَالُ بَسًّا اى فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت و
سيرت من بس الغنم اذا ساقها فَكَانَتْ هَبَاءً غبارا مُنْبَثًّا منتشرا وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا اصنافا
ثَلَاثَةً وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن
وتشأمهم بالشمائل او اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم
والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشوم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم
والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة
الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ والذين
سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا فى حيازة الفضائل
والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الايمان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم
كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنة أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ
مِنَ الْآخِرِينَ اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما الصلوة
والسلام وقليل من الاخرين يعنى امة محمد ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى
يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا
هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها
من الثل وهو القطع عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع مُتَّكِئِينَ
عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ حالان من الضمير فى على سرر يَطُوفُ عَلَيْهِمْ للخدمة وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ
مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ حال الشرب وغيره والكوب
اناء لا عروة له ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ من خمر لَا يُصَدَّعُونَ
عَنْهَا بخمار وَلَا يُنْزِفُونَ ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقراء الكوفيون بكسر الزاء
وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ اى
يختارون وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يتمنون وَحُورٌ عِينٌ عطف ولدان او مبتداء محذوف
الخبر اى وفيها او ولهم حور وقراء حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف
اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون
باكواب ينعمون باكواب وقرئا بالنصب على ويؤتون حورا كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ

الْمَكْنُونِ المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى يفعل ذلك كله بهم
جزاء باعمالهم لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا باطلا وَلَا تَأْثِيمًا ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم
إِلَّا قِيلًا الا قولا سَلَامًا سَلَامًا بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام
بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ لا
شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن
اذا ثناه وهو رطب وَطَلْحٍ وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ
بالعين مَنْضُودٍ نضد حمله من اسفله الى اعلاه وَظِلٍّ مَمْدُودٍ منبسط لا يتقلص ولا
يتفاوت وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل
كانه لما شبه حال السابقين فى التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين
باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ كثيرة الاجناس
لَا مَقْطُوعَةٍ لا تنقطع فى وقت وَلَا مَمْنُوعَةٍ لا تمنع عن متناولها بوجه وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك
ويدل عليه قوله إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة
ابداء او اعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن
الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فَجَعَلْنَاهُنَّ
أَبْكَارًا عُرُبًا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع
وعاصم مثله أَتْرَابًا فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ
متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثُلَّةٌ
مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ وهى على الوجوه الاول خبر محذوف وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ
مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ فى حر نار ينفذ فى المسام وَحَمِيمٍ وماء متناه فى الحرارة وَظِلٍّ
مِنْ يَحْمُومٍ من دخان اسود يفعول من الحممة لَا بَارِدٍ كسائر الظل وَلَا كَرِيمٍ ولا نافع
نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ منهمكين فى
الشهوات وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام
الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف برّ فيها وتحنث اذا تأثم
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ كررت الهمزة للدلالة
على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذه الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله أَوَآبَاؤُنَا
الْأَوَّلُونَ للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها
حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقراء نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق

مثله والعامل فى الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان
الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقت به الدنيا
وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث
والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية
للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش
وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه حملا على المعنى ولفظه وقرئ من شجرة فيكون
التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام وهو داء
يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل
الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف
والمعطوف عليه اخص من الاخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وعاصم وحمزة شرب
بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا
فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له
وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين
للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة
افرأيتم ما تمنون اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة
بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم
الموت قسمنا عليكم واقتنا موت كل وقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال
وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد
من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة
لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى
على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع
مثل وننشئكم فى ما لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم
ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون
لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم
فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة
وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون

بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذى تشربون
اى العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل
المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى
العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم
وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانها
او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص بقصد لذاته وكون اهم وفقده اصعب بمزيد
التأكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التى تورون
تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعنى الشجرة التى منها الزناد
نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث كما مر فى سورة يس
او فى الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون
القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام او من قوت الدار
اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه فان اطلاق
الاسم للشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد
من بدايع صنعه وانعامه اما التنزيه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون
لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عداه من النعم فلا اقسم اذ الامر
اوضح من ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى لئلا يعلم او فلانا
اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلا
رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى
غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها
وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع وانه
لقسم لو تعلمون عظيم لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط
الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه
اعتراض بين القسم والمقسم عليه لو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه
لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد
او حسن مرضى فى جنسه فى كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون
لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس
القرآن الا المطهرون عن الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى او لا يطلبه الا المطهرون
من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون
اى نفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة

او رابعة للقران وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث
يعنى القران انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب
فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى بمانحه حيث تنسبونه
الى الانواء وقرئ شكركم اى تجعلون شكركم لنعمة القران انكم تكذبونه وتكذبون
اى بقولكم فى القران انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم
اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال
ونحن اقرب ونحن اعلم اليه الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب
الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين
اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب
الذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه
بامر الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهو اى ترجعون بما حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم
صادقين فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان
كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم
وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنت
نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين
اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب الشمال وانما
وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية
جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى هذه السورة او فى
شان الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا
يليق بعظمة شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض ذكر ههنا
وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من
شان ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف
الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق
التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له فى نصحته
اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو

المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيى ويميت
استيناف او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرهما
قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر
الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى يبتدى منه
الاسباب وينتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر
وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا يكتنهها العقول او الغالب على كل شئ
والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين
وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة
ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل
من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته
عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه
له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله
ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها
امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التى جعلكم الله خلفاء
فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف فيها
وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم
اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق
وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما
تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا
تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ
ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر
والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرئ ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب
ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اى الله
او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم
حيث نبهكم بالرسول والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم
الا تنفقوا واى شئ لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث
السموات والارض يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان ذلك فانفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل
الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم

من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق
وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه
والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين
المثوبة الحسنى وهي الجنة وقراء ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله
ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والآية نزلت في ابي بكر فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب
ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق
ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا وله
اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى
وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرئ عاصم فيضاعفه بالنصب
على جواب الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ
ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب
نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشريكم اليوم جنات اي يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة
بشريكم اي المبشر به جنات وبشريكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول
المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم
يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقراء حمزة انظرونا على ان اتيادهم
ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها
او الى الموقف فانه من ثمه يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه
لا سبيل لكم الى هذا او هو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب
بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون
باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب
من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا

قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في
الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان
او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقراء ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين
كفروا ظاهرا وباطنا ماويكم النار هي مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا
الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي
يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان قول القائل انه لكريم او
مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب
وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يان
للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يات وقته يقال انى الامر يانى انيا واناء
وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بالهمزة
بمعنى انى يانى والما يان روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا
الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو
عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله
وقراء نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع وقراء رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل
الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اي فطال عليهم
الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم
وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة
قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات ان
المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بها وقراء ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي
الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى
باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو
التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف
ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم امنوا وصدقوا
جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة

وقيل والشهداء عند ربهم مبتداء وخبر والمراد بها الانبياء من قوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين
والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور
الموعودات لهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان
الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل
على الملازمة اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في
الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقر امور الدنيا اعني ما لا يتوصل به
الى الفوز الاجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها
لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو
يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية
والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل
لها في سرعة تقضيها وقلة جدويها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به
الحراث والكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا راى
معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به
فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور
الاخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب
كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا
متاع الغرور اي لمن اقبل عليها ولم يطلب الاخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة
المسابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء
والارض اي عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد
به البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه
دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقه ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في
الارض كجدب وعاهة ولا في انفسكم كمرض وافة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح
مثبتة في علم الله تعالى من قبل ان نبراها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض
او للانفس ان ذلك ان ثبته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة
والمدة لكيلا تاسوا اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا

ولا تفرحوا بما اتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر و
قراء ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها
يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها
ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت نفسه حالتي
الضراء والسراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا او مبتداء خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره ولا ينفعه التقرب اليه شيء من نعمه وفيه تهديد
واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقراء نافع وابن عامر فان الله الغني لقد
ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام
به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل
انزل الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال
وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان الات الحروب متخذة منه ومنافع للناس
اذ ما من صنعة الا والحديد التها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة
في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا
او اللام صلة لمحذوف اي انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره ان الله
قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا
به ويستوجبوا ثواب امتثاله فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط
فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم
فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم
والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن
مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير
لنوح وابراهيم عليهما الصلاة والسلام ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة
وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة وقرئ
رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها

او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة و
والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان
من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان
ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي ولكنهم
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم
بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد
حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا
اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها او لانهم اخترعوها من تلقاء
انفسهم فما رعوها اي فما رعوا جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليها فآتينا الذين آمنوا
اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال
الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا
برسوله محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد
صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق
وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره
ويجعل لكم نورا تمشون به يريد به المذكور في قوله تعالى يسعى نورهم او الهدى
يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اي ليعلموا
ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولا يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب
ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من
فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على
شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا
يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه
فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت
وادغمت النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر
اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول او المجادلة
يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكويها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو
عمرو وهشام عن ابن عامر دالها في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو
على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من
نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به
الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان الجاهلية
واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم
يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي فلا يشبه
بهن في الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم
وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب
وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة
لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه
والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل
عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك
المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته
لصحة استثنائها عنه ظهار وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة باستباحة
استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار
في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون في
الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف
على ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها
فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة
على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على
كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم
اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم
اي ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة
ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عنه خافية فمن لم يجد اي الرقبة والذي

غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر لغير عذر لزمه
الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم
ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع اى الصوم لهرم
او مرض او شبق مفرط فانه عليه الصلوة والسلام رخص للاعرابى المفطر
ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الكفارات جنسه المخرج فى الفطر
وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره وانما لم يذكر
التماس مع الطعام اكتفا بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الطعام كما قال
ابو حنيفة ذلك اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل
معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
فى قبول شرايعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز
تعديها وللكافرين اى الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله تعالى
ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما
فان كلا من المتعادين فى حد غير حد الاخر او يضعون او يختارون حدودا غير
حدودهما كبتوا كما كبت اجزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب الذين من
قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد انزلنا ايات بينات على صدق الرسول
وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله
منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين
فينبئهم بما عملوا اى على رؤس الاشهاد وتشهيرا لحالهم وتقديرا لعذابهم
احصاه الله احاط به عددا لم يغب منه شئ ونسوه لكثرته او تهاونهم
به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ الم تر ان الله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجى ثلثة
ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة واشتقاقها
من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل
احد ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه
يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى
خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الاية
نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثه اول الاوتار
او لان التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ

وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا
ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم
يعلم ما يجرى بينهم وقرئ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى
بان جعلت لا لنفى الجنس اين ما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت
باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من
الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر
الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقراء حمزة وينتجون وروى
عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على عباده المؤمنين
اصطفى ويقولون فى انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا الله
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير
جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت
الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى
بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذى اليه
تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اى النجوى بالاثم
والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين امنوا بتوهمهم
لانها فى نكبة اصابتهم وليس اى الشيطان او التناجى بضارهم بضار المؤمنين
شيئا الا باذن الله الا بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم
عن بعض قولهم افسح عنى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل
عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا
يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح
الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا
قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا عن
المجلس فانشزوا وقراء نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين
امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم الى غرف الجنان فى الاخرة

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ويرتفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم
والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك
يقتدى بالعلم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ تهديد لمن لم
يمتثل الامر واستكرهه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ
يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً فتصدقوا قدامها استعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم
الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق
ومحب الاخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله
تعالى ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على رضى الله عنه
ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق
للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة
ذَلِكَ اى ذلك التصدق خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ اى لانفسكم من الريبة وحب المال
وهو يشعر بالندبية لكن قوله فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اى لمن لم يجد
حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا
بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم
لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجى فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه
اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما روى منهم مما قام مقام توبتهم
واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فلا تفرطوا
فى ادائهما وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط
فى ذلك وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ظاهرا وباطنا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا والوا قَوْمًا
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يعنى اليهود مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ لانهم منافقون مذبذبون بين
ذلك وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وهو ادعاء الاسلام وَهُمْ يَعْلَمُونَ ان المحلوف
عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم
المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلوة والسلام كان فى
حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال صلى الله عليه وسلم له علام
تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت أَعَدَّ

أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا نوعا من العذاب متفاقما إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فتمرنوا
على سوء العمل واصروا عليه اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى
اظهروه جُنَّةً وقاية دون دمائهم واموالهم فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فصدوا الناس
فى خلالها منهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وعيد ثان بوصف
آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ قد سبق مثله يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُ اى لله على انهم مسلمون ويقولون كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فى الدنيا انهم لمنكم
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الاخرة ان الايمان
الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ البالغون
الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ استولى عليهم من حذت الابل وحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على
الاصل فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ لا يذكرونه بقلوبهم ولا بالسنتهم أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
جنوده واتباعه أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ فى جملة من هو اذل
خلق الله تعالى كَتَبَ اللَّهُ فى اللوح لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح
الياء إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ على نصر انبيائه عَزِيزٌ لا يغلب عليه فى مراده لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ اى لا ينبغى ان تجدهم وادين اعداء الله والمراد
انه لا ينبغى ان يوادوهم وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ولو كان
المحادون اقرب الناس اليهم أُولَئِكَ اى الذين لم يوادوهم كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ اثبته فيها
وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال
الجوارح لا تثبت فيه وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على
العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحيوة القلب وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بطاعتهم وَرَضُوا عَنْهُ بقضائه او بما وعدهم من الثواب
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ جنده وانصار دينه أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون بخير
الدارين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر اربع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ روى انه عليه الصلوة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير

على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التورية بالنصرة
فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا
اباسفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم
بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر
والحيرة فانزل الله سبح الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا
الذل قبل ذلك او فى اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر اياهم
من خيبر اليه او فى اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام
الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع
من مكان اخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اى ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتهم واعتقادهم فى انفسهم
انهم فى عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اى
عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله
وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف فى
قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها يخربون بيوتهم بايديهم
ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من الاتها وايدى المؤمنين فانهم ايضا
كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث
ان تخريب المؤمنين بسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب
وقرا ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل
او ترك الشئ خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بحالهم فلا
تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من انه امر بالمجاوزة
من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه فى الكتب
الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم فى الدنيا
بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الاخرة عذاب النار استيناف معناه
انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق بهم وما كانوا
بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اى شئ قطعتم من نخلة
فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها

وجمعها الليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها
وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزى
الفاسقين علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما
غاظهم عنه روى انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن
الفساد فى الارض فما بال قطع النخيل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم
ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده
عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته
وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم من بنى النضير
او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير
من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان
كان المراد فى بنى النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك
لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من
يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك
لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف
فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر
المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول الى الامام على
قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه
كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والان على الخلاف المذكور كى لا يكون اى الفئ الذى حقه ان يكون
للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم
كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كى لا يكون الفئ ذا تداول بينهم او اخذه غلبة
يكون بينهم وقرا هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كى لا يقع دولة جاهلية
وما اتاكم الرسول وما اعطاكم من الفئ او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او
فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا
عنه واتقوا الله فى مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالفه للفقراء
المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن
اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفئ بفئ بنى النضير الذين

اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم
وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر
صدقهم فى ايمانهم والذين تبوؤا الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم
الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة
ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمى
المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل
تقرير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم
ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى صدورهم فى انفسهم حاجة ما يحمل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطى المهاجرون من الفئ وغيره
ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده
امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهى فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال
وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب
الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا حين قوى الاسلام او التابعون
باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعب
جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اى
لاخواننا فى الدين ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا
من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن
اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم فى قتالكم او خذلانكم احدا
ابدا اى من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم
لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن
ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير
الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد

اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول فى صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم
من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة
الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون
انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقين جميعا مجتمعين الا فى قرى
محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار
وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه
يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن
والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه
صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اى مثل اليهود كمثل
اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية
قريبا فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء
عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الآخرة كمثل الشيطان اى مثل المنافقين
فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر
اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال انى برئ منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب
ولم ينفعه ذلك كما قال انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار
خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد بالانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الاية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد
وقرئ عاقبتهما على انهما الخبر لكان وخالدان على انه الخبر لان وفى النار لغو يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا
كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر
فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد والاول
فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله
خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها
او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم
فاستاهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القران على

جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتمثيل وتخييل كما مر فى قوله تعالى انا عرضنا
الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان
الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القران
لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله
الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ماغاب عن الحس من الجواهر
القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الله الذى لا اله
الا هو الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
السلام ذو السلامة من كل نقص وافة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل من الامن
قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذى جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحها
المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه
فى شئ من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها
بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه
هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة
على محاسن المعانى يسبح له ما فى السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو
العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قراء سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة ثلث عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوى
وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعه فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يغزوا اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم وارسل مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرئيل فبعث رسول الله عليه
وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة
خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوا منها وخلوها فان ابت
فاضربوا عنقها فادركوها ثمه فجحدت فسل على رضى الله عنه السيف فاخرجته
من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك
عليه فقال لها كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ
ملصقا فى قريش وليس فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى
لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون اليهم بالمودة
تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هى له
فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل وقد كفروا بما
جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اى من مكة
وهو حال من كفروا او استيناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه
تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان
كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى علة للخروج وعمدة
للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل
من تلقون او استيناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما
اعلنتم اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله
منكم اى يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم
يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم
بالسوء ما يسوؤكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه
وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ وان ودادتهم حاصلة
وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين
لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض
فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرئ حمزة والكسائى بكسر الصاد
والتشديد وفتح الفاء وعاصم يفصل وقراء ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع
التشديد وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة
حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به فى ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان
ولكم لغوا وحال من المستكن فى حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها وصفت اذ قالوا
لقومهم ظرف لخبر كان انا برءاؤا منكم جمع برئ كظريف وظرفاء ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم
والهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده
فينقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك
استثناء من قول اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان
نأتسوا به فانه كان قبل النهى ولموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله

من شيء ومن تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا
عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين
بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا
فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط منا
ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابرهيم ولذلك صدره
بالقسم وابدال قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه
لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه
بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله
ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنين اقاربهم
المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي
في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين
وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط اي العدل ان الله يحب المقسطين اي
العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت
ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت انما
ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم
كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان
تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الايمان
الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذي
يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما
ايذانا بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن
الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى
لحصول الفرقة والثانية للمنع عن الاستيناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه
فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن اذ روي انه عليه الصلوة

والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة
فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن اجورهن شرط
ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا
بعصم الكوافر بما يعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسئلوا
ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور
ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استيناف
او حال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم
يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم
احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم او شيء
من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم
باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر
يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انه لما نزلت الآية
المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه فان فاتكم
فاصبتم من الكفار عقبى هي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي
انتم به مؤمنون فان الايمان به مما يقتضي التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام
لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن
يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك
في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به
تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان
الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين
آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها
نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة
لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد
بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول

وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف اربع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا
لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر
على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم
عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز
للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة
في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به
كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى
والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر
باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان
العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذائه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق
ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم
الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى بن
مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول
الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني
من التورية وتبشيري برسول من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى
الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والمعنى ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول
الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه الصلوة
والسلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد
اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيقته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته

الاجابة الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت
وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم
الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى
الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك او يريدون
الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه او كتابه او حجته بافواههم وطعنهم فيه والله متم
نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقران او المعجزة
ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو كره
الكافرون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو
الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال عزهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر
ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم
تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر
المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان
مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال
الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة
وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم
او تحبون او مبتداء خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب
خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر
وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا
وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون
وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا
انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض
انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي
متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة
الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة

الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى عليه
السلام او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى عليه السلام من انصاري
الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثنى عشر
رجلا فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ اى بعيسى عليه السلام فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
عَلَى عَدُوِّهِمْ بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام فَأَصْبَحُوا
ظَاهِرِينَ فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة احدى عشرة آية مكية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح وَهُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رَسُولًا
مِنْهُمْ من جملتهم اميا مثلهم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ مع كونه اميا مثلهم لم يعهد
منه قراءة ولا تعلم وَيُزَكِّيهِمْ من خبائث العقائد والاعمال وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له
سواه معجزة لكفاه وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ من الشرك وخبث الجاهلية
وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول
تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها وَآخَرِينَ مِنْهُمْ عطف
على الاميين او المنصوب فى يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته وتعليمه تعم الجميع لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
وَهُوَ الْعَزِيزُ فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الْحَكِيمُ فى اختياره وتعليمه
ذَلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
تفضلا وعطية وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم
الآخرة مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ علموها وكلفوا العمل بها ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا لم يعملوا
ولم ينتفعوا بما فيها كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع
بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بِئْسَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّٰهِ اى مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بآيات الله
الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون صفة للقوم والمخصوص
بالذم محذوفا وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا تهودوا إِنْ

زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه
فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ فى زعمكم وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي
وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ فيجازيهم على اعمالهم قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ منه وتخافون
ان تتمنوه بلسانكم ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ لا تفوتونه لاحق
بكم والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم
وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بان يجازيكم عليه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَاةِ اى اذن لها مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه
للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه
اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل
قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار لبنى سالم بن عوف
فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللّٰهِ فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر
الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها وَذَرُوا الْبَيْعَ واتركوا
المعاملة ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ اى السعى الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير
وابقى إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فَإِذَا قُضِيَتِ
الصَّلَاةُ اديت وفرغ منها فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ اطلاق لما حظر
عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله وليس
لطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيرًا
واذكروه فى مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بخير الدارين
وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا روى انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب
للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر رجلا فنزلت وافراد
التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون
به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل ورؤيته
او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان
مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا
اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه وَتَرَكُوكَ قَائِمًا اى على المنبر قُلْ مَا عِنْدَ اللّٰهِ من
الثواب خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمونه من نفعهما
وَاللّٰهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها فى امصار المسلمين

سورة المنافقون احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبى فصدوا عن سبيل الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكور من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا وامنوا اذا راوا اية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضجامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهيكلهم ويصغى الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقراء ابو عمرو والكسائى وروى عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين

الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى راسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدرا وحال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتى احدكم الموت اى يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتنى امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرئ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرا ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله فى الغيبة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن ثمان عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض بدلالتها على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذى خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم

فأحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوت
اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصايص المبدعات وجعلكم انموزج جميع
المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا تمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في
السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا
يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان اوجزئيا لان نسبة المقتضى لعلمه الى الكل واحدة
وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى
علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكافرون نبأ الذين
كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله
الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم
عذاب اليم في الاخرة ذلك اى المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان
كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا
ان تكون الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر
في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني عن عبادتهم
وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء
العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه قل بلى اى بلى
تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة
وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا بالله ورسوله
محمد والنور الذي انزلنا يعني القران فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه
شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر
باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع
الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام
فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الاخرة لعظمها ودوامها
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز
العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح
من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير كانها والاية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ما
اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه

قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام
الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اى يسكن والله بكل
شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما
على رسولنا البلاغ المبين اى فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد
بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي
ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة
الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا
عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا
باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم
ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم
لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله
ما استطعتم اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا
اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى فعلوا ما هو
خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر
محذوف تقديره انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال
فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم بجعل لكم
بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه
لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم
لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة
والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق اثنى عشرة اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء
وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم
يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه
فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها
للتأقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره
يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر

وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده ولا يدل
على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته
حائضا امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا
العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة
والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي
عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما
وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق
وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على
الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من
الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله
الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها
للعقاب لا تدري اي النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد
ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استيناف فاذا بلغن اجلهن شارفن
آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب
او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها
تطويلا لعدتها واشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة او الفرقة تبريا عن
الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي
وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه
ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على
الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها
من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل
الله له مخرجا مما في شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من
وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز
بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه
عليه الصلاة والسلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروي ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا
ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة

ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل
عنها العدو فاستاقها وفي رواية رجع ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله فهو
حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة
وقرئ بالغ امره اي نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا
تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اي
جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روي انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي لم يحضن اي واللائي لم يحضن
بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم
يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله
تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات
وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث
وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد حللت فتزوجي ولانه متأخر النزول فتقديمه في العمل تخصيص وتقديم الآخر بناء
للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من
الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها يكفر عنه
سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من
حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو
عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن
فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن
من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث
تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع
وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان
تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على
المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد

بالبسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا وآجلا وكاين من قرية اهل قرية
عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند فحاسبناها حسابا
شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة
وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها
وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد
وبيان لما يوجب التقوى المامور به فى قوله فاتقوا الله يا اولى الالباب ويجوز ان
يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحايف الحفظة وبالعذاب
ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى بالذكر جبريل
لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القران او لانه مذكور فى السموات او ذو ذكر اى
شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القران او تبليغه وعبر عن
ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل عنه رسولا
للبيان او اراد به القران ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا والرسول
مفعوله او بدل له على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم آيات الله مبينات حال من اسم الله
او صفة رسولا والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين
امنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او
ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن
عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب
الله الذى خلق سبع سموات مبتداء وخبر ومن الارض مثلهن اى وخلق مثلهن
فى العدد من الارض وقرا بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله
وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ
علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم اثنتا عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك
روى انه عليه الصلوة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة او حفصة فاطلعت
على ذلك حفصة فعاتبته فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة
فواطأت عائشة وسودة وصفية فقلن له انا نشم عنك ريح المغافير فحرم العسل

العسل فنزلت تبتغى مرضات ازواجك تفسير لتحرم او حال من فاعله او استيناف
ببيان الداعى اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله
الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة وعصمتك قد فرض
الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدتم بالكفارة او الاستثناء
فيها بالمشية حتى لا يحنث من قولهم حلل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من راى
التحريم مطلقا او تحريم المراة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين
فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه السلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولى
امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه واذ اسر النبى
الى بعض ازواجه يعنى حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابى بكر وعمر فلما نبات به اى فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله
عليه واطلع النبى صلى الله عليه وسلم على الحديث اى على افشائه عرف بعضه
عرف الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما
او جازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائى بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف
بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبانى العليم
الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة رضى الله
عنهما على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما
ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول صلى الله عليه
وسلم بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تتظاهرا عليه بما يسوءه
وقرا الكوفيون بالتخفيف فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين
قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة بعد ذلك ظهير
متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة
وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل
على انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى
تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرا نافع وابو عمرو يبدله بالتشديد
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات
او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر

الرسول سايحات صايمات سمى الصايم سايحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما اولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتاديب وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلتين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلى امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة اوفى النصاحة وهى الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرا ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله النبى ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبى احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتداء خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسالون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين

عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اى لهما عند موتهما او يوم القيمة النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا يضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلا درجات المقربين ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرات فرعون تسلية للارامل التى احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه فى فرجها وقرئ فيها اى مريم او الحملة من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب فى اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امراة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك ثلاثون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك بقبضة قدرته التصرف فى الامور كلها وهو على كل شئ قدير على كل ما يشاء قدير الذى خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض

مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به او طوبقت طباقا او ذات
طباق او جمع طبق كجبل واجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من
تفاوت وقراء حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد
وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه
بعض ما في الاخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير
للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا
وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على التسبيب
اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من
تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد
الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين اخريين في ارتياد الخلل
والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر
بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه
طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا
السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة
السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها اذ التزيين
باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلناها
فائدة اخرى هي اعدائكم بانقضاض الشهب المتسببة عنها وقيل معناه
وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم
بالفتح وهو مصدر سمي به واعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرة بعد الاحراق
بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرى
بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير
اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة
اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي فيها فوج جماعة
من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ
وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم
الا في ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال
والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع

الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد
والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على
ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم
ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال
ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل
فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل
فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم
ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة
والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير
فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل
وقراء الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم
يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه
عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم
السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل
علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة و
التقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا
يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله تعالى به رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا
يسمع اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل
لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل
فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى
واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني
الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم او الله على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على
زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى
واوا لانضمام ما قبلها وامنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس
ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال
فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذاري اذا شاهدتم

المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان
نكير انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية لرسول الله عليه وسلم وتهديد
لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطتها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن
وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل
للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارى عليه ما يمسكهن فى الجو على خلاف
الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصايص
هيئاهن للجرى فى الهواء انه بكل شئ بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجايب
امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى
اولم ينظروا فى امثال هذه الصنايع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبكم بنحو خسف وارسال
حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله تعالى ام
لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا
بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتداء وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم
وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا فى غرور لا معتمد لهم امن هذا الذى
يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه بامساك
المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا فى عتو عناد
ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما
من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى كب وقشع بل المطاوع
لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه
واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشى سويا قائما سالما من العثار على
صراط مستقيم مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين
والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار
بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد
غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير
وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر
على قدميه الى الجنة قل هو الذى انشاكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والابصار لتنظروا صنايعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذى ذرأكم فى الارض للجزاء واليه تحشرون

تحشرون ويقولون متى هذا الوعد اى الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين
يعنون النبى والمؤمنين قل انما العلم اى علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا
نذير مبين والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر فيه فلما رأوه اى الوعد فانه بمعنى
الموعود زلفة ذا زلفة اى قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة
وساءته رؤية العذاب وقيل هذا الذى كنتم به تدعون به تطلبون وتستعجلون
تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارايتم ان اهلكنى الله
اماتنى ومن معى من المؤمنين او رحمنا بتأخير اجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب
اليم اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون
قل هو الرحمن الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها امنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا
للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص
والاشعار به فستعلمون من هو فى ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء قل ارايتم ان اصبح
ماؤكم غورا غائرا فى الارض بحيث لا ينال بالدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار
او ظاهر سهل المأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة القلم خمسون واثنتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت
والمراد به الجنس او البهموت وهو الذى عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج
منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم
هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب
النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا
اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثانى على ارادة الجنس
واسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى اولى العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او
للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى
ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى
وقيل مجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك
لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس
فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله
امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن

الست نقراء القران قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى
فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باى الفريقين منكم الجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى ايهما يوجد من يستحق
هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم
بالمهتدين من الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم
ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا
فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن
وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل مهين
حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية
مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم
اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك
بعدما عد من مثالبه زنيم دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها
وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس
بن شريق اصله فى ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه
آياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين
من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز
ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة
ويعقوب وابو بكر أان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين
بين اى ألان كان ذا مال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على
ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه
للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة سنسمه
بالكى على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل
هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة
على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا
اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين
وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل
او القته الريح او بعد من البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير

كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت
الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير
ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لأخرجن ان شاء
الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان
يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه وهم
نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل
بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس
سيما بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان
اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما
لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو والمتضمن بمعنى الاستيلاء
ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى
وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن
الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا
على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن
فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا
على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او غدوا حاصلين
على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد
قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل
القصد والسرعة قال اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا قاصدين
الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما رأوها اول
ما رأوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل نحن اى بعد ما تأملوا
وعرفوا انها هى محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رأيا
او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم
وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين
او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه
عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريد فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم
بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت

راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا
ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم
ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو
طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل
الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم
اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا النعيم الخالص
افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث
كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا
ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه
صادر من اختلال فكر واعوجاج راى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤن
ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح
لانه المدروس فلما جيئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا
وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة
متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن
عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان
لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم
ايهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم
فى هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعويهم اذ لا اقل من التقليد
وقد نبه سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل
او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على
مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان يكون
مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب
وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال
حاتم اخو الحرب ان عضت به عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم
يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق
الانسان وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل او

او المفعول والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان
اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون
لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذل
وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه
مزاحوا العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فانى اكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث
لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين
واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد
لانه فى صورته ام تسألهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم غرامة مثقلون بحملها
فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا فى
الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن
تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى
لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم
مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ
فاجتباه ربه بان رد الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الوقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى
وفيه على خلق الافعال والاية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة
عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك او يرمونك من قولهم
نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر
ولعله يكون من خصايص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن
وقرئ ليزهقونك اى يهلكونك لما سمعوا الذكر اى القران اى ينبعث عند سماعه بغضهم
وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل
القران بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا

عن النبى عليه السلام من قرأ سورة ن والقلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة خمسون وآيتان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها
او التى تحق فيها الامور اى تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد
المجازى وهو مبتداء خبره ما الحاقة واصله ما هى اى اى شئ هى على التعظيم لشانها والتهويل
لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واى شئ اعلمك ما هى
اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغها دراية احد وما مبتداء وادريك خبره
كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التى تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار
والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحة او الرجفة لتكذيبهم
بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا
يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت او البرد من الصر
او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها
او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف
او صفة جئ به لنفى ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان
هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم
من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته
او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا
او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى
كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الاخر وانما سميت عجوزا
لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن
فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها فى مهابها او فى الليالى والايام
صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل
ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه
وقرئ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ
ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة
او الافعال ذات الخطاء فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها فاخذهم
اخذة رابية زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح انا لما طغى الماء جاوز

حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو مؤيد لمن قبله حملناكم اى
اباءكم وانتم فى اصلابهم فى الجارية فى سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهى
انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته
وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها
بكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك اذن واعية
من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكيره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه
والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة
نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة لما بالغ فى تهويل
القيمة وذكر المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن
اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب
على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب
العالم وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط
زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة
واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا
امتا لان الدك سبب التسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لا سنام لها وارض دكاء
للمتسعة المستوية فيومئذ حينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء
لنزول الملائكة فهى يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف
بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان
وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر
ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية
لانها فى نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف
من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال
السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون
تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان
بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفخات
والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح
جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض
للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس

كما قال تعالى يوم تبلى السرائر وقرا حمزة والكسائى بالياء والفصل فاما من اوتى
كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه
لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم
يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء
فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل
واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل انى ظننت
انى ملاق حسابيه اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح فى
الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك عنها العلوم النظرية
غالبا فهو فى عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل
لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم فى جنة
عالية مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار
قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها
القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا
هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة فى الايام
الخالية الماضية من ايام الدنيا واما من اوتى كتابه بشماله فيقول لما يرى
من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية القاطعة لامرى فلم ابعث
بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على كانه صادفها امر
من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا
ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول به محذوف او استفهام
انكار مفعول لاغنى هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى
كنت احتج بها فى الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه
الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا اى طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق
لا يقدر على حركة وتقدم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام
بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله
العظيم تعليل على طريقة الاستيناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو
المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا

ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر
الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على
تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح القبائح الكفر بالله
واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا
طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون
اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون
بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم
او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما
لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه
ان القران لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله
وهو محمد او جبرئيل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما
تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول
كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا ولذلك يلتبس
الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم
مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكرها الا المعاند بخلاف مباينته للكهانة فانها
تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى
اقوالهم وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين
نزله على لسان جبرئيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول
متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك
لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه
وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال
بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول
حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القران لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة
على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين اليقين الذى لا ريب
فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول
عليه وشكرا على ما اوحى اليك قال عليه السلام من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج اربعون واربع اية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اى دعا داع به
بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان
هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء
او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما
من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت
ولم تصب ومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل
كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر
وفى الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان
السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سأل معنى اهتم
ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج ذى المصاعد
وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى المؤمنون
فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون
فيها تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف
لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر
قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه
تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة
من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم
واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء
الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والعرش
والكرسى كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من
السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه
من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله
او خلق اعظم من الملائكة وقرأ الكسائى يعرج بالياء فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه
استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت
وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب
فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا
من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف
لقريبا اى يمكن يوم يكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل عن فى يوم ان علق به والمهل

والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت
العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله
وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه
حاله يبصرونهم استيناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون
الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم
الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد
الضميرين او استيناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى
باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين
عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وقرأ نافع والكسائى بفتح يومئذ
وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التى تؤويه تضمه فى النسب او عند الشدائد
ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه
الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا
ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى
مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى
بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة
او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس
تدعوا تجذب وتحضر كقول ذى الرمة تدعوا انفه الريب مجاز من جذبها واحضارها
لمن فرمنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه
من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه
حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر
الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ فى الامساك
والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبايع جبل الانسان عليها واذا
الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات
المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها
من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء
والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك
فى حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلواتهم دائمون لا يشغلهم عنها
شاغل والذين فى اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل

للذى يسئال والمحروم والذى لا يسئال فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم
الدين تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة
الاخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على
انفسهم ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض يدل على انه لا ينبغى لاحد ان يأمن
عذاب الله وان بالغ فى طاعته والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون
سبق تفسيره فى سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم
بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعنى لا يخفون ولا ينكرون
ولا يخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم
لاختلاف الانواع والذين هم على صلوتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة
على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلوة مبالغة لا تخفى اولئك فى جنات
مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن
اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل
فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول
رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون
فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا كلا ردع عن هذا الطمع انا خلقناهم
مما يعلمون تعليل له والمعنى انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم
القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد
دخولها او انهم مخلوقون من اجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل
فمن لم يستكملها لم يتبوء فى منازل الكاملين واستدلال بالنشاة الاولى
على امكان النشاة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم
بعد ردعهم عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على
ان نبدل خيرا منهم اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا بدلكم
من هو خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا
فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون مر فى اخر الطور
يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب
منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب

بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد
وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب وجمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة
مر تفسيره ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المعارج اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام ثمانى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان
انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان يكون مفسرة لتضمن الارسال
معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب
الاخرة هو الطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون
مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم
وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى
هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره
اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا
فى اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك
وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحيوة كانهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت
قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد
الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم
الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى اذانهم سدوا مسامعهم عن
استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يرون كراهة النظر الى من فرط
كراهة دعوتى او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا
اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل
عليها واستكبروا عن اتباعى استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على
اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ
من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء
او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون مجاهرا
فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما
امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على الحق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا

ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك
وعدلهم عليه ماهوا وقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم
حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على
الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في
الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور ويستوى
في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا
لا تاملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تاملون فيها تعظيمه
اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه
وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة
للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا
عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما
ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم
بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات
الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
اى في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن من الملابسة وجعل الشمس
سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله
والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه اول
من الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء
بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده
بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة
والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة
جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصونى فيما امرتهم به
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم
المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه
انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى والبصريان وولده بالضم والسكون على انه
لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى
مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين

في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اى عبادتها ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال
صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد
انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير
وقرا نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة
وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد
الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال في
ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله تعالى ان المجرمين
في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم
وقرا ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة
والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب
للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد
نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون
الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا
وهو مما يستعمل في النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به
ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرا احوالهم الف سنة الا خمسين
عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى لمك بن متوشلخ وشمخا بنت
انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى او سفينتى مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن احدى وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ احى واصله وحى من وحى
اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن
والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة من ابدانها
وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم
في بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا انا سمعنا قرآنا

كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به
للمبالغة يهدي الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به بالقران ولن نشرك بربنا احدا على ما
نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا قراه ابن كثير والبصريان
بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان
المساجد وانه لما قام فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله انه لما
قام على انه استيناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان
من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اذا عظم او سلطانه او غناه مستعار من الجد
الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه
او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد
بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القران ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه
من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن
على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط
ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم السفيه في ذلك بظنهم
ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف
لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا
امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا
الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن والانس غيا بان اضلوهم
حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا
كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم او استينافا في كلام
من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان لن يبعث الله احدا ساد مسد
مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار
من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين
يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع
وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين

راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر
اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون
المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون
كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله
في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن
نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا او لن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى
اي القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول
ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان
يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان
بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن
طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم
كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الجن او
الانس او كلاهما على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا على الطريقة المثلى لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة
وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو
استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم
الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر
ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله وقرا غير الكوفيين بالنون
عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله
مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام
علة للنهي الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي
مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد او مواضع السجود على ان المراد النهي
عن السجود لغير الله او ارابه السبعة او السجدات على انه جمع مسجد وانه لما
قام عبد الله اي النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن
نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون
عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته وسمعوا من
قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة

وهي ما يلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قل انما ادعوا ربي ولا اشرك
به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرئ عاصم
وحمزة قل على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا غير عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم
سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي
سوء ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا وملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا
املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة
او من ملتحدا او معناه ان ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف
على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله عليه السلام بلغوا عني ولو آية
ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ
فان على فجزاؤه خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا
كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني
او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كأنه لما سمع المشركون
حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا
محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر
فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به عليه الا من ارتضى
لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال
الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط
وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا
على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي
المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف
الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ
جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى
ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغير واحاط
بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل عشرون آية وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل
بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها
اي الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان
عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له
اذ روي انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له في تثاقله
بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اي الذي
تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ بضم الميم وفتحها
للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء
من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف
والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء
منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين
الاقل منه والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل
منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل
فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا
اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل
اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة
اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس
او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد
تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول
عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه
للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة الليل
ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا
الى خوص يزى بينها السرى واشق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد
اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات

قدم وقرئ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطاة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد
من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو
الاصوات ان لك فى النهار سبحا طويلا تقلبا فى مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد
فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ
الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر
الله يتنا ولكل ما يذكره من تسبيح وتحميد وتهليل وصلاة وقراءة قران ودراسة
علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الرمز
ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او مبتدأ
خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من
ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن
التهليل فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون
من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم
الى الله كما قال وذرنى والمكذبين دعنى واياهم وكل امرهم فان بى غنية عنك
فى مجازاتهم اولى النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا
او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما
ذا غصة طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوع اخر من
العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك
فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة
بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة
غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان
عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما
فى لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل
بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر
انا ارسلنا اليكم رسولا يا اهل مكة شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة
بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعنى موسى ولم يعينه لان
المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا
ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم
فكيف تتقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل
الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم

ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف اليوم بالطول
السماء منفطر منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شئ به بشدة ذلك اليوم
على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للالة كان وعده مفعولا الضمير لله
عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه اى الايات الموعدة
تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك
التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه استعار
الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك وتقوم ذلك جماعة من
اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان
تقديمه اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن
تحصوه اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم
بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القران
فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر
اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به
ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القران بعينه كيف ما تيسر عليكم علم
ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص
والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال واخرون يضربون فى الارض
يبتغون من فضل الله والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واخرون
يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة
الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخير او باداء
الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله وما تقدموا
لانفسكم من خير من اجر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه
الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تاكيد او فصل
لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر
واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة

سورة المدثر ست وخمسون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس

الدثار روي انه عليه الصلوة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي
فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه
فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبرائيل قال يا ايها المدثر ولذلك قيل
هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا
فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان
بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصبه
قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل
عليه قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء
عقدا وقولا روي انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي
وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط
وكانه قال وما يكن من شيء فكبر ربك او الدلالة على ان المقصود الاول من الامر
بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول
ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر
من النجاسات فان التطهير واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها
وحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض
العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنية فيكون
امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية عطف على الاستكمال
الاول والضمير في اليه عائد اليه والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد
والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه
من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة
كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا
طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر
يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن بعبادتك على الله
مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه
وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر
بمعنى تجده كثيرا او بالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع
بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر
فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر نفخ

نقر في الناقور في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب
الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك
واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتدأ خبره يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه
دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد
ابن المغيرة ووحيدا حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء
اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف فريدا لا مال
له ولا ولدا او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن
في الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا
او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه
بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا
يحتاج الى ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم
واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد
وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى
لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان
ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه
لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه
كان لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف
بمعاندة الآيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال
بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه عقبة
شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلوة والسلام الصعود
جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل
للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما
يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب
اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة
مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما
ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه

لثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه
ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون
انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق
بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل
كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد
على اصلها ثم نظر اى فى امر القران مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه
طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب فى وجهه
وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول صلى الله عليه وسلم واستكبر
عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه
لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول
البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه سقر بدل
من ساُرهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشانه وقوله لا تبقى ولا تذر
بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ
يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالى الجلد او لايحة للناس
وقرأت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة
يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب
القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات
ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل
انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة
الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف وان الساعات
اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوة فيبقى تسعة عشر قد يصرف فيما يؤاخذ به
بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى
الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة
كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم
اقوى الخلق باسا واشدهم غضبا لله روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر
قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو

وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتنانهم به استقلالهم
له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد
الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا اليقين
بنبوة محمد عليه الصلوة والسلام وصدق القران لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم
ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا
الكتاب والمؤمنون اى فى ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض
المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين فى قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة
عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون فى التكذيب ماذا اراد الله
بهذا مثلا اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الله الكافرين ويهدى المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع
خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقايقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هى
وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن
انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اذ ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ
نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ دبر على المضى والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى
الكبر لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى
على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة
فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتاكيد نذيرا
للبشر تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة
وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبر المحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من
للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه او لمن شاء خبر لان يتقدم
فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة
مرهونة عند الله تعالى مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة
لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل
هم الملائكة او الاطفال فى جنات لا يكتنه وصفها وهى حال عن اصحاب اليمين او ضميرهم
فى قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك
تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم فى سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤلين و
المجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلوة الواجبة ولم نك نطعم المسكين

مايجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد
ذلك كله مكذبين بالقيمة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم
شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين
عن التذكير يعنى القران اوما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من
قسورة شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة
اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء بل يريد كل
امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى
صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تاتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان
اتبع محمدا كلا ردع من اقتراحهم الايات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن
التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع عن اعراضهم انه تذكرة واى تذكرة
فمن شاء ذكره فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيتهم
كقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشية الله
وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرأ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان
يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبى صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة اربعون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال الى النافية
على فعل القسم للتاكيد شايع فى كلامهم قال امرئ القيس لا وابيك ابنة العامرى
لا يدعى القوم انى افر وقد مر الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ولا
اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى
يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس
المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه عليه السلام قال ليس
من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف
لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت او نفس آدم فانها لم تزل تتلوم
على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيمة لان المقصود من اقامتها مجازاتها
ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل اليه لان فيهم من يحسب والذى
نزل فيه عدى بن ربيعة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيمة فاخبره

فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام الن نجمع
عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين
على ان نسوى بنانه نجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها
ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه الذى هو اطرافه فكيف
بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون بل
يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا
لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على
فجوره فيما يستقبله من الزمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء
فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع
بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب
اى انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر
فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل
ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح
الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس
وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اين
الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن
طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل
الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد الى حكمه استقرار امرهم
او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان
بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما
اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر
فخلفه او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها
لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة
على غير قياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك
يا محمد به بالقران لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتاخذه على عجلة
مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك وقرانه واثبات قراءته
فى لسانك وهو تعليل للنهى فاذا قرأناه بلسان جبرئيل عليك فاتبع قرانه قراءته
وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من

من معانيه وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما
يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل
الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الايات وقيل الخطاب
مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته
خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه
من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قرآنه بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا
بيانه امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة
او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة تعميم
الخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان
والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين
بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة
فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل
الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار
لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى
بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما
بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة
العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع عن ايثار
الدنيا على الاخرة اذا بلغت التراقى اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها
من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من
يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت يرقى بروحه ملائكة الرحمة او
ملائكة العذاب من الرقى وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذى نزل به
فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر
تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الى ربك يومئذ المساق
سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله
اى فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى
ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى
يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من
المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولى واصله اولاك

اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل
من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار
ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر
والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف
لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الاخرة الم يك نطفة
من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر
والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله
أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وعن النبى عليه السلام انه كان اذا قرأها قال سبحانك
بلى وعنه عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة

سورة الدهر احدى وثلاثون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير
وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذى حين
من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل
كان شيئا منسيا مذكورا بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان
او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان
او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج
او مشيج من مشجت الشئ اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى
الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك
يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء
الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير
علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه فى موقع الحال اى مبتلين له بمعنى مر
يدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الايات فهو كالمسبب عن الابتلاء
ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه
السبيل اى بنصب الدلائل وانزال الايات اما شاكرا واما كفورا حالان من
الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما
بعضهم شاكرا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفورا بالاعراض عنه او من

اومن التسبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ امّا بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل
كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارًا بان الانسان لا يخلوا عن كفران غالبا
وانما الماخوذ به التوغل فيه اِنَّا اَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ بها يقادون وَاَغْلَالًا بها
يقيدون وَسَعِيرًا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تاخر ذكرهم لان الانذار اهم
وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقراء نافع والكسائي وابو بكر
سلاسلا للمناسبة اِنَّ الْاَبْرَارَ جمع بر كارباب او بار كاشهاد يَشْرَبُونَ مِنْ كَاْسٍ من خمر
وهي في الاصل لقدح يكون فيه كَانَ مِزَاجُهَا ما يمزج بها كَافُورًا لبرده
وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه
وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوجة به عَيْنًا بدل من كافورا ان جعل
اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص
او بفعل يفسره ما بعدها يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ اي ملتذا بها او ممزوجا بها وقيل الباء
مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتداء منها كما هو يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يجرونها حيث شاؤا
اجراء سهلا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ استيناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه
فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه
على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ شدائده
مُسْتَطِيرًا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ
من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلٰى
حُبِّهِ حب الله او الطعام اي الاطعام مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَاَسِيرًا يعني اسارى الكفار
فانه عليه الصلوة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول
احسن اليه او الاسير المؤمنين ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك
اسيرك فاحسن الى اسيرك اِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ على ارادة القول بلسان الحال
او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافات المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله
عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم
بمثله ليبقى ثواب الصدقة خالصا عند الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا اي شكرا
اِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافات منكم يَوْمًا عذاب يوم
عَبُوسًا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قَمْطَرِيرًا شديد العبوس
كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها
مشتق من القطر والميم مزيدة فَوَقَاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ بسبب خوفهم وتحفظهم
عنه وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا بدل عبوس الفجار وحزنهم وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا بصبرهم

بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جَنَّةً بستانا ياكلون منه
وَحَرِيرًا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة وفضة
جارية لهما صوم ثلث ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري
ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم
ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما
فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة
اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله
في اهل بيتك مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْاَرَائِكِ حال عن هم في جزاهم او صفة لجنة لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر
عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس وقمر وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا حال او صفة اخرى معطوفة على ما
قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين كقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انها خبر ظلالها والجملة حال او صفة
وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل
سهل التناول لا يمتنع على قطافها كيف شاؤا وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِاٰنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَاَكْوَابٍ
واباريق بلا عرى كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة
وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير
الاولى لانها رأس الاية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا اي قدروها
في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت
على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر
اشتهائهم وقرئ قُدِّرُوهَا اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من
قدر الشيء وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَاْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ما يشبه الزنجبيل في الطعم
وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عَيْنًا فِيهَا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلًا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل
ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه
وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال
سبيلا بالعمل الصالح وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ دائمون اِذَا رَاَيْتَهُمْ

حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس
شعاع بعضهم الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه
عام معناه ان بصرك اينما وقع رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفى الحديث
ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى
ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان ينتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا
الملكوت فيستغنى بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما دق منها وما غلظ ونصبه على الحال
من هم فى عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم
وقراء نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقراء ابن كثير وابو بكر خضر بالجر
حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب
وقراء ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقراءهما نافع وحفص والكسائى بالجر وقرئ
واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع
من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه
قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة
يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حلى
وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى
هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به
نوعا اخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله عز وجل ووصفه
بالطهورية كانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق
فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى منتهى درجات الصديقين
ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى
ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازا عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك
القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل
به فاصبر لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم اثما او كفورا
اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه او
للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار
ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان
يكون المطاوعة فى الاثم والكفر مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان

فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به
صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلوة الليل من مزيد الكلفة والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم امامهم او خلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ
للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا
ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم
وبدلنا امثالهم فى الخلقة وشدة يعنى النشاءة الثانية ولذلك جئ باذا او بدلنا
غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى
السورة والايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة
وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيتهم
وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل
كل احد حكيما لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والتوفيق
للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل
اوعد وكافاء ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قراء سورة هل اتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة والمرسلات اثنتان وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرايع فى الارض او نشرن
النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء
ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بايات القران المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله
عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن اثار الهدى والحكم فى
الشرق والغرب ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس
الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن ذلك فى
جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه
فالقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب
ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا اى تسببن
له فان العاقل اذا شاهد هبوبها واثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا

اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف وبمعنى المتتابعة
من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاسائة
وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر
والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية
من ذكرا على ان المراد به الوحى اما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى
الثالث بالحالية وقراءهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف انما
توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجئ القيمة كائن من
محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت
واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها
وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم
قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظر وقراء ابو عمرو وقتت على الاصل
لاى يوم اجلت اى يقال لاى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم
الفصل بيان ليوم التأجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم
كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ للمكذبين اى بذلك وويل فى الاصل مصدر
منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ
نهلك من هلك بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اى ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين
كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا
وكذا ان اطلق التكذيب او علق فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة
وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب الم
نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة ذليلة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم الى قدر
معلوم الى مقدار معلوم من الوقت الذى قدره الله تعالى للولادة فقدرنا فقدرنا
على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت
به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطاره

اظهارها احياء وامواتا منتصبا به على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس
وامواتهم بعض الاحياء والاموات والحالية من مفعوله المحذوف للعلم وهو الانس
او بجعل على المفعولية وكفاتا حالا والحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعار
بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ
للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم للامر
اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذى ثلث شعب يتشعب
لعظمته كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة
الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره
ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل
تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغنى من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب
شيئا انها ترمى بشرر كالقصر اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ
بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن
ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج وكالقصر وهى اصل العنق والهاء للشعب
كأنه جمالت جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون
اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا
فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرئ حمزة والكسائى وحفص
جمالت وعن يعقوب ورويس جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ
من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا
ينطقون اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة
والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ
ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن
والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن
واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم
كيد فكيدون تقريع على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ
للمكذبين اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم

فى مقابلة المكذبين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون فى انواع الترفه
كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اى مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزى المحسنين
فى العقيدة ويل يومئذ للمكذبين تمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال
لهم ذلك بذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على
النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل
واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا اوصلوا اواركعوا فى الصلوة اذ روى انه
نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبى فانها
سبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا تستطيعون لا يركعون
لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع
ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده اى بعد القران يؤمنون اذا لم
يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة قال
النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون اية وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذفت الالف
لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شان ما يتساءلون عنه كانه لفخامته خفى جنسه
فيسال عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون من البعث فيما بينهم او يساءلون
الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراءونهم
اى يدعونهم ويرونهم اوللناس عن النبأ العظيم بيان للشان المفخم او صلة يتساءلون
وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذى هم فيه مختلفون
بجزم النفى والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل
ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشد
وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيمة او الاول للبعث والثانى للجزاء وعن ابن
عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
تذكير ببعض ما عاينوا من عجايب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة
البعث وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة
استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت
للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء

وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة
تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر
فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلالئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت
او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا
اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان
يحصد منه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان ان تعصر السحاب
او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبتداء للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه
ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث
افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاجا ومثاجج
الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات
الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع فالجنة لف وعليه مغدق او لفيف كشريف
او لف جمع لفاء كخضر او خضراء واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان يوم الفصل كان
فى علم الله او فى حكمه ميقاتا حدا يوقت به الدنيا وينتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه
يوم ينفخ فى الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى
المحشر روى انه عليه الصلوة والسلام سئل عنه فقال يحشر عشرة اصناف من امتى
بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون
على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة
على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم
وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيفة وبعضهم
يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت
واكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم
عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات
المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشقت وقرا الكوفيون
بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت
ذات ابواب وسيرت الجبال اى فى الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب
اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين
ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او مجدة
فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل

لقامة الشاحة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين
وهو ابلغ احقابا وهو را متتابعة وليس فيه ما يدل على خروجهم منها اذ لو صح ان
الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب
لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب اخر وان كان فمن
قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن في لابثين او نصب احقابا
بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون
جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطاه الرزق
وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله
لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او
النوم وبالغساق ما يغسق اي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى
من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤوس الآي وقرئ حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد جزاء وفاقا اي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها
او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا
بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد
شايع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها
وكذبتها والمرء ينفعه كذابه واقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا
في تكذيبهم والمكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين
عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين
فيه على المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا
وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا
كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان
الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى
مكتوبا في اللوح او صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة
الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار
ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار
المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن
اترابا لدات وكأسا دهاقا ملآنا وادهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا

لغوا ولا كذابا وقرئ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا
جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من
جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه
حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى
المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو
عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع
في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه خبر محذوف
او مبتداء خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون
خطابه والاعتراض عليه في ثواب وعقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون
عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتاكيد لقوله تعالى لا يملكون فان
هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون
صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون
او للا يتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق
اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا
بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه
فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى
ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر
ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية
منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم يرد
الى التراب فيود حالها عن النبي عليه السلام من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات اربعون وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات الملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح
الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة
في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها
ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار

الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك
ما اعدلها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون
مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها
تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط
من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها
فى السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور
مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركتها من برج
الى برج ملايمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال
المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط
الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من
المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح
فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة
او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر
والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى
اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر
وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة
وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ وهو منصوب به والمراد
بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم
ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى
تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية
والجملة فى موضع الحال قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ شديدة الاضطراب من الوجيف وهى
صفة القلوب والخبر أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك
اضافها الى القلوب يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ فى الحالة الاولى يعنون
الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها
اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل
وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة أَئِذَا
كُنَّا وقرئ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر عِظَامًا نَاخِرَةً بالية
وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ قَالُوا تِلْكَ
إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون

خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ متعلق بمحذوف اى لا
تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ فاذا هم احياء
على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت
بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة
او لان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى اليس قد اتاك
حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو
اعظم منهم إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى قد مر بيانه فى سورة طه اذْهَبْ إِلَى
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول فَقُلْ هَلْ لَكَ
إِلَى أَنْ تَزَكَّى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرئ الحجازيان ويعقوب
تزكى بالتشديد وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ وارشدك الى معرفته فَتَخْشَى باداء الواجبات
وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا
قولا لينا فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهى قلب
العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها
كالاية الواحدة وتحقق الامر ثُمَّ أَدْبَرَ عن الطاعة يَسْعَى ساعيا فى ابطال
امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه فَحَشَرَ فجمع السحرة
او جنوده فَنَادَى فى المجمع بنفسه او بمناد فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى اعلى كل من يلى
امركم فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الاخرة
بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهو قوله
تعالى فى سورة القصص ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما اولهما ويجوز ان
يكون مصدرا موكدا مقدرا بفعله إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى لمن كان من شانه
الخشية أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا اصعب خلقا أَمِ السَّمَاءُ ثم بين كيف خلقها فقال
بَنَاهَا ثم بين البناء فقال رَفَعَ سَمْكَهَا اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او
ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا فَسَوَّاهَا فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها
بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا
اصلحه وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا اظلمه منقول من اغطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها
لانه يحدث بحركتها وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها
يريد النهار وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا بسطها ومهدها للسكنى أَخْرَجَ مِنْهَا
مَاءَهَا بتفجير العيون وَمَرْعَاهَا ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد
الجملة عن العاطف لانها حال باضمار او قد بيان للدحو وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا اثبتها

وقرئ الارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية
متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التى تطم
اى تعلوا على سائر الدواهى الكبرى التى هى اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة الثانية
او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان
ما سعى بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو
بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى
لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى ولمن ترى على ان فيه ضمير
الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه
وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما
بعده من التفصيل فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة
بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى هى مأواه واللام فيه سادّ مسدّ
الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتداء واما من خاف
مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبتداء والمعاد ونهى النفس عن الهوى
لعلمه بانه مردٍ فان الجنة هى المأوى ليس له سواها مأوى يسئلونك عن الساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من
مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها
فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكريها لهم وتبيين وقتها فى
شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله بعلمه وقيل فيم انكار
لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكريها اى علامة
من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء عليهم السلام امارة من اماراتها وقيل انه
متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعث
لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه
المنتفع به وعن ابى عمرو منذرٌ بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم
او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما
من يوم واحد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة النازعات
كان ممن حبسه الله فى يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر الصلوة المكتوبة

سورة الاعمى اربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن
ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى
الاسلام فقال يا رسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا راه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه
على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى وعبس
على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى الان جاءه الاعمى
فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول بالقوم
والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى
كالالتفات فى قوله وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ يجعلك داريا بحاله
لعله يتطهر من الاثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره
او يذكر فتنفعه الذكرى اى يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله للكافر
اى انك طمعت فى تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره
فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من
استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير
ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى
وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص
على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى
يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه
اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل
ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه
عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله
انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقران او العتاب المذكور
وتأنيث الاول لتأنيث خبره فى صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر
محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدى
الشياطين بايدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح
او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر
او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء
على الله او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو
مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بيان لما انعم عليه خصوصا
من مبتداء حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ
فَقَدَّرَهُ فهياه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه
ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس
او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير
وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير
ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ
وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية
واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار
بان وقت النشور غير متعين فى نفسه وانما هو موكول الى مشيته كَلَّا ردع للانسان
عما هو عليه لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله
باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ اتباع للنعم الذاتية بالنعم
الخارجية أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا استيناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرئ
الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا اى
بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه واسنادا الفعل الى السبب فَأَنبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا كالحنطة والشعير وَعِنَبًا وَقَضْبًا يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه
اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا عظاما وصف
به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار وصف
الرقاب وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ومرعى من ابّ اذا امّ لانه يؤم وينتجع او من ابّ لكذا اذا تهيأ له
لانه متهيأ للرعى او فاكهة يابسة تؤتب للشتاء مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فان الانواع
المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ اى النفخة وصف بها
مجازا لان الناس يصخون لها يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ
لاشتغاله بشانه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم
وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته
وبنيه لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى
يهمه وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ مضيئة من اسفار الصبح ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ بما ترى
من النعيم وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ غبار وكدورة تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ يغشيها سواد
وظلمة أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ الذين جمعوا الى الكفرة الفجور فلذلك

فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال النبى صلى الله عليه
وسلم من قراء سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ لفت من كورت
العمامة اذا لففتها بمعنى دفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف
ضوءها فذهب انبساطه فى الآفاق وزوال اثره او القيت عن فلكها من
طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس
بفعل يفسره ما بعدها اولى لان الشرطية تطلب الفعل وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ
انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدرا واظلمت من كدرت الماء فانكدر وَإِذَا
الْجِبَالُ سُيِّرَتْ عن وجه الارض او فى الجو وَإِذَا الْعِشَارُ النوق اللاتى على حملهن
عشرة اشهر جمع عشراء عُطِّلَتْ تركت مهملة او السحائب عطلت من المطر وقراء
بالتخفيف وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم
ردت ترابا او اميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ
بالتشديد وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود
بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقراء ابن كثير وابو عمرو
وروح بالتخفيف وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ قرنت بالابدان او كل بشكلها او
بكتابها وعملها او النفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ مدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق
العار بهم من اجلهن سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ تبكيتا لوائدها كتبكيت
النصارى بقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس وقرئ سألت اى خاصمت
عن نفسها وقتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلتُ على الحكاية وَإِذَا الصُّحُفُ
نُشِرَتْ يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل
نشرت فرقت بين اصحابها وقراء ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد
للمبالغة فى النشر او لكثرة الصحف او لشدة التطاير وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ
قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب
القاف والكاف كثير وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ اوقدت ايقادا شديدا وقراء نافع وابن عامر
وحفص ورويس بالتشديد وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ قربت من المؤمنين عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَّا أَحْضَرَتْ جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها

في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل
لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة
فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من
الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت
ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر
والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع
اذا ادبر والصبح اذا تنفس اذا اضاء عبر به عن اقبال روح ونسيم انه ان القرآن
لقول رسول كريم يعني جبرئيل فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله تعالى شديد
القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين
على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا
لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك
على فضل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عد فضائل جبرئيل واقتصر
على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم
انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد رآه ولقد راى رسول الله جبرئيل بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى
وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب بظنين
بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن
وهو البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد واصل حافة اللسان وما يليها من
الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرفي اللسان واصول الثنايا العليا
وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه
لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في امر الرسول والقرآن
كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم
ان يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون
بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء
الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله
قال عليه السلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين ينشر صحيفته

سورة الانفطار تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب

انتثرت تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار
الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من
بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل
او صدقة واخرت من سنة او تركة ويجوز ان يراد بالتاخير التضييع وهو جواب
اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه
وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم
وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام
والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربكم كريم لا يعذب احدا
ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك
في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة
للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية
جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة
متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك
بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك
وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك
في اي صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك
وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله
وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد
بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم
الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل
ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم
ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره
بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر
يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير
والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال عليه السلام
من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة التطفيف ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في
الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث
الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم
الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما
ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات
واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما
ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه
عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون
فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت
لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن
جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود
بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات
الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون
فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار
وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب
بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين لحكمه
وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم وتعظيم وقيام الناس فيه
لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم
اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب
الفجار كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين
كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه
فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما
قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب
السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك
الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به
الا كل معتد متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه

وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث شغلته
عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل
كلا ردع عن هذا القول كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه و
بيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيه حتى
صار ذلك صداء على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب
لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل
فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصداء وقرأ حفص بل ران
باظهار اللام كلا ردع عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا
يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة
من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة او قرب ربهم ثم انهم
لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون
يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد
الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب
الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر فى نظيره
يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار
لفى نعيم على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات
تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء
المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك
اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذى له ختام
اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به
ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق او النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب
المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها
او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم
يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او على الحال
من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعنى رؤساء
قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم
يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا
فاكهين متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون

واذا راوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرا حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء قال عليه السلام من قرا سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة انشقت عشرون وثمان اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام لقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اى انقادت لتاثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى ياذن للامر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان يزال جبالها واكامها والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها واذنت لربها فى الالقاء والتخلية وحقت للاذن وتكرير اذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سورة التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله تعالى ونصليه جهنم انه كان فى اهله فى الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب

الغروب وعن ابى حنيفة انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هى الموت ومواطن القيمة واهوالها او هى وما قبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرا حمزة وابن كثير والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على النفس وبالياء وعلى الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روى انه عليه السلام قرا واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اى بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وامن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج وهى عشرون واثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او المبالغة فى الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبى وامته او امته وسائر الامم او كل نبى وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج او يوم الجمعة والمجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود انه جواب القسم

على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار
مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم
بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق فى الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق
والاخقوق روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان
فى طريقه راهب فمال قلبه اليه فراء فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ
حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان
الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فابراه
فسأله الملك عمن ابراه فقال ربى فغضب وعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل
على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فهلكوا ونجا واجله فى سفينة ليغرقه فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا
ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس وتصلبنى وتأخذ سهما من كنانتى وتقول
بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه ومات فآمن الناس فامر
باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها
صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وعن على
رضى الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات
فلم يقبلوه فامر باخاديد النار فطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر اهل نجران غزاهم
ذو نواس اليهودى من حمير فاحرق فى الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود
بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام فى
الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امره به او يشهدون
على ما يفعلون يوم القيمة حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا
منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير
ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا
منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ
شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب
الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق
ما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش

ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق
ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الاخرة وهو الغفور لمن تاب
الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش
صفة لربك المجيد العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة
وجر حمزة والكسائى صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا
يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدالهما
من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم
فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم بل الذين كفروا فى تكذيب لا يرعوون
عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا هلاكهم
ملا كهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط
المحيط بل هو قرآن مجيد بل هو الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد
بالاضافة اى قرآن رب مجيد فى لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة
للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح عن رسول الله
عليه السلام من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق وسبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكواكب البادى
بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضئ كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه
او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم
فسره بما يخصه تفخيما لشانه ان كل نفس لما عليها اى ان الشان كل نفس لعليها
حافظ رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما زائدة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بالتشديد على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب
القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظا اتبعه بتوصية
الانسان بالنظر فى مبدائه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره
فى عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو
صب فيه دفع والمراد او الممتزج من المائين فى الرحم لقوله يخرج من بين الصلب
والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة
تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد

منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا
شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع
الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب
كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ
الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب انه على
رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف
وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف
لرجعه فما له فما الانسان من قوة من منعة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر
يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك عنه
وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما
من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يكون
المراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات
او الشق بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعنى اهل مكة يكيدون كيدا فى ابطاله واطفاء
نوره واكيد كيدا واقابلهم بكيدى فى استدراجى وانتقامى منهم بحيث يحسبون
فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم
رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين قال النبى عليه
السلام من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

سورة الاعلى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن
الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره
لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم
العظيم قال عليه الصلوة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك
الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود
اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى خلق كل شىء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى
كماله ويتم معاشه والذى قدر اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها
وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائى قدر بالتخفيف فهدى فوجهه الى افعاله
طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات والذى
اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا
اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على
لسان جبرئيل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ
مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك
ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله تعالى السبيلا الا ما شاء الله نسيانه
بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى عليه السلام اسقط آية فى
قراءته فى الصلوة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفى النسيان رأسا
فان القلة تستعمل للنفى انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك
بالقراءة مع جبرئيل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء
وانساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى والتدين ونوفقك
لها ولهذه النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم اعتراض
فذكر بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت
بعد تكرير التذكير وحصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم
كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكورين واستبعاد تأثير الذكرى
فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا امكن نفعه ولذلك امر بالاعراض عمن
تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه لا يتفكر فيها فيعلم
حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر
فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر الذى يصلى النار الكبرى
نار جهنم فانه عليه الصلوة والسلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزء
من نار جهنم او ما فى الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حيوة ينفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من
الزكاء او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله
تعالى اقم الصلوة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق
للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا
تفعلون ما يسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل
فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها
ملذ بالذات خالص من الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفى الصحف الاولى الاشارة
الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم
وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله

عشر حسنات بعدد حروف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة الغاشية تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية الداهية
التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم
النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها
او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقراء ابو عمرو ويعقوب
وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية
في الحر تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق
وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام
هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل وتتعافاه
لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين
وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه
في جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقراء على بناء
المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات
لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها
ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب
جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق مساند جمع نمرقة بالضم
والفتح مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة
مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته
وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل
ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت
وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع
اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف
المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها
السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت
فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال
الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى فلا ينظرون الى
انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره
على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت
مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم
بمصيطر بمتسلط وعن هشام بالسين على الاصل وقراء حمزة بالاشمام الا من تولى
وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل
متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار
في الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب
الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم
رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه
الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر
للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عليه السلام من قراء سورة الغاشية حاسبه الله حسابا

سورة الفجر مئة وثلاثون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله تعالى
والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة
او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان
المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق لقوله
تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
او البروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيوم النحر وعرفة وقد روي
مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او
مدخلا في الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقراء غير حمزة
والكسائي والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي
كقوله تعالى والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على
كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء
للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل
ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف
الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذي حجر
يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي كما سمي
عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف

وهو لبعد بن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعنى اولاد عاد بن عوص ابن
ارم ابن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ارم عطف
بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل
سمى اوايلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد
ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد
وشديد فملكا وقهرا ثم شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تم سار اليها
باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن
عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة
اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة وثمود الذين جابوا الصخر
قطعوه واتخذوه منازل كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى
وفرعون ذى الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او
لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون
او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم
ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به
الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه
بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة
من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ان ربك لبالمرصاد المكان الذى
يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده
العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل
انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا
ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنا واليسر فاكرمه ونعمه بالجاه والمال
فيقول ربى اكرمن فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتداء الذى هو الانسان والفا
لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التاخير كانه قيل فاما الانسان
فقائل ربى اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر
عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه اى بالفقر والتقتير ليوازن
قسيمه فيقول ربى اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة
الدارين والتوسعه قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك
ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم

ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال
به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف
وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد
بل لا تكرمون اليتيم ولا تحضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوء من قولهم
وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون
اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون وتأكلون
التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم
كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرأ
ابو عمرو وسهل ويعقوب ولا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا
بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او هباء منبثا وجاء ربك
اى ظهرت ايات قدرته واثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان
من اثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجئ
يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها
سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ من اذا دكت
والعامل فيهما يتذكر الانسان اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها
فيندم عليها وانى له الذكرى اى منفعة الذكرى لئلا ينافى ما قبله واستدل
به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتنى
قدمت لحيوتى اى لحياتى هذه او وقت حيوتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس
فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى
ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله
اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا
يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء
المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهى اطمأنت بذكر الله فان
النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر
دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التى
لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الى امره او موعده بالموت
ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس

او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي
في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضئ
بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت
عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الفجر
في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد وهي عشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد
اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه اظهارا
لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه
كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار
فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابرهيم
وما ولد ذريته او محمد والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله
تعالى والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد
الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها
ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم بما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان
يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه
اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا يزل قدماه او لكل احد منهم او الانسان
ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا
لبدا كثيرا من تلبد الشيء اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة
للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعني ان الله
يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق
والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريق الخير والشر او الثديين واصله
المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اي فلم يشكر تلك الايادي باقتحام العقبة وهو
الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك
والاطعام في قوله وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن

حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم
يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة او اطعم على الابدال
من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها
ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في
الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا
بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله اولئك
اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق
من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة الشمال او الشوم ولتكرير ذكر المؤمنين
باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من اوصدت
الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحفص وحمزة بالهمزة من آصدته عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت
وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار
وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة
البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط
النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم والليل اذا يغشيها يغشى الشمس
فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية
الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات
والظروف بالظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمروا وبكر خالدا
على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وانما
اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على
وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما
طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل
بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سواها الا ان يضمر فيها اسم الله
للعلم وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام
الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها

انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل
النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته
وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظايم آلائه ليحملهم
على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر
بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم
رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيهَا نقصها واخفاها
بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيهَا
بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا
بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ
بالضم كالرجعى اِذِ انْبَعَثَ حين قام ظرف لكذبت او طغوى اَشْقيهَا اشقى ثمود
وهو قدار بن سالف او هو ومن تمالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته
صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ
اللّهِ اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وَسُقْيَيهَا وسقيها فلا تذودوها عنها
فَكَذَّبُوهُ فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فاطبق
عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة اذا البسها الشحم بِذَنْبِهِمْ بسببه
فَسَوَّيهَا فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود
بالاهلاك وَلَا يَخَافُ عُقْبيهَا اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى
بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

سُورَةُ وَاللَّيْلِ وَهِىَ اِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَاللَّيْلِ اِذَا يَغْشى اى يغشى الشمس او
النهار او كل ما يواريه بظلامه وَالنَّهَارِ اِذَا تَجَلّى ظهر بزوال ظلمة الليل وتبين
بطلوع الشمس وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْاُنْثى والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى
من كل نوع له توالد او آدم وحوى وقيل ما مصدرية اِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى ان مساعيكم
لاشتات مختلفة جمع شتيت فَاَمَّا مَنْ اَعْطى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنى تفصيل مبين
لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى
وهى ما دلت على حق ككلمة التوحيد فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى فسنهيئه للخلة التى
تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه المركوب بالسرج

بالسرج واللجام وَاَمَّا مَنْ بَخِلَ بما امر به وَاسْتَغْنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنى بانكار مدلولها فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى للخلة المؤدية الى العسرة والشدة
كدخول النار وَمَا يُغْنى عَنْهُ مَالُهُ نفى او استفهام انكار اِذَا تَرَدّى هلك تفعل من
الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم اِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدى للارشاد الى الحق بموجب
قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل وَاِنَّ لَنَا لَلْاخِرَةَ وَالْاُولى فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية
للمهتدين او فلا يضرنا تركم الاهتداء فَاَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظّى تتلهب لَا يَصْليهَا لا يلزمها
مقاسيا شدتها اِلَّا الْاَشْقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه
اشقى ووصفه بقوله اَلَّذى كَذَّبَ وَتَوَلّى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وَسَيُجَنَّبُهَا
الْاَتْقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم
ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف
الحصر السابق اَلَّذى يُؤْتى مَالَهُ يصرفه فى مصارف الخير لقوله يَتَزَكّى فانه
بدل من يؤتى او حال من فاعله وَمَا لِاَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزى فيقصد باتيانه
مجازاتها اِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْاَعْلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف
مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة وَلَسَوْفَ يَرْضى وعد بالثواب الذى
يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم
ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سُورَةُ الضُّحى اِحْدى عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالضُّحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه
لان النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله
تعالى ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا وَاللَّيْلِ اِذَا سَجى سكن اهله وركد ظلامه
من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل
وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وَمَا قَلى وما ابغضك وحذف المفعول
استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه
الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا ميتا كان تحت
سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وَلَلْاخِرَةُ

خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه
لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعدله ما هى اعلى واجل عن
ذلك فى الاخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال
ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر
واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف
المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع
الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان
تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما
مضى يحسن فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة
ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام
والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى
الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك الى جدك فازال ضلالك عن عمك
او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما
اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه
واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل
المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله بعدد كل يتيم وسائل

سورة الانشراح وهى ثمانى آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع
مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم
وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه
اشارة الى ما روى ان جبرئيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم
الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق
ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه
ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك الذى حمله على النقيض
وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل
البعثة او جهله بالحكم والاحكام او حيرته او تلقى الوحى او ما كان يرى من ضلال قومه
مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان

الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه فى كلمتى
الشهادة وجعل طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه
بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر
كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع
والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره
للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله
به اتصال المتقاربين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استيناف وعدة بان
العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة
اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلوة والسلام
لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس واليسر
منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ
فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا
بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت
من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره
فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

سورة التين وهى ثمانى آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار
بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير
النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح
سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس
والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت
حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او
مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى
ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى
هو فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المأمون
فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى
احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع

خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه
من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به
عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اى فاى
شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل
وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك
على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى
فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما قرر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التين
اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق مكية تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم ربك اى اقرا القران مفتتحا
باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو
اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصود من القراءة فقال
خلق الانسان او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على
عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات
معرفة الله نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرا تكرير للمبالغة
او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك
فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه
ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذى علم بالقلم
اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم
يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن
قارئا وقد عدد سبحانه مبداء امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان
نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا للربوبية وتحقيقا للاكرمية واشار اولا
الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله
لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
اى راى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله
ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا

تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا اذا
صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه
فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد
وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى ارايت ان كان على
الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ارايت ان كذب وتولى
الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب
الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته
ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او امر بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان
كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى
ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على
الهدى امر بالتقوى والناهى مكذب متولى فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر
فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى وكانه قال يا كافر
اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى
فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلوة والامر بالتقوى فاقتصر
على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها
وعامة احواله محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهى لئن لم
ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ
وجذبه بالشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف
والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية
وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهما
لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه وهو
المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية
ليجروه الى النار وهو فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن
وهو الدفع او زبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء
كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على
سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد
قال النبى عليه السلام من قرا سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقران
فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند
انزاله اليه وعظم الوقت الذي نزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة
القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتداء بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى
السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبرئيل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
نجوما في ثلث وعشرين سنه وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخر
من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالي
كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم
وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه عليه السلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير
من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت
على الف شهر وتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من كل
امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان
سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة
والبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه
اي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود
والنصارى فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام
منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم
البينة الرسول او القران فانه مبين للحق او معجزة الرسول باخلاقه والقران بافحامه
من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلوا
صحفا مطهرة صفته او خبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف
كان كالتالي لها وقيل المراد جبرئيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها
وانها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق

وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم او تردد في دينه او عن
وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين
المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى
وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء
مائلين عن العقائد ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوا وعصوا وذلك
دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم
خالدين فيها اي يوم القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين
في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك
هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على الاصل ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان
ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها
اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي الله عنهم
استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك
اي المذكورة من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل
خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مسا ومقيلا

سورة الزلزال مدنية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها
عند النفخة الاولى والثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرأ بالفتح وهو اسم الحركة
وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن
او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل
المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان
الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر عما عمل عليها ويومئذ بدل
من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اي تحدث بسبب ايجاد
ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها
اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة
يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين

بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقراء بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لتفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرئ
هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب من الكبائر تؤثران
في نقص ثواب العقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة
بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء
عن النبي صلى الله عليه من قراء سورة الزلزلة اربع مرات كان كمن قراء القران كله

سورة العاديات احدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة
تعدو فتضبح وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات
فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي
تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات بغير اهلها
على العدو صبحا اى فى وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا
فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من
جموع الاعداء روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته خبر فنزلت
ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار
المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذا ظهر لهن مبداء انوار القدس فاثرن به
شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة
كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان
الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده
لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك لشديد لبخيل او لقوى
مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع
محصلا فى الصحف او ميز ما فى الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان
ربهم بهم وهو يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وبما اسروا فيجازيهم وانما قال
ما ثم قال بهم لاختلاف شانهم فى الحالين وقراء ان وخبير بلا لام عن النبى عليه السلام
من قراء العاديات اعطى من الاجر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جميعا

سورة القارعة احدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة

ما القارعة سبق بيانه فى الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فى كثرتهم وذلتهم
وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال
كالعهن كالصوف ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو فاما من
ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو فى عيشة فى عيش راضية ذات
راض اى مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته
على حسناته فامه هاوية فماواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك
ما هيه نار حامية ذات حمى قال النبى عليه السلام من قراء سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهى ثمانى ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو
منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهى بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم
عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة
المقابر روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال
بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم
وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه
الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو
اهم لكم وهو السعى لاخرتكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه
على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك
وبال وحسرة سوف تعلمون خطاء رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا
ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى
ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور كلا لو تعلمون علم
اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم
ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون
قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد
واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقراء ابن عامر والكسائى بضم التاء
ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة والثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس
اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذى الهيكم
والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة

والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسئال عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قراء الف اية

سورة العصر وهي مكية ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الحق او ما يبلوا الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصودا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراء سورة العصر غفر الله له وكان ممن يوصي بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل وعده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله من الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها

تفسيرها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة تعلوا اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشاء الاعمال القبيحة انها عليهم موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجيال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص وقراء ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين قال عليه السلام من قراء سورة الهمزة اعطاه عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من بني كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل منقاره حجر وفي رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق الزرع الذي وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعطاه الله ايام حياته من المسخ والخسف

سورة القريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرا ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل والتخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف فيها

سورة الماعون وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله من مال نفسه فدفعه وابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان

عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الماعون غفر له ان كان مؤديا للزكوة

سورة الكوثر مكية وهي ثلث اية

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظماء من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القران فصل لربك فدم على الصلوة خالصا لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد وفي يوم النحر

سورة الكافرون وهي ست اية

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين

قبل المبعث بعبادة الاوثان وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق والمطابقة وقيل انما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمباركة وتقرير كل من الفريقين الاخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة وقرا نافع وحفص وهشام بفتح الياء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشيطان وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وهى ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجئ تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا الشكره ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلوة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله عليه السلام انه لما قراها بكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة اذا جاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهى خمس اية

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك يدا ابى لهب نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتا لانه عليه الصلوة والسلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اصحاب النار كان الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب وقرا ابن كثير باسكان الهاء وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضى لتحقق وقوعه كقوله جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثانى عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذى ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد فى طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن فى سيصلى او مبتداء وفى جيدها الخبر وهى ام جميل اخت ابى سفيان حمالة الحطب يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعادات الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بالنصب على الشتم فى جيدها حبل من مسد اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف والظرف فى موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص وهى اربع اية

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك

هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هى هو ولما سئل عنه
اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت
واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع الكمال اذ الواحد الحقيقى
ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز
والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة
المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون
ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول وموادعته لهم وتبت معاتبة
عمه فلا يناسب ان تكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعوا اليه اخرى
الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق
فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته
بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية
واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليه لم يلد لانه لم يجانس ولم
يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى
لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد
وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه لعدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد
يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا
لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا
من المستكن فى كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاثة بالعاطف
لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب
ونافع فى رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال
هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها
تعدل ثلث القران فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن
عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اى يفرق
عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد
عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا

بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لان فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل
بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل عن
هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخاف ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان
الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه
فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالظلم والكفر وطبيعى كاحراق النار
واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصله
الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلات دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب
ظلامه وغسق العين سيلان دمعه اذا وقب دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه
لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه
يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر النفوس
او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق
وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى احدى عشر عقدة فى
وتر دسه فى بئر فمرض صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر
فارسل عليا فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرا آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة
ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر
وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة
بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل
غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه
لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص لاغتمامه بسروره وتخصيصه
لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور
وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد
فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما
يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب
القريبة للمضرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد انزلت على سورتان ما انزل
مثلهما وانه لن تقرا سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

سورة الناس مدنية ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ قرئ فى السورتين بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة

من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من الاضرار
التي تعرض النفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصها بالناس ههنا وكانه قال
اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم ويستحق عبادتهم ملك
الناس اله الناس عطفا بيان له فان الرب قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي
هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتبهم
الناظر في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا
ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه
فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير وتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ
منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر
الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد
به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا
ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك
كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست
واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على
الذم من الجنة والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس
في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم القبيلين
وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله تعالى يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى
يعم الثقلين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي
انزلها الله تم انوار التنزيل واسرار التأويل تصنيفا للامام العالم العامل
العلامة ناصر الملة والدين محمد بن عمر البيضاوي مشتملا على
صافي الكشاف من الدقايق وغيرها باوجز لفظ واقصر
عبارة مع زيادات شريفة ونكتة لطيفة شكر الله
سعيه وجعل الجنة مثواه بمنه وكرمه
والحمد لله على التمام والصلوة
والسلام على رسوله محمد عليه
الصلوة والسلام
تمت
م